

سيرة
قديس

الشيخ بهاء الدين محمد العلي

(٩٥٣-١٠٣٠هـ)

بها الدين محمد العلي
٩٩٤

مجموعة

(رسائل و بحوث في سيرة الشيخ البهائي)

مجموعة من المحققين



پرو، نگاه علوم و فرهنگ اسلامی
معاونت پژوهشی و نشریات اسلامی نور و علم رقم

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الشيخ بهاء الدين محمد العاملي عليه السلام

(٩٥٣-١٠٣٠هـ)

مجموعة

(رسائل وبحوث في سيرة الشيخ البهائي)

مجموعة من المحققين



بمناسبة انعقاد المؤتمر التحضيري
لتكريم الشيخ بهاء الدين العاملي عليه السلام

الشيخ بهاء الدين محمد العالمي

مجموعة من المحققين

- الناشر: مركز العلوم والثقافة الإسلامية
- معاونة الأبحاث لمكتب الاعلام الاسلامي في الحوزة العلمية، قم المقدسة
- الإعداد: قسم إحياء التراث الإسلامي
- مقوم النص: علي أكبر زماني نجاد
- الطباعة: مطبعة الباقر
- الطبعة الأولى: ١٤٢٩ ق / ٢٠٠٨ م
- الكمية: ١٠٠٠ نسخة
- السعر: ٦٣٠٠ تومان
- العنوان: ٨٧؛ التسلسل: ١٢٥

حقوق الطبع محفوظة للناشر

العنوان: قم، شارع الشهداء (صفائية)، زقاق آمار، الرقم ٤٢
التلفون والفاكس: ٧٨٣٢٨٣٣، التوزيع: قم ٧٨٣٢٨٣٤؛ طهران ٥-٣٠٣-٨٨٩٤٠
ص.ب: ٣٧١٨٥/٣٨٥٨، الرمز البريدي: ٣٧١٥٦-١٦٤٣٩

وب سايت: www.isca.ac.ir

البريد الالكتروني: nashr@isca.ac.ir

الشيخ بهاء الدين محمد العالمي (مجموعة رسائل وبحوث في سيرة الشيخ البهائي) /
اعداد مركز العلوم والثقافة الإسلامية، مركز احياء التراث الاسلامي - قم: [مكتب الاعلام
الاسلامي] مركز العلوم والثقافة الاسلاميه، ١٤٢٩ ق. = ١٣٨٧.

٥٢٨ ص.

ISBN: 978-964-2636-91-4

٦٣٠٠ ريال:

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

کتابنامه به صورت زیر نویس.

١. شيخ بهائي، محمد بن حسين. ٩٥٣-١٠٣٠ ق. - يادنامه ها. ٢. شيخ بهائي، محمد بن حسين. ٩٥٣-١٠٣٠ ق. - سرگذشت نامه - مقاله ها و خطابه ها. الف. دفتر تبليغات اسلامي حوزة علميه قم. پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامي. مركز احياء آثار اسلامي. ب. عنوان: مجموعة مقالات وبحوث في سيرة الشيخ البهائي.

٢٩٧/٩٩٨

٩ ش / ٥٥/٣ BP

١٣٨٧

الدليل

١. الشيخ البهائي في خلاصة الأثر / محمد الأمين المحبّي ١١
٢. خبر الشيخ بهاء الدين القزويني في سانحات دمي القصر / درويش محمد الطالوي ٢٧
٣. بهاء الدين العاملي الشيعي في معادن الذهب / أبي الوفاء بن عمر العرضي ٣١
٤. بهاء الدين العاملي في نفحة الريحانة / محمد الأمين المحبّي ٣٥
٥. رسالة في الشيخ البهائي / أبو المعالي محمد بن محمد إبراهيم الكلباسي ٣٩
٦. الشيخ البهائي في سلافة العصر / العلامة السيّد علي خان المدني ٩٩
٧. بهاء الدين العاملي الحارثي ... في روضة المتّقين / المولى محمد تقي المجلسي ١٠٧
٨. الشيخ الجليل بهاء الدين العاملي في رياض العلماء / عبد الله الأفندي الأصبهاني ١١١
٩. بهاء الملة والدين في الروضات / محمد باقر الموسوي الخوانساري الإصبهاني ١١٧
١٠. بهاء الدين العاملي في خاتمة المستدرك / الميرزا حسين النوري ١٣٩
١١. الشيخ بهاء الدين في نزهة الجليس / السيّد عباس المكيّ الحسيني الموسوي ١٥٥
١٢. الشيخ محمد بن الحسين العاملي في لؤلؤة البحرين / الشيخ يوسف البحراني ١٥٩
١٣. بيان أحوال الشيخ بهائي في الروضة البهيّة / السيّد محمد شفيع الجابلق ١٦٥
١٤. وصف الشيخ البهائي في خزانة الخيال / محمد مؤمن الجزائري الشيرازي ١٧١
١٥. البهائي وبهاء الدين في الكنى والألقاب / المحدث الشيخ عباس القمي ١٧٩
١٦. بهاء الملة والدين في الغدير / العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني ١٨٣
١٧. الشيخ بهاء الدين في أعيان الشيعة / العلامة السيّد محسن الأمين ٢٢٣
١٨. البهائي في فلاسفة الشيعة / الشيخ عبد الله نعمة ٢٥٧

١٩. بهاء الدين العاملي في طبقات أعلام الشيعة / الشيخ آقا بزرك الطهراني ٢٧٥
٢٠. بهاء الدين العاملي وفكره المتصل والمنفصل / الدكتور عبد الكريم اليافي ٢٧٧
٢١. حياة بهاء الدين العاملي في العصر العثماني / الدكتور وجيه كوثراني ٢٩٥
٢٢. النظريات الأصولية والفقهية للشيخ البهائي / السيد مهدي الحسيني الروحاني ٣١٧
٢٣. بهاء الدين العاملي مؤلفاً مجدداً / الدكتور الشيخ جعفر المهاجر ٣٢٥
٢٤. قراءة ثانية في ديوان الشيخ البهائي / الدكتور محمد التونسي ٣٣٩
٢٥. بهاء الدين العاملي العالم الموسوعي العربي / الدكتور حسن محمود أبو عليوي ٣٤٩
٢٦. معرفة الله في التراث العقلي ... / د. أحد فرامرز قراملكي و د. مصطفى زين ٣٦٥
٢٧. الشيخ البهائي في تاريخ علم الفلك في العراق / عباس العزاوي ٣٧٧
٢٨. بهاء الدين العاملي في تراث العرب العلمي / قدرى حافظ طوقان ٣٨٣
٢٩. منزل الشيخ بهاء الدين العاملي في قرية إيعات / الدكتور خضر محمد نبها ٣٩٣
٣٠. معنى الكشكول وسابقتها / السيد عبد الستار الحسيني ٣٩٧

الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد والد الشيخ بهاء الدين العاملي

- ٣١/١. إجازة للشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي / الشهيد الثاني ٤٠١
- ٣٢/٢. إجازة والد البهائي إلى ولديه / الشيخ حسين بن... الحارثي الهمداني ٤٢٩
- ٣٣/٣. والد البهائي في نسمة السحر / ضياء الدين يوسف الحسني اليمني الصنعاني ٤٣١
- ٣٤/٤. الحسين ... الحارثي ونفحة الريحانة / محمد أمين ... المحبي ٤٣٣
- ٣٥/٥. الشيخ عز الدين... في رياض العلماء / الميرزا عبد الله الأفندي الأصهباني ٤٣٩
- ٣٦/٦. الشيخ حسين في الروضة البهية / السيد محمد شفيع الجابلق ٤٤٩
- ٣٧/٧. الشيخ حسين... في لؤلؤة البحرين / المحدث الشيخ يوسف البحراني ٤٥٣
- ٣٨/٨. والد الشيخ البهائي في الكنى والألقاب / المحدث الشيخ عباس القمي ٤٥٧
- ٣٩/٩. عز الدين العاملي في الغدير / العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني ٤٦١
- ٤٠/١٠. الشيخ... والد الشيخ البهائي في أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ٤٧٩

كلمتنا

يعدّ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي (٩٥٣ - ١٠٣٠ هـ) من أبرز فقهاء الشيعة الذين هاجروا من جبل عامل إلى إيران في العصر الصفوي، والذين كان لهم الدور البارز في انتشار وترسيخ التشيع في إيران خلال الفترة الصفويّة. وقد تمثّل دوره في هذا المجال من خلال كتابته المؤلّفات العديدة التي أصبح بعضها منذ تأليفه مقرّراً دراسياً في المدارس العلميّة الشيعيّة وإلى فتراتٍ مديدة من جهة؛ وتربيته للعديد من التلامذة من جهةٍ أخرى.

وبمناسبة الذكرى المئويّة الرابعة لوفاته، فقد أخذ مركز إحياء التراث الإسلامي التابع لأكاديمية العلوم والثقافة الإسلاميّة في مدينة قم المقدّسة على عاتقه القيام بطباعة مجموعة آثار هذا العالم الشيعي الكبير بعد تحقيقها وتصحيحها بأسلوبٍ حاولنا فيه رعاية الجانب النقديّ العلميّ، وانتشارها متزامنةً مع انعقاد المؤتمر العالمي لتكريم الشيخ البهائي في العام ٢٠١٠ الميلاديّة / ١٣٨٩ الهجريّة الشمسيّة. كما قام المركز بتهيئة وإعداد موسوعةٍ عن الشيخ البهائي بثلاث لغات هي الفارسيّة والعربيّة والإنجليزيّة؛ وذلك توفيراً للدعم المناسب للمحقّقين في بحوثهم في هذا المجال. وقد تمّت الإشارة في هذه الموسوعات إلى المصادر الأوّليّة والتحقيقات التي تمّ القيام بها حتّى الآن حول الشيخ البهائي وأسرته الفاضلة. وهذا الكتاب هو أحد المجلّدات الثلاثة لهذه الموسوعة، حيث يضمّ أهمّ

التحقيقات - التي قام بها الباحثون حول العصر الصفوي وكتاب السيرة حول الشيخ البهائي ووالده الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد - باللغة العربية، وهي عبارة عن ٤٠ عنوانٍ بين مقالةٍ وبحثٍ وكلمةٍ.

وتلبيةً لرغبة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الرباني - حفظه الله - رئيس مكتب الإعلام الإسلامي، الداعية إلى طباعة هذه الموسوعة بالتزامن مع انعقاد الاجتماع التحضيري لتكريم الشيخ البهائي؛ فلم تتوفر لنا الفرصة للتعمق أكثر في البحث والتنقيب والدراسة النقدية لمحتويات المقالات. وعلى هذا فجميع المقالات في هذه الموسوعة جاءت على صورتها الأولى، تاركين التحقيقات الواسعة حولها إلى فرصةٍ أخرى مناسبة.

في الختام لا بدّ من تقديم الشكر الخالص إلى الفاضل المحترم علي أكبر زماني نجاد وزملائه في قسم فهرسة الكتب والنسخ الخطية في مركز إحياء التراث الإسلامي، على ما قاموا به من جهد في تجميع ودراسة وإعداد هذه المقالات.

أكاديمية العلوم والثقافة الإسلامية
مركز إحياء التراث الإسلامي

الشيخ بهاء الدين محمد العاملي

(٩٥٣ - ١٠٣٠ هـ)

الشيخ البهائي في خلاصة الأثر^١

محمّد الأمين المحبّي

محمّد بهاء الدين العاملي :

(محمّد) بن حسين، بن عبد الصمد، الملقّب بهاء الدين، بن عزّ الدين، الحارثي العاملي الهمداني صاحب التصانيف والتحقيقات، وهو أحقّ من كلّ حقيق بذكر أخباره، ونشر مزاياه، وإتحاف العالم بفضائله وبدائعه. وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم، والتضلع بدقائق الفنون. وما أظنّ الزمان سمح بمثله ولا جاد بنده. وبالجملّة، فلم تتسوّف الأسماع بأعجب من أخباره.

وقد ذكره الشهاب في كتابيه^٢ وبالغ في الثناء عليه.

وذكره السيّد عليّ بن معصوم، وقال :

ولد ببلبك عند غروب شمس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة

١. اقتبسناه من كتاب أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأوّل، الدكتورّة ليلي الصباغ، ص ٤٩٦-٥٢٣؛ وأيضاً راجع خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤٤٠-٤٥٥.

٢. أي «أحمد شهاب الخفاجي». والمقصود بالكتابين: كتاب «ريحانة الألبا» و«خبايا الزوايا». والأوّل محقّق من قبل الدكتور عبد الفتاح الحلو ومطبوع في جزئين، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧، والثاني لا يزال مخطوطاً.

سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة^١ وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم، وأخذ عن والده وغيره من الجهابذة كالعلامة عبد الله اليزدي حتى أذعن له كل مناظر ومناذب. فلما اشتد كاهله، وصفت له من العلم مناهله، ولي بها مشيخة الإسلام. ثم رغب في الفقر والسياسة، واستهبط من مهاب التوفيق رياحه، فترك المناصب ومال لما هو لحاله مناسب، فحج بيت الله الحرام، وزار النبي عليه الصلاة والسلام. ثم أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل، ثم عاد وقطن بأرض العجم.

وهناك همى غيث فضله وانسجم، فألف وصنف وقرط المسامع وشنف، وقصدته علماء تلك الأمصار، واتفقت على فضله أسماهم والأبصار. وغالت تلك الدولة في قيمته، واستمطرت غيث الفضل من ديمته، فوضعت على مفرقها تاجاً، وأطلعت في مشرقها سراجاً وهاجاً، وتبسمت به دولة سلطانها شاه عباس، واستنارت بشمس رأيه عند اعتكار حنادس الباس، فكان لا يفارقه سفيراً وحضراً، ولا يعدل عنه سماعاً ونظراً، إلى أخلاق لو مزج بها البحر لعذب طعماً، وآراء لو كحلت بها الجفون لم يلف أعمى، وشيم هي في المكارم غرر وأوضح، وكرم باق، جوذه لشائمه لامع وضاح، تتفجر ينابيع السماح من نواله، ويضحك ربيع الأفضال من بكاء عيون آماله. وكانت له دار مشيدة البناء، رحبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل، فكم مهد بها وضع، وكم طفل بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشياً، ويوسعهم من جاهه جناناً مغشياً، مع تمسك من التقى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآخرة خير وأبقى. ولم يزل آنفاً من الانحياز إلى السلطان، راغباً في الغربة عن الأوطان، يؤمل العود إلى السياحة ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة، فلم يقدر له حتى وافاه حمامه، وترنم على أفنان الجنان حمامه.

وقد أطل أبو المعالي الطالوي^١ في الثناء عليه، وكذلك البديعي.

ونصّ عبارة الطالوي في حقّه: ولد بقزوين - فانظره مع قول ابن معصوم بعلبك - وأخذ عن علماء تلك الدائرة، ثم خرج من بلده، وتنقّلت به الأسفار إلى أن وصل إلى أصفهان فوصل خبره إلى سلطانها شاه عبّاس، فطلبه لرئاسة علمائها فولّوها. وعظم قدره وارتفع شأنه إلّا أنّه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته لانتشار صيته في سداد دينه، إلّا أنّه غالى في حبّ آل البيت. وألّف المؤلّفات الجليلة، منها التفسير المسمّى بالعروة الوثقى والصراط المستقيم، والتفسير المسمّى بعين الحياة، والتفسير المسمّى بالحبل المتين في مزايا الفرقان المبين، ومشرق الشمس، وشرح الأربعين، والجامع العبّاسي فارسي، ومفتاح الفلاح، والزبدة في الأصول، والتهديب في النحو، والملخص في الهيئة، والرسالة الهلالية، والاثني عشريات الخمس، وخلاصة الحساب، والمخلّة، وتشريح الأفلاك، والرسالة الاسطرلابيّة، وحواشي الكشّاف، وحواشي البيضاوي، وحاشية على خلاصة الرجال، ودراية الحديث، والفوائد الصمديّة في علم العربيّة، وحاشية الفقيه، وغير ذلك من الرسائل المختصرة، والفوائد المحرّرة. وأمّا أشعاره فسأورد لك منها ما يعظم عندك موقعه، وتقف أمانيك عنده ولا تتجاوزه. قال: ثمّ خرج سائحاً فجاب البلاد ودخل مصر وألّف بها كتاباً سمّاه الكشكول جمع فيه كلّ نادرة من علوم شتّى.

(قلت): وقد رأيته وطالعه مرّتين، مرّة بالروم، ومرّة بمكّة، ونقلت منه أشياء غريبة. وكان يجتمع مدّة إقامته بمصر بالأستاذ محمّد بن أبي الحسن البكري^٢

١. هو درويش محمّد بن أحمد الطالوي. والده رومي الأصل، وأمّه من سكّان دمشق. شاعر فذّ، وعالم فاضل

(٩٥٠-١٠١٤ هـ / ١٥٤٣-١٦٠٦ م) درّس في عدّة مدارس في استامبول ودمشق، وعمل قسّاماً. له ديوان

شعر مشهور هو «سانحات دمی القصر». أنظر: خلاصة الأثر ٢: ١٤٩-١٥٥.

٢. محمّد بن أبي الحسن البكري: هو محمّد بن علي وعرف أيضاً بمحمّد بن محمّد البكري الصديقي، أبو المكارم

وكان الأستاذ يبالغ في تعظيمه فقال له مرّة : يا مولانا أنا درويش فقير كيف تعظمني
 هذا التعظيم ؟ قال : شممت منك رائحة الفضل . وامتدح الأستاذ بقصيدته المشهورة
 التي مطلعها :

يا مصر سقياً لك من جنّة	قطفها يانعة دانيه
ترابها كالتمر في لطفه	وماؤها كالفضّة الصافيه
قد أخجل المسك نسيم لها	وزهرها قد أرخص الغاليه
دقيقة أصناف أوصافها	وما لها في حسنها ثانيه
منذ أنخت الركب في أرضها	أنسيت أصحابي وأحبابيه
فيا حماها الله من روضه	بهجتها كافيه شافيه ^١
فيها شفاء القلب أطيارها	بنعمة القانون كالداريه
ومنها :	

من شاء أن يحيا سعيداً بها	منعماً في عيشه راضيه
فليدع العلم وأصحابه	وليجعل الجهل له غاشيه
والطب والمنطق في جانب	والنحو والتفسير في زاويه
وليترك الدرس وتدريسه	والمتن والشرح مع الحاشيه
إلام يا دهر وحتّى متى	تشقى بأيّامك أيّاميه
تحقق الآمال مستعظفاً	وتوقع النقص بآماليه
وهكذا تفعل في كلّ ذي	فضيله أو همّة عاليه
فإن تكن تحسبني منهم	فهى لعمري ظنّة واهيه

→ شمس الدين . من علماء آل البكري المصريّين المتصوّفين (٩٣٠ - ٩٩٤ هـ / ١٥٢٤ - ١٥٨٦ م) . مولده ووفاته

بالقاهرة . له عدّة مؤلّفات :

أنظر : الكواكب السائرة ٣ : ٦٧ - ٧٢ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٤٣١ ؛ النور السافر : ٤١٤ ؛ الخطط التوفيقية ٣ :

١٢٦ : الأعلام ٧ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .

١ . القصيدة من البحر السريع .

دع عنك تعذبي وإلا فأشكوك إلى ذي الحضرة العاليه
ثمّ قدم القدس.

وحكى الرضي بن أبي اللطف المقدسي^١ قال : ورد علينا من مصر رجل من مهابته محترم، فنزل من بيت المقدس بفناء الحرم، عليه سيماء الصلاح، وقد اتّسم بلباس السيّاح. وقد تجنّب الناس، وأنس بالوحشة دون الإيناس، وكان يألف من الحرم فناء المسجد الأقصى، ولم يسند إليه أحد مدّة الإقامة إليه نقصاً، فألقي في روعي أنّه من كبار العلماء الأعظم وأجلّة أفاضل الأعاجم، فما زلت لخاطره أتقرب، ولما لا يرضيه أنجنّب، فإذا هو ممّن يرّحل إليه للأخذ عنه، وتشدّ له الرحال للرواية عنه، يسمّى بهاء الدين محمّد الهمداني الحارثي، فسألته عند ذلك القراءة في بعض العلوم، فقال : بشرط أن يكون ذلك مكتوماً. وقرأت عليه شيئاً من الهيئة، والهندسة، ثمّ سار إلى الشام قاصداً بلاد العجم، وقد خفي عني أمره، واستعجم.

(قلت) : ولما ورد دمشق نزل بمحلّة الخراب^٢ عند بعض تجّارها، واجتمع به الحافظ الحسين الكربلائي القزويني أو التبريزي^٣ نزيل دمشق صاحب الروضات

١. محمّد بن يوسف بن أبي اللطف الملقّب رضي الدين المقدسي الحنفي، من آل بيت أبي اللطف، وهم من كبراء بيت المقدس وعلمائها. كان شافعيّاً وتحول حنفيّاً، وعمل كاتباً للقاضي فيها ونائباً. توفي ١٠٢٨هـ / ١٦١٩م. أنظر: لطف السمر ١: ١٦٤-١٧٢؛ خلاصة الأثر ٤: ٢٧٢؛ الأعلام ٨: ٣١.

٢. محلّة الخراب : من محلات دمشق بين الأسوار، وإلى جنوبها، تقع بين «باب شرقي» إلى الشرق و«الشاغور الجوّاني» إلى الغرب، وتقوم على الطرف الجنوبي من سوق الطويل اليوم (الطريق المستقيم في الماضي)، وتتصل بحيّ اليهود، وباب شرقي، وكانت من مراكز الشيعة في المدينة.

٣. الحافظ الحسين الكربلائي القزويني أو التبريزي. عالم من علماء تبريز ومن حفاظ القرآن الكريم فيها. وفد إلى دمشق حاجّاً عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م، ثمّ عاد إليها ليسكنها مع أسرته. وكان صديقاً للحسن البوريني، وتعلّم هذا الأخير منه اللغة الفارسيّة. وكان شاعراً بالفارسيّة، ويتقن التاريخ ولا سيّما التاريخ الفارسي، توفي في دمشق سنة ٩٩٧هـ / ١٥٨٩م. تراجم الأعيان ٢: ١٦٥-١٦٩.

الذي صنّفه في مزارات تبريز فاستنشدّه شيئاً من شعره. وكثيراً ما سمعت أنّه كان تطلّب الاجتماع بالحسن البوريني فأحضره له التاجر الذي كان عنده بدعوة وتأتّق في الضيافة، ودعا غالب فضلاء محلّتهم. فلمّا حضر البوريني إلى المجلس رأى فيه صاحب الترجمة بهيئة السيّاح، وهو في صدر المجلس، والجماعة محدقون به، وهم متأدّبون غاية التأدّب، فعجب البوريني، وكان لا يعرفه، ولم يسمع به، فلم يعبأ به، ونحّاه عن مجلسه وجلس، غير ملتفت إليه وشرع على عادته في بثّ رقائقه ومعارفه إلى أن صلّوا العشاء ثمّ جلسوا. فابتدر البهائي في نقل بعض المناسبات، وانجّر إلى الأبحاث، فأورد بحثاً في التفسير عويصاً، فتكلّم عليه بعبارة سهلة فهمها الجماعة كلّهم، ثمّ دقّق في التعبير حتّى لم يبقَ يفهم ما يقول إلّا البوريني، ثمّ أغمض في العبارة، فبقي الجماعة كلّهم، والبوريني معهم صموتاً جموداً لا يدرون ما يقول، غير أنّهم يسمعون تراكيب واعتراضات، وأجوبة تأخذ بالألباب. فعندها نهض البوريني واقفاً على قدميه، وقال: إن كان ولا بدّ فأنت البهائي الحارثي إذ لا أجد في هذه المثابة إلّا ذاك. واعتنقا، وأخذوا بعد ذلك في إيراد أنفس ما يحفظان. وسأل البهائي من البوريني كتمان أمره، وافترقا تلك الليلة. ثمّ لم يقيم البهائي فأقلع إلى حلب.

وذكر الشيخ أبو الوفا العرّضي^١ في ترجمته، قال: قدم حلب مستخفياً في زمن السلطان مراد بن سليم، مغيّراً صورته بصورة رجل درويش، فحضر دروس الوالد يعني الشيخ عمر وهو لا يظهر أنّه طالب علم، حتّى فرغ من الدرس فسأله عن أدلّة تفضيل الصديق على المرتضى، فذكر حديث «ما طلعت الشمس ولا غربت على

١. أبو الوفا بن عمر العرّضي الشافعي الحلبي. مفتي الشافعيّة بحلب (٩٩٣-١٠٧١هـ/١٥٨٥-١٥٦٠م) كان أحد أعيان العلماء في تلك المدينة وابن فقيها. وقد أُرّخ لمدينة حلب وأعيانها في كتاب سته «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب». وكان أديباً شاعراً، وله مصنّفات.

أنظر: خلاصة الأثر ١: ١٤٨-١٥٢؛ الطّبّاخ: أعلام النبلاء ٦: ٣٠٨؛ الأعلام ٧: ٢٠٨.

أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر» وأحاديث مثل ذلك كثيرة فردّ عليه، ثم أخذ يذكر أشياء كثيرة تقتضي تفضيل المرتضى. فشتمه الوالد، وقال له: رافضي شيعي، وسبّه فسكت. ثم إنَّ صاحب الترجمة أمر بعض تجّار العجم أن يصنع وليمة ويجمع فيها بين الوالد وبينه. فاتّخذ التاجر وليمة ودعاها فأخبره أنّ هذا هو المَلّا بهاء الدين، عالم بلاد العجم. فقال للوالد: شتمتمونا فقال له: ما علمت أنّك المَلّا بهاء الدين، ولكن إيراد مثل هذا الكلام بحضور العوام لا يليق. ثم قال: أنا سنّي أحبّ الصحابة، ولكن كيف أفعل؟ سلطاننا شيعي، ويقتل العالم السنّي. قال: وكان كتب قطعة على التفسير باسم شاه عبّاس، فلمّا دخل بلاد السنّة قطع الديباجة وبدّلها وذكر أنّه كتب ذلك باسم السلطان مراد. ولمّا سمع بقدومه أهل جبل بني عامل، تواردوا عليه أفواجاً أفواجاً، فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب. انتهى.

وسياق كلام العُرضي يقتضي أنّ دخوله إلى حلب كان في قدمته من العجم قاصداً الحجّ، والله أعلم.

وأملّى لبعض الأدباء بالشام لغزه الذي جعله لامتحان أفكار الأذكياء من فحول العلماء، وهذا يدلّ على تبخّره في العلوم، وقد أوردته برمته في كتابي هذا نظريّةً وتنشيطاً لمن يعرف مزيّة الكلام. وهو:

«يا أصحاب الفطنة القويمة، والفطرة المستقيمة، والطبيعة الألمعيّة والرويّة

اللودعيّة، أخبروني عن كتاب بعضه من الحروف النورانيّة^١، وأكثره من حروف الزيادة^٢.

١. الحروف النورانيّة هي حروف فواتح سور القرآن الكريم ومجموعها: «صراط عليّ حقّ نمسكه» وباقي الحروف (ظلمانيّة).

أنظر: التهانوي ١: ٣٢٠ مادة (حرف).

٢. حروف الزوائد عشرة، وهي الهمزة، والألف، والواو، والميم، والنون، والسين، والياء، والتاء، واللام، والهاء، ويجمعها قول «اليوم تنساء» أو «هويت السمان».

لسان العرب ٣: ٢٠٠ مادة (زود): التهانوي ١: ٣٢٤.

وبأحد نصفيه يكمل الرجل ، وبالنصف الآخر تتم الشهادة .
 ثانيه قابل لأنواع النقط ، وأوله لا يقبل إلا واحدة فقط .
 تالي أوله معروف ، ومتلو ثانيه بالاستحداب موصوف .
 مضعّفه لوسطيه كمال شعوري ، ومضعّف آخره لثالثه كمال ظهوري .
 التحسين من مقارنة طرفيه معلوم ، والتجرب من مقايضة ذلك مفهوم .
 ثاني كل حرف منه بهيولانية الحروف مشهور ، وهو فيما بينها بالقطيبة مذكور .
 إن أعطى أوله حليته لثانيه تساويا في العدّ ، وإن انعكست القضية زاد التفاضل بينهما
 عن الحدّ .
 ثالثه اسم فاعل ، ورابعه من أسماء الأفعال ، وكلاهما أسماء العدد الموصوف
 بالكمال .
 إن ضربت أعظم وسطيه في مجموعهما ، حصل عدد جمع الأفلاك المحدّبة بمحدّد
 الجهات .
 وإن نقصت من ربعه الرابع عقيم ضرور الشكل الثالث ، بقي عدد القضايا
 الموجّهات .
 أحد نصفيه فرد ، يعادل عدد الأعراض ، والنصف الآخر زوج يعادل العقول ، وهذا
 ممّا لا ريب فيه ، وإن كان بحسب الظاهر غير معقول .
 كلّ يساوي انحطاط الشمس من الأفق في آخر غروب الشفق ، وأوّل الصبح
 الكدوب ، ومضروب صدره في ضعف عجزه يعادل عَرَضاً يتحقّق فيه معكوس الطلوع
 والغروب .

إن أضفت ثانيه إلى مضعّف ثالثه ساوى الحروف المهموسة^١ ، وإن طرحت منه

١. هي (، ش، ح، خ، ث، ت، ص، ف، ه، ك) والأحرف المتبقية هي المجهورة وهي (ض، ز، ع، غ، ب، ق، ج، ط، د).

مكعب ثانيه عادل المنازل المنحوسة .

حرفان منه متقاربان يعادلان طبقات العين ، وحرفان متعانقان يساويان أركان حساب الخطأين .

مكرر نصفه في ضروب الموسيقى معدود ، فإن قلبته فهو طائر معهود .
وإن زدت على مربع أوله مهمله إلا نصف ثانيه ، عادل عظام بدن الإنسان ، وإن نقصت من مكعب ثلثه مضعّف أوله بقي دية كلّ من مقادير الأسنان .
مضعّف أوله بعدد أنواع الخيار ، ومكعب آخره كعدد التكبيرات في فرائض الليل والنهار .

مضروبه في طرفه يساوي فريضة أب وثلاث بنات ، ومضروب وسطيه في ثانيهما كفريضة الأخوة العشرة ، والثمانية مع ست زوجات .
إن أضفت آخره إلى أوله ساوى أحوال المسند إليه ، وإن جمعت ثانيه مع ثلثه عادل من يحجّ في الشرع عليه .

وإن ضعّفت رابعه ساوى كلم المجازات ، وإن زدت على مربع ثلثه نصفه ، عادل علاقات المجازات .

وإن نقصت من مربع أوله خمس آخره بقي عدد صور الكواكب المرصودة ، وإن زدت ثانيه على طرفه حصل المشهور من العروق المفصودة .

مجموع آخره يساوي عدد مقادير النبضات ، وثلاث أوليه يعدل الأجناس العالية للحميات .

وإن ضمنت إلى طرفيه مربع بعض الأعداد التسامة ، وإن زدت عليها وسطه عادل ألوف القوائم ، كما اشتهر على السنة العامة .

شكله شكل العقلة بين الأشكال الرملية ، وإن نصفت ثلثه لم تكذب القضية .
إن زدت على مضعّف آخره مسطح طرفيه ساوى رقم المربع الميمون ، وعادل ارتفاعاً يساوي فيه الظلّ للشاخص أينما يكون .

مهمل أوله رمز إلى ما يوجب للثلج الاشتعال ، ومعجمه إلى ما هو في زراعة الذهب كثير الاستعمال .

إن نقصت من آخره نصف ثانيه ساوى الباقي أنواع الترجيح ، وعادل عدد المخصّصات الموصولات .

وفي كلّ من نصفيه ، إيماء إلى برهان الزوج والفرد ، على امتناع تسلسل العلل والمعلولات .

إن نقصت من سطح طرفيه ثاني مبانيه ، ساوى عرض بلد يساوي غاية ارتفاع أول الجدي فيه .

بعض حروفه يشير شكله إلى البرهان السلمي على تناهي الأبعاد ، فإن جعلت زاويته قائمة دلّ على ما فوق المراد ، وإن وضعت خروج ضلعها العالي إلى غير النهاية ، ومن طرف السافل آخر مثله مقاطعاً له متحرّكاً عليه ، تمّ الدليل على ذلك المطلوب بطريق لم يسبقنا أحد إليه .

وإن جعلتها ثلثي قائمة أشارت إلى البرهان الترسي على ذلك المرام ، وإن انطبقت على مركز العالم دلّت على أنّ التباعد بين الرؤوس أزيد من التباعد بين الأقدام ، وإن أممتها وجعلت كلّاً من ضلعها عدداً فرداً ، أو مت إلى الاستدلال على نفي الجزء بشكل العروس ، وإمكان إثبات ذلك بالبرهان السلمي الغير مأنوس ، وإن زاد كلّ منهما على غاية الانفراج وتفارقت أجزاؤهما بالاتّصال ، أمكن أيضاً إثبات ذلك بدليل خطر لنا بالبال .

وإن جعلتها قائمة حصلت الإشارة إلى بعض براهين استعمال المرتفعات ، وإن أوّمت ما تريد معرفة بعده عنك منتهياً مبلغها الأعلى إلى بصرك ، حصل الإيماء إلى طريق معرفة عروض الأنهار وسائر الأبعاد المتعسّرات .

وإن أوّرتها نصف قطر الأرض ، وبينها وبين مركز الشمس تماس ، ظهر عليك أنّ بعد الشمس عنّا وهي عليه أزيد بكثير منه حال كونها على سمت الرأس ، ولاح لديك أنّ

تراكم البحار هو الموجب للإحساس بما لا يقتضيه القياس .
وإن وصلت بين ضلعها بخط موازٍ لآخر مماسٍ لهما مخرج من الجهتين ، أمكن إقامة أدلة عديدة على مساواة زوايا مثلث لقائمتين .
وفيه حروف على صورة شكل إن أخرجت قطريه أشار إلى نفي الجزء الذي لا يتجزى بوجه سنح لنا وهو لزوم مفسدتين ، أعني تلاقي القطرين ، قبل المرور بالمركز وعلى نقطتين .
إن ألصقت وتريه بقطره أشار إلى نفيه أيضاً بوجه ما وجد أعظم منه قط ، وهو لزوم جواز كون قطر الفلك الأعلى ثلاثة أجزاء فقط ، وإن ماس محيطه وسط ثاني حروفه أشعر بدليل المتكلمين على إثبات الجزء كما هو المشهور ، وأوماً إلى شبه الظفر من لزوم انفراج الحادة قبل قيامها ، كما هو على الألسنة مذكور .
وإن وازاه أعظم منه ، وتحرك حتى ماسه تبين لك غلط صاحب المواقف في قدر غلط المتممات ، وتعجبت من موافقة المحقق الدواني له في أمثال هذه التوهّمات .
وإن تحرك الداخل ضعف الخارج ، حصلت الإشارة إلى أصل الكبيرة والصغيرة الذي اخترعه سلطان المحققين ، ولم يسبقه إليه أحد من المتقدمين والمتأخرين .
وإن ساويت بين وتري قوسين منهما ظهر لك أن سهم قوس الخارج أقصر ، وإن الطاس تسع من الماء في أعلا المنارة أقل ، وفي أسفلها أكثر .
وفيه حرف إن فرضت خروج ذيله إلى غير النهاية ، أشار إلى برهان امتناع اللاتناهي في جهة أو جهتين .
وإن أقيمت على طرفه عموداً ووصلت بينهما أشار إلى طريق وزن الأرض بذي العمودين .
وفيه حرف إن فصلت بين عمود المخرجين بخط مخرج إلى ألف فرسخ فما زاد ، حصل لك الإذعان ، بأن مساحة ظفرك أزيد بكثير من مثلث قاعدته بسمرقند ، ورأسه ببغداد .

ولنقتصر على هذا المقدار من الإطناب في ذكر أوصاف ذلك الكتاب والعامل تكفيه الإشارة، والجاهل لا ينتفع بألف عبارة».

وكتب إليه والده حسين هذا اللغز القريب فأجابه عنه، ورأيت السيّد محمّد كبريت المدني، قد بيّن السؤال والجواب في بعض تعاليقه فذكرت الجميع، ولعلّ بما بيّن السيّد أن يحتال على اللغز المذكور آنفاً والسؤال هو هذا :

أيّها الولد المؤيّد بالإكرام والإعزاز، الموفق في حلّ المعتميات والألغاز، أخبرني عن اسم آخر أوّل آخر الحروف، وآخر ثانيه بهذا الوصف معروف.

قلبا آخريه يتوافقان، وقلبا أوّليه متعانتان.

لولا ثالثه لصار الاسم حرفاً، ولولا ثانيه لصار الفعل ظرفاً، ولولا رأسه لصارت الرجل من النجاسات، ولولا رابعه لم يتحقّق رابع القياسات.

بعضه قاتل، وبعضه الآخر نصف قاتل.

طرفاً أوّل فعل أمر بطرفين، وطرف ثانيه ما نهيت عن قوله للأبوين.

وإن نقص رابعه من رابعه بقي رابعه، وإن زيد رابعه على رابعه حصل رابعه.

صدره علامة قلب العاشق، وثانيه علامة الرقيب المنافق.

لولا رابعه لم تتميزّ القبليّة عن القابليّة، ولم تفترق المعاني عن علّة الفاعليّة.

بعضه يمين، والبعض في اليسار كمين، وبطرف آخره يبتدئ المقام، وبطرفه الآخر

ينتهي الكلام.

فأجابه بقوله :

« يا سيّدي، وأبي وأستاذي، ومَن إليه في العلوم استنادي : هذا اسم رباعي الأعضاء ثلاثي الأجزاء اثنا عشري الأصول، عديم الحرف المفصول، من الأسماء معدود، وإلى الأفعال مردود.

لولا ثلث أوّل لصار السخيف بالكرم موصوفاً، ولكان كلّ فقير بسواد الوجه

معروفاً.

ولولا رابعه لا تحدث الماهية بالوجود، ولم يتميز الحاسد من المحسود .
لو عدم ثانيه لم يكن جمع الثمر ثماراً، ولصارت قرية بالريّ حماراً .
ولو عدم ربعه لم يكن القلب في الجسد، وتبدلت السكينة بالغلّ والحسد، ولصارت
الهرة بعض الأزهار، ولم تتميز الحنطة عن بعض الثمار .
أوله بالعراق، وآخره بالشام، وبثلاثي ربعه يتم الإيمان والإسلام .
وبثلاث ثلثه يبتدئ السؤال، وبثلاثي ثانيه ينتهي القيل والقال .»

شرح ألفاظ السؤال :

قوله : « آخر أوله ... » إلخ : أول الاسم قاف، وآخره بالنظر إلى بسطه مسمّى
الفاء، وهو آخر حروف، كما ترى .
« وآخر ثانيه » وهو الألف كذلك الفاء، وهو موصوف بهذا الوصف لأنّه هو هو .
قوله : « قلبا آخريه » وهما السين والميم، يتوافقان، لأنّ حقيقتيهما الياء . « وقلبا
أوليه » وهما الألف واللام، من قاف وألف حرفان متعاقبان .
« لولا ثالثه » وهو مسمّى السين لصار الاسم حرف عطف، وهو أم أي بعد حذف
السين من الاسم، « ولولا ثانيه » وهو الألف لصار الفعل ظرفاً، « ولولا رأسه » وهو
القاف، « ولولا رابعه » وهو الميم لم يتحقّق القياس التمثيلي وهو رابع القياسات .
« بعضه قاتل » وهو سم، « وبعضه » وهو قا : « نصف قاتل » .
« طرفا أوله » وهما القاف والفاء، أمر بحرفين، « وطرفا ثانيه » الذي هو ألف،
أف .

قوله : « وإن نقص ربعه » الذي هو السين، « من ربعه » الذي هو القاف، « بقي
ربعه » وهو الميم، لأنّ الباقي بعد طرح ستين من مائة أربعون، « وإن زيد ربعه »
عكس القضية .

قوله : « صدره علامة قلب العاشق » أي ثاني حروفه وهو ألف . والمراد منه
جوهر لفظه وهو فعل من الألفة، ولم يزل قلب العاشق يألف المعشوق، وكذا الرقيب

المنافق .

قوله : «لولا رابعه» الذي هو الألف ، «لم تتميز القبلية عن القابلية» ؛ لأنّ به الفرق بين هذين اللفظين ، ومثله الفعلية والفاعلية .

قوله : «بعضه يمين» يعني الميم ، لأنّه يقال : م الله في أيمن الله ، أو المراد ما عدا القاف وهو اسم ، «وبعضه» وهو السين في لفظ اليسار كامن .

قوله : «وبطرف آخره» الأوّل أو الآخر يبتدئ المقام بل ويختتم ، «وبطرف آخره» كذلك «ينتهي الكلام» لأنّ الميم نهاية لفظ الكلام .

شرح ألفاظ الجواب :

قوله : «رباعيّ الأعضاء» ، أي حروف قاسم أربعة .

«ثلاثي الأجزاء» أي جملة تنقسم ثلاثة من غير عكس ، اثنا عشر الأصول لأنّ كلّ حرف يشتمل على ثلاثة حروف .

قوله : «عديم الحرف المفصول» لأنّه مركّب من حرفين فحرفين .

وهو معدود من الأسماء ؛ لأنّه اسم وضع لمسمّى بعينه ، ومردود إلى الأفعال ؛ باعتبار أنّه مشتقّ من القسم .

قوله : «لولا ثلث أوّله» الذي هو القاف والمراد الفاء ، لصار لفظ السخيف بعد حذف الفاء سخيفاً والسخيّ موصوف بالكرم .

قوله : وإذا حذف الفاء من لفظ فقير بقي قير وهو أسود الظاهر والباطن .

قوله : «ولولا رابعه» الذي هو الميم لا تحدت الماهية بالوجود ؛ لأنّ وجود الشيء هيئته ، فكأنّه قال : لا تحدت الهيئة بالماهية . وفيه تسامح ، لأنّ المراد من الميم مسماها ، وهو مفرد ، فكيف يطلق على المركّب من الميم والألف . ويمكن أن يقال : تعدّد المراد من هذا الباب كثير وهو أدخل في الألفاظ .

قوله : «ولم يتميّز الحاسد من المحسود» كالأوّل لأنّه لا فرق بين الحسود والحاسد في أصل المعنى .

قوله : « لو عدم ثانيه » الذي هو الألف من لفظ الثمار ، بقي ثمر فلم يبقَ الجمع .
قوله : « قرية بالري » وهي خار^١ ، وإذا لم تكن الألف فيه بقي خر ، وهو بالفارسيّة اسم للحمار .

قوله : « ولو عدم ربعه » الذي هو السين ، لم يكن ذلك الربع قلب الجسد لسقوطه ، « وتبدّلت السكينة » فصارت كينة من قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا ﴾^٢ وفي الصحاح : وبات فلان بكينة سوء بالكسر ، أي بحالة سوء ، والاستكانة الخضوع .
(وقوله) : « الهرة » المراد به سنّور بعمل الترادف ، وإذا لم تكن فيه السين كان نوراً .

قوله : « الحنطة » المراد منه سُلت على التسامح .
قوله : « أوّله بالعراق » يعني القاف في لفظ العراق ، وآخره وهو الميم في لفظة الشام .

قوله : « وثلثا ربعه » وهما السين والنون من بسط الربع الذي هو السين يتمّ به الإيمان لأنّه تمّ بالنون والإسلام لأنّ تمامه بالسين ولا يلزم أن يكون آخرأ .
قوله : « وثلث ثالثه » ، الذي هو السين وهو المراد من بسطه ، يبتدي السؤال حقيقة كما ترى . وبثاني ثانيه وهو اللام من ألف ، ينتهي القيل والقال . انتهى .
وأشعار البهائي كثيرة وأشهر ما له قصيدته الكافيّة التي سارت مسير المثل ، ومطلعها :

يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوس من هاتيك

.....

١ . خار : موضع بالريّ ينسب إليها بعض المحدثين . أنظر : معجم البلدان ٢ : ٣٣٦ .

٢ . إن الآية هي ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَصْرَعُونَ ﴾ ، وهي الآية ٧٦ من سورة المؤمنين .

وله يرثي والده وقد توفي بالمصلّى من قرى البحرين لثمانٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وتسعمائة عن ستّ وستين سنة وشهرين وسبعة أيّام، ومولده أوّل يوم من محرّم سنة ثمانٍ عشرة وتسعمائة :

قف بالطلول وسلها أين سلماها وروّ من جرّج الأجنان جرّعاها

.....

وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلون من شوال سنة إحدى وثلاثين وألف بأصفهان، ونقل إلى طوس قبل دفنه فدفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضويّة. وحكى بعض الثقات أنّه قصد قبل وفاته زيارة القبور في جمع من الأخلّاء الأكابر، فاستقرّ بهم الجلوس، حتّى قال لمن معه : إنّي سمعت شيئاً، فهل منكم من سمعه؟ فأنكروا سؤاله واستغربوا مقاله، وسألوه عمّا سمع، فأوهم، وعمّى في جوابه وأبهم، ثمّ رجع إلى داره وأغلق بابه، فلم يلبث أن أهاب داعي الردى فأجابه.

والحارثي نسبة إلى حارث همدان، قبيلة. وجدّه هو الذي خاطبه أمير المؤمنين أبو الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقوله : يا حارّ، يا حارث، تارةً بالترخيم، وأخرى بالتفخيم، وقصّته على التفصيل مذكورة في كتاب الأمالي لابن بابويه^١.

١. ابن بابويه : محمد بن عليّ بن الحسين القميّ، ويعرف بالشيخ الصدوق. محدّث إمامي كبير، اشتهر أمره في خراسان. وهو من علماء القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد. توفي عام ٣٨١هـ / ٩٩١م. له حوالي (٣٠٠) مصنّف و «الأمالي» أحد كتبه. ولا يزال مخطوطاً. أنظر : روضات الجنّات : ٥٥٧ - ٥٦٠ : دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٩٤ : الأعلام ٧ : ١٥٩.

خبر الشيخ بهاء الدين القزويني في سانحات دمي القصر^١

درويش محمد بن أحمد الطالوي

خبر الشيخ بهاء الدين القزويني وبعض أشعاره :

ومن لطائف الأسمار وظرائف الأخبار، وما حدّثني به - والحديث كما قيل
شجون - بالبيت المقدس، والحرّم الأقدس، أيام زيارتي مراقد الأنبياء، وتعهّدي
معاهد الأصفياء، الشابّ الفاضل زين الأفاضل رضيّ الدين بن الشيخ العلامة جمال
الملّة والدين يوسف الشهير نسبه الخطير بابن أبي اللطف الشافعي، أدام الله توفيقه،
وجعل زاد التقوى رفيقه، أوّان اجتيازي إلى الديار المصريّة، وارتيادي رياض
القاهرة المعزّيّة، قال :

ورد علينا من مصر رجلٌ من مهابته محترم، فنزل بيت المقدس ببناء الحرم، فناء
المسجد الأقصى، ولم يسند أحد مدّة الإقامة إليه نقصاً، فألقي في روعي أنّه من
كبار العلماء الأعظم، وأجلّة أفاضل الأعاجم، فما زلت لخاطره أتقرب، ولما
يرتضيه أتحبّب، حتّى أنس بي واطمأنّ إليّ، وظهر من حاله لديّ، فإذا هو ممّن

١. سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر، درويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي (٩٥٠ -

١٤٠١هـ)، ج ٢، ص ١٢٦ - ١٣٢، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ /

يُرحل إليه للأخذ منه، وتُشدّ له الرحال للرواية عنه، يسمّى بالشيخ بهاء الدين الحارثي القزويني، فسألته عند ذلك القراءة في بعض العلوم، فقال: بشرط أن يكون ذلك مكتوم، فأجبت له لسؤاله، وقرأت عليه شيئاً من العلوم الرياضية كالهئية والهندسة، ثم سار إلى الشام نحو أراضيها المقدسة، قاصداً بلاد العجم، وقد خفي عني أمره واستعجم.

هذا ما حَدَّثت عنه بحرم القدس الشريف، ومهبط الوحي المنيف، ولَمَّا جثمت بفسطاط مصر، وأنخت بها المطيِّ ملقياً عنها أثقال الإصر، سألت عنه بعض فضلائها فأخبرني عن بعض أخباره حسبما شاهد منه، ورآها عنه، من أنّه كان يجتمع مدّة إقامته بالأستاذ الأعظم، والمقتدى المعظم الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي، قدّس الله روحه، وأجزل من نُزله فتوحه، وامتدحه بقصيدة بديعة المباني، كاملة الأوزان والمعاني، وَقَعَت من الأستاذ ابن أبي الحسن، ذلك الموقع الحسن، ثمّ إنّي لَمَّا رجعت إلى دمشق الشام، سألت عن أخباره ممّن له بها إلمام، فأخبرني عنه أنّه أقام بدمشق ليالٍ دون الثلاث، فاجتمع به ليلة ودارت بينهما نفائس الأبحاث، صحبة مولانا الحافظ الحسين الكربلائي القزويني أو التبريزي نزيل دمشق صاحب كتاب الروضات الذي صنّفه في مزارات تبريز، لما كان بينهما من المؤاخاة في تلك الديار.

ثمّ إنّ ذلك الفاضل استنشده شيئاً من مقاطيعه وأشعاره، واستعلمه عن اسمه وكنيته وما لقيه في أسفاره، فذكر له أنّ نسبته إلى حارث همدان قبيلةً، وأنّ جدّه هو الذي خاطبه أمير المؤمنين بقوله: يا حار همدان، وسرد عليه من بعض أخباره. وهذه صورة ما أملانيه حيث قال:

ورد سنة ٩٩٦ قافلاً من مصر الشيخ الفاضل الأفاضل، العارف الأكمل، الحبر النحرير، ذو الفضل الغزير، والعلم الكثير، الجامع لأشتات العلوم، المطّلع على ما تضمّنته من منطوق ومفهوم، سيّدنا الشيخ بهاء الدين شمس الدين من الشامي أصلاً

الخراساني مولداً، رحل والده الحسين بن عبد الصمد إلى عراق العجم، ثم إلى خراسان وصار بها شيخ الإسلام، ومقتدى الأنام، ونشأ ولده هذا فاضلاً كاملاً، نبلاً جليلاً، بالغاً في الفضل الغاية القصوى، وفي الذكاء النهاية التي لا تُستقصى، ورحل إلى الأقطار، وتفتن في تنقيح الأنظار، وحج البيت الحرام وأتى القدس الشريف وزار معاهده، وورد موارده، واجتاز بدمشق ولم يبق بها إلا بمقدار أن قيل له: أهلاً وسهلاً، ومراً قاصداً عراق العجم، مرتب شبا به، ومنتجع إخوانه وأترابه، وهو الآن مقيم بقزوين عند ملك العجم عباس، وله بها الكلمة النافذة في الناس، والخطوة التامة، والاعتبار الكلّي عند الخاصّة والعامة، كما أخبر به القادمون من تلك الديار، وتواترت بذلك الأخبار، وله التصانيف الرائقة الحسنة، والتحريرات المتقنة المستحسنة، سيّما في العلوم الرياضيّة، التي هي عند العقلاء راضية مرضيّة، سئل عن معنى كونه حارثيّاً، فقال: نسبة إلى حارث همدان قبيلة معروفة، وحارث هذا هو الذي كان موالياً أمير المؤمنين عليّاً كرم الله وجهه، وخاطبه بقوله: يا حارثيا حارث، تارة بالترخيم، وأخرى بالتفخيم، وقصّته على التفصيل مذكورة في كتاب الأمالي لابن بابويه، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع ذلك الكتاب، والله أعلم بالصواب.

فمن شعره الرائق الحسن الرقيق، النائب مناب سلافة الرحيق، قوله متغزلاً ولمعانيه مجزلاً:

يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوس من هاتيك

.....

والقصيدة التي امتدح بها حضرة الأستاذ الشيخ محمد البكري رّوح الله روحه في الجنان، وسقى ضريحه شآبيب الغفران، وأنشدها له بمصر قوله:

يا مصر سقياً لك من جنة

فلما تم إنشادها سأله عن مَحْتَدِهِ، فقال: قزوين، قال له: عريبتك عزيزة، أو كما

قال، يريد أنّك عربيّ الأصل، كذا أخبرني عنه بعض تلامذته من فضلاء العجم بدمشق الشام، وهو قافل من الحجاز أواخر صفر المظفر سنة خمس بعد الألف، وذكر لي أنّ مطلع هذه القصيدة كان هكذا وأنشده: سقياً لكارزگاه من جنّة.
وهو مكان منتزه بقزوين.

فحوّل إلى مصر، فقال منشداً:

يا مصر سقياً لك من جنّة	قطوفها يانعة دانيه
ترابها كالتمر في لطفه	وماؤها كالفضّة الصافيه

.....

بهاء الدين العاملي الشيعي في معادن الذهب^١

أبي الوفاء بن عمر العرضي

٥٤ - بهاء الدين بن حسين العاملي الشيعي :

مفتي شاه عباس سلطان العجم. من أودع أفنان الفضل فنوناً، وقرأ وأُقرئ شروحاً ومتوناً، فأكحل للتحقيقات جفوناً، وأقرّ للتدقيقات عيوناً. بؤبته المعالي أفتح رحابها، وبؤاته المعالي أوسع جنابها. قد ارتاح ببدع الشيعة، واقتحم مناهجهم الشنيعة، فصار قائد كتائبها، وسائق جنائبها. غير أن الإنابة قلبية، والتوبة حقيقتها سرّية، ومن مذهبنا النقيّة ما يسمّونه النقيّة، المشار إليه في القرآن ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^٢ فلعلّه حين حنى الدهر سعدته، وشعل المشيب ناصيته، أسف على ما سلف، وعضّ الكفّ على ما أتلّف، أو لم يكن به هذا الداء العضال أصلاً؟ ولا تركبت ذاته منها فرعاً ولا أصلاً ولا جنساً ولا فصلاً، حاشا أن يكون كالشمع يضيء للناس ويحرق نفسه بالنبراس.

وبالجملة، فهو من أكمل العلماء تحقيقاً، وأسبقهم في مغمار الفضائل تدقيقاً.

١. معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب، أبي الوفاء بن عمر العرضي (٩٩٣ - ١٠٧١ هـ)، ص ١٧٨ -

١٨١، تحقيق الدكتور عبد الله الغزالي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

٢. النحل (١٦): من الآية ١٠٦.

والرجاء من الله أن يكون ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^١. ولا يكون خصمه في عرصات القيامة صديقاً ولا فاروقاً.

قدم حلب مختفياً في زمن المرحوم السلطان مراد طالباً للحج الشريف، مغيراً صورته على صورة رجل درويش. فحضر درس الشيخ الوالد وهو يظهر أنه طالب علم، حتى فرغ من الدرس فسأله أدلة تفضيل الصديق على المرتضى، فذكر حديث «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر» وأحاديث مثل ذلك كثيرة، فردّ على الشيخ الوالد. ثم أخذ بذكر أشياء كثيرة تقتضي تفضيل المرتضى، ثم إنَّ الوالد شتمه وقال له: رافضي شيعي، وسبّه، فسكت.

ثم إنَّ صاحب الترجمة أمر بعض التجار العجم أن يصنع وليمة ويجمع فيها بين الوالد وبينه. فاتخذ الخوجة فتحي وليمة ودعا الوالد ودعاه. فأخبره أن هذا هو الملاً بهاء الدين، عالم بلاد العجم، فقال للوالد: شتمتمونا! فقال له: ما علمت أنك الملاً بهاء الدين، ولكن إيراد مثل هذا الكلام بحضور العوام لا يليق. ثم قال للوالد: أنا سنّي أحبّ الصحابة ولكن كيف أفعل! سلطاننا شيعي ويقتل العالم السنّي. وكان كتب قطعة على التفسير باسم شاه عباس، فلمّا دخل بلاد السنّة قطع الديباجة وذكر أنّه كتب ذلك باسم السلطان مراد. وقال للوالد: أخاف أن يطّلع عليّ أمراء الدولة فجعلت الديباجة باسم السلطان مراد حتّى إذا سألوني أقول: أنا هربت من الشاه إلى السلطان، وإذا لم يسألوني أتوجّه إلى الحجّ ثمّ أعود إلى بلاد العجم.

ولمّا سمع بقدومه أهل جبل بني عاملة تواردوا عليه أفواجاً أفواجاً، فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب.

ولمّا دخل إلى مصر المحروسة اجتمع بالشيخ الولي العلامة محمد البكري رحمته الله،

فبالغ البكري في تعظيمه، فقال له : يا مولانا أنا درويش فقير، كيف تعظمني هذا التعظيم؟ قال : شملت منك رائحة الفضل.

ولما ذهب خضر أفندي رسولاً من جانب السلطان أحمد ذكر للشاه أن أهل السنة يعترضون عليكم في تحريم طعام النصارى واليهود مع أن ذلك مخالف للنص وهو ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ ﴾^١. فقال الشاه للملا بهاء الدين : اعط الجواب ! فكتب رسالة كنت - الفقير - رأيته ليلة واحدة، ثم صبيحة يومها سافر مالکها وأخذها متضمنة ديباجة حسنة وتعظيم الشاه فيها. وذكر أنه العباس الحسني الصفوي الموسوي، ولم نعهد أن الشاه شريف. وذكر في الديباجة أن دلائل تفضيل المرتضى على أبي بكر وعمر لا شبهة في قوتها وأنه لا مناسبة بين المرتضى وغيره. ثم أخذ يتمحل للأجوبة عن الاعتراض بطعام أهل الكتاب.

ورأيت له مع بعض الشيعة مؤلفاً صغيراً في النحو اختصر فيه «الكافية»^٢. وكان أراد أن يكتب تفسيراً على القرآن العظيم، سمعت أنه سمّاه «الحبل المتين في مزايا الفرقان المبين»، ولكنه كتب منه قليلاً وما أتمّه.

ودخل عليه ذو صوت حسن فقال : أسمعنا من كلام زين الدين بن الفارض^٣، فأسمعه، فلما فرغ فقال : حيف يكون هذا اسمه عمر.

وقال الشاه لخضر أفندي^٤ : تفتخر البلاد العثمانية بالعرضي، حيف يكون اسمه

عمر.

ودخل إليه بعض فضلاء السنة فأوهمه أنه شيعي مثله، فقال بهاء الدين : ﴿ رَبِّ

١. المائدة (٥) : من الآية ٥.

٢. «الكافية» في النحو لعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الديويني المالكي أبو عمر جمال الدين

المشهور بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ. أنظرت ٢٤ / ح ٥.

٣. عمر بن علي المعروف بابن الفارض، المتوفى سنة ٣٦٢ هـ. أنظرت ١٢ / ح ١٥.

٤. خضر بن حسين المارديني المتوفى سنة ١٠٢٢ هـ. أنظر : الحاشية السابقة رقم ١٠.

أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً^١ يَلُوح له أَنَّ المراد أهل بيت رسول الله .
وبقوله « مؤمناً » إلى الشيعة ، فإنهم يسمّون أنفسهم بالمؤمنين .

وللملا عبد الرحمن الجامي^٢ قصيدة فارسيّة فيها بعض عربيّة ، منها قول
الجامي : « فاح نشر الصبا وصاح الديك » ، فنظم بهاء الدين على أسلوبها بالعربيّة
الخالصة ، فقال :

يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوس من هاتيك
خمرةً إن ضللت ساحتها فسنا نور كأسها يهديك
.....

توفي تقريباً سنة ثلاثين وألف في أصفهان .

١ . نوح (٧١) : من الآية ٢٨ .

٢ . عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد الغلامي نور الدين الجامي الهروي الأديب الصوفي المتوفى سنة ٨٩٨ هـ .

أنظر : هديّة العارفين ١ : ٥٣٤ .

بهاء الدين العاملي في نفحة الريحانة^١

محمد أمين المحبّي

٩٤ - ولده بهاء الدين [العاملي] :

الذي استرقّ النهى، وأشرق بدرًا في فلك الازدها. الهمام الفذّ البذّ، من تطرب
بذكره الأسماع وتلتذّ.

تحلّى من الفوائد العلميّة بما تحلّى، واشتهر اشتهاً الصبح إذا تجلّى.
وازدانت به الدنيا ازديان العاطل بالحلي، والمُشكل بالجلّي. والمفريق بالتاج،
والمقدّمة بالإنتاج.

وحصل بينه وبين الفضل في الاتّحاد التساوي، فأنّج مطلبه من الشكل الأوّل
هذا اللازم المساوي.

وأنا أذكر لك خبره على جليّته فاعتمد عليه، ولعلّك تُلغي ما لفقّه الشهاب من
ذكر حاله ولا تجنح إليه.

١ . نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد أمين بن فضل الله بن محبّ الدين بن محمد المحبّي (١٠٦١ -

١١١١ هـ)، ج ٢، ص ٢٨١ - ٣٠١، تحقيق عبد الفتّاح محمد الحلّو، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الباسي

الحلبي وشركاه.

وذلك أنّه كان بالشام تكوّن خلقته، وبها بان رشدّه وأحسبه من حين لفته قابلته في خرقته .

ثمّ انتقل به أبوه إلى قروين وهلاله آخذ في تدويره، وذهنه في مبادي ملاحظته للدقائق وتصويره . فاستكمل ثمة فضائله المعجبة، وصيّر عندها فضائل الأول كالمتحجّة .

ولمّا طنت حصاته في العراق، وتجاوزت فيه المدائح من الغلو إلى الإغراق . استدعاه الشاه فصيّرهُ رئيس العلماء في تخت ملكه، وحلّى جيد مملكته منه بجوهر عقد كلّ جهابذته شذرات في سلّكه .

ثمّ رغب في الفقر والسياسة، واستهَبَّ من مهابّ القبول رياحه . فطلع طلوع الشارد، يرد البلاد كالطيف الوارد . وهو يقتري المسالك، ويفتقر المهالك، ويعاني الممالك . فحجّ البيت الحرام، ودخل مصر أمّ الأهرام .

ثمّ ورد دمشق فنمّ عليه فضله كما نمّ ربح الورد على الورد، ومنها ظهر بحلب الشهباء كما ظهر العلم الفرد .

فلم يمكنه إلّا أن شدّ للعجم نطاق التسيار، ولمّا وصلها خطّ بها رحل الاختيار، فصنّف وألف، وأبدع حدّ الإبداع وما تكلف .

وابتسمت به دولة الشاه عبّاس، وأماطت أقواله فيها حنادس الشبه والالتباس . مع عزم ينفلق دونه الصخر الأصمّ، وحلم يقصر عنه الطود الأشمّ . ورأي عليه المعوّل، وفكرٍ هو المعقول الأوّل .

وهناك ما شئت من رقة ألفاظ، ولطافة معانٍ تتعلّم منها السحر غمزات وألحاظ . وتفتّن في العبارات يتخيّر له اللاحظ، وغرائب آدابٍ تكلّف في استخراج دقائقها عيون الجاحظ . إذا طلعت أغصان أقلامه في رياض أدبه الجنيّة الغروس، سجدت لها الأقلام سجدة الشكر في محاريب الطروس . فأقلام إفادته لا تُنسب بإعياء قطّ، وصحائف مجده لم تُشنّ من حسودٍ بنقّط .

وهو في اللسانين فارس بطل، فالعربيّ من بعده تعجّم والفارسيّ بطل. وله من
عقائل اللسانين كلّ فاتنة الطرف، استوفت في مدى البلاغة اللطف والظرف.

.....

وله يرثي والده، وقد توفّي بالمُصلّى من قرى البحرين، لثمانٍ خلّون من شهر
ربيع الأوّل، سنة أربع وثمانين وتسعمائة، عن ستّ وستين سنة وشهرين وسبعة
أيّام^١:

قف بالطلول وسلّها أين سلّماها

وروّ من جُرّع الأجفان جرّعاها

.....

١. القصيدة في خلاصة الأثر ٣: ٤٥١، ٤٥٢؛ والكشكول ١: ٢٦٨، ٢٦٩؛ وسلافة العصر: ٢٩٥.

رسالة في الشيخ البهائي^١

أبو المعالي محمد بن محمد إبراهيم الكلباسي

٧- رسالة في الشيخ البهائي :

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

اعلم أنّ شيخنا البهائي هو محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجبّعي العاملي الحارثي الهمداني، والحارثي على ما ذكره نفسه تعليقاً على قوله في أوائل أربعينه :

حدّثني والدي وأستاذي ومن إليه في العلوم استنادي، حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني نسبةً إلى الحارث الهمداني الذي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخواصّه، وهو المخاطب بالأبيات المشهورة التي أولها : يا حارِ همدانَ مَنْ يَعْثُ يَرَنِي^{٣٢}.

١. رسالة في الشيخ البهائي، ضمن الرسائل الرجالية، لأبي المعالي محمد بن محمد إبراهيم الكلباسي (١٢٤٧ -

١٣١٥ هـ)، ج ٢، ص ٤٦٧ - ٥٣٤، إعداد محمد حسين الدرايتي، دار الحديث، قم، ١٤٢٢ هـ / ١٣٨٠ ش.

٢. الأربعون حديثاً : ٦٣.

٣. الديوان المنسوب لأمير المؤمنين : ١١٠. ولا بأس بنقل بعض ما ورد في ذلك فنقول :

والهمداني نسبة إلى همدان، وهو بسكون الميم قبيلة من اليمن على ما ذكره نفسه أيضاً بعدما ذكر من كلامه في تفسير الحارثي^١.
وسياتي تفسير العاملي والحارثي والهمداني في كلام الفاضل السيّد علي خان [في] شرح الصمدية^٢.

[كلمات العلماء في حقّه]:

وبالجملة، قال السيّد السند التفرشي في النقد في ترجمته:
«جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه، ووفور فضله، وعلو مرتبته أحداً في كلّ فنون الإسلام كمن له فنّ واحد. له كتب نفيسة جيّدة، منها: الكتاب الموسوم بالحبل المتين وكتاب مشرق الشمسين»^٣.

→ عن الأصمغ بن نباتة قال: دخل الحارث الأعور على أمير المؤمنين عليه السلام حزيناً متغيّر اللون، فقال له: «يا حارث! ما لي أراك كئيباً حزيناً متغيّر اللون؟» فقال: يا أمير المؤمنين! وكيف لا أكون كذلك وقد كبرت سنّي ودقّ عظمي واقترب أجلي؟! فقال عليه السلام:

يا حارِ همدان من يمت يرني	من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبِلَا
يعرفني طرفه وأعرفه	بسنعته واسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط معترضي	فلا تخف عثرةً ولا زللا
أقول للنار حين توقف	للعرض: لا تقربين ذا الرجلَا
ذريه لا تقربيه إن له	حبلًا بحبل الوصي متصلا
أسقيك من باردٍ على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا
قول عليّ لحارث عجبٌ	كس ثم أعجوبة له جملا

كشكول البحراني ١: ٦٦

١. الأربعون حديثاً: ٦٣ في الهامش تحت عنوان: «منه مدّ ظله».

٢. الحقائق النديّة في شرح الصمدية: ٤.

٣. نقد الرجال ٤: ١٨٦ / ٤٦١٦.

وقال الفاضل أول المجلسين في الحاشية :

شيخنا الأعظم، بل الوالد المعظم، بهاء الملة والحق والحقيقة والدين، علامة العلماء وشيخ الطائفة، قرأت عليه طرفاً من التفسير والفقه والأحاديث وأجاز لي جميع كتب العلماء، سيما ما تضمنته الإجازة الكبيرة للشيخ زين الدين بخطه لأبيه^١، وذكر أن أباه المترقي عن حضيض التقليد إلى أوج الاستدلال الحسين ابن الفاضل الصالح عبد الصمد ابن الشيخ الزاهد العابد البدل صاحب الكرامات شمس الدين محمد العاملي.

وذكر شيخنا البهائي من جملة كراماته أنه كان الثلج، ولم يكن في بيته شيء من القوت، وكان أولاده يبكون، فقال لجدتنا: أسكتيهم ببعض الحيل، وندعو الله تعالى حتى يرزقنا، فأخذت من الثلج وأوقعت في إجانة^٢ الخمير، وقالت لهم: هذا الخمير يتهياً ونخبز لكم، فذهب الأولاد إليه وقالوا: يا أبانا تهياً الخمير، فلما رآه رأى أن الله تعالى جعل الثلج لهم خميراً، فشكروا الله تعالى.

فقال شيخنا: هكذا كان حالنا، فلما جئنا إلى العجم ذهب تلك الأحوال، ثم قرأ:

من ملك بودم و فردوس برين جايم بود

آدم آورد درين دير خراب آبادم^٣

وقال الفاضل المذكور في شرح مشيخة الفقيه :

محمد بن الحسين بن عبد الصمد المشتهر بهاء الدين العاملي الحارثي الهمداني من أولاد الحارث الهمداني الذي كان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، ذكره الشهيد الثاني

١. بحار الأنوار ١٠٥: ١٤٦.

٢. الإجانة بالتشديد: إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين. المصباح المنير ١: ٦ (أجن).

٣. نقد الرجال ٤: ١٨٦/٤٦١٦.

في إجازته لأبيه، وذكر جماعة من أجداده ومدحهم^١، شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان كالوالد المعظم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير العلم، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلو رتبته، له كتب نفيسة منها كتاب الحبل المتين، وكتاب مشرق الشمسيين.

بل هذا الشرح^٢ من فوائده، فإنني رأيته في النوم، وقال لي: لِمَ لا تشتغل بشرح أحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم؟ فقلت له: هذا شأنكم وأتمم أهله، فقال: مضى زماننا، واشتغل واترك المباحثات سنة حتى يتم، وكان بعد ذلك الرؤيا في بالي أن أشتغل بذلك.

ولما كان هذا أمراً عظيماً ما كنت أجتري عليه، حتى حصل لي مرض عظيم ووصيت فيه، واشتغلت بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى أن يغفر لي ويذهب بروحي، فأصابني حينئذ سنة، فرأيت سيدي شباب أهل الجنة أجمعين قدامي جالسين عندي، وسيّد الساجدين فوق رأسي جالسا، وأظهر أنا جئنا لشفاعتك، وقال سيّد الساجدين صلوات الله عليه: لا تطلب الموت؛ فإنّ وجودك أنفع، فانتبهت من السنة، وذهب الوجع بالكلية، وحصل العرق.

ثم حصل لي سنة أخرى، فرأيت سيّد الأنبياء والمرسلين وأشرف الخلائق أجمعين قائم في بيتي، فأردت أن أقبل رجله فلم يدعني، فشرعت في مدائح به نك الذي خلق الله تعالى الكونين لأجلك، وجعلك متخلّفاً بأخلاقه الكمالية، وجعلك أفضل من برأه الله، وأنت العالم بعلوم الله، والقادر بقدرة الله، والمتخلّق بأخلاق الله، وهو ﷺ يتبسّم ويقول: كذلك، وكانت المدائح كثيرة اختصرتها.

ثم قلت: يا رسول الله اهديني لأقرب الطرق إلى الله تعالى، فقال ﷺ: هو ما تعمل،

١. بحار الأنوار ١٠٥: ١٤٨.

٢. أي: روضة المتقين.

فقلت : يا رسول الله بأي شيء أعمل ، وكان مرادي أن أشتغل بالرياضات للوصول إلى الله أم بغيره ممّا يأمره صلوات الله عليه ، فقال ﷺ : اعمل بما كنت تعمل .

وكنت في هذه المقالات إذ قال ﷺ : جاء عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما إلى عيادتك ، فأخذني البكاء والنحيب وقلت : أنا كلبهم ، أي مقدار لي حتّى تجيء ويجيئان إلى عيادتي ! فانشقّ جدار البيت وظهرا ، وللدّهشة انتبهت ، فبكيت كثيراً .

ثمّ حصل لي سنة أخرى ، فسمعت أن سيّد المرسلين أرسل إليك من الجنة ثمرة وكباباً منها فدفع إليّ أولاً سفايد^١ الكباب ، وكانت من الذهب ، وحولي جماعة كثيرة ، فأكل من الكباب لقمة ويحصل مكانها أخرى ، وأدفع إلى كلّ من في حولي من هذا الكباب ، وأقول لهم : إنني كنت أقول لكم : إنّ سفايد كباب الجنة من الذهب ورأيتموها ، وقلت لكم : إنّ ثمرات الجنة كلّما جُني منها ثمرة يوجد مكانها أخرى ، وكلّما أدفع إليهم من الكباب وآكله لا يفنى الكباب .

ثمّ شرعت في الثمرة ، وكانت بقدر بطيخ حلبي عظيم ، وآخذ منها ورقة ورقة وآكلها ، وفي كلّ ورقة طعوم لا تتناهى وأقول لهم : كنت أقول لكم : إنّ ثمرة الجنة كذلك ، وكلّما أدفع إليهم يحصل منها ورقة أخرى ، فانتبهت من تلك الرؤيا ، وأولتها بالعلم ، وألهمت بأن أشتغل بشرح الأحاديث فاشتغلت بذلك ، ولمّا كانت الطلبة مشغولين بالدروس كنت أدغدغ في ترك الدروس بالكلية ، لكن حصل في التعطيلات التوفيق من المنعم الوهاب ، وحسبتها كانت سنة على ما قاله شيخنا البهائي .

ومات ﷺ في شوال سنة ثلاثين بعد الألف الهجرية في إصبهان ، ونقل إلى المشهد الرضوي ودُفن في داره جنب الروضة المقدّسة ، والآن يزار هناك ، وكان عمره بضعاً وثمانين سنة ، إمّا واحداً أو اثنين ، فإنّي سألته عن عمره ، فقال : ثمانون أو^٢ أنقص

١ . السفود بالفتح كتنور : الحديدية التي يشوى بها اللحم ، والمعروف صيخ وميخ . مجمع البحرين ١ : ٣٧٨ (سقد) .

٢ . كلمة «أو» غير موجودة في «د» .

بواحدة، ثم توفي بعده بسنتين .

وسمع قبل وفاته بسنة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين عليه السلام، وكنت قريباً منه فنظر إلينا وقال : سمعتم ذلك الصوت ؟ فقلنا : لا ، فاشتغل بالبكاء والتضرع والتوجه إلى الآخرة ، وبعد المبالغة العظيمة قال : إنه أخبرنا^١ باستعداد الموت ، وبعد ذلك بسنة أشهر تقريباً توفي عليه السلام وتشرّفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً^٢ .

قوله: «ودُفن في داره».

قد حكي الدفن في الدار في ترجمة جماعة : كابن قولويه ، وعلي بن بابويه ، وشيخنا المفيد ، والسيّد المرتضى ، والشيخ الطوسي ، ومحمد بن الحسن بن حمزة خليفة الشيخ المفيد ، وصاحب بن عباد .

قوله: «يقربون خمسين ألفاً».

قال في شرح المشيخة في ترجمة مولانا عبد الله التستري : «وكان يوم وفاته بمنزلة العاشوراء ، وصلى عليه قريب من مائة ألف ، ولم نر هذا الاجتماع على غيره من الفضلاء»^٣ انتهى .

وهو قد سكت عمّن صلى عليه .

وعن تاريخ عالم آرا :

إنّه صلى عليه السيّد الداماد ، وإنّه مرض يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر محرّم الحرام سنة إحدى وعشرين وألف ، وعاده يوم السبت السيّد الداماد والشيخ لطف الله الميسي العاملي اللذان كانا يناظرانه في المسائل العلمية ، ولما عاداه

١ . في «د» : «أخبر» . وفي روضة المتّقين : «إني أخبرت» .

٢ . روضة المتّقين ١٤ : ٤٣٤ .

٣ . روضة المتّقين ١٤ : ٣٨٢ ، وانظر روضات الجنّات ٧ : ٧٨ .

عانتقهما وعاشرهما في غاية الفرح والسرور. ثم في ليلة الأحد السادس والعشرين من الشهر المذكور قريباً من الصبح بعدما أقام صلاة الليل والنوافل خرج من البيت ليلاحظ الوقت، فلما رجع سقط ولم يمهله الأجل للمكالمة^١.

[مراسلة بين السيّد الداماد والفاضل التستري]:

قوله: «كانا يناظرانه في المسائل العلميّة» قال في رياض العلماء نقلاً: واعلم أنّه وقع بين المولى عبد الله بن الحسين التستري وبين السيّد الداماد مشاجرة علميّة، فكتب السيّد الداماد إليه هكذا: جوابست اين نه جنگست «رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعدّ طوره» نهايت مرتبه بى حيايست كه نفوس معطله و هويايت هيولانيه در برابر عقول مقدّسه و جواهر قادسه، به لاف و گزاف و دعوای بى معنى برخيزند، اين قدر شعور بايد داشت كه سخن من فهمیدن، هنر است، نه با من جدل كردن و بحث نام نهادن؛ چه معيّن است كه ادراك مراتب عاليه و بلوغ به مطالب دقيقه، كار هر قاصر المدركى و پيشه هر قليل البضاعتي نيست.

فلا محاله مجادله با من در مقامات علميه از بابت قصور طبيعت خواهد بود، نه از بابت خفتّ طبع، مشتی خفّاش منش كه احساس محسوسات را عرش المعرفة دانش پندارند و اقصى الكمال هنر شمرند با زمرة ملكوتيين كه مسير آفتاب تعلّقشان بر مدار انوار عالم قدسى باشد، لاف تكافؤ زنند و دعوای مخاصمت كنند، روا نبود و در خور نيافتد و ليكن مشاكست وهم و عقل و معارضه باطل با حق و كشاكش ظلمت با نور، منكريست نه حادث و بدعتيست نه امروزی، والى الله المشتكى، والسلام على من اتّبع الهدى.

١. تاريخ عالم آرا ٢: ٨٥٩، ونقله عنه في رياض العلماء ٣: ٢٠٣.

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ
فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^١
خاقاني آن كسان كه طريق تو می روند
زاغند زاغ را روش کبک از او رواست
گیرم که مارچوبه کند تن بشکل مار
کو زهر بهر دشمن و کو مهره بهر دوست
وكتب المولى عبد الله في جوابه :

الجواب: جانا به زبان ما سخن می گوئی «رحم الله امرأ عرف قدره» بدا به حال کسی که من أرسل إليه را از نفوس معطله شمارد و دعوی اسلام کند^٢.
أقول: إنه ينافي ما كتبه السيّد الداماد إلى الفاضل التستري ما حكي من أن السيّد الداماد كان يتحمّل من ذلك الفاضل كثيراً، وانظر أيّها اللبيب أنّ الفاضل المسطور قد أعاد في الجواب - بأخصر كلام - تمام ما كتب إليه السيّد الداماد، مع مزيد كلام غليظ، ولم يترتب على الكتابة شيء غير هتك العرض، فهل ينبغي أن يجعل الشخص بنفسه عرضة منهتكاً، وليس هذا إلّا من قلة التحمل، ومفاسد قلة التحمل لا يطيقها نطاق البيان.

وبالجملة، فالغلظة في الكلام توجب كسر سورة الشخص ومزيد الجرأة للطرف المقابل، فمن خاف يُخاف كما هو مقتضى بعض الأخبار^٣، وفي الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

١. البيت للمنتبّي، أنظر كشكول البحراني ٣: ١١٣.

٢. رياض العلماء ٣: ٢٠٤.

٣. أنظر وسائل الشيعة ٩: ١٢، أبواب أحكام العشرة، ب ٢؛ ومستدرک الوسائل ٨: ٣١٥، أبواب أحكام العشرة،

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن يهن الرجال فلن يهابا^١
ولا ريب أن لسان شخص أو قلمه لا يتقاصر عن لسان غيره ممن يوازنه - ولو
بحسب الصورة - أو قلمه، فبكل ما يتكلم شخص أو يكتب يجيب آخر ويكتب، بل
من كان شأنه أدنى من الشخص لا يسكت أيضاً في مقام الجواب بلا ارتياب. وعلى
هذا المنوال حال الكتابة، بل الشخص كلما كان شأنه أرفع تكون المعارضة معه أعزّ
والأم مع النفس، بل الشخص المتعزّز يكون بمنزلة لقمة لطيفة يطلب افتراسها
الإنسان المفطور على السبعية.

وإنما الدنيا دار محنة وأي محنة، ولا بدّ من التحمّل والصبر الجميل، بل لا بدّ
للشخص من التحمّل والصبر بإعداد من يعاشره ويعرفه ويصل إليه اسمه وصيته؛
لكون الكلّ مفطوراً على الشرارة، فربما يصل إلى شخص في المشرق اسم شخص
آخر في المغرب ويعاند الأوّل للثاني، وجهة المعاندة أن الإنسان من جهة شدة
الطغيان يريد التفرد على وجه الأرض، فلما سمع بوجود شخص يوازنه على وجه
الأرض، يجري في مقام دفعه وهتكه.

وأكثر ما يتفق هذا في أرباب العلم؛ حيث إن مقرّ العالم هو القلوب، وأفراده
وأزواجه يزاحمونه في جميع الأصقاع، فالعالم يميل إلى انتفاء جميع الأفراد
والأزواج في الأصقاع، وانحصار الأمر فيه، وكلّ واحد من الأفراد والأزواج يريد
انتفاءه.

فلا بدّ للعالم من تصفية النفس، وكفّ النفس عن الأذى، وتفويض الأمر إلى الله
سبحانه، والعلم بأنّه لا يصيبه إلّا ما كتب الله له، وتحمّل ما يصيبه من الأفراد
والأزواج.

وأما من عدا العالم فليس حاله على هذا المنوال؛ مثلاً التاجر يكون أمره على

حسب تجارته بماله، ولا يزاحم عن تجارته تاجراً آخر غالباً إلا في صورة خيال الإمارة على من عداه، ولا صعب أصعب من الحلم.

ويرشد إليه ما ذكر من أن الله سبحانه لم يصف من الأنبياء السابقين بالحلم إلا إبراهيم^١ وإسماعيل^٢.

وكذا ما عن النبي ﷺ من أن حلم آدم - على نبينا وعليه السلام - كان راجحاً على حلم جميع أولاده^٣، ومع هذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^٤.

ولا تورث قلة التحمل إلا الأذى وتطرق العصيان، وإن الله عز وجل يقول: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾^٥ فقد جعل كل واحد من آحاد الناس سبب الافتتان للآخر.

وأيضاً جعل الله سبحانه كل واحد من الآحاد عدواً لغيره بمقتضى قوله سبحانه: ﴿أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^٦ بناءً على كون الخطاب لآدم عليه السلام وحواء خطاباً لذريتهما بخطابهما لكونهما أصلي الذرية، لا كون الخطاب لآدم عليه السلام وإبليس، ولعل الأول ظاهر البيضاوي^٧.

وأيضاً الأولاد والأزواج أعداء الشخص بمقتضى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾^٨ بناءً على كون «من» زائدة كما لعله

١. هود (١١): ٧٥.

٢. الصافات (٣٧): ١٠١.

٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥: ٦٠٣.

٤. طه (٢٠): الآية ١١٥.

٥. الفرقان (٢٥): الآية ٢٠.

٦. طه (٢٠): الآية ١٢٣.

٧. أنظر أنوار التنزيل للبيضاوي ٢: ٦٠.

٨. التغابن (٦٤): الآية ١٤.

الأظهر، لا للتبعض، وقد حرّرتنا الكلام فيه في الأصول في ذيل العدالة عند جمع الآيات الدالة على الحث على العفو وحسن المعاشرة.

وليس المقصود هو الممانعة عن العبادة ونيل الأجور الأخروية، قضية قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَغْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾^١ وقضية التعرض للممانعة بعد تلك الآية في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^٢.

ومع ذلك خلق الله سبحانه الروح في غاية اللطافة، فلا مخلص ولا محيص عن التحمل في آن من الأوان، وإلا فيُقدّم الشخص بنفسه على هلاكه؛ لشدة ألم الغضب في كثير من الأحيان، ولا سيما مع التكرّر والوقوع كلّ آن، خصوصاً مع شدة لطافة الروح، كيف وإكثار المشي بالأقدام على الأحجار يوجب نعومتها كما هو المشاهد بالعيان، بل تقاطر قطرات الماء على الدوام قد أوجب التعميق في بعض الجبال، ومع ذلك سماء خيال الأداني المعارضة مع الأعالي.

ومن البين أنّ الإنسان لا يتقاعد عن سماء خياله، فالعالي دائماً في محن معاضرات الأداني، ولو لم يتحمل لا يبقى له عزّ؛ بل عموم النفوس مفلّور على الشرارة، ولو بنى على عدم التحمل، لما أمكنت المعاشرة مع العيال والأولاد والخدام، فيلزم الهلاكة أو السكون في الجبال، بل السكون في الجبال لا يوجب راحة البال؛ لما في الأخبار من أنّه إذا سكن المؤمن في الجبال، يخلق الله سبحانه من يؤذيه^٣، فلا مناص ولا خلاص إلاّ بإلقائه نطاق التحمل، واشدّتا ثمّ واشدّتا من شرور هذا العصر، ولا سيما هذا المصر.

وما ذكره الفاضل أوّل المجلسين في ترجمة الفاضل المستري :

إنّه يمكن القول بأنّ انتشار الفقه والحديث كان منه، وإن كان غيره موجوداً، لكن

١. التغابن (٦٤): الآية ١٤.

٢. التغابن (٦٤): الآية ١٥.

٣. علل الشرائع: ٤٤، ح ٢؛ وسائل الشيعة ١٢: ١٢٣، أبواب أحكام العشرة، ب ٨٥، ح ٩.

كان لهم الأشغال الكثيرة، وكان مدة درسهم قليلة، بخلافه، فإنه كان مدة إقامته في أصفهان قريبة من أربع عشرة سنة وأنه عندما جاء بإصبعها لم يكن فيه من الطلبة الداخلة والخارجة خمسون، وكان عند وفاته أزيد من ألف من الفضلاء وغيرهم^١. وذكر في ترجمته أيضاً: أنه نُقل بعد دفنه قريباً من سنة إلى مشهد أبي عبد الله عليه السلام، ولم يتغير حين أُخرج^٢.

وعن بعض أحفاد الشهيد الثاني: أن جسد السيد المرتضى لم يبلّ بعدما مضى من دفنه مدة^٣.

وعن صاحب كتاب روضة العارفين عن بعض الثقات المعاصرين للكليني: أن بعض حكام بغداد رأى بناء قبره - عطر الله مرقده - فسأل عنه، فقليل: إنه بعض الشيعة، فأمر بهدمه فحفر القبر فرآه بكفنه لم يتغير، ومدفون معه آخر صغير بكفنه أيضاً، فأمر بدفنه وبنى عليه قبة^٤.

وعن بعض: أن بعض حكام بغداد أراد نبش قبر سيدنا أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، وقال: الرافضة يدعون في أئمتهم أنهم لا تبلى أجسادهم بعد موتهم، وأريد أن أكذبهم، فقال له وزيره: إنهم يدعون في علمائهم أيضاً ما يدعون في أئمتهم، وها هنا قبر محمد بن يعقوب الكليني من علمائهم، فأمر بحفره، فإن كان على ما يدعونه عرفنا صدق مقالتهم، وإلا تبين للناس كذبهم، فأمر بحفر قبر الكليني، ورآه بكفنه لم يتغير^٥.

١ و ٢. روضة المتقين ١٤: ٣٨٢.

٣. حكاية السيد بحر العلوم في رجاله ٣: ١٣٦؛ وكذلك في روضات الجنات ٤: ٢٩٧.

٤. حكى هذه القصة السيد بحر العلوم في رجاله ٣: ٣٣٦ عن كتاب روضة الواعظين؛ وانظر لؤلؤة البحرين:

٣٩٢؛ وروضات الجنات ٦: ١٠٧.

٥. نقل هذه الحكاية الشيخ يوسف البحراني عن بعض مشايخه قائلاً: وأظنه المحدث السيد نعمة الله الجزائري؛

أنظر لؤلؤة البحرين: ٣٩٢/ ١٢٣، ونقلها السيد بحر العلوم في رجاله ٣: ٣٣٥.

[عبد الله التستري غير عبد الله اليزدي]

ثم إن مولانا عبد الله المتقدم أستاذ الفاضل التقي المجلسي، وهو غير المولى عبد الله اليزدي، والأخير أستاذ شيخنا البهائي وصاحب حاشية التهذيب في المنطق.

وقال شيخنا البهائي في بعض تعليقات الزبدة عند الكلام في تعريف العلم: «قال أستاذنا المحقق اليزدي رحمه الله في حواشي تهذيب المنطق» إلى آخر ما ذكره^١. والأول كان معاصراً لشيخنا البهائي، وهو قد أجاز ولده، وأجازه والده أيضاً، وكذا الأمير الفندرسكي بعبارة فارسية قليلة، والإجازات المذكورة مذكورة في البحار^٢. والولد المذكور أجاز الفاضل التقي المجلسي، كما في البحار أيضاً^٣. والمولى المذكور كان مدرّساً في المدرسة المعروفة في أصفهان بمدرسة ملا عبد الله، وقد بناها الشاه عباس الماضي لأجل تدريسه، وكان ولده مدرّساً في المدرسة المذكورة أيضاً، ثم عزله السلطان وفوض التدريس إلى العلامة السبزواري مع كونه تلميذه [و] أنه ربما قيل: إن وقف السلطان كان مشروطاً بتدريس أولاد المولى المتقدم، ذكر ما ذكر في رياض العلماء^٤.

وقال الفاضل أول المجلسيين في شرح الفقيه أيضاً:

إنني كنت في أوائل البلوغ طالباً لمرضاة الله تعالى، ساعياً في طلب رضاه، ولم يكن لي قرار إلا بذكره تعالى، إلى أن رأيت بين النوم واليقظة أن صاحب الزمان

١. أنظر زبدة الأصول: ٥.

٢. بحار الأنوار ١٠٧: ٢١ وفيه إجازة البهائي لحسن علي بن عبد الله التستري، وإجازة عبد الله التستري لولده حسن علي، وإجازة الفندرسكي لحسن علي.

٣. بحار الأنوار ١٠٧: ٣٨، إجازة حسن علي لتقي المجلسي.

٤. رياض العلماء ٣: ١٩٤-١٩٥.

صلوات الله عليه كان واقفاً في الجامع القديم في إصبهان قريباً من باب الطنبني الذي الآن مَدْرَسِي، فسَلَّمْتُ عليه وأردت أن أُقْبِلَ رجله عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يدعني، وأخذني فقبَلت يده، وسألت منه - صلوات الله عليه - مسائل قد أشكلت عليَّ منها: إني كنت أوسوس في صلاتي، وكنت أقول: إنها ليست كما طُلبت مِنِّي وأنا مشغول بالقضاء، ولا يمكنني صلاة الليل، وسألت عنها الشيخ البهائي - رحمه الله تعالى - فقال: صلِّ صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد القضاء وصلاة الليل، وكنت أفعل هكذا.

فسألت من الحجّة - صلوات الله عليه -: أصلي صلاة الليل؟ فقال - صلوات الله عليه -: «صلِّها ولا تفعل كالمصنوع الذي كنت تفعل». إلى غير ذلك من المسائل التي لم تبَقَ في بالي.

ثم قلت: يا مولاي لا يتيسر لي أن أصل إلى خدمتك كلَّ وقت، فاعطني كتاباً أعمل عليه دائماً.

فقال - صلوات الله عليه -: «أعطيت لأجلك كتاباً إلى مولانا محمد التاج» وكنت أعرفه في النوم، فقال - صلوات الله عليه -: «رُحْ وَخُذْ مِنْهُ» فخرجت من باب المسجد الذي كان مقابلاً لوجهه صلوات الله عليه إلى جانب دار البطين محلّة من إصبهان، فلما وصلت إلى ذلك الشخص، فلما رأيته قال: بعثك صاحب إليّ؟ قلت: نعم، فأخرج من جيبه كتاباً قديماً، ففتحت فظهر لي أنّه كتاب الدعاء، فقبَلته ووضعت على عيني وانصرفت عنه متوجّهاً إلى صاحب صلوات الله عليه، فانتبهت، ولم يكن معي ذلك الكتاب، فشرعت في التضرّع والبكاء والجوار^١ لفوت ذلك الكتاب إلى أن طلع الصبح.

١. في الحديث: «لا أعلم أن في هذا الزمان جهاداً إلاّ الحجّ والعمرة والجوار» وفُسرَت بالاعتكاف كما صرّح به ابن الأثير في النهاية، ومنه «فلما قضيت جوارِي» أي اعتكافي. أنظر مجمع البحرين ١: ٤٢٦ (جور).

فلما فرغت من الصلاة والتعقيب، وكان في بالي أن مولانا محمد هو الشيخ، وتسميته بالتاج لاشتهاره من بين العلماء، فلما جئت إلى مدرسه - وكان في جوار المسجد الجامع - فرأيتته مشتغلاً بمقابلة الصحيفة، وكان القارئ الأمير الصالح أمير ذو الفقار الجربادقاني، فجلست ساعة حتى فرغ منه.

والظاهر أنه كان في سند الصحيفة، لكن للغم الذي كان لي لم أعرف كلامه وكلامهم، وكنت أبكي، فذهبت إلى الشيخ وقلت له رؤياي وأنا أبكي لفوت الكتاب، فقال الشيخ: أبشر بالعلوم الإلهية، والمعارف اليقينية التي كنت تطلب دائماً؛ وكان أكثر صحبتي مع الشيخ في التصوف، وكان مائلاً إليه فلم يسكن قلبي. وخرجت باكياً متفكراً إلى دار البطيخ رأيت رجلاً صالحاً كان اسمه آقا حسن، ويلقب بـ «تاجا» فلما وصلت إليه وسلمت إليه^١، قال: يا فلان الكتب الوقفية التي عندي كلّ من يأخذه من الطلبة لا يعمل بشرط الوقف، وأنت تعمل بها، تعال وانظر إلى هذه الكتب وكلّ ما تحتاج إليه خذ، فذهبت معه إلى بيت كتبه، فأعطاني - أوّل ما أعطى - الكتاب الذي رأيتته في النوم، فشرعت في البكاء والنحيب، وقلت: يكفيني، وليس في بالي أنني ذكرت له النوم أم لا، وجئت عند الشيخ وشرعت في المقابلة مع نسخة كتبها جدّ أبيه من نسخة الشهيد^٢ إلى آخر كلامه^٣.

وقال في شرح المشيخة أيضاً:

واعلم أن الأئمة يتكلمون في كلّ شيء - سيّما في المثوبات والعقوبات - على حسب عقول الرجال، كما ورد في الزيارات، ففي بعض الأخبار أن له ثواب عمرة، وفي بعضها حجة، وفي بعضها حجة وعمرة، وفي بعضها عشرون حجة وعمرة، وفي بعضها مائة حجة وعمرة، وفي بعضها ألف حجة، وفي بعضها ألف حجة،

١. كذا، والأنسب: «عليه».

٢. روضة المتقين ١٤: ٤١٩ - ٤٢٠.

وفي بعضها ضعفها^١، وهو بحسب اختلاف الأشخاص والنيّات والعقائد والمعارف غالباً، وكثيراً ما يكون بحسب أحوال المخاطبين، فإنّهم لو سمعوا المثوبات الكثيرة، لبادرت عقولهم بالإنكار، وهو الكفر، وهو في أكثر العالمين كذلك، فيتكلّم الأئمة - صلوات الله عليهم - بحسب عقولهم الضعيفة، ويقولون لهم أقلّ مراتبها، وهو حقّ، فيقع أكثر الأخبار هكذا.

فإذا سمع المشايخ من جماعة من الخواصّ المثوبات العظيمة، فإن لم يكن له قوّة التمييز بادروها بالإنكار والغلوّ، كما وقع لي مع بعض المشايخ الأجلّاء في مثوبات إطعام المؤمن، فإنّه قال في الدرس: إنّنا نعلم قطعاً أنّ أمثال هذه الأخبار كاذبة؛ فإنّه ورد أنّ ثواب إطعام المؤمن ألف ألف حجّة^٢، فحينئذٍ لا يبقى للحجّة مقدار.

فذكرت أنّه لا يمكن إنكار أمثال هذه الأخبار؛ فإنّها متواترة معنيّ، وقلت: أنتم تروون أنّ ضربة عليّ عليه السلام أفضل من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة^٣ وتعتقدونه، ولا شك أنّ ذلك لسبب علوّ شأنه عليه السلام، بل كلّ فعلٍ من أفعاله كذلك، وكذلك كلّ واحدٍ من الأئمة صلوات الله عليهم بالنظر إلى غيرهم، فأيّ استبعاد في أن يكون ثواب خلّص أوليائهم كذلك، كما وقع في إطعام المسكين واليتيم والأسير هذه المثوبات العظيمة، وكانت فضّة الخادمة فيهم، مع أنّه فرق بين الثواب الاستحقاق والتفضلي كما تقولون دائماً.

فاستحسن كلامي ولم يتكلّم بعده بما كان يتكلّم قبله، وهو شيخنا الأعظم بهاء

١. أنظر وسائل الشيعة ١٤: ٤٠٩، أبواب المزار وما يناسبه، ب ٣٧ و ٣٨؛ ومستدرک الوسائل ١٠: ٢٦٥، أبواب

المزار، ب ٣٣؛ وكامل الزيارات: ١٥٥-١٥٨.

٢. أنظر وسائل الشيعة ٦: ٣٢٨، أبواب الصدقة، ب ٤٧؛ ومستدرک الوسائل ٧: ٢٤٧، أبواب الصدقة، ب ٤٣.

٣. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٨٣.

الملة والدين رضي الله تعالى عنه، وكان إنصافه فوق أن يوصف، مع أنني حين تكلمت بذلك كنت أصغر تلامذته وأحقرهم، ومظنون أنني لم أكن إذ ذاك بالغاً، وكثيراً ما كان يرجع عن اعتقاده بقولي وقول أمثالي.

وفي ذلك الزمان كان يحضر أكثر فضلاء العصر في مجلسه العالي، مع أن إسكاتي كان في غاية السهولة لكثرة تبخره في جميع العلوم، ونشاهد في أبناء الزمان ما نشاهد، أصلح الله أحوالنا وأحوالهم بجاء محمد وآله الطاهرين^١. وإنما نقلنا من عبارات شرح المشيخة ما يزيد عن محل الحاجة؛ لاشتمال الزائد على الفائدة.

وقال في شرح المشيخة أيضاً :

وكان يذكر شيخنا البهائي عليه السلام أن عندنا كتاب مدينة العلم، وهو أكبر من «من لا يحضره الفقيه»، وذكر أبوه في الدراية أن أصولنا خمسة : الكتب الأربعة، وكتاب مدينة العلم، لكنّه لم نره، والظاهر أنّه كان عندهما وضاع كما ضاع أكثر كتبهما، وكان يذكر كثيراً أن كتبي ألف كتاب تقريباً، وبعد فوته ظهر منها قريب من سبعمئة كتاب^٢. انتهى.

وقد ذكر الفاضل المذكور في الفائدة الرابعة من الفوائد المرسومة في فاتحة شرحه الفارسي على الفقيه :

أنّ الجفر الجامع والجفر الأبيض من باب محض الاشتهار، لم يرد في حديث ولم يُسمع من عالم، فذكر أنّه في صغر سنّه كان واجداً للجفرين، وأدرك جميع علماء الزمان ولم يسمع من أحد منهم ادّعاء العلم بهما إلا شيخنا البهائي، فقال : «إنّي عالم في الجملة بما مضى، وأتمكّن من استخراج قواعد العلامة بالجفر

١. روضة المتقين ١٤ : ٤٠٤.

٢. روضة المتقين ١٤ : ١٥، وانظر وصول الأخبار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي : ٨٥.

الجامع» فقلت له : تعلم بعنوان أنّ كلّ كلماته في هذا الجفر ولَمّا جمع يصير القواعد ؟ فقال : « هذا المعنى يعلم به كلّ واحد ، ولكن اعلم بعنوان ». وسعيت كثير السعي لإظهاره فلم يظهره^١.

ربما يختلج ببالي أنّ الفاضل أوّل المجلسيّين حكى عن شيخنا البهائي أنّه قال : لم أرتكب المكروه أو المباح مذ أربعين سنة .

وقال الفاضل السيّد علي خان في فاتحة شرح الصمدية مع تلخيص مقالته : هو الإمام ، الفاضل ، المحقّق ، التحرير ، المحدث ، الفقيه المجتهد ، النحوي الكبير ، مالك أزمّة الفضائل والعلوم ، محرز قصبات السبق في حلبتي المنطوق والمفهوم ، شيخ العلم وحامل لوائه ، بدر الفضل وكوكب سمائه ، أبو الفضائل بهاء الدين محمد بن الشيخ عزّ الدين حسين بن الشيخ عبد الصمد بن الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن عليّ بن حسن بن محمد بن صالح الجبعي العاملي الحارثي الهمداني رحمه الله تعالى .

مولده عند غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، هكذا نقلته من خطّ والده رحمه الله تعالى .

وكان قد سلك في أوائل عمره نهج السياحة ، واتخذ الفقر درعه وسلاحه ، فطوى الأرض وذرع منها الطول والعرض ، فكان مدّة سياحته ثلاثين سنة ، لا يلتذّ بنوم ولا تطيب له سنّة إلى أن قام ببلاد العجم تابعاً لسلطانها ، راقياً من المكانة أرفع مكانها ، ولم يزل مشوّش البال ، كثير الهمّ والبلبال ، آنفاً من الانحياش إلى السلطان ، مؤثراً للغربة على الاستيطان ، يأمل العود على السياحة ، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة ، رغبة عن دار الفناء في دار البقاء ، فلم يقدر له .

وحكى لي بعض أجلاء الأصحاب أنّ الشيخ رحمه الله قصد زيارة المقابر قبل وفاته

بأيام قلائل في جمع من أصحابه، فما استقرّ بهم الجلوس حتّى قال لهم الشيخ :
أسمعتُم ما سمعته ؟ قالوا : ما سمعنا شيئاً ، وسألوه عمّا سمعه فلم يجبهُم ، ورجع إلى
داره فأغلق بابه ، فلم يلبث وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء ، ولم يخبر أحداً ما
سمعه .

وكانت وفاته ثاني عشر شوال سنة إحدى وثلاثين وألف بإصبهان ، وقُبل قبل
دفنه إلى طوس ، فدفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضويّة على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام والتحيّة .

والجُبَعي - بضّمّ الجيم ، وفتح الباء الموحّدة ، وعين مهملة مكسورة - : نسبة إلى
جُبَيع ، وهي قرية من قرى جبل عامل .

والعاملي - بفتح العين المهملة ، وبعدها ألف وميم مكسورة - : نسبة إلى جبل
عامل قطر بأرض شام باعتبار إقامته بها مدّة ، وإلّا فمولده بعلبك على ما سُمع .
وعامل أحد أولاد سبأ ، أقام بهذا القطر برهة ، فنُسب إليه . والحرثي نسبة إلى أبي
زهير الحرث بن عبد الله الأعور الهمداني ، لكون نسبة المصنّف - يعني شيخنا
البهائي - ينتهي إليه ، كان من أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام .

والهمداني نسبة إلى همدان - بسكون الميم - قبيلة من اليمن .
ومن تصانيفه التفسير المسمّى بالعروة الوثقى ، والتفسير المسمّى بعين الحياة ،
والحبل المتين ، ومشرق الشمسين ، وشرح الأربعين ، والجامع العبّاسي الفارسي ،
ومفتاح الفلاح ، والزبدة في الأصول ، والرسالة الهلاليّة ، والاثنا عشريّات الخمس
- وأجودهنّ الصلاتيّة ثمّ الصوميّة - وخلاصة الحساب ، والمخلاة ، والكشكول ،
وتشريح الأفلاك ، والرسالة الاسطرلابيّة ، وحواشي الكشف ، وحاشية على
البيضاوي ، وحاشية على خلاصة الرجال ، ودراية الحديث ، والفوائد الصمديّة في
علم العربيّة ، والتهذيب في النحو ، وحاشية الفقيه ، وله غير ذلك من الرسائل

المختصرة والفوائد المحرّرة^١.

قوله : « ولم يزل مشوّش البال ، كثير الهمّ واللبال » لعلّ شيخنا البهائي كان همّه أكثر من همّ من عداه ، وإن كانت الدنيا مخلوقة من الهمّ وفيها يتقاطر قطرات الهمّ من سحب الهموم ، وكان غيره من العلماء أيضاً كثير الهمّ كما تنادي به كلماتهم في أوائل كتبهم .

ووجه الأكثرية أنّه لم يُعرف من الغير في غيره الشهادة على كثرة الغموم ، ومقتضى العبارة المذكورة كثرة هموم الشيخ ، وهو مقتضى ما يأتي من الرباعي من السيّد الداماد ، وإن أضاف بالرباعي الهمّ على الهموم ، بل هو بنفسه قد ذكر في أوّل شرح الاثني عشرية لصاحب المعالم ، وكذا في أوّل رسالة نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض توزّع البال واختلال الحال لأمر توجب للطبع كلالاً وللنفس من الحياة ملالاً .

والظاهر أنّ ملالة النفس من الحياة لم تتفق في شكاية غيره ، وقد ذكر في أوّل لغزه المعروف عذراً للألفاظ أنّه يعرض للبال في بعض المحالّ ملال يمنع عن مطالعة العلوم الدينية ، وكلالٌ يردع عن مزاولة الأعمال الأخروية ، فيضطرّ الإنسان إلى تطيب الدماغ بلطائف المداعبات ، وترويح الروح بطرائف المطائبات ، تشحيذاً للخاطر المحزون ، وتمشيّطاً للقلب المسجون ، وحقيق لمن تراكت عليه أفواج الهموم ، وتلاطمت لديه أمواج الغموم أن يتشاغل بمذاكرة إخوان الصفاء ، ومفاكرة خُلّان الوفاء ، ولعلّ إظهار بلوغ الهمّ إلى أن احتاج إلى المعالجة لم يتفق في كلام غيره .

قوله : « أجودهنّ الصلاتية » وفي الأمل أنّها عجيبة^٢ كما يأتي ، وقد نظمها والد

١ . الحقائق الندية في شرح الصمدية : ٤ .

٢ . أمل الآمل ١ : ١٥٥ .

صاحب الحقائق كما ذكره في اللؤلؤة في ترجمة والده أحمد بن إبراهيم^١، وفي اللؤلؤة أنه شرحها السيد نور الدين أخو صاحب المدارك كما في إجازته لبعض^٢، والإجازة المذكورة في جلد إجازات البحار^٣ وكما في اللؤلؤة^٤.

قوله «ثم الصومية» وفي الأمل أنه شرحها حسام الدين بن جمال الدين بن طريح النجفي^٥، وفي الأمل أيضاً :

إنّ الحسين بن موسى الأردبيلي ساكن استرآباد كان فاضلاً فقيهاً صالحاً معاصراً لشيخنا البهائي له كتب منها شرح الرسالة الصومية للبهائي، وهو قبل الإتمام سمع بوفاة المصنّف^٦.

وللسيد المذكور كلام في سلافة العصر يشبه كلامه في شرح الصمدية، ولكن قد جعل شيخنا البهائي في كلامه في السلافة مجدّد المذهب الاثني عشري على رأس القرن الحادي عشر، وقد حكى بعض مكاتبيه وطائفة من أشعاره^٧. وفي آخر شرح الصمدية للسيد المذكور :

إنّه كان الفراغ من تسويد الأصل ضحوة يوم الاثنين سابع شهر شوال، سنة خمس وسبعين وتسعمائة، ومن محاسن الاتّفاقات أنّ سابع شهر شوال هو تاريخ الإتمام، وقد نظمهم ﷺ فقال :

بسابع شهر شوال جنينا ورد أكمامه وسابع شهر شوال غدا تاريخ إتمامه^٨

١. لؤلؤة البحرين : ٩٥.

٢ و ٤. لؤلؤة البحرين : ٤٢.

٣. بحار الأنوار ١٠٧ : ٢٥.

٥. أمل الآمل ٥٩ : ٢ / ١٥١.

٦. أمل الآمل ١٠٤ : ٢ / ٢٨٧.

٧. سلافة العصر : ٢٨٩ - ٣٠٢.

٨. الحقائق النديّة في شرح الصمدية : ٥٨٣.

وعن السيّد السند الجزائري في مقاماته^١

أنّ الشيخ كان يسامح في معاشراته، قال :

ولهذا كان كلّ طوائف المسلمين ينسبه إليه، وسمعت الشيخ الفاضل الشيخ عمر من علماء البصرة يقول : إنّ بهاء الدين محمّداً من أهل السنّة إلّا أنّه كان يتّقي من سلطان الرافضة، وكذلك الملاحدة والصوفيّة والعشّاق، سمعت كلّ هؤلاء يقول : إنّ من أهل نحلّتنا، ومن هذا كان شيخنا المعاصر^٢ يزدرى عليه، وفيض الله التفرشي لم يوثّقه في كتاب الرجال، وإنّ أثنى عليه في العلم والحفظ وغير ذلك، والحقّ أنّه ثقة معتمد عليه في النقل والفتوى^٣.

قوله : « وسمعت الشيخ الفاضل الشيخ عمر » يظهر منشأ المسموع بما يأتي .

قوله : « شيخنا المعاصر » المقصود به العلامة المجلسي .

قوله : « وفيض الله التفرشي لم يوثّقه » وكذا السيّد السند التفرشي لم يوثّقه كما يظهر ممّا مرّ من كلامه^٤، وكذا صاحب الأمل^٥ واللؤلؤة^٦ كما يظهر ممّا يأتي من كلامهما .

وفي الأمل:

محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبّعي - ينسب إلى الحارث الهمداني، وكان من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام - حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظّم الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة

١ . مقامات الجزائري، اسمها مقامات النجاة، مرتّبة على تسعة وتسعين مقاماً. أنظر الذريعة ٢٢ : ١٤ / ٥٧٨٧.

٢ . يعني به العلامة المجلسي عليه السلام، كما في روضات الجنّات ٦٦ : ٧.

٣ . نقله عنه الخوانساري في روضات الجنّات ٦٦ : ٧.

٤ . نقد الرجال ١٨٦ : ٤.

٥ . أمل الآمل ١ : ١٥٥.

٦ . لؤلؤة البحرين : ١٦.

وجمع المحاسن أظهر من أن يذكر، وفوائده أكثر من أن تُحصَر.
 وكان ماهراً متبحراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً مُنشئاً، عديم النظير في زمانه في
 الفقه والحديث، والمعاني والبيان، والرياضي وغيرها.
 له كتب: منها كتاب الحبل المتين في أحكام أحكام الدين، جمع فيه الأحاديث
 الصحاح والحسان والمؤتقات، وشرحها شرحاً لطيفاً، خرج منها الطهارة والصلاة
 ولم يتمه، فيه ألف حديث وزيادة يسيرة، وكتاب مشرق الشمسين وإكسير
 السعادتين، جمع فيه آيات الأحكام وشرحها والأحاديث الصحاح وشرحها، خرج
 منه كتاب الطهارة لا غير فيه نحو من أربعمائة حديث، وكتاب العروة الوثقى في
 تفسير القرآن، خرج منه تفسير الفاتحة لا غير، والحديقة الهلالية في شرح دعاء
 الهلال، وحاشية الشرح العضدي على مختصر الأصول، والزبدة في الأصول، ولغز
 الزبدة، ورسالة في المواريث، ورسالة في الدراية، ورسالة في ذبائح أهل الكتاب،
 ورسالة اثني عشرية في الصلاة عجيبة، ورسالة في الطهارة كذلك، ورسالة في
 الزكاة كذلك، ورسالة في الصوم كذلك، ورسالة في الحج كذلك، والخلاصة في
 الحساب، والكشكول كبير، والمخلاة، والجامع العباسي بالفارسية في الفقه لم يتم،
 والصمدية في النحو لطيفة، والتهديب في النحو، وبحر الحساب، وتوضيح المقاصد
 في ما اتفق في أيام السنة، وحاشية الفقيه لم تتم، وجواب مسائل الشيخ صالح
 الجزائري اثنتان وعشرون مسألة، وجواب ثلاث مسائل أخر عجيبة، وجواب
 المسائل المديّيات، وشرح الفرائض النصيرية للمحقق الطوسي لم يتم، ورسالة في
 نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض، وتفسيره الموسوم بعين الحياة وتشريح
 الأفلاك، ورسالة الكرّ، ورسالة الاسطرلاب عربية سمّاها الصحيفة، ورسالة أخرى
 في الاسطرلاب سمّاها التحفة الحاتمية، وشرح الصحيفة الموسوم بحقائق
 الصالحين، وحاشية البيضاوي لم تتم، وحاشية المطوّل لم تتم، وشرح الأربعين
 حديثاً، ورسالة في القبلة، وكتاب سوانح الحجاز من شعره وإنشائه، ومفتاح

الفلاح، وحواشي الكشف، وحاشية الخلاصة في الرجال، وحاشية الاثني عشرية للشيخ حسن، وحاشية القواعد الشهيدية، ورسالة في القصر والتخير في السفر، ورسالة في أن أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس، ورسالة في حل إشكال عطار والقمر، ورسالة في أحكام سجود التلاوة ورسالة في استحباب السورة ووجوبها، وشرح شرح الرومي على الملخص ذكره في الحديقة الهلالية، وحواشي الزبدة، وحواشي تشريح الأفلاك، وحواشي شرح التذكرة، وغير ذلك من الرسائل وجواب المسائل، وله شعر كثير حسن بالعربية والفارسية متفرق، وقد جمعه ولدي محمد رضا الحرّ، فصار ديواناً لطيفاً^١.

وقد حكى في الأمل بعدما ذكر ما ذكره في السلافة في ترجمة شيخنا البهائي إلى أن قال: «وذكر أنه توفي سنة ١٠٣١ وقد سمعنا من المشايخ أنه مات سنة ١٠٣٥»^٢.

وقد استوفى الأمل فيما سمعت من كلماته مصنفات شيخنا البهائي، ولم يتفق هذا الاستيفاء من غيره سابقاً عليه؛ وحيث إنه قد ذكر الفاضل السيّد علي خان في شرح الصمدية طائفة من مصنفاته، وقد تقدّم كلامه^٣، وعلى هذا المنوال حال السلافة حيث إنه لم يذكر فيها إلا ما ذكر في شرح الصمدية، على ما حكى من عبارتها، نعم قد استوفى اللؤلؤة أيضاً تبعاً للأمل^٤.

قوله: «وشرح الصحيفة الموسوم بحدائق الصالحين» قد رأيت من هذا الشرح الحديقة الهلالية التي هي شرح دعاء الهلال بخط الحكيم صاحب الأسفار، ولعلها

١. أمل الآمل ١: ١٥٥-١٥٧.

٢. أمل الآمل ١: ١٥٨؛ سلافة العصر: ٢٨٩.

٣. الحدائق الندية في شرح الصمدية: ٤.

٤. أنظر سلافة العصر: ٢٨٩.

٥. أنظر أمل الآمل ١: ١٥٦؛ ولؤلؤة البحرين: ١٦.

المقصود بالرسالة الهلالية فيما تقدّم من الفاضل السيّد علي خان. وقد ذكر هذا الفاضل في صدر شرحه على الصحيفة - نقلاً - أنّه لم يشرح شيخنا البهائي غير دعاء الهلال، ولم يتفق من حدائق الصالحين غير الحقيقة الهلالية، قال :

ولم يسبقني إلى هذا الغرض والقيام بأداء هذا الحكم المفترض سوى ما حرّره جماعة من أصحابنا المتأخّرين شكر الله سعيهم وأحسن يوم الجزاء رعيهم من تعليقات تتضمّن حلّ بعض ألفاظها وتفسير يسير من أغراضها وهي لا تبرّد غليلاً ولا تبرئ عليلاً.

وأما شرح شيخنا البهائي الذي سمّاه حدائق الصالحين، وأشار إليه في الحقيقة الهلالية فهو مجاز لا حقيقة؛ إذ لم يقع حدقة منه على غير تلك الحقيقة، ولعمري لو أتمّه على ذلك المنوال لكفى من بعده تجشّم الأهوال^١.

لكن ذكر بعض تلاميذ العلامة المجلسي - على ما في آخر جلد إجازات البحار - : أنّ بعض حدائق تلك الحقائق غير الحقيقة الهلالية يوجد في مشهد الإمام الثامن^٢.

مع أنّ شيخنا البهائي في الحقيقة الهلالية قد أحال الحال كراراً على الحقائق السابقة، قال تارة : «وقد تقدّم الكلام في الشكر مبسوطاً في الحقيقة التحميدية، وهي شرح الدعاء الأوّل من هذا الكتاب الشريف»^٣. وقال أخرى : «وقد تقدّم الكلام فيها في الحقيقة الثالثة والعشرين، وهي شرح دعائه عليه في طلب العافية»^٤.

١ . رياض السالكين ١ : ٤٤.

٢ . بحار الأنوار ١٠٧ : ١٧١.

٣ . الحقيقة الهلالية : ١٥١.

٤ . الحقيقة الهلالية : ١٥٢.

وقال ثالثة : « وقد تقدّم الكلام فيما يتعلّق بها من المباحث في الحديقة الحادية والثلاثين في شرح دعائه عليه السلام في طلب التوبة^١.

على أنّ شيخنا البهائي قد عدّ من مصنفاته في بعض إجازاته المذكورة في جلد إجازات البحار شرح الصحيفة^٢؛ فلا مجال لإنكار اتفاق غير الحديقة الهلالية من شرح الصحيفة كما سمعت من الفاضل المذكور.

ثم إنّ عدّ حدائق الصالحين غير الحديقة الهلالية ظاهر الفساد؛ إذ الحديقة الهلالية من حدائق تلك الحدائق.

وأيضاً قال في آخر الحديقة الهلالية :

واتّفق الفراغ منها في جانب الغربي من دار السلام بغداد بالمشهد المطهر الكاظمي - على من حلّ فيه من الصلوات أفضلها ، ومن التسليمات أكملها - في أوائل جمادى الأولى سنة ألف وثلاث من الهجرة ، وكان افتتاح تأليفها بمحروسة قزوين حرّست عن كيد المعتدين ، وكتب مؤلف الكتاب الفقير إلى الله الغنيّ بهاء الدين محمد العاملي جعل الله خير يومئذ غده ومن العيش أرغده بمحمد وآله الطاهرين ، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً^٣.

وكان في آخر النسخة التي كانت بخطّ صاحب الأسفار :

تشرّفت بنقله من نسخة نقلت من نسخة الأصل بخطّه أدام الله ظلّه . عبده الراجي صدر الدين محمد الشيرازي في محروسة قزوين شهر ذي الحجة سنة ألف وخمس من الهجرة النبوية .

١ . الحديقة الهلالية : ١٥٠ .

٢ . بحار الأنوار ١٠٦ : ١٥٧ .

٣ . الحديقة الهلالية في شرح دعاء الهلال : ١٥٦ وفيها بدل « جمادى الأولى » : « جمادى الآخرة » .

فالفصل بين الانتساخ والتصنيف بسنتين .

قوله : « وشرح أربعين حديثاً » قد رأيت هذا الشرح بخط صاحب الأسفار أيضاً، وكان مع شرح دعاء الهلال، وأوراقٍ من إفادات شيخنا البهائي، وأوراقٍ تشتمل على أشعار وكلمات كما هو المتعارف من رسم بعض الأوراق ظهرِي الكتاب وكتابة بعض المطالب والأشعار فيه، ومن تلك الكلمات المشتملة عليها تلك الأوراق ما حكاه عن الشهرزوري من « أن كل حركة وكلمة خلت عن المراجعة إلى الله تعالى لا تعقب خيراً » انتهى .

ولعمري قد أصدق القائل فيما قال والتجربة تقضي - قضاءً مبرمٍ بل أبرمَ قضاءٍ - بصدق ذلك المقال .

وقال شيخنا البهائي في الشرح المذكور عند شرح الحديث السادس عشر المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ديناً كان عليّ فقال : يا عليّ، قل : اللهم أغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عن سواك، فلو كان عليك مثل صبير^١ ديناً قضاءه الله عنك^٢ : قال جامع هذه الأحاديث : كثر عليّ الدين في بعض السنين حتى تجاوز ألفاً وخمسمائة منقال ذهباً، وكان أصحابه متشددين في تقاضيه غاية التشدد حتى شغلني الاهتمام به عن أكثر أشغالي، ولم يكن في وفائه حيلة ولا إلى أدائه وسيلة، فواظبت على هذا الدعاء فكنت أكرّره كل يوم بعد صلاة الصبح، وربما دعوت به بعد الصلوات الأخر أيضاً فيسر الله سبحانه قضاءه وعجل أدائه في مدة يسيرة بأسباب غريبة ما كانت تخطر بالبال ولا تمرّ بالخيال^٣ .

١ . والصبير اسم جبل باليمن، ليس باليمن جبل أعظم منه .

٢ . الأمالي للصدوق : ٣٤٧، المجلس ٦١ .

٣ . الأربعون حديثاً : ٢٤٣ .

وقال عند شرح الحديث الرابع والعشرين المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً :
قال : « قال رسول الله ﷺ : إن الله حرّم الجنة على كل فحّاش بذّيء ، قليل الحياء ،
لا يبالي بما قال ولا ما قيل له ، فإنك إن فتّشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان »^١ إلى
آخر الحديث .

في تفسير لغية :

يحتمل أن يكون بضم اللام ، وإسكان الغين المعجمة ، وفتح الباء المثناة من تحت ؛
أي ملغى ، والظاهر أن المراد به المخلوق من الزنى .
ويحتمل أن يكون بالعين المهملة المفتوحة أو الساكنة ، والنون ؛ أي من دأبه أن يلعن
الناس أو يلعنوه ، قال في كتاب أدب الكاتب : فُعلة بضم الفاء وإسكان العين من صفات
المفعول ، ويفتح العين من صفات الفاعل يقال : رجل هُمزة للذي يُهزأ به وهُمزة لمن
يُهزأ بالناس ، وكذلك لُعنة ولُعنة^٢ .

وقد أورد عليه السيّد الداماد في الحاشية كلاماً طويلاً حاصله : أن اللام حرف
الجر لا أصليّة ، كما هو مدار ما ذكره شيخنا البهائي يقال : ولُدُعَتِي ولُعِيّة ، أي زنيّة
ولزنيّة ، قبال ما يقال : ولد رشدة ولرشد ، أي نكاح صحيح . وجعل ما جرى عليه
شيخنا البهائي من أعاجيب الأغاليط وتعاجيب التوهّمات .

وشنّع عليه أيضاً في الرسالة المعمولة في التصاحيف والأغاليط ، وأكثر تلك
التصاحيف والأغاليط المذكورة في الرواشح أيضاً . وقد ذكر فيها طائفة أخرى أيضاً .
وفي آخر الشرح المذكور بخط صاحب الأسفار :

١ . الكافي ٢ : ٣٢٣ ، ح ٣ ، باب البذاء .

٢ . الأربعون حديثاً : ٣٢٢ .

٣ . أدب الكاتب : ٥٦٧ .

٤ . الرواشح السماويّة : ١٤٢ .

اتَّفَق الفراغ من مَشَقَّة مَشَقِّهِ يوم السبت ثمان وعشرين من شهر صفر، خُتِم بالخير والظفر سنة ست وألف من هجرة سيّد المرسلين عليه وآله أفضل صلوات المصلّين على يد الفقير إلى الله الغنيّ، صدر الدين محمّد الشيرازي وفقّه الله للعمل في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده بمحروسة قزوين، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً.

وفي الحاشية ممّا قاله أدام الله تعالى ظلاله في تاريخه :

لقد تمّ تأليف هذا الكتاب وتمّ الأحاديث تاريخها

قوله : «وحاشية الاثني عشرية للشيخ حسن» الاثنا عشرية في الطهارة والصلاة، وهي موجودة عندي، وقد ذكر بعض تلاميذ العلامة المجلسي - على ما في آخر جلد إجازات البحار - أنّ الحاشية كانت موجودة عنده^١، ومن هذا يظهر أنّها كانت نادرة الوجود، كما هو الحال في الحال، لكنّها موجودة عندي أيضاً، ولم يأت الشيخ البهائي في الحاشية بذكر اسم المصنّف؛ أعني الشيخ حسن، ولعلّ لشدة اشتهاار الاثني عشرية، لا المضايقة عن التسمية من باب تقليل الاعتناء، كما أشار إلى الاشتهاار في أوّل الحاشية.

ويرشد إليه أنّ السيّد السند التفرشي في ترجمة فيض الله التفرشي عدّ من كتبه شرح الاثني عشرية، ولم يذكر صاحب الاثني عشرية^٢، والمقصود الاثنا عشرية المذكورة، هذا.

وقد عبّر شيخنا البهائي بـ «بعض أفاضل المعاصرين» في أوائل مشرقه عند الكلام في كون التزكية من باب الشهادة أو خبر الواحد^٣، والمقصود هو صاحب المعالم في المنتقى.

١. بحار الأنوار ١٠٧ : ١٧٠. والمقصود به عبد الله بن عيسى التبريزي المشهور بالأفندي، صاحب كتاب رياض

العلماء المتوفى ١١٣٠ هـ ق.

٢. نقد الرجال ٤ : ٣٣ / ٤١٥٨.

٣. مشرق الشمسين : ٤٦.

وقد عبّر عنه أيضاً بـ «بعض المعاصرين» في تعليقات الزبدة في باب الترجيح عند الكلام في الترجيح بقلة الوساطة^١؛ حيث إنه اعترض على العلامة في النهاية - على الاستدلال على الترجيح بقلة الوساطة بقلة الكذب والغلط والسهو فيما قلت الوسائط فيه بالنسبة إلى ما كثرت الوسائط فيه - بأنّ عالي السند يضعف الاعتماد عليه؛ لندرة طول العمر زيادةً على العادة، فتطرق احتمال الكذب أو الغلط إليه أكثر من تطرقه إلى ما يعارضه.

واعترض على الاعتراض صاحب المعالم بأنّ تأثير الدور في مثله غير معقول. قال شيخنا البهائي - بعد أن عبّر عنه ببعض المعاصرين - : «وظني أنّ هذا المعاصر لم يفهم ما قصده العلامة».

وقد ذكر الفاضل أول المجلسين في أوائل شرح مشيخة الفقيه : «أنّه بالغ بعض الأصحاب - المقصود به صاحب المعالم - في اشتراط العدلين في المزكي ردّاً على شيخنا البهائي، وذكر شيخنا البهائي وجوهاً في الردّ عليه»^٢.

أقول : إنّ ما حكى عن شيخنا البهائي فقد سمعته، وأمّا ما حكى عن صاحب المعالم فقد عبّر في المعالم والمنتقى في باب اشتراط العدلين في التزكية ببعض الفضلاء المعاصرين ونحوه^٣، لكن ليس ما حكى من كلام شيخنا البهائي في المشرق والزبدة، ولعله من كلامه في حاشية الخلاصة.

ثمّ إنّّه قد ذكر الشيخ علي في الدر المنثور:

أنّه طلب صاحب المعالم عن المقدّس شيئاً من خطّه ليكون عنده تذكّراً، فكتب له بعض الأحاديث في صفحة قدر ورقة، وكتب في آخرها : «كتبه العبد

١. أنظر زبدة الأصول للبهائي : ١٢٥.

٢. روضة المتّقين ١٦ : ١٧.

٣. أنظر المعالم : ٢٠٤؛ ومنتقى الجمان : ١٤.

لمولاه امتثالاً لأمره ورجاءً لتذكره وعدم نسيانه إياه في خلواته وعقيب صلواته، وفقه الله لما يحبّه ويرضاه بمنّه وكرمه بمحمد وآله» وفي تلك الصحيفة صفحة بخطّ شيخنا البهائي كتب فيها كلماتٍ حكميّة، وفي آخرها: «كتب هذه الكلمات امتثالاً لأمر سيّده صاحب الكتاب - حُرس مجده، وكُبت ضده - أقلّ العباد بهاء الدين محمد البهائي أصلح الله شأنه سائلاً منه إجراءه على خاطره الخطير سيّما في حال الإنابات ومظانّ الإجابات، وذلك سنة ٩٨٣.

قال: وكان اجتماعهما برك نوح لما سافر الشيخ بهاء الدين إلى تلك البلاد، ولما رجع إلى العراق، اشتغل بالتدريس والتصنيف، وقرأ عليه والذي جملة من كتب العلوم معقولاً ومنقولاً أصولاً وفروعاً، حتّى إنّه قرأ عليه شرح الشرائع من أوّله إلى آخره على ما بلغني والمنتقى والمعالم، وتخرّج عليه، وقرأ مدارك السيّد محمد وشرح مختصره^١.

وأيضاً ذكر: أنّ أخاه الشيخ زين الدين بعد اشتغاله في بلاده في أوّل الأمر على تلامذة أبيه وجدّه سافر إلى العراق في أوقات إقامة والده في بلاده، وكان يتوقّع من والده زيادة عمّا أظهر له من المحبّة، وكان إذ ذاك في سنّ الشباب فسافر إلى بلاد العجم، ولما قدمها أنزله شيخنا البهائي في منزله وأكرمه إكراماً تامّاً، وبقي عنده مدّة طويلة، وكان في تلك المدّة مشغلاً عنده قراءةً وسماعاً لمصنّفاتهِ وغيرها، وكان يقرأ أيضاً عند غيره من الفضلاء في تلك البلاد في العلوم الرياضيّة وغيرها.

قال: ولما انتقل الشيخ بهاء الدين في السنة التي توفي فيها والذي - وهي سنة ثلاثين بعد الألف - سافر إلى مكّة المشرفة^٢.

أقول: إنّ شيخ زين الدين المذكور قد أجاز لصاحب الوسائل كما ذكره في آخر

١. الدرّ المنثور ٢: ١٩٩.

٢. الدرّ المنثور ٢: ٢١٣.

الوسائل^١ وعَنُونَهُ في الأمل^٢، وله ابن شيخ حسن، عنونه في الأمل^٣، كما أنَّ للشيخ علي ابن شيخ زين الدين، عنونه في الأمل^٤، وما أندر! بل لم يقع طول العلم في أعقاب عالم ما وقع من طول العلم في أعقاب الشهيد الثاني، بل كثيراً ما لم يتجاوز العلم عن العالم.

وما أشدَّ مناسبةً بحال أولاد العلماء - السالكين مسلك الجهل المُنْصَنِّعين لأنفسهم ولاَبائهم بل لنوع أهل العلم - ما قيل :

يعزّ على أسلافكم يا بني العُلا إذا نال من أعراضكم شتمٌ شاتم
بَنُوا لكم مجد الحياة فما لكم أسأتم إلى تلك العظام الرمائ
وقد سمعت أنَّ بعض أكابر الأواخر قال - مشيراً إلى بعض أولاده - : «إنَّه يسافر بعدي ويهرزني في القبر».

ثم إنَّ وفاة صاحب المعالم كان قبل وفاة شيخنا البهائي بتسعة عشر أو عشرين ؛ لأنَّ صاحب المعالم كان وفاته في سنة أحد عشر وألف على ما ذكره في الدرّ المنثور، قال : «ولا يحضرني خصوص الشهر واليوم» ووفاة شيخنا البهائي في الثلاثين أو إحدى وثلاثين بعد الألف، كما يظهر ممَّا يأتي.

ومولد صاحب المعالم على ما حكاه في الدرّ المنثور عن خطّه في العشر الأخير من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وتسعمائة، وعلى ما حكاه فيه عن خطّه عن خطِّ والده الشهيد عشية الجمعة سابع عشر شهر رمضان من السنة المذكورة، فيسِنَّه اثنتان وخمسون سنة وشيء كما في الدرّ المنثور.

١. وسائل الشيعة ٣٠ : ١٧٠، الفائدة الخامسة.

٢. أمل الآمل ١ : ٨٤ / ٩٣.

٣. أمل الآمل ١ : ٤٦ / ٦٣.

٤. أمل الآمل ١ : ١٢٠ / ١٢٦.

ثم إنه قد ذكر بعض في حاشية الأمل أنّ صاحب الأسفار كان من تلاميذ شيخنا البهائي والسيد الداماد، وهو قد أظهر إجازتهما له في أوّل كتاب العقل والجهل؛ حيث قال :

حدّثني شيخي وأستاذي، ومن عليه في العلوم النقلية استنادي، عالم عصره وفريد دهره، بهاء الحقّ والدين محمد العاملي الحارثي الهمداني نور الله قلبه بالأنوار القدسية عن والده الماجد المكرّم وشيخه المجدّ المعظم الكامل الفاضل حسين بن عبد الصمد أفاض الله على روحه الرحمة والرضوان وأسكنه دار الجنان .

إلى أن قال :

وأخبرني سيدي وسندي واستنادي في المعالم الدينية والعلوم الإلهية والمعارف الحقيقية والأصول اليقينية، السيد الأجلّ الأنور، العالم المقدّس الأزهر، الحكيم الإلهي والفقيه الربّاني، سيّد عصره وصفوة دهره، الأمير الكبير والبدر المنير، علامة الزمان أعجوبة الدوران، المسمّى بمحمد، الملقّب بباقر الداماد الحسيني قدّس الله عقله بالنور الربّاني. إلى آخر الإجازة^١.

لكن لم يذكر في جلد إجازات البحار إجازتهما له، مع ذكر إجازة كلّ واحد منهما لطائفة^٢ ولا بأس به، كما أنّه في إجازة السيّد الداماد قد ذكر هنا سلسلة الإجازة^٣، وأمّا ما في البحار من إجازات السيّد الداماد فهو خالٍ عن ذكر سلسلة الإجازة^٤ إلا أنّ بعض من أجاز وذكر إجازته في البحار، وكان مجيز المجيز

١. شرح أصول الكافي: ١٦.

٢. بحار الأنوار ١٠٧: ٣- ٥ مثل إجازة السيّد الداماد إلى السيّد حسين بن السيّد حيدر الكرّكي، وفي ص ٢٣

إجازة الشيخ البهائي إلى حسن بن عبد الله الشوشتری، وفي ج ١٠٦: ١٥٧ إجازة البهائي للسيّد أحمد.

٣. شرح أصول الكافي: ١٦.

٤. أنظر بحار الأنوار ١٠٧: ١٠٦، ٦٠٣، ١٥٢ و ١٥٦.

منحصرأ في السيّد الداماد ذكر سلسلة إجازة السيّد الداماد، وإجازة ذلك المجيز فارسيّة .

ومقتضى تقديم شيخنا البهائي على السيّد الداماد - مع مضاعفة مدح السيّد الداماد، بل زيادة مدحه على الضعف - كون شيخنا البهائي أعزّ من السيّد الداماد، وإن كان عزّ السيّد الداماد على وجه صار موجباً لخوف الشاه عبّاس من خروجه عليه، على ما حكاه في السلافة^١ نقلاً.

ويرشد إلى ذلك أنّ الأمل جعل السيّد الداماد معاصراً لشيخنا البهائي^٢، فضلاً عمّا ذكر كراراً في التراجم من معاصرة صاحب الترجمة لشيخنا البهائي لاتّحاد عصر شيخنا البهائي والسيّد الداماد، وقد جعل في السلافة شيخنا البهائي مقدّماً على السيّد الداماد ومجدّد المذهب كما مرّ، لكن قال في أثناء مدح السيّد الداماد: «والله إنّ الزمان بمثله لعقيم»^٣.

ولعلّ تقديم شيخنا البهائي، أو جعل السيّد الداماد معاصراً لشيخنا البهائي، أو ذكر المعاصرة لشيخنا البهائي في ترجمة جماعة، أو نسبة تجديد المذهب إلى شيخنا البهائي من جهة كون العمدة في السيّد الداماد هو المعقول، بخلاف شيخنا البهائي، وتقدّم أرباب المنقول على المعقول في الرسوم الظاهرة، ولا سيّما في باب تجديد المذهب، بل لا مجال لنسبته بملاحظة الاستيلاء في المعقول.

وقال في اللؤلؤة بعد قطعة من الكلام في الحارثي بعد الكلام في نسب شيخنا البهائي :

وكان هذا الشيخ علامةً فهامةً محقّقاً، دقيق النظر، جامعاً لجميع العلوم، حسن التقرير، جيّد التحرير، بديع التصنيف، أنيق التأليف حتّى قال في كتاب سلافة العصر

١. سلافة العصر: ٤٨٥-٤٨٧.

٢. أمل الآمل ٢: ٢٤٩.

٣. سلافة العصر: ٢٨٩.

بعد الإطراء عليه : « وما مثله ومن تقدّمه من الأفاضل والأعيان إلّا كالملّة المحمّديّة المتأخّرة عن الملل والأديان جاءت آخرّاً ففاقت مفاخرّاً » انتهى^١.

وكان رئيساً في دار السلطنة أصفهان، وشيخ الإسلام فيها، وله منزلة عظيمة عند سلطانها الشاه عبّاس، وله صتّف كتاب الجامع العبّاسي، وربما طعن عليه بالقول بالتصوّف؛ لما يترأى من بعض كلماته وأشعاره.

والحقّ في الجواب عن ذلك ما أفاده المحدث العلامة السيّد نعمّة الله الجزائري التستري رحمته من أنّ الشيخ المذكور كان يعاشر كلّ فرقةٍ ومِلّةٍ بمقتضى طريقتهم ودينهم ومِلّتهم وما هم عليه، حتّى أنّ بعض علماء العائمة ادّعى أنّه منهم، قال السيّد المذكور : « فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح وكان معي فعجب من ذلك » وذكر جملة من الحكايات المؤيّدّة لما ذكره، ثمّ استدلّ بقوله في قصيدته التي في مدح القائم عجل الله فرجه :

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
وأظهر أنّي مثلهم تستفزّني صروف الليالي باختلاء وإمراري
وطعن عليه بعض مشايخنا المعاصرين أيضاً بأنّ له بعض الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد « أنّ المكلف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده ولا يخلّد في النار وإن كان بخلاف أهل الحقّ ».

قال : وهو باطل قطعاً ؛ لأنّه على هذا يلزم أن يكون علماء أهل الضلال ورؤساء الكفّار غير مخلّدين في النار إذا أوصلتهم شبههم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك من غير اتّباع لأهل الحقّ كأبي حنيفة وأحزابه^٢.

١ . سلافة العصر : ٢٨٩.

٢ . « ن ل » : « وأضرابه ».

٣ . أنظر لؤلؤة البحرين : ١٩. والمقصود به الشيخ المحدث الصالح عبد الله بن صالح البحراني. أنظر روضات

أقول : وعندي فيه نظر ؛ إذ يمكن أن يقال : لا نسلم أن علماء أهل الضلال قد بذلوا الجهد في طلب الحق ولم يقفوا عليه حتى يتم الإيراد بهم كما توهمه رحمته ، سيما والله تعالى يقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^١ فإننا نقول : يجوز أن يكون منهم من لم يبذل الجهد ، وإنما جمد على بعض الأسلاف عصبيةً ، ومنهم من بذل الجهد وظهر له الحق ، ولكن يحب الجاه والدولة والسلطان ؛ حيث إن ذلك في جانبهم قاده يد الشقاوة إلى الحمية والبقاء ، ولذلك قيل : لا يكون العالم سنيّاً بل السني عالمّاً .

وإلى ما ذكرنا يشير تصريح جملة من علمائهم - كما أوضحناه في كتاب سلاسل الحديد - بمخالفة جملة من السنن النبوية من طرقهم ؛ لأن الشيعة ملازمة عليها كمسألة تسطیح القبور ونحوها ، ومن المعلوم أن من بذل وسعه في تحصيل الدليل ولم يهتد إليه فهو معذور عقلاً ونقلاً .

ولكنّا نقول : هؤلاء المخالفون ونحوهم ليسوا كذلك ، بل حالهم لا يخلو عن أحد الأمرين المذكورين ، كما أوضحناه في صدر كتابنا الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب ، فلا يرد ما أورده شيخنا المذكور^٢ .

ثم ساق الكلام في بيان تصانيف شيخنا البهائي بما تقدّم من الأمل^٣ فقال : وكان مولد شيخنا المذكور ببعلبك غروب الشمس يوم الخميس ثلاث عشرة بقين من شهر المحرم السنة الثالثة والخمسين والتسعمائة ، وتوفي لاثنتي عشرة خلون من شوال السنة الحادية والثلاثين بعد الألف ، وقيل : سنة الثلاثين بعد الألف^٤ .

١ . العنكبوت (٢٩) : الآية ٦٩ .

٢ . لؤلؤة البحرين : ١٨ - ٢٠ .

٣ . أمل الآمل ١ : ١٥٥ .

٤ . لؤلؤة البحرين : ٢٢ .

وفي اللؤلؤة في ترجمة الصدوق :

وجدت بخطّ شيخنا الشيخ أبي الحسن سليمان بن عبد الله البحراني ما صورته ؛ قال : أخبرني جماعة من أصحابنا قالوا : أخبرنا الشيخ الفقيه المحدث سليمان بن صالح البحراني قال : أخبرني العالم الربّاني الشيخ عليّ بن سليمان البحراني قال : أخبرني الشيخ العلامة البهائي عليه السلام وقد سئل عن ابن بابويه فعّدله ووثّقه وأثنى عليه وقال : سئلت قديماً عن زكريّا بن آدم والصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه : أيّهما أفضل وأجلّ مرتبةً ؟ فقلت : زكريّا بن آدم ؛ لتواتر الأخبار بمدحه ، فرأيت شيخنا الصدوق عاتباً عليّ حتّى قال : من أين ظهر لك فضل زكريّا بن آدم عليّ وأعرض^١.

وفي أواخر اللؤلؤة :

نقل المحدث السيّد نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية قال : يعجبني نقل مباحثة جرت بين شيخنا البهائي عليه السلام وبين عالم من علماء مصر وهو أعلمهم وأفضلهم ، وقد كان شيخنا البهائي - طاب ثراه - يُظهر لذلك العالم أنّه على دينه ، فقال له : ما تقول الرافضة الذين قبلكم في الشيخين ؟ فقال شيخنا البهائي : قد ذكروا لي حديثين فعجزت عن جوابهم ، فقال : ما يقولون ؟ فقال : يقولون : إنّ مسلماً روى في صحيحه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « من آذى فاطمة فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فقد كفر »^٢ وروى بعد هذا الحديث بخمسة أوراق « أنّ فاطمة خرجت من الدنيا وهي ساخطة غاضبة على أبي بكر وعمر » ما التوفيق بين الحديثين ؟ فقال له العالم : دعني الليلة أنظر ، فلمّا صار الصبح جاء ذلك العالم فقال للشيخ البهائي : ألم أقل لك أنّ الرافضة تكذب في نقل الأحاديث ، البارحة طالعت

١ . لؤلؤة البحرين : ٣٧٥ . ونقله عنه البحراني في الكشكول ٢ : ١٢٦ .

٢ . صحيح مسلم ٥ : ٩٤ .

الكتاب فوجدت بين الحديثين أكثر من خمسة أوراق^١.
وقال [المحبّي] في خلاصة الأثر بعد طائفة من الكلام في مدحه : « ذكر
الشهاب في كتابه وبالع في الثناء عليه ».
ثم قال : وقد أطال أبو المعالي الطالوي^٢ في الثناء عليه وكذلك البديعي^٣. ونصّ
عبارة الطالوي في حقّه : « وُلد بقزوين وأخذ عن علماء تلك الدائرة ثم خرج من بلده
وتنقّلت به الأسفار إلى أن وصل إلى أصفهان، فوصل خبره إلى سلطانها شاه
عبّاس، فطلبه لرئاسة علمائها، فولّوها وعظم قدره، وارتفع شأنه، إلّا أنّه لم يكن
على مذهب الشاه في زندقته؛ لانتشار صيته في سداد دينه إلّا أنّه غالى في حبّ آل
البيت^٤ ».

ثم قال : وكان يجتمع مدّة إقامته بمصر بالأستاذ محمّد بن أبي الحسن البكري،
وكان الأستاذ يبّالغ في تعظيمه، فقال له مرّة : يا مولانا أنا درويش فقير كيف
تُعظّمني بهذا التعظيم؟! قال : شممت منك رائحة الفضل^٥.
ثم قال : ثمّ قدم القدس. قال : وحكى الرضي بن أبي اللطف المقدسي قال : ورد
علينا من مصر رجل من مهاجرة محترم، فنزل من بيت المقدس بفناء الحرم، عليه
سيماء الصلاح، وكان يألف من الحرم فناء المسجد الأقصى ولم يسند إليه أحد مدّة
الإقامة نقصاً، فألقني في روعي أنّه من أكابر العلماء الأعظم وأجلّة أفاضل

١. حكاها في لؤلؤة البحرين : ٤٣٦ ونقله عنه البحراني في كشكوله ١ : ٣٤٤؛ وانظر روضات الجنّات ٧ : ٧١
حيث فيه : « عن صحيح البخاري ».

٢. هو درويش محمّد بن أحمد الطالوي الأرتقي المتوفى عام ١٠١٤ (هـ) له كتاب سانحات دمی القصر في
مطارحات بني العصر.

٣. هو يوسف البديعي الدمشقي الحلبي المتوفى عام ١٠٧٣ (هـ) له كتاب الحدائق في الأدب.

٤. خلاصة الأثر ٣ : ٤٤١؛ سانحات دمی القصر ٢ : ١٢٧. وانظر أعيان الشيعة ٩ : ٢٤١.

٥. سانحات دمی القصر ٢ : ١٢٧. ونقله المحبّي في خلاصة الأثر ٣ : ٤٤١.

الأفاحم^١، فما زلت لخاطره أتقرّب، ولما لا يرضيه أتجنّب، فإذا هو ممّن يُرحل إليه للأخذ عنه، ويُشدّ الرحال للرواية عنه، يسمّى بهاء الدين محمّد الحارثي، فسألته عند ذلك القراءة في بعض العلوم فقال: بشرط أن يكون ذلك مكنوناً^٢، وقرأت عليه شيئاً من الهيئة والهندسة، ثمّ سافر إلى الشام قاصداً بلاد العجم^٣.

وقد ذكر بعد هذا: أنّه لمّا ورد بدمشق نزل منزل بعض التجّار الكبار، وكان يطلب - على ما سمع كثيراً - الاجتماع بالحسن البوريني، فأحضره له التاجر الذي نزل منزله وتأتّق في الضيافة، ودعا غالب فضلاء محلّتهم، فلمّا حضر البوريني إلى المجلس رأى فيه صاحب الترجمة بهيئة السيّاح وهو في صدر المجلس والجماعة محدقون به، وهم متأدّبون غاية التأدّب، فعجب البوريني وكان لا يعرفه ولم يسمع به فلم يعبأ به ونحّاه عن مجلسه وجلس غير ملتفتٍ إليه، وشرع على عادته في بثّ رقائقه ومعارفه إلى أن صلّوا العشاء.

ثمّ جلسوا فابتدر البهائي في نقل بعض المناسبات، وانجرّ إلى الأبحاث، فأورد بحثاً في التفسير عويصاً، فتكلّم عليه بعبارة سهلة فهمها الجماعة كلّهم، ثمّ دقّق في التعبير حتّى لم يبق يفهم ما يقول إلّا البوريني.

ثمّ أغمض في العبارة فبقي الجماعة كلّهم والبوريني معهم صموتاً جموداً لا يدرون ما يقول، غير أنّهم يسمعون تراكيب واعتراضات وأجوبة تأخذ بالألباب، فعندها نهض البوريني واقفاً على قدميه وقال: إن كان ولا بدّ فأنت البهائي الحارثي إذ لا أجد بهذه المثابة إلّا ذاك واعتنقا وأخذنا بعد ذلك في إيراد أنفس ما يحفظان، وسأل البهائي من البوريني كتمان أمره واقتربا تلك الليلة، ثمّ لم يقم

١. في المصدر: «الأعاجم».

٢. في المصدر: «مكتوماً».

٣. سانحات دمی القصر ١٢٨: ٢ ونقله المحبّي في خلاصة الأثر ٣: ٤٤٢؛ وانظر أعيان الشيعة ٩: ٢٤١.

البهائي فأقلع إلى حلب.

وذكر الشيخ أبو الوفا العرضي في ترجمته قال :

قدم حلب مستخفياً في زمن السلطان مراد بن سليم مغيراً صورته بصورة رجل درويش، فحضر درس الوالد يعني الشيخ عمر، وهو لا يُظهر أنه طالب علم حتى فرغ من الدرس، فسأله عن أدلة تفضيل الصديق على المرتضى، فذكر حديث «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر»^١، وأحاديث مثل ذلك كثيرة^٢. فردّ عليه، ثم أخذ يذكر أشياء كثيرة تقتضي تفضيل المرتضى فشتمه الوالد وقال له : رافضي شيعي وسبه، فسكت.

ثم إنَّ صاحب الترجمة أمر بعض تجّار العجم أن يصنع وليمة ويجمع فيها بين الوالد وبينه، فاتّخذ التاجر وليمة ودعاها فأخبره أنّ هذا هو المَلّا بهاء الدين عالم بلاد العجم، فقال للوالد : شتمتمونا، فقال له : ما علمت أنّك المَلّا بهاء الدين، ولكنَّ إيراد مثل هذا الكلام بحضور العوام لا يليق، ثمّ قال : أنا سنّي أحبّ الصحابة، ولكن كيف أفعل سلطاننا شيعي ويقتل العالم السنّي، قال : وكان كتب قطعة من التفسير باسم شاه عبّاس فلمّا دخل بلاد السنّة قطع الديباجة وبدّلها، وذكر أنّه كتب ذلك باسم السلطان مراد، ولمّا سمع بقدومه أهل جبل عامل تواردوا عليه أفواجاً أفواجاً، فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب. انتهى^٣.

وسياق كلام العرضي يقتضي أنّ دخوله في حلب كان في خروجه من العجم قاصداً للحجّ.

١. سنن الترمذي ٥/ ٩١٨ / ٣٦٨٤، باب مناقب عمر؛ وانظر كنز العمال ١١/ ٥٥٧ / ٣٢٦٢٢.

٢. أنظر صحيح مسلم ٥/ ٧-١٧، الباب ١ فضائل أبي بكر؛ وسنن الترمذي ٥/ ٦٠٦، الباب ١٤ والباب ١٥، باب مناقب أبي بكر وعمر.

٣. معادن الذهب : ٢٨٧ / ٥٤ ونقله المحبّي في خلاصة الأثر ٣/ ٤٤٣، وانظر أعيان الشيعة ٩/ ٢٣٧.

[وفاة الشيخ البهائي] :

وقد ذكر بعض المنجمين^١ : أنَّ في سنة ألف وثلاثين تطرَّق رجوع المريخ في العقرب، فتطرَّق في الخاطر بعد كمال التدبُّر أنَّه يموت من العلماء مَنْ يوجب موته وهنا في المذهب، ولَمَّا كان الشيخ البهائي أكمل علماء الزمان فغلب على الظنَّ أنَّه يموت، وكان السلطان شاه عباس في أشرف المازندران وذكرت له الواقعة وقلت : لا تصل الدغدغة إلى الخاطر؛ فإنَّ الدولة قويَّة، ولا مفرَّ عن القضاء، وبعد أربعة أشهر صار الشيخ مريضاً في أسبوع ومات، ثمَّ مات بعده الشيخ محمد سبط الشهيد الثاني^٢.

أقول : إنَّ مقتضى ما ذكر كون وفاة شيخنا البهائي في سنة ثلاثين بعد الألف وهو مقتضى ما تقدَّم من الشيخ علي ما في الدرِّ المنثور من أنَّ وفاته كانت في السنة التي توفيَّ فيها والده، وهي سنة ثلاثين بعد الألف. وقد حكى أيضاً عمَّن صاحب ولده أنَّه كتب تاريخ وفاة والده وعيَّنه في ليلة الاثنين العاشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاثين بعد الألف.

فمقتضى ما سمعت من بعض المنجمين - من أنَّ وفاة الشيخ محمد كانت في سنة وفاة شيخنا البهائي - هو كون وفاة شيخنا البهائي في سنة ثلاثين بعد الألف، وهو مقتضى ما حكاه في الأمل عن المشايخ كما تقدَّم^٣، وكذا ما حكاه في اللؤلؤة عن قائل كما تقدَّم أيضاً، لكن قد تقدَّم عن الأمل أنَّه حكى عن السلافة أنَّ شيخنا

١. المقصود ببعض المنجمين هو الفاضل المولى مظفر المنجم في كتاب تنبيهات المنجمين، راجع : خاتمة

المستدرك ٢ : ٨١، الفائدة الثالثة.

٢. الدرِّ المنثور ٢ : ٢١٣.

٣. أمل الآمل ١ : ١٥٨.

٤. لؤلؤة البحرين : ٢٢.

البهائي توفي في سنة إحدى وثلاثين^١، وتقدّم أيضاً عن اللؤلؤة القول به^٢. ويمكن أن يقال: إنه لا منافاة بين ما ذكره بعض المنجّمين وما قيل من أن وفاة شيخنا البهائي كانت في سنة إحدى وثلاثين بعد الألف؛ لأنّه لم يذكر أن الوفاة كانت في سنة ثلاثين، بل ذكر أن رجوع المريخ في العقرب كان في سنة ثلاثين، فلعلّ الرجوع كان في أواخر سنة ثلاثين، وكان القضاء أربعة أشهر، أعني زمان الوفاة في سنة إحدى وثلاثين.

اللهمّ إلا أن يلزم كون رجوع المشتري في غير أواخر السنة على حسب قواعد الهيئة.

لكن منافاة ما جرى عليه في الأمل واللؤلؤة، وما حكاه الأوّل عن المشايخ وحكاه الثاني عن قائل، بحالها.

[قصص وحكم]:

وفي آخر الجامع العبّاسي حكى نظام الساوجي: أنّه سمع عن شيخنا البهائي أن يوماً حضر السلطان مجلس درس الشيخ وكان البحث في العاقلة، فسأل السلطان عن معنى العاقلة، فأجاب الشيخ بأنّ العاقلة جماعة يؤخذ منهم الدية لو قتل شخص خطأً، فقال السلطان: ما الحكمة في أخذ الدية من الجماعة، مع كون الجناية خطأً من غيرهم؟ فأجاب الشيخ بأنّ الظاهر أنّ الحكمة أنّ الجماعة لمّا علموا أنّ الدية تؤخذ منهم فيمانعون القريب عن الملاهي الموجبة للقتل خطأً، ويحافظونه عنها؛ فينسدّ طريق قتل الخطأ. فقال السلطان: إنّ الحكمة أنّ الجماعة لمّا أخذت الدية منهم فيصير القريب خجلاً منهم ولا يأتي بالقتل الخطأ

١. سلافة العصر: ٢٩١؛ وانظر أمل الآمل ١: ١٥٨.

٢. لؤلؤة البحرين: ٢٢.

بعد ذلك^١.

ومن شيخنا البهائي في حاشية الفقيه عند الكلام في نجاسة ما لا تحلّه الحياة من نجس العين أنّه قال :

إنّ سلطان زماننا - خلد الله ملكه ، وأجرى على بحار التأييد فُلْكه - عَرَضَ له يوماً - وهو في مَصيدة - خنزيرٌ عظيم الجثّة ، طويل السنّ الخارج ، فضربه بالسيف ضربة نصّفه بها ، ثمّ أمر بقلع سنّه والإتيان بها إليه ، فوجد مكتوباً عليها لفظ الجلالة بخطّ بيّن ، فحصل له ولنا ولمن حضر المصيدة من العسكر المنصور نهاية التعجّب ؛ فإنّ ذلك من أغرب الغرائب .

ولمّا أَرَانِيهَا - أدام الله نصره وتأييده - قال لي : كيف يجتمع هذا مع نجاسة الخنزير ، فعرضت لديه أنّ السيّد المرتضى قائل طهارة ما لا تحلّه الحياة من نجس العين^٢ ، ووجود هذا الخطّ على هذا السنّ ربما يؤيّد كلامه طاب ثراه فإنّ السنّ ممّا لا تحلّه الحياة .

وكان بعض الأطباء حاضراً في المجلس الأشرف ، فقال لي : قد صرّح الشيخ في القانون بأنّ بعض العظام لها حياة ، وأنّ السنّ من جملة تلك العظام ، فتكون ممّا تحلّه الحياة البتّة .

فقلت له : كلام ابن سينا غير رائج عندنا بعدما نقله علماؤنا - قدّس الله أرواحهم - عن أئمتنا - سلام الله عليهم - من أنّ السنّ ممّا لا تحلّه الحياة ، وأنّها كالظفر والشعر والقرن ، فحرّك رأسه ولوى عنقه مشمئزاً ممّا قلته استعظماً لابن سينا ، فأردت كسر سورة استعظامه ، فقلت له : إنّ لي مع ابن سينا في هذا المقام بحثاً لا مخلص له منه ، وهو أنّه ناقض نفسه في هذا الكلام الذي نقلته أنت عنه ؛ لأنّه ذكر في بعض أمراض

١ . الجامع العبّاسي : ٤٥٣ .

٢ . المسائل الناصريّة (ضمن الجوامع الفقهيّة) : ١٨٢ .

الأسنان من القانون أنها من جملة العظام التي ليس لها حسّ، وقال في بحث تشريح الأسنان: ليس لشيء من العظام حسّ إلاّ الأسنان، وظاهر أنّ تلك العبارة موجبة جزئية فيثبت الحسّ للبعض، وتلك سالبة كلية تنفيه عن الكلّ، وهل هذا إلاّ عين التناقض؟! فطأطأ رأسه وقال: أراجع القانون، فقلت: راجعه ألف مرّة^١.

أقول: إنّ نظير ما أورد به شيخنا البهائي على ابن سينا ما أورد به الوالد الماجد - على ما ذكره في نهاية الإحكام والمدارك - من أنّ الصلاة أفضل الأعمال استدلالاً بوجوه^٢.

وحكى أوّل المجلسيين في بعض كلماته عن شيخنا البهائي: أنّه حكى أنّه أراد أن يزور مع شاه عبّاس قبر بابا يزید، فمنع منه عالم شیرازی، وقال: إنّهُ سنيّ، فقال شيخنا البهائي للعالم المشار إليه: ليس لك أن تطعن في أهل جبل عامل بالتسنن، على رؤوس بيوتكم مكتوب:

سنيان! لعن بر امام شما بر نماز على الدوام شما

نا تمامید در مسلمانی ای دو صد لعن بر تمام شما

فأصرّ شيخنا البهائي في حسن حال بابا يزید، فذهب مع شاه عبّاس إلى قبر بابا يزید ليزوراه، وكان هناك مثنوي فتفألاً في حال بابا يزید فجاء:

از برون طعنه زنی بر با يزید از دورونت ننگ می دارد يزید

وحكى أوّل المجلسيين أيضاً في رسالته العملية عن شيخنا البهائي أنّه قال:

«من أتى بقراءة دعاء أبي حمزة المعروف، فهو سكران محبّة الله سبحانه مدّة أسبوع».

وحكى العلامة المجلسي في البحار، وكذا في الرسالة المعمولة في الاستخارة

١. حاشية الفقيه غير موجودة لدينا.

٢. أنظر نهاية الإحكام ٣٠٧:١؛ ومدارك الأحكام ٣:٦.

المسمّاة بمفاتيح الغيب وهي فارسيّة :

أنّه سمع عن والده يروي عن شيخه البهائي أنّه كان يقول : سمعنا مذاكرة عن مشايخنا عن القائم صلوات الله عليه في الاستخارة بالسبحة أنّه يأخذها ويصلي على النبيّ صلوات الله عليه وعليهم ثلاث مرّات، ويقبض على السبحة، ويعدّ اثنتين اثنتين، فإن بقيت واحدة، فهو افعّل، وإن بقيت اثنتان، فهو لا تفعل^١.

أقول : قد حكى عن الوالد الماجد ﷺ أنّه كان يقول : إجازة السيّد السند العلي عن مشايخه عن مولانا صاحب ﷺ في باب الاستخارة على ما ذكر.

وحكى في البحار أيضاً عن والده، عن الشيخ البهائي، عن المولى الفاضل جمال الدين محمود ﷺ عن أستاذه العلامة الدواني، عن بعض أصحابه قال :

ذهبت إلى الخلاء فظهرت لي حيّة فقتلتها، فاجتمع عليّ جمّ غفير وأخذوني وذهبوا بي إلى ملكهم وهو جالس على كرسيّ وادّعوا عليّ قتل والدهم وولدهم وقريبهم، فسألني عن ديني، فقلت : أنا من أهل الإسلام، فقال : اذهبوا به إلى ملك المسلمين، فليس لي أن أقضي عليهم بعهد من رسول الله ﷺ، فذهبوا بي إلى شيخ أبيض الرأس واللحية وجالس على سرير، وقعت حاجباه على عينيه، فرفعهما، ولما قصصنا عليه القصّة قال : اذهبوا به إلى المكان الذي أخذتموه منه وخلّوا سبيله؛ فأتني سمعت رسول الله ﷺ قال : «من تزوّى بغير زيّه فدمه هدر»^٢ فجاءوا بي إلى هذا المكان وخلّوا سبيلي^٣.

وذكر في السلافة نقلاً: أنّه أخبرني غير واحد أنّ السلطان شاه عبّاس توجّه إلى زيارة شيخنا البهائي يوماً، فرأى بين يديه من الكتب ما ينوف على الألوف، فقال له

١. بحار الأنوار ٨٨ : ٢٥٠.

٢. أنظر سفينة البحار ١ : ٦٧٥، ٣ : ٥٨٩ حيث فيها : «إنّ أوّل من نقل هذا الحديث هو الشيخ الجنّي».

٣. بحار الأنوار ١٠٧ : ١٢٣ مع تفاوت.

السلطان : هل في العالم عالم يحفظ جميع ما في هذه الكتب ؟ فقال شيخنا البهائي : لا ، وإن يكن فهو الميرزا إبراهيم .

وقد ذكر في السلافة حال الميرزا إبراهيم ، وحكى عنه مكاتبة إلى شيخنا البهائي ، ورأيت في بعض المجاميع مكاتبة من شيخنا البهائي إلى ميرزا إبراهيم ، والظاهر - بل بلا إشكال - اتحاد الكاتب والمكتوب إليه^١ .

وفي المجمع في قرمط : وعن شيخنا البهائي أنه في سنة عشر وثلاثمائة دخلت القرامطة إلى مكة في أيام الموسم ، وأخذوا الحجر الأسود ، وبقي عندهم عشرين سنة ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وممن قتلوا علي بن بابويه وكان يطوف فما قطع طوافه ، فضربوه بالسيف فوقع على الأرض وأنشد :

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا^٢
أقول : القرامطة جيل من الإسماعيلية جمع قرمطي ، كما في حاشية أصول الكافي بخط العلامة المجلسي .

وفي المجمع في السين : قال الشيخ البهائي : قال الشيخ العارف مجد الدين البغدادي ، قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت : ما تقول في حق ابن سينا ؟ فقال ﷺ : « هو رجل أراد أن يصل بلا وساطتي فحجبته هكذا بيدي ، فسقط في النار »^٣ .

[السيد الداماد والشيخ البهائي] :

وقيل : وجدت بخط - قد نقل عن خط - أفضل متأخري الإشرافيين السيد الداماد وأرسله إلى جناب الشيخ البهائي :

١ . سلافة العصر : ٤٨٨ .

٢ . مجمع البحرين ٢ : ٤٩٣ (قرمط) .

٣ . مجمع البحرين ١ : ٤٦٩ .

از قرص فلک بجز جوی بیش مخور
انگشت غسل مخواه و صد نیش مخور
از لقمه الوان شهان دست بدار
خون دل صد هزار درویش مخور

قال الشيخ البهائي في الجواب :

زاهدا به تو طاعت ریا ارزانی
من دامن و بی دینی و بی ایمانی
کر باش چنان میزان بزن
من کافر و من یهودی و نصرانی
وعن السيد الداماد هذا الرباعي أيضاً :

ای سرّ حقیقت ای کان سخا
در مشکل این حرف جوابی فرما
گوئی که خدا بود و دگر هیچ نبود
چون هیچ نبود پس کجا بود خدا
وعن شيخنا البهائي في الجواب :

ای صاحب مسأله تو بشنو از ما
تحقیق بدان که لا مکانست خدا
خواهی که ترا کشف شود این معنی
جان در تن تو بگو کجا دارد جا
وقال السيد الداماد نقلاً في الرسالة التي ألفها في الآداب وأدعية الأيام الأربعة
يوم دحو الأرض، ويوم الغدير، ويوم المولد، ويوم المبعث :

إنّه بعد الفراغ عن الصراط المستقيم بسّنة وثلاثين سنة في قزوين في يوم من
الأيّام الأربعة المذكورة على ظهر مسجد «پنجه علي» كنت جارياً على تعليم
الزيارة للسلطان شاه عباس على تقديم الصلاة على الزيارة، وبعض المعاصرين
- المقصود به شيخنا البهائي - مع کمال شهرته صار معارضاً، وقال على وجه
التعجب : كيف يكون صلاة الزيارة قبل الزيارة، والصلاة لا بدّ أن تكون مؤخّرة،
والفقير قلت في الجواب : وقع اشتباه لكم، لو كانت الزيارة عن قرب، فالصلاة

مؤخرة عن الزيارة، وإن كانت عن بُعد، فالزيارة مؤخرة عن الصلاة، والمجادلة والمناظرة قد طالت، وآخر الأمر أحضرت الكتب، وبالعبارات الصريحة إلزام المعاصر المناظر وإسكاته تحصيل.

ولما كانت المسألة غريبة ودقيقة أذكر بعض عبارات الأصحاب من باب «ليطمئن قلبي» لكيلا تتطرق الوسوسة في خاطر المتعلمين :

قال ابن زهرة الحلبي - وحقق اسمها في كتاب ضوابط الرضاع^١ - في كتاب الغنية هذه العبارة قال : «وأما صلاة الزيارة للنبي ﷺ أو لأحد من الأئمة عليهم السلام فركعتان عند الرأس بعد الفراغ عن الزيارة، فإن أراد الإنسان الزيارة لأحدهم - وهو مقيم في بلده - قدّم الصلاة ثم زار عقيبتها»^٢.

وشيوخ الطائفة أبو جعفر الطوسي - نور الله تعالى مرقده - في كتاب مصباح المتهجد في باب فضل يوم الجمعة روى عن الصادق عليه السلام أنه قال : «من أراد أن يزور قبر رسول الله ﷺ وقبر أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وقبور الحجاج عليه السلام فليغتسل في يوم الجمعة ويلبس ثوبين نظيفين، وليخرج إلى فلاة من الأرض، ثم يصلي أربع ركعات يقرأ فيها ما تيسر من القرآن، فإذا تشهد وسلم فليقم مستقبل القبلة وليقل : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، إلى آخر الزيارة». وفي رواية أخرى «افعل ذلك على سطح دارك».

ويستحب زيارة أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام مثل ذلك بعد أن يغتسل ويعلو سطح داره أو في مفازة من الأرض ويومئ إليه بالسلام ويقول : السلام عليك يا مولاي وسيدي، إلى آخر^٣.

١. ضوابط الرضاع (كلمات المحققين) : ٤٠ الرسالة الأولى.

٢. الغنية (ضمن الجوامع الفقهية) : ٥٠٣.

٣. مصباح المتهجد : ٢٨٩.

وفي زيارة يوم عاشوراء من بعد رواية علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام تقديم الصلاة وتأخير (الزيارة) في المصباح المذكور^١.

وعروة الإسلام أبو جعفر بن بابويه - رضوان الله تعالى عليه - في كتاب من لا يحضره الفقيه ذكر باب ما يقوم مقام زيارة الحسين وزيارة غيره من الأئمة عليهم السلام لمن لا يقدر على قصده لبعد المسافة، روى ابن أبي عمير عن هشام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا بعدت لأحدكم الشقة ونأت به الدار فليصعد أعلى منزله، وليصل ركعتين، وليؤم بالسلام إلى قبورنا، فإن ذلك يصل إلينا»^٢.

وشيخنا الشهيد محمد بن مكي - قدس الله نفسه القدسيّة - في كتاب الذكرى ذكر صلاة الزيارة عن قرب قبر رسول الله أو أمير المؤمنين أو أحد من الأئمة عليهم الصلاة والسلام وقال: «وهي ركعتان بعد الفراغ من الزيارة تصلّي عند الرأس». وبعد هذا قال: «قال ابن زهرة - رحمه الله تعالى -: من زار وهو مقيم في بلده قدّم الصلاة ثم زار عقيبها»^٣.

قوله: «وحققت اسمه في كتاب ضوابط الرضاع» ذكر في المتن أن ابن زهرة هو السيّد عزّ الدين حمزة بن عليّ بن زهرة الحلبي صاحب كتاب الغنية. وحكى في الحاشية عن الذكرى في باب صلاة الجماعة أنّه قال: وقال السيّد عزّ الدين أبو المكارم حمزة بن عليّ بن زهرة: ولا يصحّ الائتتمام بالأبرص والمجذوم والمحدود والزّمن والخصي والمرأة إلّا لمن كان مثلهم؛ بدليل الإجماع وطريقة الاحتياط. ويكره الائتتمام بالأعمى، والعبد، ومن يلزمه التقصير، ومن

١. مصباح المتجّد: ٧٧٣.

٢. من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٦١/١٦١٧، باب ما يقوم مقام زيارة الحسين عليه السلام.

٣. ذكرى الشيعة ٤: ٢٨٧. وانظر الغنية (ضمن الجوامع الفقهيّة): ٥٠٣.

٤. انتهى كلام الداماد في رسالته في الآداب والأدعية ورسالته هذه غير موجودة لدينا.

يلزمه الإتمام، والمتيمّم إلا لمن كان مثلهم^١.
وكذا حكى عن ابن شهر آشوب في معالم العلماء: أنَّ ابن زهرة: حمزة بن عليّ
بن زهرة الحسيني الحلبي وكتابه غنية النزوع^٢.
وذكر في المتن أيضاً: أنَّ ابن زهرة عمّ قدوة المذهب السيّد السعيد محيي الدين
أبو حامد محمد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة^٣.
وفي الأمل في باب الكنى: «ابن زهرة حمزة بن علي بن زهرة»^٤.
وعن رياض العلماء: أنَّه حكى عن بعض نسبة كتاب الوسيلة إلى السيّد حمزة،
يعني ابن زهرة. قال: وهو غلط فاحش، وهو قد ذكر أنَّ المراد بابن حمزة في
الأغلب الشيخ الأجلّ الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن عليّ بن حمزة بن
محمد المشهدي الطوسي المعروف بابن حمزة، وبأبي جعفر الثاني، وبأبي جعفر
الطوسي المتأخّر، وهو صاحب الوسيلة وغيره من المؤلفات.
وقد يطلق أيضاً على الشيخ نصير الدين عليّ بن حمزة بن الحسن الطوسي،
ويطلق أيضاً نادراً على الشيخ نصير الدين عبد الله بن حمزة بن الحسن بن عليّ
الطوسي المشهدي أستاذ قطب الدين الكيدري، وهما أيضاً من سلسلة ابن حمزة
الأوّل، وقد سهى شيخنا المعاصر في باب الكنى من أمل الآمل، وغيره في غيره،
فجعلوا المشهور بابن حمزة هو الشيخ الجليل الحسن بن حمزة الحلبي^٥.

١. ذكرى الشيعة ٤: ٤٠٤، وفيه: «حمزة بن زهرة». وانظر الغنية (ضمن الجوامع الفقهيّة): ٤٩٨، ولم يذكر

الأعمى.

٢. معالم العلماء لابن شهر آشوب: ٤٦.

٣. معالم العلماء: ٤٦.

٤. أمل الآمل ٢: ١٠٥/٢٩٣.

٥. رياض العلماء ١: ١٨١ و ٦: ١٧. وانظر أمل الآمل ٢: ٣٦١، باب الكنى.

أقول : إنّه يتراءى - أي بادي الرأي - أنّ ابن حمزة الثاني والد ابن حمزة الأوّل، لكنّ قوله : « وهما أيضاً من سلسلة ابن حمزة الأوّل » يضايق عنه ؛ إذ لا يطلق على والد الشخص أنّه من سلسلته ، مضافاً إلى أنّ عليّاً في الأوّل سبط محمّد، وفي الثاني سبط الحسن ؛ فعليّ بن حمزة في الثاني غير عليّ بن حمزة في الأوّل.

قوله : « وفي زيارة عاشوراء من بعد رواية علقمة بن محمّد الحضرمي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) » إلى آخره^١ من العجيب كلّ العجب أنّه استند إلى أحد المتعارضين وأغمض عن الآخر ؛ لمعارضة الرواية المذكورة بما رواه صفوان من فعل أبي عبد الله (عليه السلام) من تقديم الزيارة على الصلاة^٢، والتعارض في المقام معروف.

مع أنّ دلالة ذاك الحديث على تقديم الصلاة إنّما تتمّ لو كان ما رواه علقمة عن أبي جعفر (عليه السلام) من أجزاء تلك الرواية « إذا أنت صلّيت الركعتين بعد أن تومئ إليه بالسلام، فقل عند الإيماء إليه من بعد التكبير ». وأمّا لو كان قوله : « فقل » و « قلت » - كما عن بعض النسخ - فمقتضاه تقديم الزيارة.

وبعد هذا أقول : إنّ شيخنا البهائي في الجامع العبّاسي بنى على تقديم الزيارة مطلقاً، وحكى عن بعض المجتهدين القول بتقديم الصلاة في البعيد^٣، ولعلّه كان بعد واقعة السيّد الداماد ؛ بل هو الظاهر ؛ إذ مقتضى ما نقل عنه السيّد الداماد كمال التحاشي عن تقديم الصلاة، ومقتضاه عدم الاطّلاع على القول بتقديم الصلاة من قائل، وقد حكى في الجامع العبّاسي عن بعض المجتهدين القول بتقديم الصلاة

١ . مصباح المتهجّد : ٧٧٣.

٢ . مصباح المتهجّد : ٧٧٧.

٣ . الجامع العبّاسي : ١٦٧.

٤ . أي : لعلّ الحكاية . وتذكير الضمير باعتبار النقل .

للبعيد^١، كما سمعت.

والسيد الداماد قد عُنُون في أواخر الرواشح كلماتٍ وقع التصحيف فيها من معاصريه، وأظهر الحق فيها مع التشنيع على المعاصرين^٢، وكذا عمل رسالة في تلك الكلمات وأتى بالحق والتشنيع؛ والظاهر أن مورد بعض تشنيعاته هو شيخنا البهائي، كما حكي عن بعض معاصريه، وقال:

وهو في ظنّه أعربهم لساناً وأمثلهم طريقة: وهو دعاء زيارة عاشوراء «اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين عليه السلام وشايعت وبايعت وتابعت على قتله» قال: كلتاها بالمثلثة من تحت بعد الألف، وقبلها موحدة في الأولى ومثناة من فوق في الثانية كتخصيص بعد التعميم؛ إذ المبايعه بالباء الموحدة مفاعلة من البيعة بمعنى المعاقدة والمعاهدة، سواء كانت على الخير أم على الشرّ، والمتابعة بالتاء المثناة من فوق، معناها المجازاة والمساواة والمهافاة والمعاوضة على الشرّ، ولا يكون في الخير.

وكذلك التتابع التهافت في الشرّ والتسارع إليه مفاعلةً وتفاعلاً من التبعان، يقال: تاع يتبع تبعاً وتبعاناً: خرج، وتاع الشيء ذاب وسال على وجه الأرض، وتاع إلى كذا: إذا ذهب إليه وأسرع^٣.

وبالجملة، بناء المفاعلة والتفاعل منه لا يكون إلا في الشرّ، والمصحّف المغلاة صحّفها، فظنّها «تابعت» بالتاء المثناة والباء الموحدة^٤.

وسقّم نسخاً قديمة مصحّحة من مصباح المتهجّد بحكّ إحدى النقطتين، وجماهير القاصرين سائرون مسيره في هذا التصحيف.

١. الجامع العباسي: ١٦٧.

٢. الرواشح السماوية: ١٤١.

٣. أنظر ترتيب كتاب العين ١: ٢٣٢؛ ومجمع البحرين ١: ٣٠٣ (تبع).

٤. الرواشح السماوية: ١٤٢-١٤٣.

أقول : وقد سمعت أنّ بعضاً حكى أنّ بعض النسخ القديمة كان بالناء المثناة والباء الموحدة.

وقد ذكر العلامة المجلسي في البحار إجازته لجماعة وإجازة والده له ولأخيه أبي تراب عبد الصمد بإجازة واحدة، وتاريخ الإجازة متحد مع ما ذكر من تاريخ إجازة والده له في أول أربعينه، وهو يوم الثلاثاء شهر رجب المرجب سنة إحدى وسبعين وتسعمائة بالمشهد المقدس الرضوي^١، وكذا إجازة والده للسيد الداماد^٢.

وقال الشيخ صالح البحراني في تاريخ وفاة شيخنا البهائي نقلاً :

بدر العراقي خفى ضوؤه ونير الشام وبدر الحجاز

أردت تاريخاً فلم أهد له فألهمت قل : الشيخ فاز^٣

وعندي نسخة من شرح دراية الشهيد الثاني، وهو كان من كتب شيخنا البهائي، وفي آخره :

«تمت الرسالة بعون الملك الوهاب، وقد جاءني من شيخي بكتابتها الخطاب،

فكتبتها مغتنماً ممتلاً مطيعاً للثواب، وقد صار «مالكه الشيخ» تاريخ الكتاب ١٠٠٦

هـ».

وفي بعض حواشيه تعليق بخط شيخنا الشيخ البهائي، وفي ظهره بخط شيخنا البهائي :

١. بحار الأنوار ١٠٥ : ١٩٠، إجازة الشيخ حسين بن عبد الصمد لولديه الجليلين الشيخ بهاء الدين والشيخ أبي

تراب عبد الصمد؛ الأربعين للعلامة المجلسي : ٤.

٢. بحار الأنوار ١٠٦ : ٨٧.

٣. حكاه عنه البحراني في أنيس خاطر ٢ : ٢٤٥؛ وعلى هذا فيكون تاريخ وفاته ١٠٢٩ هـ. وانظر روضات

الجنات ٧ : ٧٩.

حكى لي والدي - قدس الله سره - أن شيخنا الشيخ زين الدين مؤلف هذا الكتاب حكى له أنه رأى في المنام أنه كان علماء الإمامية مجتمعين في منزل السيد المرتضى قال : فدخلتُ إلى ذلك المجلس ، فقال لي السيد المرتضى : اجلس بجانب الشيخ الشهيد . وإنما أظن أنني أقتل كما قتل عليه السلام .

وفي ظهره أيضاً بخطه :

نقلت من خط والدي - قدس الله روحه - توفي شيخنا الأعظم وأستاذنا المعظم زين الملة والحق والدين مؤلف هذا الكتاب - رفع الله درجته في عليين وحشره مع الأئمة الطاهرين - شهيداً غريباً بقسطنطينية من ممالك الروم سنة خمس وستين وتسعمائة ، وكانت ولادته في سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقبضه بأمر السلطان سليمان ملك الروم في مكة المشرفة ثامن عشر ربيع الأول من السنة المذكورة . وكان قبضه في المسجد الحرام بعد فراغه من صلاة العصر وبقي محبوباً في مكة المشرفة شهراً وأربعة أيام ، ثم ساروا به على طريق البحر إلى صوب قسطنطينية وقتلوه بها في تلك السنة ، وبقي جسده الشريف مطروحاً ثلاثة أيام ثم ألقيه في البحر قدس الله نفسه كما شرفت خاتمه .

وفي ظهره أيضاً بخطه :

شمس الدين محمد بن مكّي قدس الله روحه كما شرفت خاتمه قتيلاً برحبة قلعة الشام في سوق الجمال يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين وسبعمائة بعد أن كان مسجوناً في القلعة المذكورة قرب سنة ، ونُقل فيها إلى ثلاثة أبراج ، وكانت ولادته سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وتوفي ولده ضياء الدين علي عليه السلام في شعبان سنة ست وخمسين وثمانمائة .

[سجع خاتمه] :

وقيل : إنه كان سجع خاتمه على بعض المواضع : بهائي من بهي . ولعل الأنسب

ما كتب الفاضل الهندي بعد فراغه من بعض المطالب : وكتب الهباء المعروف بالهباء^١.

لكن عندي نسخة من الزبدة وفي آخرها خاتم شيخنا البهائي وسجعه « بهاء الدين محمد » وفي ظهره الأول : « ابتياعي از متروكات مرحوم شيخ بهاء الدين در بلدة طيِّبة نجف أشرف » وحكى نقلاً « أن تلامذته كانوا يستفيدون منه يوم التعطيل أكثر من الاستفادة في يوم التحصيل ؛ لأنّه كان يلقي إليهم من فنون العلم ونوادر الأخبار والأشعار الفائقة والحكايات الرائقة ».

[سرّ اشتهار مؤلفاته] :

وقد حكى المحدث الجزائري في أوائل شرح التهذيب أن عادة شيخنا البهائي في جميع مصنفاته على تعظيم اسم الله سبحانه بنحو « سبحانه » وتعظيم النبي ﷺ بالصلاة عليه وآله ، وتعظيم أسماء الصحابة بنحو « رضي الله عنه » والعلماء بالترحيم . قال : « وما أظن أن مؤلفاته رزقت هذا الحظّ الوافر من الاشتهار إلا لهذا وأمثاله ».

وقد حكى بعض أن الشيخ علي المنشار زين الدين العاملي كان من تلامذة المحقّق الثاني ، والمحقّق المشار إليه كان شيخ الإسلام ، وبعد وفاته جعل الشيخ المشار إليه شيخ الإسلام بإصبهان ، وهو كان صهراً لشيخنا البهائي ، ثم انتقل بعد وفاته منصب شيخوخة الإسلام إلى الشيخ البهائي ، وكان هو الباعث على قدوم والد الشيخ البهائي إلى بلاد العجم وصورته مقرباً عند السلطان .

وعن كتاب حقائق المقربين :

أنّه جاء يوماً إلى زيارة شيخنا البهائي المولى عبد الله التستري ، فجلس عنده

ساعة إلى أن أذن المؤذن، فقال الشيخ للمولى المذكور: صلّ لأنّ نقتدي بك ونفوز بفوز الجماعة، فتأمل المولى المذكور ساعة، ثمّ قام ورجع إلى المنزل ولم يرضَ بالصلاة في الجماعة هناك، فسأله بعض أحبّته عن ذلك، وقال: مع غاية اهتمامك في الصلاة في أوّل الوقت كيف لم تُجب الشيخ الكذائي إلى مسؤوله؟! فقال: راجعت نفسي سريعاً، فلم أر نفسي لا تتغيّر بإمامتي لمثله، فلم أرض بها^١.

[والد الشيخ البهائي] :

وحكى في رياض العلماء في ترجمة والد شيخنا البهائي عن المولى مظفر علي^٢ في رسالته في أحوال شيخنا البهائي :

أنّ والد شيخنا البهائي توجّه في زمان السلطان شاه طهماسب الصفوي من بلاد جبل عامل مع جميع توابعه وأهل بيته إلى أصفهان، واشتغل بإفادة العلوم الدينيّة، ثمّ عرض خبر وروده الشيخ الفاضل الشيخ علي الملقّب بالمنشار - وكان شيخ الإسلام بأصفهان - إلى السلطان وهو كان في قزوین، فكتب السلطان بخطّه إلى والد شيخنا البهائي، وطلب حضوره، فتوجّه والد شيخنا البهائي إلى قزوین، ووصل إلى خدمة السلطان، وهو قد عظّمه غاية التعظيم، وجعله شيخ الإسلام واستمرّ على ذلك سبع سنين، وكان يقيم صلاة الجمعة، ثمّ جعله السلطان شيخ الإسلام في المشهد الرضوي على مشرفه آلاف السلام والتحيّة.

ثمّ أمر السلطان بأن يتوجّه والد شيخنا البهائي إلى هراة لخلوّها عن العالم وعن التدين بالمذهب الاثني عشري، فتوجّه إليها وأقام بها في كمال العزّة ثمان سنين،

١. حدائق المقربين غير موجود لدينا. وهو للعالم الجليل الأمير محمّد صالح الخاتون آبادي صهر العلّامة

المجلسي. ونقل القصّة في خاتمة المستدرک ٢: ٢٠٥.

٢. المولى مظفر علي من تلامذة الشيخ البهائي، له رسالة في أحوال الشيخ البهائي بالفارسيّة.

ثمّ توجّه إلى قزوين ليحصل رخصة لزيارة بيت الله لنفسه ولابنه شيخنا البهائي، فرخّص السلطان له دون ولده وأمر بإقامته هناك، فتوجّه والد شيخنا البهائي إلى زيارة بيت الله ورجع من طريق البحرين وأقام بها، وكتب إلى ابنه أنّك إن تطلب محض الدنيا فلا بدّ أن تذهب إلى بلاد الهند، وإن كنت تريد العقبى فلا بدّ أن تجيء إلى البحرين، وإن كنت لا تريد الدنيا ولا العقبى فتوطن ببلاد عراق العجم^١.

وحكى في التوضيح عن شيخنا البهائي أنّه ذكر أنّ من كتب العلامة شرح الإشارات ولم يذكره في عداد الكتب التي ذكرها في الخلاصة وهو موجود عندي بخطّه^٢.

وذكر في رياض العلماء: أنّ المظنون أنّ عقد المؤاخاة يوم الغدير قد نشأ من شيخنا البهائي، وتبعه من تأخّر عنه كالمحدّث القاشاني وغيره^٣. وهو أدري بما قاله.

وحكى صاحب الحقائق في أنيسه عن شيخنا البهائي في الكشكول أنّ أباه وجد في مسجد الكوفة فصّ عقيق عليه مكتوب:

أنا درّ من السماء نثروني يوم تزويج والد السبطين

كنت أصفى من اللجين بياضاً صبغتني دماء نحر الحسين^٤

وحكى عن السيّد علي خان في كشكوله بعد نقل ذلك أنّه قال بعد ذلك: ووجدنا في نهر تستر صخرة صفراء أخرجها الحفّارون من تحت الأرض، وعليها مكتوب بخطّ من لونها: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلاّ الله، محمّد

١. رياض العلماء ٢: ١١٩.

٢. أنظر رياض العلماء ١: ٣٧٦.

٣. رياض العلماء ١: ٢٤٨. وانظر مستدرك الوسائل ٦: ٢٧٨، أبواب بقيّة الصلوات المندوبة، ب ٣، ح ٥.

٤. أنيس الخاطر (كشكول البحراني) ٣: ٦٧؛ وانظر روضات الجنّات ٧: ٧٥.

رسول الله، عليّ وليّ الله^١.

وحكى صاحب الحقائق أيضاً في أنيسه عن شيخنا البهائي في الكشكول أنّه بعد نقل ما رواه في التهذيب في أوائل كتاب المكاسب بسندٍ حسن أو صحيح :

عن الحسن بن محبوب، عن حريز قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « اتقوا الله وصونوا أنفسكم بالورع وقوّوه بالتقيّة والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان، واعلم أنّه من خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه طالباً لما في يديه من دنياه أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه فصار منه إليه شيء نزع الله جلّ اسمه منه البركة، ولم يأجره على شيء ينفقه منه في حجّ، ولا في عتق رقبة، ولا برّ^٢ ».

- قال : - أقول : صدق عليه السلام فإنّا قد جرّبنا ذلك، وجرّبه المجربون قبلنا، واتّفقت الكلمة منّا ومنهم على عدم البركة في تلك الأموال الملعونة وسرعة نفادها واضمحلالها، وهو أمر ظاهر محسوس يعرفه من حصّل شيئاً من تلك الأموال الملعونة، فنسأل الله تعالى حلالاً طيباً يكفّننا ويكفّ أكفّننا عن مدّها إلى هؤلاء وأمثالهم، إنّه سميع الدعاء لطيف لما يشاء^٣.

وقد ذكر صاحب الحقائق - بعد نقل كلام شيخنا البهائي - : أنّه قد وقع له برهة من الزمان اتّصال عظيم بالسلطان وأجرى عليه الوظيفة والإنعام، لكن كلّما تعمّد إلى إحراز شيء من ذلك توجّهت لذهابه أسباب^٤.

وحكى صاحب الحقائق في أنيسه أيضاً أرجوزة من شيخنا البهائي في وصف

١ . نقله عنه البحراني في أنيس الخاطر ١ : ٢٥، وحكى نفس القصّة في ج ٣ : ٦٧.

٢ . تهذيب الأحكام ٦ : ٣٣٠ / ٩١٤، كتاب المكاسب، الباب ٩٣.

٣ . الكشكول للبهائي : ٢٧٤. ونقله عنه البحراني في كشكوله ١ : ٤١.

٤ . أنيس الخاطر (كشكول البحراني) ١ : ٤١.

هراة، قد اشتغل بها شيخنا البهائي - على ما ذكره في الديباجة - حين الابتلاء بالرمد في قزوين على وجه تمناع عن الاشتغال بالمسائل العلميّة، وسؤال بعض الأصدقاء وصف هراة في أبيات^١.

وحكى صاحب الحقائق أيضاً في أنيسه: أنّ شيخنا البهائي قد تكلم فيه بعض تارةً بميله إلى تصوّف، وأخرى بسماعه للغناء، وثالثة بحسن معاشرته مع طوائف الإسلام وأهل الملل بل وغيرهم^٢.

وحكى في الأنيس عن أوثق مشايخه - المقصود به العلامة المجلسي -: أنّه أتى في بعض السنين إلى السلطان الأعظم شاه عبّاس الأوّل جماعة من علماء الملاحدة طالبين المناظرة مع أهل الأديان الباطلة، فأرسلهم إلى حضرة الشيخ بهاء الدين، فاتفق أنّهم وردوا مجلسه وقت الدرس وعلم ما أتوا به، فشرع في نقل أقوال مذاهب الملاحدة، وفي دلائلهم، وفي الجواب عنها حتّى مضى عامّة النهار، فقام الملاحدة وقبّلوا الأرض بين يديه وقالوا: هذا الشيخ هو عالمنا وعلى ديننا ونحن له تبع، ثمّ لمّا تحقّقوا مذهبه بعد ذلك رجعوا إلى دين الإسلام.

وإنّ رجلين من أهل بهبهان: شيعيّاً وسنّيّاً تناظرا وتباحثا في المذهب، فاتفق رأيهما على أن يأتيا إلى أصفهان ويسألا ذلك الشيخ عن مذهبه، فلمّا وردا أصفهان جاء الرجل الشيعي إلى الشيخ سرّاً وحكى له ما جرى بينه وبين ذلك الرجل، فلمّا وردا على الشيخ نهائياً وأعلماه أنّهما تراضيا بدينه شرع في حكاية المذهبين ودلائل الفريقين، وما أجاب به علماء المذهبين حتّى انقطع النهار، فقاما من عنده وكلّ منهما يدّعي أنّ الشيخ على مذهبه، فلمّا بحث الرجل السنّي عن مذهبه وأنّه على دين الإماميّة رجع إليه^٣.

١. أنيس الخاطر (كشكول البحراني) ٢: ٢٣٥ وهي مائة بيت سمّاها القصيدة الزاهرة.

٢. أنيس الخاطر (كشكول البحراني) ٢: ١٤٢.

٣. أنيس الخاطر (كشكول البحراني) ٢: ١٤٣.

وقال شيخنا البهائي في بعض حواشي مشرقه :

بيني وبين شيخنا الشهيد - يعني الشهيد الأول - خمس وسائط ، وبينني وبين العلامة سبع وسائط ، وبينني وبين المحقق ثمان وسائط ، وبينني وبين الشيخ الطوسي اثنتا عشرة واسطة ، وبينني وبين الصدوق ثلاث عشرة واسطة ، وبينني وبين الكليني أربع عشرة واسطة .

وحكى في رياض العلماء في ترجمة الشيخ خير الدين وهو من أسباط الشهيد الأول : أنه كان معاصراً لشيخنا البهائي ، وسكن بشيراز في مدة طويلة ، والشيخ لما ألف الحبل المتين أرسله إليه بشيراز - على ما نقل - ليطالع فيه ويستحسنه ، وكان الشيخ يعتقد ويمدحه ، وبعدما طالعه كتب عليه تعليقاتٍ وحواشي وتحقيقات بل مؤاخذات^١ . والله العالم .

١ . رياض العلماء ٢ : ٢٦٠ . والمقصود من « وكان الشيخ يعتقد » أي كان الشيخ البهائي .

الشيخ البهائي في سلافة العصر^١

العلامة السيّد علي خان المدني

الشيخ العلامة بهاء الدين محمّد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي
الهمداني رحمه الله تعالى :

علم الأئمة الأعلام، وسيّد علماء الإسلام، وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل
أمواجه، وفحل الفضل الناتجة لديه أفراده وأزواجه، وطود المعارف الراسخ،
وفضاؤها الذي لا تحدّ له فراسخ، وجوادها الذي لا يؤمل له لحاق، وبدرها الذي لا
يعتريه محاق.

الرحلة الذي ضربت إليه أكباد الإبل، والقبلة التي فطر كلّ قلب على حبّها
وجبيل.

فهو علامة البشر، ومجدّد دين الأمة على رأس القرن الحادي عشر. إليه انتهت
رئاسة المذهب والملة، وبه قامت قواطع البراهين والأدلة.

جمع فنون العلم فانعقد عليه الإجماع، وتفرد بصنوف الفضل فبهر النواظر

١. سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر، ص ٢٨٨ - ٣٠٢، غُنيّت بنشره المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار

الجعفرية، سوق بين الحرمين، پاساژ مهتاش، تهران.

والأسماع. فما من فنٍ إلّا وله فيه القدر المَعْلَى، والمورد العذب المحلّى. إن قال لم يدع قولاً لقائل، أو طال لم يأت غيره بطائل، وما مثله ومن تقدّمه من الأفاضل والأعيان، إلّا كالملّة المحمّديّة المتأخّرة عن الملل والأديان. جاءت آخراً، ففاقت مفاخرأً، وكلّ وصف قلت في غيره، فإنّه تجربة الخاطر.

مولده بعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، انتقل به والده وهو صغير إلى الديار العجميّة، فنشأ في حجره بتلك الأقطار المحميّة، وأخذ عن والده وغيره من الجهابذ، حتّى أذعن له كلّ مناضلٍ ومناذب. فلمّا اشتدّ كاهله، وصفت له من العلم مناهله، ولى بها شيخ الإسلام، وفوّضت إليه أمر الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام.

ثمّ رغب في الفقر والسياسة، واستهّب من مهابّ التوفيق رياحه، فترك تلك المناصب، ومال لما هو لحاله مناسب، فقصد حجّ بيت الله الحرام، وزيارة النبيّ وأهل بيته الكرام، عليهم أفضل الصلاة والتحيّة والسلام. ثمّ أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة، وأوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أرباب الفضل والحال، ونال من فيض صحبتهم ما تعدّر على غيره واستحال.

ثمّ عاد وقطن بأرض العجم، وهناك همى غيث فضله وانسجم فألف وصنّف، وقرط المسامع وشنّف، وقصدته علماء الأمصار، واتّفقت على فضله الأسماع والأبصار، وغالت تلك الدولة في قيمته، واستمطرت غيث الفضل من ديمته، فوضعت في مفرقها تاجاً، وأطلعت في مشرقها سراجاً وهّاجاً، وتبسّمت به دولة سلطانها الشاه عبّاس، واستنارت بشموس آرائه عند اعتكار حنادس الباس، فكان لا يفارقه سفيراً وحضراً، ولا يعدل عنه سماعاً ونظراً، إلى أخلاق لو مزج بها البحرين لعذبا طعماً، وآراء لو كحلت به الجفون لم يلف أعمى، وشيم هي في المكارم غرر وأوضاع، وكرم بارق جوده لشائمة لامع وضّاح، تتفجّر ينباع

السماح من نواله، ويضحك ربيع الأفضال من بكاء عيون أمواله.
وكانت له دار مشيّد البناء، رحيبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل، فكم مهد بها وضع، وكم طفل بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرةً وعشيّاً، ويوسعهم من جاهه جناباً مغشياً، مع تمسّكه بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا والآخرة خيرٌ وأبقى.

ولم يزل آنفاً من الأنجاس إلى سلطان، راغباً في الغربة عازفاً عن الأوطان، يؤمّل العود إلى السياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة، فلم يقدر له حتّى وافاه حمامه، وترنّم على أفنان الجنان حمامه.

أخبرني بعض الثقات الأصحاب أنّ الشيخ عليه السلام قصد قبيل وفاته زيارة المقابر، في جمع من الأجلّاء الأكابر، فما استقرّ بهم الجلوس حتّى قال لمن معه: إنّني سمعت شيئاً، فهل منكم من سمعه؟ فأنكروا سؤاله، واستغربوا مقالته، وسألوه عمّا سمعه فأوهم، وعمي في جوابه وأبهم. ثمّ رجع إلى داره فأغلق بابه، ولم يلبث أن أهاب به داعي الردى فأجابه.

وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلون من شوال المبارك سنة إحدى وثلاثين وألف بإصبهان، ونقل قبل دفنه إلى طوس فدفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضويّة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحيّة.

ومن مصنّفاتهِ: التفسير المسمّى بالعروة الوثقى، والتفسير المسمّى بعين الحياة، والجل المتين، ومشرق الشمسين، وشرح الأربعين، والجامع العباسي فارسي، ومفتاح الفلاح، وزبدة في الأصول، والرسالة الهلالية، والاثني عشرية الخمس، وخلاصة الحساب، والمخلّة، والكشكول، وتشرح الأفلاك، والرسالة الاسطرلابيّة، وحواشي الكشاف، وحاشية على البيضاوي، وحاشية على خلاصة الرجال، ودراية الحديث، والفوائد الصمدية في علم العربية، والتهذيب في النحو، وحاشية في الفقه، وغير ذلك من الفوائد المختصرة والفوائد المحرّرة.

وأما أدبه فالروض المتأرجح أنفاسه، المتضوّع بنثره ونظمه وورده وآسه، المستعذب قطافه وجناه، والمستظرف لفظه ومعناه.

وها أنا مثبت من غرره ما هو مصداق ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾، ومورد من درره ما يزدري بأطواق الذهب وقلائد الأعناق.

فمن العقيان نثره هذه الرسالة الغربية لفظاً ومعنى، البديعة رباعاً ومعنى :

المعاني تسافر من مدينة القلب الإنساني، إلى قرية الإقليم اللساني، فتلبس هناك ملابس الحروف، وتتوجّه لتقاء مدين الأعلام من الطريق المعروف، وسيرها على نوعين :

إمّا كسليمان عليه السلام، فتسير على التموّجات الهوائية بأفواه المتكلّمين، وألهوات المترنّمين، إلى أمصار أصماخ السامعين.

وإمّا كالخضر عليه السلام في ظلمات المداد، لابسة للسواد، فتسير في مراحل أنامل الكاتنين، إلى مداد أعين الناظرين.

وإذا وصلت بالسير الأوّل إلى سبأ بلقيس السامعة، وانتهت بالسير الثاني إلى عين حياة الباصرة، عطفت عنان التوجّه من عوالم الظهور، والانجلاء بنية العود إلى مكامن الكمون والخفاء، حتّى إذا نزلت في محروسات آذان السامعين، وحلّت في مأنوسات مشاعر الناظرين، نرعت ملابسها الجزئية، فتجردت عن ملابسها الهيولانية، وسكنت في مواطنها القلبية، ورجعت بعد قطع تلك المسالك، إلى ما كانت عليه قبل ذلك، كما بدأكم تعودون، وإلى ما كنتم عليه تؤوبون، إنزل مقامك فهو أوّل موطنٍ سافرت منه إلى جهات العالم.

ومنه قوله :

سانحة قد تهبّ من عالم القدس، نفحة من نفحات الأنس، على قلوب أصحاب العلائق الدينية، والعلائق الدنيوية، فتقطر بذلك مشام أرواحهم، وتجري روح الحقيقة في رميم أشباحهم، فيدركون قبح الأنفاس الجسمانية، ويدعون بخساسة الانتكاس

في مهاوي القيود الهيولانية، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد، ويستبهون من نوم الغفلة عن البداء والمعاد. لكن هذا التنبيه سريع الزوال، ورمحي الاضمحلال، فيا ليته يبقى إلى حصول جذبة إلهية تميّط عنهم أدناس عالم الزور، وتطهرهم من أرجاس دار الغرور. ثم إنهم عند زوال تلك النفحة القدسية، وانقضاء هاتيك النسمة الإنسانية يعودون إلى الانعكاس في تلك الأدناس، فيتأسفون على ذلك الحال، الرفيع المنال، وينادي لسان حالهم بهذا المقال، إن كانوا من أصحاب الكمال.

تيرى زدى و زخم دل آسوده شد از آن

هان ای طبيب خست ولان مرهم ذکر

وقوله سائحة :

قد جرى ذكرى يوماً من الأيام في بعض المجالس العالية والمحافل السامية، فبلغني أن بعض الحضّار ممّن يدّعي الوفاق وعادته النفاق، ويظهر الوداد ودأبه العناد، جرى في ميدان البغي والعدوان، وأطلق لسانه في الغيبة والبهتان، ونسب إليّ من العيوب ما لم تزل فيه، ونسي قوله تعالى: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ﴾^١، فلمّا علم أنّي علمت بذلك، ووقفت على سلوكه في تلك المسالك، كتب إليّ رقعة طويلة الذيل، مشحونة بالندم والويل، يطلب فيها الرضا، ويلتمس الإغماض عمّا مضى.

فكتبت إليه في الجواب :

جزاك الله خيراً فيما أهديت إليّ من الثواب، وثقلت به ميزان حسناتي يوم الحساب، فقد رويانا عن سيّد البشر، والشفيع المشفّع في المحشر، أنّه قال : يجاء بالعبد يوم القيامة، فتوضع حسناته في كفة، وسيئاته في كفة، فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها، فيقول : يا ربّ ما هذه البطاقة ؟ فيقول عزّ وجلّ :

هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء . فهذا الحديث قد أوجب بمنطوقه عليّ أن أشكر ما أسديته من النعم إليّ ، فكثّر الله خيرك ، وأجزل مبرّك ، مع أنّي لو فرضت أنّك شافهتني بالسفاهة والبهتان ، ووجهتني بالوقاحة والعدوان ، ولم تزل مصرّاً على شناعتك ليلاً ونهاراً ، مقيماً على سوء صناعتك سرّاً وجهاراً ، ما كنت أقابلك إلا بالصفع والصفاء ، ولا أعاملك إلا بالموذّة والوفاء ، فإنّ ذلك من أحسن العادات وأتمّ السعادات ، وإنّ بقيّة مدّة الحياة أعزّ من أن تصرف في غير تدارك ما فات ، وتتمّة هذا العمر القصير ، لا تسمع مؤاخذه أحد على التقصير .

ومن شعره : قوله وقد سأله بعض سادات عصره القول على قصيدة له رثى بها والده ، مطلعها :

جارتني كيف تحسّنين ملامي أيداوى كلم الحشا بكلام
فقال رحمه الله تعالى وأجاد :
خلّيانى ولوعتي وغرامي يا خليليّ واذهباً بسلامي
.....

وقال يرثي والده الشيخ العلامة حسين بن عبد الصمد ، وقد توفّي بالمصلّى من قرى البحرين لثمانٍ خلون من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، عن ستّ وستّين سنة وشهرين وسبعة أيّام ، ومولده أوّل يوم من محرّم سنة ثمانية عشر وتسعمائة :

قف بالطلول وسلها أين سلماها وروّ من جرع الأجفان جرعاها
.....

وقال : وكتب إلى والده وهو بالهراة سنة تسع وسبعين وتسعمائة :
يا ساكني أرض الهراة أما كفى هذا العراق بلى وحقّ المصطفى
عودوا عليّ فربّع صبري قد عفى والجفن من بعد التباعد ما غفا
وخيالكم في بالي والقلب في بلبال

ومن غريب ما حكاه في بعض كتبه :

أن سلطان زماننا خلّد الله ملكه ، وأجرى في بحار التأييد فُلكه ، عرض له يوماً وهو في مصيدة خنزير عظيم الجثّة طويل السنّ الخارج فضربه بالسيف ضربة نصفه بها نصفين ، ثمّ أمر بقلع سنّه والإتيان بها إليه ، فوجد مكتوباً عليها لفظة الجلالة بخطّ بيّن مثبت ناتٍ منها ، فحصل له ولنا ولمن حضر المصيدة من العسكر المنصور نهاية العجب ، فإنّ ذلك من أغرب الغرائب ، ولما رأيتها أدام الله نصره وتأييده وقال لي : كيف يجتمع هذا مع نجاسة الخنزير ؟ فقلت له : إنّ السيّد المرتضى قائل بطهارة ما لا تحلّه الحياة من نجس العين ، ووجود هذا الخطّ على هذي السنّ ربما يؤيّد كلامه طاب ثراه ، فإنّ السنّ ممّا لا تحلّه الحياة ، والله أعلم .

بهاء الدين العاملي الحارثي الهمداني في روضة المتقين^١

المولى محمّد تقي المجلسي

(محمّد بن الحسين بن عبد الصمد) المشتهر ببهاء الدين، العاملي، الحارثي، الهمداني :

من أولاد الحارث الهمداني الذي كان من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام، وذكره الشهيد الثاني في إجازته لأبيه، وذكر جماعة من أجداده، ومدحهم شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلوّ مرتبته أحداً، له كتب نفيسة منها كتاب الحبل المتين، وكتاب مشرق الشمسين.

بل هذا الشرح أيضاً من فوائده، فإنّي رأيته في النوم وقال لي: لِمَ لا تشتغل بشرح أحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم؟ فقلت له: هذا شأنكم وأنتم أهله، فقال: مضى زماننا، واشتغل واترك المباحثات سنة حتّى يتّم، وكان بعد ذلك الرؤيا في بالي أن أشتغل بذلك.

١. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، المولى محمّد تقي المجلسي (١٠٠٣ - ١٠٧٠ هـ)، ج ١٤، ص

٤٣٣ - ٤٣٦، الناشر بنياد فرهنگ إسلامي كوشان پور، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ، المطبعة العلمية، قم.

ولمّا كان هذا أمراً عظيماً ما كنت أجتريّ عليه، حتّى حصل لي مرض عظيم ووصّيت فيه، واشتغلت بالدعاء والتضرّع إلى الله تعالى أن يغفر لي ويذهب بروحي، فأصابني حينئذٍ سنّة، فرأيت سيّدي شباب أهل الجنّة أجمعين قدّامي جالسين عندي، وسيّد الساجدين فوق رأسي جالسا، وأظهر أنا جئنا لشفائك، وقال سيّد الساجدين عليه السلام: لا تطلب الموت؛ فإنّ وجودك أنفع، فانتبهت من السنّة، وذهب الوجع بالكلّيّة، وحصل العرق.

ثمّ حصل لي سنّة أخرى، فرأيت سيّد الأنبياء والمرسلين وأشرف الخلائق أجمعين قائماً في بيتي، فأردت أن أقبل رجله فلم يدعني، فشرعت في مدّاحه بأنك الذي خلق الله تعالى الكونين لأجلك، وجعلك متخلّقاً بأخلاقه الكماليّة، وجعلك أفضل من برأه الله، وأنت العالم بعلوم الله، والقادر بقدره الله، والمتخلّق بأخلاق الله، وهو عليه السلام يتبسّم ويقول: كذلك أنا، وكانت المدائح كثيرة اختصرتها.

ثمّ قلت: يا رسول الله اهدني لأقرب الطرق إلى الله تعالى، فقال عليه السلام: هو ما تعلم، فقلت: يا رسول الله، بأيّ شيء أعمل؟ وكان مرادي أن أشتغل بالرياضات للوصول إلى الله أم بغيره ممّا يأمره عليه السلام، فقال عليه السلام: اعمل بما كنت تعمل.

وكنّت في هذه المقالات إذ قال عليه السلام: جاء عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما إلى عيادتك، فأخذني البكاء والنحيب وقلت: أنا كلبهم، أيّ مقدار لي حتّى تجيء ويحيّيان إلى عيادتي! فانشقّ جدار البيت وظهرا عليه السلام، وللهذهشة انتبهت، فبكيت كثيراً.

ثمّ حصلت لي سنّة أخرى، فسمعت أنّ سيّد المرسلين عليه السلام أرسل إليك من الجنّة ثمرة وكباباً منها فدفع إليّ أولاً سفايفد الكباب، وكانت من الذهب، وحولي جماعة كثيرة، فأكل من الكباب لقمة ويحصل مكانها أخرى، وأدفع إلى كلّ من حولي من هذا الكتاب، وأقول لهم: إنّي كنت أقول لكم: إنّ سفايفد كباب الجنّة من الذهب، ورأيتموها، وقلت لكم: إنّ طعام الجنّة في كلّ لقمة طعوم كثيرة لا تشبه طعوم

الدنيا، وهذا كذلك، وقلت لكم: إنّ ثمرات الجنة كلّما جُني منها شيء يوجد مكانها أخرى، وكلّما أدفع إليهم من الكباب وآكله لا يفنى الكباب.

ثمّ شرعت في الثمرة، وكانت بقدر بطّيح حلبي عظيم، وأخذ منها ورقة ورقة وآكلها، وفي كلّ ورقة طعوم لا تتناهى وأقول لهم: كنت أقول لكم: إنّ ثمرة الجنة كذلك، وكلّما أدفع إليهم يحصل منها ورقة أخرى.

فانتبهت من ذلك الرؤيا، وأولّتها بالعلم، وألهمت بأن أشتغل بشرح الأحاديث فاشتغلت بذلك، ولما كانت الطلبة مشغولين بالدرس كنت أدغدغ في ترك الدروس بالكليّة، لكن حصل في التعطيلات التوفيق من المنعم الوهاب، وحسبتها كانت سنة على ما قاله شيخنا البهائي رضي الله تعالى عنه. وذكرت بعض أحواله سابقاً.

ومات ﷺ في شوال لسنة ثلاثين بعد الألف الهجرية في إصبهان، ونقل إلى المشهد الرضوي صلوات الله على صاحبه، ودُفن في داره جنب الروضة المقدّسة، والآن يزار هنا، وكان عمره بضعاً وثمانين سنة، إمّا واحداً أو اثنين، فإنّي سألت عن عمره ﷺ، فقال: ثمانون أو أنقص بواحدة، ثمّ توفيّ بعده بستتين.

وسمع قبل وفاته بستّة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين ﷺ، وكنت قريباً منه، فنظر إلينا وقال: سمعتم ذلك الصوت؟ فقلنا: لا، فاشتغل بالبكاء والتضرّع والتوجّه إلى الآخرة، وبعد المبالغة العظيمة قال: إنّهُ أخبرت باستعداد الموت^١، وبعد ذلك بستّة أشهر تقريباً توفيّ ﷺ وتشرّفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً.

١. حكى أنّ الذي سمعه الشيخ ﷺ كان هذا (شيخنا در فكر خود باش) الكنى ١: ٩٠، طبع صيدا.

الشيخ الجليل بهاء الدين العاملي في رياض العلماء^١

العلامة الميرزا عبد الله الأفندي الأصبهاني

الشيخ الجليل بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي
الجبعي :

ينسب إلى الحارث الهمداني، وكان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام. حاله في
الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظم الشأن وحسن التصنيف
ورشاقة العبارة وجمع المحاسن أظهر من أن يذكر، وفضائله أكثر من أن تحصى.
وكان ماهراً متبحراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً منشئاً ثقة عديم النظير في زمانه
في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها.

له كتب، منها: كتاب الجبل المتين في أحكام أحكام الدين، جمع فيه الأحاديث
الصحيح والحسان والمؤثقات وشرحها شرحاً لطيفاً خرج منه الطهارة والصلاة ولم
يتمه فيه ألف حديث وزيادة يسيرة.

وكتاب مشرق الشمسين وإكسير السعادتين جمع فيه آيات الأحكام وشرحها

١. رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله الأفندي الإصفهاني، ج ٢، ص ١٠٨-١٢١، وأيضاً راجع
أمل الآمل، ص ١٥٥-١٦٦، وتعليقته لصاحب الرياض.

والأحاديث الصحاح وشرحها، خرج منه كتاب الطهارة لا غير فيه نحو من أربعمائة حديث.

وكتاب العروة الوثقى في تفسير القرآن خرج منه تفسير الفاتحة لا غير.
والحديقة الهلائية في شرح دعاء الهلال.

وحاشية الشرح العضدي على مختصر الأصول، والزبدة في الأصول، ولغز الزبدة،
ورسالة في الموارد، ورسالة في الدراية، ورسالة في ذبائح أهل الكتاب، ورسالة اثني
عشرية في الصلاة عجيبة، ورسالة في الطهارة كذلك، ورسالة في الزكاة كذلك، ورسالة
في الصوم كذلك، ورسالة في الحج كذلك، والخلاصة في الحساب، والكشكول
الكبير، والمخلاة، والجامع العباسي بالفارسية في الفقه لم يتم، والصدقة في النحو
لطيفة، والتهذيب في النحو، وبحر الحساب، وتوضيح المقاصد فيما اتفق في أيام
السنة، وحاشية الفقيه لم تتم، وجواب مسائل الشيخ صالح الجزائري اثنتان وعشرون
مسألة، وجواب ثلاث مسائل أخر عجيبة، وجواب المسائل المدنيات، وشرح
الفرائض النصيرية للمحقق الطوسي لم يتم، ورسالة في نسبة أعظم الجبال إلى قطر
الأرض، وتفسيره الموسوم بعين الحياة، وتشریح الأفلاك، ورسالة الكر، ورسالة
الاسطرلاب عربية سماها الصفيحة، ورسالة أخرى في الاسطرلاب فارسية سماها
التحفة الحاتمية، وشرح الصحيفة الموسوم بحدائق الصالحين، وحاشية البيضاوي لم
تتم. وحاشية المطول لم تتم، وشرح الأربعين حديثاً، ورسالة في القبلة، وكتاب سوانح
الحجاز من شعره وإنشائه، ومفتاح الفلاح، وحواشي الكشف، وحاشية الخلاصة في
الرجال، وحاشية الاثني عشرية للشيخ حسن، وحاشية القواعد الشهيدية، ورسالة في
القصر والتخير في السفر، ورسالة في أن أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس،
ورسالة في حل إشكالي عطارد والقمر، ورسالة في أحكام سجود التلاوة، ورسالة
في استحباب السورة ووجوبها، وشرح شرح الرومي على الملخص ذكره في
الحديقة الهلائية، وحواشي الزبدة، وحواشي تشریح الأفلاك، وحواشي شرح التذكرة،

وغير ذلك من الرسائل وجواب المسائل .

وله شعر كثير حسن بالعربيّة والفارسيّة متفرّق ، وقد جمعه ولدي محمّد رضا الحرّ فصار ديواناً لطيفاً .

وقد ذكره السيّد علي بن ميرزا أحمد في سلافة العصر في محاسن أعيان العصر ... ،

.....

ثمّ أطال في وصفه بفقرات كثيرة ، وذكر أنّه توفّي سنة ١٠٣١ ، وقد سمعنا من المشايخ أنّه مات سنة ١٠٣٥ ، وذكر بعض مصنّفاته السابقة^١ .
وقد ذكره السيّد مصطفى في الرجال فقال :

جليل القدر ، عظيم المنزلة ، رفيع الشأن ، كثير الحفظ ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلوّ رتبته في كلّ فنون الإسلام كمن كان له فنّ واحد ، له كتب نفيسة جيّدة - انتهى^٢ .

.....

أقول : هو بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمّد بن علي الجباعي بن الحسين الحارثي .

جاء مع أبيه إلى العجم ، وكان في عصر السلطان شاه طهماسب ومن بعده ، وترقى في زمن السلطان شاه عبّاس الأوّل ، وصار شيخ الإسلام بأصفهان ثمّ استعفى عنه . وكان يصليّ الجمعة والجماعة بأمر السلطان شاه عبّاس ، ولم يخلف ولداً ذكراً ، وكان له بنت ، وكان حافد بنته موجود في عصرنا هذا . وكانت زوجة البهائي بنت الشيخ علي المنشار ، وكانت فاضلة عالمة وقد سمعت أنّها بقيت بعد

١ . سلافة العصر : ٢٨٩ - ٣٠٢ .

٢ . نقد الرجال : ٣٠٣ .

البهائي وكانت تقرأ عليها النسوان. وكان والد البهائي وجدّه وأبو جدّه كلّهم أيضاً من الفضلاء كما سبق.

وقد أجازته والده وكذا أجاز أخاه على ظهر إجازة الشيخ زين الدين عليه السلام له بهذه العبارة :

« نحمد الله كما يليق به وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، أمّا بعد فقد أجزت لولدي بهاء الدين محمد وأبي تراب عبد الصمد حفظهما الله تعالى ، بعد أن قرأ على ولدي الأكبر جملة كافية من العلوم العقلية والنقلية ، جميع ما تظمنت هذه الإجازة واحتوت عليه بالطرق المقررة فيها ، وكذلك أجزت لهما أسبغ الله تعالى نعمه عليهما جميع ما يجوز لي روايته من طرق الخاصة والعامة وجميع ما ألفته نظماً ونثراً ، شرطاً عليهما الاحتياط في الرواية واتباع شرائطها المقررة عند أهل الرواية والدراسة ، بلّغهما الله سبحانه وتعالى آمالهما وأصح في الدارين أحوالهما ، إنّه جواد كريم . قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه أبوهما الشفيق الخاطي المذنب فقير رحمة الله الغني حسين بن عبد الصمد الجباعي وفقه الله لمراضيه وجعل مستقبله خيراً من ماضيه ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب المرجب المعظم سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في المشهد المقدس الرضوي على مشرفه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات . » انتهى .

وأقول : صرح البهائي في بعض المواضع بأنّه قرأ كليات القانون وغيره على المولى عبد الله اليزدي .

وله تعليقات على كتب كثيرة من أنواع العلوم وفوائد متفرقة وجواب استفتاءات عديدة بالعربية والفارسية ، رأيت بعضها بخطّه .

وله أيضاً على كلّ واحد من تصانيفه حواشي منه كثيرة ، خصوصاً على بعضها حتّى أنّها قد جازت مساوية للأصل أو أكثر .

وله رسالة في ردّ الأدلة الأربعة عشر على وجوب قراءة السورة بعد الحمد ، حيث صنّف بعض معاصريه عليه السلام رسالة مشتملة على أربعة عشر دليلاً على وجوب

السورة، وقد ردّها الشيخ. ورأيت تلك الرسالة في بلدة كاشان.
ورسالة في جواب سؤال خان أحمد خان ملك جيلان مختصرة، وعندنا منه نسخة.

وله شرح فارسي على ألفيّة ابن مالك على ما وجدناه في تبريز عند الحاجّ مقيم التبريزي، ولعلّه من باب الاشتراك في الاسم، فلاحظ.
ورأيت أيضاً حاشية له على حاشية مولانا عبد الله اليزدي شيخه وأستاذه على شرح مولانا جلال الدين محمّد الدواني على تهذيب المنطق للتفتازاني.
ورأيت أيضاً له رسالة في تحقيق عقائد الشيعة في الفروع والأصول مفصلاً على الاختصار، وجواب مسائل السلطان شاه عبّاس الماضي بالفارسيّة.
وله رسالة في الكرّ ومساحته وأحكامه بالفارسيّة، ألفها باسم السلطان شاه طهماسب وسمّاها التحفة، ورأيتها بأستراباد بخطّ بعض من عاصره من الفضلاء.
وهذه غير رسالة الكرّ العربيّة التي ألفها باسم السلطان المذكور.
ورسالة في شرح قول القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾.

ورسالة في النفس والروح، رأيتها في بارفروش وغيره.
ورسالة في حلّ عبارة في بحث الضوء من القواعد للعلامة في قوله: «ولو كان الإخلال من طهارتين أعاد أربعاً» إلخ، مشتملة على حواشي منه.
وحلّ عبارة أخرى من القواعد في بحث المياه في قوله: «الأوّل في المطلق والمراد به ما يستحقّ إطلاق اسم الماء عليه» إلخ.
وتعليقات على الرسالة الفارسيّة للمحقّق الطوسي في الاسطرلاب.
وكتاب صحيح البهائي، ولعلّه بعينه كتاب الحبل المتين.

ورسالة مختصرة في إثبات وجود صاحب الزمان عليه السلام، رأيتها في بلدة رشت.
وكتاب تأويل الآيات من أوّل القرآن إلى آخره على نهج يقرب من طريق

الصوفيّة، مختصر قد رأيته في خزانه مولانا الرضا عليه السلام وكتب على ظهره أنّه من تأليف الشيخ البهائي. والله أعلم. ولعلّه بعينه تفسيره المسمّى بعين الحياة المذكور في المتن.

وله أيضاً حاشية على القواعد الشهيدية، لم تتمّ رأيته ببلدة أردبيل. وحاشية على الحاشية الخطائية، بل شرح آخر أيضاً عليها لم يتمّ على ما سمعته من بعض الأفاضل.

ورأيت بخطّ بعض الأفاضل نقلاً عن خطّ البهائي أنّ مولده سنة ٩٥١، وقال ذلك الفاضل: إنّ وفاته سنة ١٠٣٠، توفي بإصبهان ودفن في المشهد الرضوي في بيته الذي كان في رجلي الضريح المقدّس، فكان مدّة عمره ٧٩ سنة، وقيل: ستّ وسبعين سنة.

* * *

الشيخ شمس الدين محمد الجبعي العاملي :
فاضل، جدّ الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، أثنى عليه الشهيد الثاني في إجازته لابن ابنه.

أقول: وهو الذي قد ينقل الاستاذ رحمته عن خطّه بعض الأخبار في البحار.

بنت الشيخ علي المنشار :
فاضلة عالمة فقيهة محدّثة، وكانت زوجة شيخنا البهائي، وقد قرأت على والدها.

وقد سمعنا من بعض المعرّين الثقات الذي قد شاهدها في أوان صباه أنّها كانت تدرّس في الفقه والحديث ونحوها، وكانت النسوان يقرأن عليها، وقد ورثت عن أبيها أربعة آلاف مجلّد من الكتب.

وذكر لنا بعض الأفاضل أنّها وافرة العلم كثيرة الفضل، وقد بقيت بعد وفاة الشيخ البهائي أيضاً.

الإمام مولانا وشيخنا بهاء الملة والحق والدين في الروضات^١

الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الإصبهاني

٥٩٩ - شيخنا الإمام العلامة ومولانا الهمام الفهامة أفضل المحققين وأعلم المدققين، خلاصة المجتهدين شيخنا بهاء الملة والحق والدين محمد بن الشيخ العلم العلامة عزّ الملة والحق والدين حسين بن عبد الصمد الحارثي الجباعي قدس الله روحه ونور ضريحه^٢:

أورده السيّد السند الجليل، وتلميذه الثقة النبيل، عزّ الدين حسين بن السيّد

١. روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الإصبهاني، ج ٧،

ص ٥٦ - ٨٤، مكتبة إسماعيليان، قم، مطبعة مهر استوار.

٢. له ترجمة في: آتشكده آذر: ١٧٠؛ أعيان الشيعة ٤٤: ٢١٦؛ أمل الآمل ١: ١٥٥؛ تاريخ عالم آراي عباسي

٢: ٩٦٧؛ تذكرة نصر آبادي: ١٥٠؛ تنقيح المقال ٣: ١٠٧؛ جامع الرواة ٢: ١٠٠؛ حديقة الأفراح: ٨١؛

خزانة الخيال «خلاصة الأثر» ٣: ٤٤٠؛ دائرة المعارف للبيستاني ١١: ٤٦٢؛ الذريعة ٢: ٢٩؛ رياض

العارفين: ٥٨؛ ريحانة الأدب ٣: ٣٠١؛ ريحانة الألباء ١: ٢٠٧؛ سفينة البحار ١: ١١٣؛ سلافة العصر: ٢٨٩؛

طرائق الحقائق ١: ١٣٧؛ الغدير ١١: ٢٤٤؛ الفوائد الرضوية: ٥٠٢؛ الكنى والألقاب ٢: ١٠٠؛ لؤلؤة

البحرين: ١٦؛ مجمع الفصحاء ٢: ٨؛ المستدرک ٣: ٤١٧؛ نجوم السماء: ٢٨؛ نزهة الجليس ١: ٣٧٧؛ نفحة

الريحانة ٢: ٢٩١؛ نقد الرجال: ٤٠٣؛ هدية الأحباب: ١٠٩.

حيدر الكركي العاملي - المتقدّم ذكره المستطاب بهذه النسب والألقاب - في بعض إجازاته المبسوطة بعد ذكر أحد عشر كوكباً من مشايخه المضبوطة :

أولهم : الشيخ الفاضل عبد العالي بن الشيخ علي الكركي العاملي .

وثانيهم : الحبر الكامل المشتهر بالأمير السيّد حسين بن السيّد حسن الموسوي المشتهر بسيّد المحقّقين وأعلم المدقّقين ووارث علوم الأنبياء والمرسلين ، وهو الذي مرّ في ترجمته في باب الحاء المهملة من هذا الكتاب ، لجهلنا بهذه الإجازة احتمال اتّحاده مع جناب هذا السيّد التلميذ المستجيز مع كونه في الحقيقة خلاف نصّه العزيز .

وثالثهم : السيّد أبو الولي بن الشاه المحمود الحسني الشيرازي ، الذي يروي عن أبيه المزبور ، عن الشيخ إبراهيم القطيفي المتقدّم ذكره المأثور في ذيل ترجمة الشيخ محمد بن أبي جمهور .

ورابعهم : الشيخ أبو محمد الشهير ببازيد البسطامي صاحب كتاب معارج التحقيق في الفقه .

وخامسهم : الشيخ نور الدين محمد بن حبيب الله المتقدّم ذكره كالنور في ذيل ترجمة الشيخ محمد بن أبي جمهور .

وسادسهم : السيّد السند العلّامة محمود بن عليّ الحسيني المازندراني .

وسابعهم : الشيخ الفاضل الفقيه محمد بن أحمد بن نعمة الله بن خاتون العاملي ، صاحب شرحي الإرشاد والألفيّة وكتاب الأنموذج في المنطق والحكمة الطبيعي والإلهي وغيرها .

وثامنهم : الفاضل العالم الزاهد الشيخ محمد الأردكاني الراوي عن السيّد علي الصايغ عن الشهيد الثاني .

وتاسعهم : الشيخ الفاضل الفقيه نجيب الدين عليّ بن محمد بن مكّي العاملي الراوي عن صاحبي المعالم والمدارك وكذا عن أبيه عن جدّه عن الشيخ إبراهيم بن الشيخ علي الميسي ، وعن أبيه عن جدّه عن الشهيد الثاني .

وعاشرهم : الشيخ العالم المحقّق المدقّق الشيخ محمّد بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني ، الراوي عن أبيه عن جدّه وغيره .

وحادي عشرهم : المولى الفاضل الواعظ الفقيه تاج الدين حسين بن شمس الدين الصاعدي ، الراوي عن الشيخ منصور الشيرازي ، الشهير براسـت گو ، شارح تهذيب الأصول الآخذ عن المولى عبد الله بن محمود الشوشـتري الملقّب بالشهيد الثالث .

ثمّ إنّـه قال بعد عدّه المشايخ الأحد عشر بعين هذا الترتيب ، وإيراده ترجمة هذا الشيخ اللبيب في المرتبة الثانية عشرة منها ، ولكن لا بقصد التعقيب ، بل من جهة رعاية كمال التأديب ، في تفريده بتفصيل ما وجد فيه من الأمر الحبيب ، وفضل النصيب ، وجميل التذنيب ، ما ينظر عين عبارته إلى نمط هذا التركيب .

وشيخنا هذا طاب ثراه قد كان أفضل أهل زمانه ، بل كان متفرّداً بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحـم حوله أحد من أهل زمانه ، ولا قبله على ما أظنّ من علماء العامّة والخاصّة ، يميل إلى تصوّف كثيراً وكان منصفاً في البحث ، كنت في خدمته منذ أربعين سنة في الحضر والسفر ، وكان له معي محبّة وصدّاقة عظيمة ، سافرت معه إلى زيارة أئمّة العراق عليهم الصلاة والسلام ، فقرأت عليه في بغداد والكاظميّين وفي النجف الأشرف وحائر الحسين عليه السلام والعسكريّين كثيراً من الأحاديث ، وأجازني في كلّ هذه الأماكن جميع كتب الحديث والفقه والتفسير وغيرها ، وكنت في خدمته في زيارة الرضا عليه السلام في السفر الذي توجّه النّوّاب الأعلى - خلّد الله ملكه أبداً - ماشياً حافياً من أصفهان إلى زيارته عليه السلام ، فقرأت عليه هناك تفسير الفاتحة من تفسيره المسمّى بالعروة الوثقى وشرحيه على دعاء الصباح والهلّال من الصحيفة السجّاديّة .

ثمّ توجّهنا إلى بلدة هراة التي كان سابقاً هو ووالده فيها شيخ الإسلام ، ثمّ رجعنا إلى المشهد المقدّس ، ومن هناك توجّهنا إلى اصفهان .

ومن جملة ما قرأت عليه أوّلاً في عنقوان الشباب ألقية ابن مالك في النحو ، ثمّ قرأت عليه رسائل متعدّدة من تصانيف والده ، وسمعت عليه مختصر النافع وجملة من

كتاب شرائع الإسلام وكتاب إرشاد الأذهان، وجانباً من كتاب قواعد الأحكام بقراءة جماعة من المؤمنين، وقرأت عليه الاثني عشرية الثلاث التي هي من تصانيفه و شرح الأربعين حديثاً الذي هو من تصانيفه، وهذا التصنيف كان بإمداد الفقير والتماسه، وهذا التصنيف كان في غاية الجودة، ونهاية الحسن، لم يوجد مثله، وقرأت عليه المجلد الأول من كتاب تهذيب الأخبار وكذا المجلد الأول من كتاب الكافي لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، وكذا المجلد الأول من كتاب من لا يحضره الفقيه وأكثر كتاب الاستبصار إلا قليلاً من آخره قراءةً وسماعاً، وقرأت عليه خلاصة الأقوال في معرفة الرجال وقرأت عليه دراية والده ودرايته التي جعلها كالمقدمة من كتاب جبل المتين وقرأت عليه كتاب جبل المتين الذي خرج منه مجلد واحد، و أربعين حديثاً التي ألّفها الشهيد عليه السلام، وقرأت عليه الحديث المسلسل بألْقَمَنِي الخبز والجبن وألْقَمَنِي لقمة منها، وقرأت عليه الرسالة المسماة بتهذيب البيان و الفوائد الصمدية كلاهما من مصنفاته في النحو.

وتوفي قدس الله روحه في أصفهان، في شهر شوال سنة ألف وثلاثين وقت رجوعنا من زيارة بيت الله الحرام، ثم نقل إلى مشهد الرضا عليه السلام ودفن هناك في بيته قرب الحضرة المقدسة، وقبره هناك مشهور يزوره الخاصة والعامة.

وهذا تفصيل مصنفاته :

كتاب خلاصة الحساب .

وكتاب جبل المتين جمع فيه الأحاديث الصحاح والحسان والموثق، شَرَحَ فيه ما يحتاج إلى البيان والتفسير ورفع التنافي بينهما على وجه حسن، فيما يظن فيها التنافي بحسب الظاهر، خرج منه مجلد واحد.

وكتاب مشرق الشمسين ذكر فيه الأحاديث الصحاح والحسان خاصة مع الإشارة إلى بعض البيانات، وتفسير الآيات التي تناسب تلك الأحاديث، ممّا يستنبط منها الأحكام الشرعية على وجه الإيجاز والاختصار.

وكتاب الفوائد الصمدية . و تهذيب البيان كلاهما في النحو . وكتاب الزبدة في أصول الفقه .

و شرح دعاء الصباح . و شرح دعاء رؤية الهلال من الصحيفة السجّادية .
و رسالة في استحباب السورة في الردّ على بعض معاصريه ، وإن رجع عنه أخيراً .

و الاثنى عشرية الخمس في الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ .
وكتاب الجامع العباسي خرج منه إلى آخر كتاب الحجّ .
و رسالة في قصر الصلاة في الأماكن الأربعة .
و شرح على اثني عشرية الشيخ المحقّق الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني قدس الله روحهما .

و حواش على كتاب مختلف الشيعة .
وكتاب مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة .
وكتاب الكشكول في فنون شتّى ؛ خرج منه ثلاث مجلّدات .
و حواش على قواعد الشهيدية .
وكتاب شرح الأربعين حديثاً لم يصنّف مثله .
و رسالة في مباحث الكفر .
وكتاب في سوانح سفر الحجاز أكثره بالفارسيّة .
و حاشية على تفسير القاضي البضاوي ، وهي حاشية جيّدة نفيسة أحسن ما كتب على هذا التفسير .

وكتاب تشريح الأفلاك مع حواشيه مختصر .
وكتاب الاسطرلاب كبير بالعربيّة ، وآخر في الاسطرلاب بالفارسيّة ، وغير ذلك .
وهو قدّس الله روحه يروي عن والده الإمام المحقّق قراءةً وسماعاً وإجازةً لجميع ما للإجازة فيه مدخل من سائر العلوم العقلية والنقلية ، سيّما كتب الحديث والتفسير

والفقه من طرقنا وطرق العامة، بحق روايته عن شيخنا الإمام قدوة المحققين الشهيد الثاني طاب ثراه، حسب ما ذكره في إجازته الطويلة. انتهى ما كان من إجازة سيدنا الكركي، له تعلق بترجمة هذا الحبر الزكي.

وقال صاحب الوسائل في كتاب رجاله الموسوم بأمل الآمل بعد الترجمة لهذا الشيخ النبيل المتبحر الألمي اللوذعي بعنوان: الشيخ الجليل بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي، ينسب إلى الحارث الهمداني،

.....

وقد ذكره السيد علي بن ميرزا أحمد في سلافة العصر في محاسن أعيان العصر فقال فيه :

.....

ثم أطل في وصفه بفقرات كثيرة، وذكر أنه توفي سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، وقد سمعنا من المشايخ أنه مات سنة ثلاثين بعد الألف، وذكر بعض مصنفاته السابقة، وقد تقدّم أبيات في مرثيته في ترجمة الشيخ إبراهيم بن إبراهيم العاملي.

وذكره السيد مصطفى في الرجال فقال: جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه وعلو رتبته وفي كل فنون الإسلام كمن له فن واحد، له كتب نفيسة جيدة. انتهى.

وقد تقدّم له أبيات في مرثيته لأبيه، في ترجمة أبيه. ثم كلام صاحب الأمل. ومراده بالشيخ إبراهيم المذكور هو الذي تقدّمت أبيات مديحه للسيد حسين بن السيد السند صاحب المدارك؛ وكان من تلامذة شيخنا البهائي، وتوفي بطوس، وله ديوان شعر صغير ورسالة سماها رحلة المسافر كما ذكر ذلك أيضاً صاحب الأمل ثم قال: «أخبرني بها جماعة منهم السيد محمد بن محمد الحسيني العاملي العينائي»، يعني به صاحب كتاب الاثني عشرية الآتي ذكره وترجمته إن شاء الله عنه، وقال:

ومن شعره قوله في قصيدة يرثي بها الشيخ بهاء الدين بن محمّد بن الحسين العاملي :

شيخ الأنام بهاء الدين لا برحت	سحائبُ العَفْوِ ينشيها له الباري
مولى به اتّضحت سبل الهدى وغدا	لفقده الدين في ثوبٍ من القارِ
والمجد أقسم لا تبدو نواجده	حزناً وشقّ عليه فضل أطهاري
والعلم قد درست آياته وعفت	عنه رسوم أحاديثٍ وأخبارِ
كم بكر فكرٍ غدت للكون فاقدة	ما دنّستها الورى يوماً بأنظارِ
كم خرّ لَمّا قضى للعلم طود علأ	ما كنت أحسبه يوماً بمنهارِ
وكم بكته محاريب المساجد إذ	كانت تضيء دمي منه بأنوارِ
فاقل الكرام ولم تبرح سجيّته	إطعام ذي سغبٍ مع كسوة العاري
جلّ الذي اختار في طوسٍ له جدثاً	في ظلّ حمامي حماها بخل أطهارِ
الثامن الضامن الجنّات أجمعها	يوم القيامة من جودٍ لزوّارِ

هذا، ومن جملة ما ذكره بالطريق الأصح والتقرير الأرقّ الأملح، وقلّ من عثر على ما أفاده ولم يترك في حقّ الرجل موضع زيادة، هو مولانا العالم العارف الجامع المؤيّد والبارع المسدّد الحاجّ محمّد مؤمن بن الحاجّ محمّد قاسم بن الحاجّ محمّد ناصر بن الحاجّ محمّد الشيرازي المنشأ والمولد والجزائري الأصل والمحتدّ، وكان من أعظم نبلاء زمن سميّنا العلامة المجلسي - قدّس سرّه القدّوسي - وله كتب مبسّطة وأرقام مضبوطة في شرح منازل السائرين، وذكر مقامات العارفين والسالكين، منها كتابه الموسوم بـخزانة الخيال والمشحون من طرف المعاني والألفاظ الموزونة بأمثال اللآل، وأشباه الكواكب المشعّعة في أجواف الليال، وقد وشح كثيراً من صفائح أبواب ذلك الكتاب بأسماء جماعة من العلماء الأنجاب والفضلاء الأقطاب، منهم هذا الجنب المستطاب الآيل إلى ذكره الخطاب، فإنّه بعدما عقد فيه لحضرته العليا باباً بالخصوص ومهد للإهداء إلى حريم حرمة ألقاباً

كالقصص، كتب بالحرمة لملاحظة المناسبة بهاءً وضياءً، ثم جعل يلهج في صفة سناء الرجل بجميل هذا الإنشاء :

بهاء الحقّ وضيأؤه وعزّ الدين وعلاؤه، وأفق المجد وسماؤه، ونجم الشرف وسناؤه، وشمس الكمال وبدره، وروض الجمال وزهره، وبحر الفيض وساحله، وبرز البرّ ومراحله، وواحد الدهر ووحيده، وعماد العصر وعميده، وعلم العلم وعلامته، وراية الفضل وعلامته، ومنشأ الفصاحة ومولدها، ومصدر البلاغة وموردها، وجامع الفضائل ومجمعها، ومنبع الفواضل ومرجعها، ومشرق الإفادة ومشرعها، ومطلع الإفاضة ومقطعها، وسلطان العلماء وتاج قمّتهم، وبرهان الفقهاء وتتمّة أئمتّهم، وخاتم المجتهدين وزبدتهم، وقدوة المحدثين وعمدتهم، وصدر المدرّسين وأسرّتهم، وكعبة الطالبين وقبلتهم، مشهور جميع الآفاق، وشيخ الشيوخ على الإطلاق، كهف الإسلام والمسلمين، مروج أحكام الدين، العالم العامل الكامل الأوحد، بهاء الملة والحقّ والدين، محمد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي، عامله الله بلطفه الخفيّ والجليّ.

- إلى أن قال :- ومصنّفاته أكثر من أن تحصى، وأظهر من أن تخفى، ومن نظمه الباهر وشعره المظاهر المرزويّ بعقد الجواهر طاب ثراه في مرثية والده حين توفيّ بالمصلّى من قرى البحرين سنة أربع وثمانين وتسعمائة :

قف بالطلول وسلّها أين سلّماها وروّ من جرّع الأجنان جرّعاها
وردد الطرف في أطراف ساحتها وروح الروح من أرواح أرجاها

هذا، وقد ذكره السيّد المحدث التستري أيضاً في كتاب المقامات وغيره في مقامات وعلى وجوهٍ من التقرير لما أثر عنه من الحالات والمقالات. ومنها قوله عند ذكر ترجّل سيّدنا المرتضى عليه السلام :^١

١. هكذا في الأصل، والصحيح : «الرضي».

متى كان يمرّ بقبر أبي إسحاق الصابي، وهو راكب تعظيماً لعلمه، وهذا الرجل المشهور أنّه مات على دين الصابئة، فإذن هذا التعظيم له والترجيع عليه بما لا تسمح النفس به، حذراً من قوله تعالى: ﴿يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾^١، وهذه المسامحة كانت أيضاً في الشيخ الأجلّ الشيخ بهاء الدين محمّد طاب ثراه، وذلك حيث إنك تراه يعظّم كثيراً من الصوفيّة الأغوياء، والملاحدة الأشقياء، في جملة من مؤلفاته ومنظوماته، مثل قوله في حسين بن منصور الحلّاج:

روا باشد أنا الحقّ از درختی چرا نبود روا از نیک بختی^٢
ولذلك كانت كلّ طائفة من طوائف المسلمين ينسبه إليها.

وسمعت الشيخ الفاضل الشيخ عمر من علماء البصرة يقول: إنّ بهاء الدين محمّداً من أهل السنّة والجماعة، إلّا أنّه كان يتّقي من سلطان الرافضة، وكذلك الملاحدة والصوفيّة والعشّاق، يقول: سمعت كلّ هؤلاء يقولون: إنّ من أهل نحلّتنا، ومن هذا كان شيخنا المعاصر أبقاه الله يعني به سمّينا العلامة المجلسي رحمه الله يزدرى عليه بهذا وأمثاله، وفيض الله التفرشي لم يوثّقه في كتاب الرجال وإن أثنى عليه في العلم والحفظ وغير ذلك. والحقّ أنّه ثقة معتمد عليه في النقل والفتوى. انتهى.

وقال صاحب اللؤلؤة:

وكان رئيساً في دار السلطنة أصفهان وشيخ الإسلام فيها وله منزلة عظيمة عند سلطانها الشاه عبّاس، وله صنف كتاب الجامع العبّاسي، وربما طعن عليه بالقول بالتصوّف كما يتراءى من بعض كلماته وأشعاره، والحقّ في الجواب عن ذلك ما أفاده المحدث العلامة السيّد نعمة الله الجزائري التستري رحمه الله، وهو أنّ الشيخ المذكور كان يعاشر كلّ فرقة وملة بمقتضى طريقتهم ودينهم وملّتهم وما هم عليه،

١. المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.

٢. البيت ليس للشيخ رحمه الله، بل هو لشيخ محمود الشبستري من كتابه گلشن ريز.

حتّى إنّ بعض العلماء العامّة ادّعى أنّه منهم، قال السيّد المذكور: فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح وكان معي، فعجب من ذلك وذكر جملة من الحكايات المؤيدة لما ذكره، ثمّ استدّل له بقوله في قصيدته التي في مدح القائم عليه السلام:

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
وأظهر أنّي مثلهم تستفزني صروف الليالي باختلاء وإمرار
وطعن عليه بعض مشايخنا المعاصرين أيضاً يعني به الشيخ المحدث الصالح عبد الله بن صالح البحراني المتقدّم ذكره، كما ذكره في الحاشية منه عليه السلام بأنّ له بعض الاعتقادات الضعيفة، كاعتقاد أنّ المكلف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل، فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده، ولا يخلّد في النار وإن كان بخلاف أهل الحقّ، قال: وهو باطل قطعاً، لأنّه على هذا يلزم أن يكون علماء أهل الضلال ورؤساء الكفار، غير مخلّدين في النار إذا أوصلتهم شبههم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك من غير اتّباع لأهل الحقّ، كأبي حنيفة وأضرابه، وتحقيق البحث لا يليق بهذا المقام. انتهى.

أقول: وعندي فيه نظر؛ إذ يمكن أن يقال: لا نسلم أنّ علماء الضلال قد بذلوا الجهد في طلب الحقّ؛ إلى آخر ما ذكره في الردّ على شيخه المذكور، ثمّ في العدّ لمصنّفات شيخنا - المنظور - إلى أن قال: ورسالة الصمدية صنّفها لأخيه الشيخ عبد الصمد، وقد توفيّ الشيخ عبد الصمد - المذكور - سنة العشرين بعد الألف حوالي المدينة المنورة، ونقل جسده إلى النجف الأشرف.

قلت: ورأيت للشيخ عبد الصمد - المذكور - حواشي لطيفة ذات فوائد وتحقيقات منيفة على شرح أربعين أخيه المبرور عليهما رحمة الله الملك الغفور. ثمّ إنّّه أخذ في عدّ سائر مصنّفات الرجل. إلى أن قال: مولد شيخنا المذكور بعلبك يوم الخميس لثلاث عشر بقين من شهر محرّم الحرام سنة الثالثة والخمسين

وتسعمائة، وتوفي رحمه الله لا تثنى عشرة خلون من شوال سنة الحادية والثلاثين بعد الألف، وقيل: سنة الثلاثين بعد الألف، وكان موته بإصبهان، ثم نقل جسده الشريف قبل الدفن إلى المشهد الرضوي على مشرفه السلام، وقبره هناك معروف. انتهى.

ومن جملة ما ذكره أيضاً السيد المتقدم على ذكره الإجلال والأنعام في تضاعيف كتابه المشتهر بالمقامات في مقام حقه على رعاية حال النفس، وتحذيره الناس عن الارتكاب لموجبات ملالها وإعيائها قوله قدس قوله:

يا أخي، قال مولاك أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان؛ فابتغوا لها طرائف الحكمة. إلى أن قال: وروي عن ابن عباس أنّه كان يقول عند ملله من دراسة العلم: حمّضونا حمّضونا، فيخوضون عند ذلك في الأخبار والأشعار.

وقد حكى لي أوثق مشايخي أنّ تلامذة شيخنا بهاء الدين عطر الله مرقده، كانوا يستفيدون منه يوم تعطيل الدرس أكثر من الدرس، لأنّه كان يلقي إليهم يوم التعطيل من فنون العلم ونوادر الأخبار والأشعار الفائقة والحكايات الرائقة، ففيه الاستفادة لعلوم الجديدة ونشاط واستعداد لأيام الدرس وطلب العلم، ولعلّ طرفاً من الانبساط ونوعاً من حكايات والمطايبات محصل للنشاط أيضاً، وقد يقع الملل أيضاً في العبادات والمداومة على نوع منها، فينبغي التنقّل في أنواع العبادات والطاعات، حتّى يحصل من التنقّل الإقبال على العبادة. قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاقبلوا على النوافل، وإذا أدبرت فدعوها.

وقد استنبطت في شرح تهذيب الحديث من هذا التحقيق وجهاً لطيفاً لما وقع من النوافل والأدعية المأثورة في جميع الأوقات، وخصوصاً بين الصلاتين، سيّما المغرب والعشاء، فإنّ ما بينهما من الوقت مضيق عمّا شرع فيه من الدعاء والعبادة ولا يجوز التكليف بعبادة في وقت يضيق عنها، كما قرّر في الأصول.

ومن جملة ذلك أيضاً قوله عقيب حكاية : إنه صَنَّف بعض الأفاضل من أهل عصره كتاباً مفيداً لكنّه لم يشتهر مع وفور علمه ، فقيل له في ذلك ، فقال : كتابي هذا لم يشتهر لأنّ له عدوّاً ، فإذا ذهب أقبل الناس على كتابته ، فقيل له : مَنْ هذا العدو؟ فقال : أنا ، وكان الحال كما قال ؛ لمّا صَنَّف بهاء الملة والدين كتابه الأربعين ، أتى به بعض الطلبة إلى حضرة المحقّق المدقّق جامع العلوم السيّد الداماد ، فلمّا نظر فيه قال : إنّ هذا العربيّ رجل فاضل ، لكنّه لمّا جاء في عصرنا لم يشتهر ولم يعدّ عالماً . قلت : وفي بعض المواضع أنّ بين الرجل وجناب هذا السيّد المحقّق كانت مصاحبات إيمانيّة ، ومصادقات روحانيّة ، وإن كان قد خفيت على كثير من النفوس الشيطانيّة ، والنحوس الظلمانيّة ، كما قد تقدّم في ذيل ترجمة السيّد المرحوم حكاية اختيار سلطان وقتهما الشاه عبّاس الأوّل أنار الله تعالى برهانه ، عن حالة ذات بينهما حين شهدا موكبه المبارك ، فتبيّن للسلطان حقيقة ذلك ؛ وشكر الله سبحانه على ما ظهر منهما هنالك ، وافتخر به على سائر ملوك الممالك ، وكما يشهد أيضاً من تساييرهما في جميع ما يكون من المناهج والمسالك ، ما نقل : إنّ جناب السيّد المرحوم كتب إلى جناب شيخنا الموسوم هذه الرباعيّة بلسان الفارسيّة :

ای سرّ ره حقیقت ای کان سخا در مشکل این حرف جوابی فرما
گوئی که خدا بود و دگر هیچ نبود چون هیچ نبود پس کجا بود خدا
فأجابه الشيخ رحمه الله بقوله :

ای صاحب مسأله تو بشنو از ما تحقیق بدان که لا مکان است خدا
خواهی که ترا کشف شود این معنی جان در تن تو بگو کجا دارد جا
وعندي أنّ في جواب الشيخ نظرٌ لا يُنفى وإن كان مرجعه إلى حديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه» كما لا يخفى .

ثمّ إنّ من جملة ما ذكره جناب السيّد المعظم عليه أيضاً أنّه قال : قد صمّم العزيمة بهاء الملة والدين العاملي على أن يبني مكاناً في النجف الأشرف لمحافظة

نعال زوّار ذلك الحرم الأقدس ، وأن يكتب على ذلك المكان هذين البيتين اللذين سخا بخاطره الشريف وكأنّه مذكور في كتابه الكشكول :

هذا الأفق المبين قد لاح لديك فاسجد متذلّلاً وعفّ خدّيك
ذا طور سينين فاغضض الطرف به هذا حرم العزّة فاخلع نعليك
ويناسب ذلك ما نقل عنه أيضاً في مقام آخر من نسبة هذه القطعة الفاخرة إليه
رَبِّهِ فِي الرِّسَالَةِ إِلَى خَدَامِ حَرَمِ مَوْلَانَا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يا سعدُ إذا جِزّت ديار الأحابِ وقت السحرِ
قَبْلَ عَنِّي تراب تلك الأعتاب واقضِ وطري
إن هم سألوا عن البهائي فانطق رؤيا النظرِ

قد ذاب من الشوق إليكم قد ذاب هذا خبري
وإنّ له أيضاً هذه الرباعيّة في قصّة اشتياقه إلى زيارة مولانا الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ :
إن جئت أقصّ قصّة الشوق لديك إن جئت إلى طوس فبالله عليك
قَبْلَ عَنِّي ضريح مولاي وقل قد مات بهائيّك بالشوق إليك
وكذا ما نقل أنّ له أيضاً رُبْعٌ :

ففي يثرب والغريّ والزوراء في الطوس وكربلا وسامراء
لي أربعة وعشرة هم ثقتي في الحشر وهم حصني من أعدائي
وأنّ له أيضاً طَيْبُ الله تراه :

يا ربّ إنّني مذنب خاطي مقصّر في صالحات القرب
وليس لي من عملٍ صالح أرجوه في الحشر لدفع الكُرب
غير اعتقادي حبّ خير الوري وآله والمرء مع ما أحبّ

وله أيضاً شكر الله تعالى سعيه في مديح إمام الزمان عَجَّلَ اللهُ فرجه :
خليفة ربّ العالمين وظلّه على ساكن الغبراء من كلّ ديار
إمام هدىّ لا ذ الزمان بظلّه وألقى إليه الدهر مقوّد خوار

علوم الورى في جنب أبحر علمه كغرفة كفّ أو كغمسة منقار
 إمام الورى طور النهى منبع الهدى وصاحب سرّ الله في هذه الدار
 ومنه عقول العشر تبغي كمالها وليس لها في ذا التعلّم من عار
 ومن جملة ذلك أيضاً قوله ﷺ ، وهو من نوادر آثار الرجل ﷺ ونفائس
 حكاياته ، وحكى جماعة من الثقات عن بهاء الملة والدين أنّه قال :

كنت في الشام مظهراً أتّي على مذهب الشافعي ، فقال لي يوماً أفضل فضلائهم : يا
 فلان ، تحصل عند الشيعة حجة يعتمد عليها ، فقال له : حججهم كثيرة ، فطلب منّي أن
 أحكي له شيئاً منها ، فقلت له : يقولون إنّ البخاري روى في صحيحه عن النبي ﷺ أنّه
 قال : « فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني ، ومن أغضبها فقد أغضبني »^١ ، ثم روى
 بعد هذا بأربع ورقات أنّها خرجت من الدنيا وهي غاضبة عليهما ، يعني على الشيخين ،
 فما ندري كيف الجواب ؟ ! فأطرق ملياً وقال : هذا كذب على البخاري ، أنا أراجع
 الليلة ، فغدوت عليها من الصباح ، فلمّا رأي ضحك ، ثم قال : أما قلت لك إنّ الرافضة
 تكذب ، راجعت صحيح البخاري البارحة فرأيت بين الحديثين أزيد من خمس
 ورقات ، وكان يتبجج بهذا الجواب .

ومنها ما نقله أيضاً السيّد المرحوم في درج كتابه المرقوم : أنّ الشيخ صالح بن
 حسن الجزائري صاحب المسائل المشهورة إلى شيخنا البهائي ﷺ ، كتب إليه :
 ما قول سيدي وسندي ومن عليه بعد الله وأهل البيت معتمدي في هذه الأبيات
 لبعض النواصب بترّ الله أعمارهم وخرب ديارهم ، فالأموال من أنفاسكم الفاخرة
 وألطفكم الظاهرة ، أن تشرفوا خادمكم بجواب منظوم تكسر سورة هذا الناصب
 وشبهته وأمثاله من الطغاة ؛ نصر الله بكم الإسلام بمحمد وآله الكرام ﷺ .

يقول أهوى أمير المؤمنين ولا أَرْضَى لِسَبِّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمْرَا

١ . في البخاري : فاطمة بضعة منّي فمن آغضبها آغضبني .

ولا أقول إذا لم يعطيا فذكراً
 بنت النبي رسول الله قد كفرا
 الله يعلم ماذا يأتيان به
 يوم القيامة من عُذرٍ إذا اعتذرا
 فأجابه الشيخ بهاء الدين محمد طاب ثراه :

الثقة بالله وحده ، التمسّت - أيّها الأخ الأفضل الصفيّ الوفيّ الألمعيّ الزكيّ ، أطال
 الله بقاءك وأدام في معارج العزّ ارتقاءك - الإجابة عمّا هذر به هذا المخذول ، فقابلت
 التماسك بالقبول ، وطفقت أقول :

يا أيّها المدعي حبّ الوصيّ ولم	تسمح بسبّ أبي بكرٍ ولا عمرا
كذبت والله في دعوى محبّته	تبّت يداك ستصلي في غدٍ سقرا
فكيف تهوى أمير المؤمنين وقد	أراك في سبّ من عاداه متتكرا
فإن تكن صادقاً فيما نطقت به	فابراً إلى الله ممن خان أو غدرا
وأنكر النصّ في خمٍّ وبيعته	وقال إنّ رسول الله قد هجرا
أتيت تبغي قيام الغدر في فذك	أتحسب الأمر بالتمويه مستترا
إن كان في غضب حقّ الطهر فاطمة	سيقبل العذر ممن جاء معتذرا
فكلّ ذنبٍ له عذر غداة غدٍ	وكلّ ظلمٍ يرى في الحشر مغفرا
فلا تقول لمن أيّامه صرفت	في سبّ شيخيكم قد ضلّ أو كفرا
بل سامحوه وقولوا لا نؤاخذه	عسى يكون له عذر إذا اعتذرا
فكيف والعذر مثل الشمس إذ بزغت	والأمر متّضح كالصبح إذا ظهرا
لكنّ إبليس أغواكم وصيّركم	عُمياً وصمّاً فلا سمعاً ولا بصرا

ومنها أيضاً ، ما نقله السيّد المذكور في المجلّد الأوّل من شرح تهذيبه المشهور
 في ذيل مسألة نجاسة جميع أجزاء الكلب البرّي ، كما عليه الجمهور ، فقال :

ولمّا انجزّ الكلام إلى هنا ، فلا بأس بذكر حكاية حكاها شيخنا البهائيّ عليه السلام في
 شرحه على الفقيه ، وهذه عبارته : وحيث انجزّ الكلام إلى قول المرتضى عليه السلام بعدم
 نجاسة ما لا تحلّه الحياة من نجس العين ، فأنا أذكر حكاية تنازعني نفسي في ذكرها ،

وهي أنّ سلطان زماننا خلّد الله ملكه وأجرى في بحار التأييد فلكه - وأراد به الشاه عباس الأول نور الله برهانه - عرض له يوماً وهو في مصيدة خنزير عظيم الجثة طويل السنّ الخارج، فضربه بالسيف ضربة نصفه بها، ثمّ أمر بقلع سنّه والإتيان بها إليه، فوجد مكتوباً عليه لفظ الجلالة بخطّ بيّن، فحصل له ولنا ولمن حضر المصيدة من العسكر المنصور نهاية التعجّب، فإنّ ذلك من أغرب الغرائب، فلمّا أراها أدام الله نصره وتأييده، قال لي: كيف يجتمع هذا مع نجاسة الخنزير؟ فعرضت لديه أنّ السيّد المرتضى قاتل بطهارة ما لا تحلّه الحياة من نجس العين، ووجود هذا الخطّ على هذا السنّ ربما يؤيد كلامه طاب ثراه، فإنّ السنّ ممّا لا تحلّه الحياة، وكان بعض الأطباء حاضراً في المجلس الأشرف، فقال: قد صرّح الشيخ في القانون بأنّ بعض العظام لها حياة وأنّ السنّ من جملة تلك العظام، فتكون ممّا تحلّه الحياة إليه.

فقلت له: كلام ابن سينا غير رائج عندنا بعدما نقله علماؤنا قدّس الله أسرارهم عن أثمتنا صلوات الله وسلامه عليهم من أنّ السنّ ممّا لا تحلّه الحياة، وأنّها كالظفر والشعر والقرن، فحرّك رأسه ولوى عنقه مشمئزاً ممّا نقلته استعظماً لابن سينا غاية الاستعظام، فأردت كسر سورة استعظامه فقلت له: إنّ لي مع ابن سينا في هذا المقام بحثاً لا مخلص عنه، وهو أنّه ناقض نفسه في هذا الكلام الذي نقلته أنت عنه؛ لأنّه ذكر في بحث أمراض الأسنان من القانون أنّها من جملة العظام التي لها حسّ، وقال في بحث تشريح الأسنان: ليس لشيء من العظام حسّ البتّة إلّا الأسنان، وظاهر أنّ تلك العبارة موجبة جزئية فيثبت الحسّ للبعض، وهذه سالبة كلية تنفيه عن الكلّ، وهل هذا إلّا عين التناقض؟ فطأطأ رأسه وقال: أراجع القانون. فقلت: راجعه ألف مرّة، هذا لفظه. انتهى.

وأقول: إنّ هذه النقوش الواقعة على الأجسام الرديّة وغيرها من باب الاتفاق كثيرة، كما تراها في قشور الفواكه وعروق الأحجار ورمال الأودية كثيراً، ولا إشارة فيها إلى شيء من الأمور؛ لظهور عدم تعلّق قصد من الجاعل لها بكونها من قبيل الخطوط المبعوثة إلينا، وعدم جريان عادة الله تعالى على تقرير أحكام

الشريعة بأمثال هذه الأمور، فضلاً إذا كان اتّفاق ما وقع منها بمثل كلمة واحدة، أو اتّفق كونها من ذوات المعاني في لغة واحدة، أو طابق ذلك مصطلح طائفة واحدة من أرباب الخطوط المتباينة المتباعدة، كما هو المفروض في هذه القضية الواردة في أنظارنا على خلاف القاعدة.

ولو سلّم على سبيل المماثلة كون ما وجدوه بعينه هي كتابة اسم الله تعالى على قاعدة خطّ وضعه الله تعالى لعباده، فلا نسلّم تأييد ذلك لطهارة ذلك العظم، كما هي مذهب سيّدنا المرتضى، ولا يسيراً من تأثيره بالنسبة إليها لعدم انفكاك الأسنان عن إصابة لعاب صاحبها دائماً وهو غير طاهر في موضع هذه المسألة يقيناً، مضافاً إلى أنّ حرمة التلوّث بالنجاسة أو التخمر بها من جملة الأحكام التكليفية بالنسبة إلينا، ولا قياس لعمل الله المكلف عباده بما يشاء كيف يشاء بأفعال المكلفين والمخلوقين الجاهلين بعلم الأشياء وحكم بدائع الخلق والإنشاء.

ثم إنّ الحسّ الصحيح يبطل ما احتمله شيخنا البهائي عليه السلام من عدم الحسّ مطلقاً في خصوص الأسنان، كما أنّ النصّ الصريح يناقض ما التزمه شيخهم الرئيس من كون مادّة هذه الجارحة من قبيل موادّ العظام المتأصّلة في تركيب الأبدان، والمتخلّفة من المضغ في مبادي الأكوان، ولم يهتدِ إلى أنّها من فريق خلق آخر من صنيع الرحمان، مثل الظفر والظلف والقران والحافر والمنقار والمخلب والغضروفات التي هي وراء كلّ ذلك من المطلب، بل وراء اللحم والشحم وأسناخ القدر والذواقن والعظم والعصب، ولذا ترى أنّ الفقهاء النبهاء أيضاً يذكرون أمثال هذه الأشياء في بحث جواز الانتفاع بكلّ ما لا تحلّه الحياة من الميتة في مقابلة خصوص العظم تبعاً للنصوص الواردة في هذا النظم، ولا يوجبون في اللحم المتشبّث بمثل السنّ والظفر الغسل، مع أنّهم يوجبونه في القطعة المبانة من الإنسان إذا كان معه شيء من العظم، وإن كنت من الأصوليين فتجد من نفسك وغيرك أيضاً تبادل غير السنّ ونحوها من لفظ العظم متى أطلق مع صحّة سلب ما لها من المعنى المعروف عنهما من غير

تأمل، فدلّ على أنّهما من غير أفرادهِ الحقيقة كما لا يخفى .

وعلى ذلك فلا يبعد أن يقال في تفسير حقيقة ما وقع محلّ التفكير أنّه نظير ما يوجد بمشيّة الله الملك القدير، في مرافق بحار هذا العالم الكبير من اللؤلؤ الرطب الذي ما هدى منه إلى مواقع التخدير، ومكامن التصيير والتصوير، فيكون رسمه عند من أراد أن يرسم أنّه جوهرة نفيسة أبدعها نظام العالم في يَمّ الفم، لمنفعة من أراد أن يلقم .

كما يرشد إلى ذلك أنّه جعلها بمنزلة لآلئ البحار في اللون والصفاء والصلابة والاعتدال إلى حيث لا يأخذه مثل اللؤلؤة مبرّدة الحديد، ولا يؤثّر في خرطه وحكّه المضغ الدائم ولا العضّ الشديد، على الوجه المديد إلى العهد البعيد، مع أنّ أحجار الأرحية يظهر فيها أثر الانحسار والانفراك بمرور شيء من الدهر عليها على نهج الاصطكاك والاحتكاك، فكيف بما هو من قبيل العظام الموهونة التي يتمخّق بمسيس يسير من الأيام، ولا تطيق أن ينسحق عليها خفيف من الأجرام، فافهم الكلام واغتنم بما هديناه إليك في تضاعيف الأرقام من تراصيف الأقلام .

ثمّ أرجع إلى بقيّة أحوال شيخنا القمقام وتتمّة ما ذكره السيّد السابق عليه الإفحام وهو من متعلّقات المقام؛ وملائمت أفتدة أرباب الأفهام، فنقول - ومن الله الاستعانة في عموم الأمور، وفي خصوص زبر ما تلوناه عليك من الزبور -: وقال أيضاً سيّدنا المتقدّم الجليل المبرور المزبور، عليه رحمة الله الملك الغفور :

وفي بعض مصنّفات شيخنا البهائي نقلاً عن والده الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجباعي، أنّه قال : وجد في مسجد الكوفة فصّ عقيق مكتوب عليه هذان البيتان :

أنا دُرّ من السماء نثروني يوم تزويج والد السبطين

كنت أصفى من اللجين بياضاً صبغتني دماء نحر الحسين

قلت : وكان الواجد هو شيخنا الشهيد الأوّل، لما وجدته في بعض السفائن التي

عليها المعتمد والمعوّل، من أنّه وجد بخطّه الشريف ما صورته : « مررت بالغريّين ، فلقيت فصّ عقيق مكتوب عليه هذان البيتان » ثمّ كتب بعده البيتين مع اختلاف يسير بينه وبين ما ذكره مولانا الشيخ حسين ، وإن أمكن في وجه ذلك تعدّد الواقعتين ، لعدم استلزام ما ذكر محذوراً في البين .

ولا عجباً في تكثّر وقوع أمثال هذه الأشياء كرامةً لأولياء الله الذين هم المتصرّفون في عوالم الخلق والإنشاء ، على سبيل السرّ والإفشاء ، ولكن بإذن الله الذي يفعل في ملكه ما يشاء ويهب ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء وهو منزّه عن اللغو والعبث والقبیح والفحشاء ، كما أنّه يحتمل أيضاً استناد ذلك إلى أفعال الآدميين ، وأن يكون المكتوب بغير خطّ مبين ، وضعه الله تعالى لتعليم غير الأميين ، كما مرّت إليه الإشارة السايغة في الحكاية السابقة ، فليتأمل ولا يغفل .

ثمّ إنّ من جملة من تعرّض لترجمة شردمة من أحوال صاحب الترجمة عليه الرضوان والرحمة ، هو تلميذه الفاضل المحدث الورع التقي القدسي المجلسي ، شارح كتاب من لا يحضره الفقيه بالعربي أولاً ثمّ بالفارسي ، فإنّه ذكره في شرحه الأوّل على مشيخة الكتاب المذكور بتقريب كونه من جملة مشايخ نفسه المقدّس المبرور ،

ومات ﷺ في شوال سنه ثلاثين بعد الألف الهجرية في إصهان ، ونقل إلى المشهد الرضوي صلوات الله عليه ، ودُفن في داره جنب الروضة المقدّسة ، والآن يزار هناك ، وكان عمره بضعاً وثمانين سنة ، إمّا واحداً أو اثنين ، فإنّي سألت عن عمره ﷺ فقال : ثمانون أو أنقص بواحدة ، ثمّ توفّي بعده بستين .

وسمع قبل وفاته بستّة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين ﷺ ، فكنت قريباً منه ، فنظر إلينا وقال : سمعتم ذلك الصوت ؟ فقلنا : لا ، فاشتغل بالبكاء والتضرّع والتوجّه إلى الآخر ، وبعد المبالغة العظيمة قال : إنّهُ أُخبرت باستعداد الموت ، وبعد

ذلك بستّة أشهر تقريباً توفّي ﷺ، وتشرفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً. انتهى.

وأقول : لا عجب في انعقاد هذه الجماعة في الصلاة على مثل شيخنا هذا مع ما قد عرفت من ارتفاع قدره ومنزلته في الدين والدنيا، كيف، وقد أسمعناك فيما تقدّم أنّه قد اجتمع أكثر من هذه الألوف في صلاة شيخنا المفيد وسيّدنا المرتضى رضي الله عنهما مع أنّهما كانا في بلاد المخالفين لنا، بل ذكر نفس هذا المخبر المعتبر في ذيل ترجمة أستاذه الآخر وهو مولانا عبد الله التستري المتقدّم ذكره الشريف قدّس سرّه المنيف، اجتماع ضعف ما ذكره هنا في الصلاة على جنازة ذلك الشيخ الأجلّ الأسنى، وهذه عين عبارته التي قد فاتنا حكايته في ذيل ذلك المعنى :

وتوفّي ﷺ في العشر الأول من محرّم الحرام، وكان يوم وفاته بمنزلة العاشوراء، وصلى عليه قريباً من مائة ألف، ولم نر هذا الاجتماع على غيره من الفضلاء، ودُفن في جوار إسماعيل بن زيد بن الحسن.

قلت : وهو الذي اشتهر الآن في أصفهان بإمام زادة إسماعيل عليه رضوان الله الملك الجليل، ثمّ نقل إلى مشهد أبي عبد الله بن الحسين عليه السلام بعد سنة، ولم يتغيّر حين أخرج، وكان صاحب الكرامات الكثيرة ممّا رأيت وسمعت، وكان قرأ على شيخ الطائفة أزهّد الناس في عهده مولانا أحمد الأردبيلي، وعلى الشيخ الأجلّ أحمد بن نعمة الله بن أحمد بن محمد بن خاتون العاملي عليه السلام، وعلى أبيه نعمة الله، وكان له عنهما الإجازة للأخبار، وأجاز لي كما ذكرته في أوائل الكتاب. انتهى.

وقال أيضاً صاحب الأمل في ذيل ترجمة المولى حسين بن موسى الأردبيلي ساكن استرآباد :

كان فاضلاً فقيهاً صالحاً معاصراً لشيخنا البهائي، له كتب، منها : شرح الرسالة الصوميّة للبهائي. وذكر في موضع منه أنّه لمّا وصل إلى ذلك الموضع سمع بوفاة المصنّف بإصفهان، وأنّه حمل إلى مشهد الرضا عليه السلام، وله حواشٍ على شرح تهذيب

الأصول للعميدي، وغير ذلك. تمّ كلامه.

ورأيت في بعض التعليقات القديمة على كتاب توضيح المقاصد الذي تقدّم أنّه من جملة مصنّفات الرجل أنّ في ثاني عشر شوال سنة ألف وثلاثين توفيّ شيخنا العلامة الكامل بهاء الدين محمّد العاملي، مؤلّف هذا الكتاب، وكان تاريخ وفاته بالفارسيّة :

بی سر و پا گشت شرع و افسر فضل او فتاد

وقال سيّدنا الجزائري المتقدّم عليه التعظيم : وتاريخ وفاة الشيخ بهاء الدين، على ما قاله في النظم بعض مشايخنا المعاصرين رحمهم الله :

بدر العراقین خفی ضوؤه وتیر الشام وشمس الحجاز

أردتُ تاريخاً فلم أهتدِ له فألهمت قلّ : الشيخ فاز

ثمّ إنّ من جملة تلامذة شيخنا المذكور - سوى من قد عرفته من العلماء البدور والفضلاء الصدور - هو شيخنا الفاضل الجواد البغدادي، والسيّد الماجد البحراني، والمولى محمّد محسن المشتهر بالفيض الكاشاني، على ما ينقدح من مفتتح كتابه الوافي، والسيّد الأميرزا رفيع الدين النائيني، والمولى شريف الدين محمّد الرويدشتي، والمولى الأجلّ الأكمل الخليل بن الغازي القزويني، والمولى محمّد صالح بن أحمد المازندراني، والشيخ زين الدين بن الشيخ محمّد بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني، والمولى أبا الحسن عليّ المشهور بالمولى حسنعلي بن مولانا عبد الله الشوشتری شيخ رواية مولانا محمّد تقي المجلسي.

ومنهم : الشيخ محمّد بن علي العاملي التبنيني، وهو الذي ذكر أيضاً في الأمل أنّه كان عالماً فاضلاً فقيهاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً، قرأ عنده خال والدي الشيخ علي بن محمود العاملي، وقرأ هو على الشيخ البهائي.

ومنهم : العالم الفاضل الجامع الكامل نظام الدين محمّد القرشي صاحب كتاب نظام الأقوال في أحوال الرجال، وكأنّه نظام بن حسين الساوجي الذي أتمّ الأبواب العشرين من الجامع العباسي بعد وفاة شيخه المرحوم بأمر السلطان شاه عبّاس

الصفوي الموسوي ، فليلاحظ .

والمولى مظفر الدين عليّ الذي كتب في ترجمة أحوال شيخنا المقصوص رسالة بالخصوص ، والشيخ محمود بن حسام الدين الجزائري الذي يروي عنه الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي صاحب كتاب مجمع البحرين .

ومنهم : الشيخ زين الدين عليّ بن سليمان بن درويش بن حاتم القديمي البحراني ، وهو الذي يروي عنه صاحب بلغة الرجال بواسطة شيخه وسميّه الشيخ سليمان بن علي بن راشد البحراني ، وذكر في حقّه أنّه أوّل من نشر علم الحديث في بلاد البحرين ، وقد كان قبل ذلك لا أثر له ولا عين ، وذكر أيضاً أنّه كان قبل وصوله إلى خدمة شيخنا البهائي يقرأ عند الشيخ الفاضل الفقيه محمد بن حسن رجب العقابي البحراني أوّل من صلّى صلاة الجمعة في البحرين بعد فتحها على أيدي سلاطين الصفويّة ، ولما رجع من خدمة المرحوم الشيخ بهائي بالغاً مبلغه من العلم بالحديث ونشره فيها ؛ كان الشيخ محمد المذكور من جملة من يحضر حلقة درسه ، فعوتب على ذلك بأنّه بالأمس كان تلميذاً لك فكيف يكون تلميذاً له ؟ فقال - وكان على غاية من التقوى والورع والإنصاف - : إنّ قد فاق عليّ وعلى غيري ممّا اكتسبه من علم الحديث ، وفيه أيضاً من الدلالة على غاية مهارة شيخنا المكتسب منه هذه المزيّة المسلّمة للشيخ زين الدين المذكور ما لا يخفى .

وأما أساتيد صاحب الترجمة ورؤساء سلسلة أساتيده الذين قد أخذ عنهم الحديث وغيره بالقراءة وغيرها من علماء الإماميّة وغيرهم ، فهم أيضاً جماعة كما في كتاب رجال النيسابوري . إلّا أنّي مهما تصفّحت كتب الإجازات والرجال لم أعثر على شيخ له في الرواية لأحاديث الشيعة الإماميّة ومصنّفاتهم غير والده وأستاده المحقّق المتبحّر الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الذي له الإجازة المبسوطة المشهورة من شيخنا الشهيد الثاني ، وقد مرّ ترجمة هذا الشيخ الجليل في باب ما أوّله الحاء المهملة مفصّلةً .

.....

بهاء الدين العاملي في خاتمة المستدرك^١

المحدّث الميرزا حسين النوري

[بهاء الدين العاملي :]

حادي عشرهم : العالم النحرير ، المتبحّر البصير ، الجامع الخبير ، حاوي فنون الفضائل ، شيخ الإسلام والمسلمين ، بهاء الملة والحقّ والدين ، محمّد بن العالم الجليل حسين بن عبد الصمد ابن العالم الربّاني صاحب الكرامات الباهرة ، شمس الدين محمّد بن علي بن حسن بن محمّد بن صالح الجبعي اللوزياني الحارثي ، لانتهاه^٢ نسبه الشريف إلى الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني - بسكون الميم - الحوتي - بضّم المهملة وبالمثناة فوق - الكوفي ، أبو زهير صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن أوليائه ، وهو المخاطب في قوله عليه السلام : يا حار همدان من يمت يرني ...

الآيات المعروفة المنسوبة إليه في كلمات جماعة حتّى الشيخ المفيد في كتاب المقالات . إلّا أنّه عليه السلام أخرج في أماليه خبراً مسنداً عن الأصبع بن نباتة قال : دخل الحارث الأعور على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم ، فجعل

١ . خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ، الميرزا حسين النوري ، ج ٢ ، ص ٢١٨ - ٢٣٥ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ .

مؤسسة آل البيت عليه السلام ، قم .

٢ . كما صرح به الشهيد الثاني في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد والد صاحب الترجمة (آقا بزرگ) .

الحارث يتنّد في مشيته ويخط الأرض بمحجنه، وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت له منزلة، فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر - يا أمير المؤمنين - مني، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك.

قال: وفيهم خصومتهم؟

قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غال، ومقتصد قال، ومن متردد مراتب لا يدري أيقدم أم يحجم.

فقال: حسبك يا أخا همدان، ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي.

فقال له الحارث: لو كشفت فداك أبي وأمي الرين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا؟

قال: قدك، فإنك امرؤ ملبوس عليك، إن دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله.

يا حارث، إن الحق أحسن الحديث، والصادق به مجاهد، وبالحق أخبرك، فارعني سمعك، ثم خبر به من كان له حصافة من أصحابك.

ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول في أمتكم حقاً، فنحن الأولون، ونحن الآخرون، ونحن خاصته - يا حارث - وخالسته.

وأنا صنوه ووصيه ووليّه وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، كلّ مفتاح يفتح ألف باب، يفضي كلّ باب إلى ألف عهد، وأيدت واتخذت، وأمددت بليلة القدر نفلاً، وإنّ ذلك يجري لي ولمن استحفظ من ذريّتي ما جرى الليل والنهار، حتّى يرث الأرض ومن عليها.

وأبشرك - يا حارث - لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض،

وعند المقاسمة .

قال الحارث : وما المقاسمة ؟

قال : مقاسمة النار ، أقاسمها قسمة صحيحة ، أقول : هذا وليي فاتركيه ، وهذا عدوي فخذيه .

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث فقال : يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال لي - وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي - : إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وحجزته - يعني عصمته - من ذي العرش تعالى ، وأخذت يا علي أنت بحجزتي ، وأخذت ذريتك بحجزتك ، وأخذ شيعتكم بحجزتكم ، فماذا يصنع الله بنبيّه ، وما يصنع نبيّه بوصيّه ! خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة ، أنت مع من أحببت ، ولك ما اكتسبت (يقولها ثلاثاً) .

فقام الحارث يجزّ رداءه وهو يقول : ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني . قال جميل بن صالح : وأنشدني أبو هاشم السيّد الحميري رحمته الله فيما تضمّنه هذا الخبر :

قول عليّ لحارثٍ عجبٌ كم تَمَّ أعجوبةٍ له حملاً

يا حار همدان من يمت يرني^١

وساق الأبيات الدائرة .

وهذا الخبر صريح في أنّ الأبيات للسيّد ، وإنّما نظم مضمون كلامه عليه السلام ، والله العالم .

وهذا الشيخ^٢ أحد أعيان الطائفة الإماميّة ووجهها ، ومن كان تشدّ إليه الرحال ، وقد جُمع فيه من العلوم والفنون والفضائل والخصال والمقبوليّة عند الكافّة على اختلاف مشاربهم وآرائهم وعقائدهم ما لم يجتمع في غيره ، وقد أكثر المترجمون

١ . أمالي المفيد ٣ : ٣ .

٢ . أي : الشيخ البهائي .

من ذكر فضائله ومناقبه، ونحن نقتصر على نقل ما ذكره بعض علماء السنّة في ترجمته، ومنه يظهر مقامه عند الأصحاب.

قال المولى محمد المحبّي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر :
 محمد بن حسين بن عبد الصمد، الملقّب بهاء الدين بن عزّ الدين الحارثي
 العاملي الهمداني، صاحب التصانيف والتحقيقات، وهو أحقّ من كلّ حقيق بذكر
 أخباره ونشر مزاياه، وإتحاف العالم بفضائله وبدائع. وكان أمةً مستقلةً في الأخذ
 بأطراف العلوم، والتضلّع بدقائق الفنون. وما أظنّ الزمان سمح بمثله ولا جاد بنده.
 وبالجملّة، فلم تتشّف الأسماع بأعجب من أخباره^١.
 وقد ذكره الشهاب في كتابه^٢، وبالغ في الثناء عليه.
 وذكره السيّد عليّ بن معصوم، وقال :

ولد بعلبك عند غروب شمس يوم الأربعاء لثلاث عشر بقين من ذي الحجة سنة
 ثلاث وخمسين وتسعمائة، وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم، وأخذ عن والده وغيره
 من الجهابذة، كالعلامة عبد الله اليزدي حتّى أذعن له كلّ مناظر ومناذب. فلما اشتدّ
 كاهله، وصفت له من العلم مناهله، ولي بها شيخة الإسلام. ثمّ رغب في الفقر
 والسياسة، واستهتّب من مهاب التوفيق رياحه، فترك المناصب ومال لما هو لحاله
 مناسب، فحجّ بيت الله الحرام، وزار النبيّ عليه الصلاة والسلام. ثمّ أخذ في
 السياحة فساح ثلاثين سنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل.
 ثمّ عاد وقطن بأرض العجم، وهناك همى غيث فضله وانسجم، فألف وصنّف،
 وقرط المسامع وشتّف، وقصدته علماء تلك الأمصار، واتّفتت على فضله أسماعهم
 والأبصار. وغالت تلك الدولة في قيمته، واستمطرت غيث الفضل من ديمته،

١. خلاصة الأثر ٣: ٤٤٠.

٢. ريحانة الألباء ١: ٧٠٢ / ٣٢.

فوضعتة على مفرقها تاجاً، وأطلعتة في مشرقها سراجاً وهّاجاً، وتبسّمت به دولة سلطانها شاه عباس، واستنارت بشموس رأيه عند اعتكار حنادس البأس، فكان لا يفارقه سفيراً وحضراً، ولا يعدل عنه سماعاً ونظراً، إلى أخلاق لو مزج بها البحر لعذب طعماً، وآراء لو كحلت بها الجفون لم يلفّ أعمى، وشيم هي في المكارم غرر وأوضاح، وكرم بارق جوّده لشائمه لامع وضّاح، تنفجر ينابيع السماح من نواله، ويضحك ربيع الأفضال من بكاء عيون آماله.

وكانت له دار مشيّد البناء، رحبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويغدو عليها الراجي والآمل، فكم مهد بها وضع، وكم طفل بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشياً، ويوسعهم من جاهه جناناً مغشياً، مع تمسك من التقى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآخرة خير وأبقى. ولم يزل آنفاً من الانحياز إلى السلطان، راغباً في الغربة عن الأوطان، يؤمل العود إلى السياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة، فلم يقدر له حتّى وافاه حمامه، وترنم على أفنان الجنان حمامه^١.

وقد أطل أبو المعالي الطالوي^٢ في الثناء عليه، وكذلك البديعي^٣.

ثمّ نقل عن الطالوي :

إنّه ولد بقزوين، وأخذ عن علماء تلك الدائرة، ثم خرج من بلده وتنقّلت به الأسفار إلى أن وصل إلى أصفهان، فوصل خبره إلى سلطانها شاه عباس، فطلبه لرئاسة علمائها فولّوها. وعظم قدره وارتفع شأنه، إلّا أنّه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته، لانتشار صيته في سداد دينه، إلّا أنّه غالى في حبّ آل البيت.

١. سلافة العصر : ٢٩٠.

٢. هو درويش محمّد بن أحمد الطالوي الأرمني. المتوفّى عام ١٠١٤، له سانحات دمی القصر في مطارحات بني العصر.

٣. يوسف البديعي الدمشقي الحلبي، المتوفّى عام ١٠٧٣، له مؤلّفات، ولعلّ ذلك في الحدائق في الأدب.

وَأَلَّفَ الْمُؤَلَّفَاتِ الْجَلِيلَةَ، مِنْهَا: التفسير المسمّى بالعروة الوثقى، و الصراط المستقيم، و التفسير المسمّى بعين الحياة، و التفسير المسمّى بحبل المتين في مزايا الفرقان المبين، و مشرق الشمسين، و شرح الأربعين، و الجامع العباسي فارسي، و مفتاح الفلاح، و الزبدة في الأصول، و التهذيب في النحو، و الملخص في الهيئة، و الرسالة الهلالية، و الاثنى عشريات الخمس، و خلاصة الحساب، و المخلاة، و تشريح الأفلاك، و الرسالة الاسطرلابية، و حواشي الكشاف، و حواشي البيضاوي، و حاشية على خلاصة الرجال، و دراية الحديث، و الفوائد الصمدية في علم العربية، و حاشية الفقيه، و غير ذلك من الرسائل المختصرة، و الفوائد المحرّرة.

وَأَمَّا أَشْعَارُهُ فَسُأِرِدَ لَكَ مِنْهَا مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ مَوْقَعُهُ، وَتَقِفُ أَمَانِيكَ عِنْدَهُ وَلَا تَتَجَاوَزُهُ.

قال: ثمّ خرج سائحاً فجاب البلاد، ودخل مصر وألّف بها كتاباً سمّاه الكشكول، جمع فيه كلّ نادرة من علوم شتى.

قلت: وقد رأيته وطالعه مرّتين، مرّة بالروم، ومرّة بمكّة، ونقلت منه أشياء غريبة. وكان يجتمع مدّة إقامته بمصر بالأستاذ محمّد بن أبي الحسن البكري، وكان الأستاذ يبالغ في تعظيمه، فقال له مرّة: يا مولانا، أنا درويش فقير، كيف تعظّمني هذا التعظيم؟ قال: شممت منك رائحة الفضل.

- قال -: ثمّ قدم القدس وحكى الرضي بن أبي اللطف القدسي، قال: ورد علينا من مصر رجل من مهابته محترم، فنزل من بيت المقدس بفناء الحرم (عليه سيماء الصلاح، وقد اتّسم بلباس السيّاح. وقد تجنّب الناس، وأنس بالوحشة دون الإيناس، وكان يألف من الحرم) فناء المسجد الأقصى، ولم يسند إليه أحد مدّة الإقامة إليه نقصاً، فألّقي في روعي أنّه من كبار العلماء الأعظم، وأجلّة أفاضل الأعاجم، فما زلت لخاطره أتقرّب، ولما لا يرضيه أتجنّب، فإذا هو ممّن يرحل إليه للأخذ عنه، وتشدّد له الرحال للرواية عنه، يسمّى بهاء الدين محمّد الهمداني

الحارثي، فسألته عند ذلك القراءة في بعض العلوم، فقال: بشرط أن يكون ذلك مكتوم [فأجبت له لسؤاله] وقرأت عليه شيئاً من الهيئة والهندسة، ثم سار إلى الشام قاصداً بلاد العجم، وقد خفي عني أمره واستعجم^١.

قلت: ولما ورد دمشق نزل بمحلة الخراب عند بعض تجارها الكبار، واجتمع به الحافظ الحسين الكربلائي القزويني أو التبريزي نزيل دمشق صاحب الروضات الذي صنّفه في مزارات تبريز، فاستنشدته شيئاً من شعره. وكثيراً ما سمعت أنّه كان يطلب الاجتماع بالحسن البوريني، فأحضره له التاجر الذي كان عنده بدعوة وتأنق في الضيافة، ودعا غالب فضلاء محلّتهم. فلما حضر البوريني إلى المجلس رأى فيه صاحب الترجمة بهيئة السيّاح، وهو في صدر المجلس، والجماعة محدقون به، وهم متأدّبون غاية التأدّب، فعجب البوريني، وكان لا يعرفه، ولم يسمع به، فلم يعبا به، ونحّاه عن مجلسه وجلس، غير ملتفت إليه، وشرع على عادته في بثّ رقائقه ومعارفه، إلى أن صلّوا العشاء ثم جلسوا. فابتدر البهائي في نقل بعض المناسبات، وانجرّ إلى الأبحاث، فأورد بحثاً في التفسير عويصاً، فتكلّم عليه بعبارة سهلة فهمها الجماعة كلّهم، ثم دقّق في التعبير حتّى لم يبقَ يفهم ما يقول إلّا البوريني، ثمّ أغمض في العبارة، فبقي الجماعة كلّهم، والبوريني معهم صموتاً جموداً لا يدرون ما يقول، غير أنّهم يسمعون تراكيب واعتراضات، وأجوبة تأخذ بالألباب. فعندها نهض البوريني واقفاً على قدميه، وقال: إن كان ولا بدّ فأنت البهائي الحارثي؛ إذ لا أجد في هذه المثابة إلّا ذاك. واعتنقا، وأخذوا بعد ذلك في إيراد أنفس ما يحفظان. وسأل البهائي من البوريني كتمان أمره، واقتربا تلك الليلة. ثمّ لم يُقم البهائي فأقلع إلى حلب.

١. سانحات دمی القصر ٢: ١٢٧، أنظر كذلك أعيان الشيعة ٩: ٢٤١.

وذكر الشيخ أبو الوفا العُرَضي في ترجمته، قال :

قدم حلب مستخفياً في زمن السلطان مراد بن سليم، مغتبراً صورته بصورة رجل درويش، فحضر دروس الوالد - يعني الشيخ عمر - وهو لا يظهر أنه طالب علم، فسأله عن أدلة تفضيل الصديق على المرتضى عليه السلام، فذكر حديث «ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر» وأحاديث مثل ذلك كثيرة، فردّ عليه، ثم أخذ يذكر أشياء كثيرة تقتضي تفضيل المرتضى عليه السلام، فشتمه الوالد، وقال : رافضي شيعي ! وسبّه، فسكت.

ثم إنَّ صاحب الترجمة أمر بعض تجّار العجم أن يصنع وليمة، ويجمع فيها بين الوالد وبينه. فاتّخذ التاجر وليمة وجمع بينهما، فأخبره أنّ هذا هو المَلّا بهاء الدين، عالم بلاد العجم. فقال للوالد : شتمتمونا. فقال له : ما علمت أنّك المَلّا بهاء الدين، ولكن إيراد مثل هذا الكلام بحضور العوام لا يليق.

ثم ساق بعض ألغازه، وجملته من أشعاره، وقال :

وكانت وفاته لاثنين عشر خلون من شوال سنة إحدى وثلاثين وألف بإصبهان^١، ونقل إلى طوس قبل دفنه، فدفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضويّة. وحكى بعض الثقات أنّه قصد قبيل وفاته زيارة القبور في جمع من الأخلّاء الأكابر، فما استقرّ بهم الجلوس حتّى قال لمن معه : إنّي سمعت شيئاً، فهل منكم من سمعه ؟

فأنكروا سؤاله واستغربوا مقاله وسألوه عمّا سمع، فأوهم وعمّى في جوابه وأبهم.

ثم رجع إلى داره وأغلق بابه، فلم يلبث أن أهاب داعي الردى فأجابه.

قلت : ويؤيد ما حكاه بعض الثقات، ما ذكره التقي المجلسي في ترجمته في

شرح مشيخة الفقيه، قال - بعد ذكر نسبه - :

شيخنا وأستاذنا، ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظم، شيخ الطائفة، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله، وعلو مرتبته أحداً.

- إلى أن قال -: وكان عمره بضعاً وثمانين سنة - إما واحداً أو اثنين - فإني سألت عن عمره فقال : ثمانون أو أنقص بواحدة، ثم توفي بعده بسنين.

وسمع قبل وفاته بستة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين عليه السلام، وكنت قريباً منه، فنظر إلينا وقال : سمعتم ذلك الصوت ؟ فقلنا : لا، فاشتغل بالبكاء والتضرع والتوجه إلى الآخرة، وبعد المبالغة العظيمة قال : إني أخبرت بالاستعداد للموت، وبعد ذلك بستة أشهر تقريباً توفي، وتشرفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً^١. انتهى.

وسمعت مذاكرة من بعض المشايخ المتبحرين أن الكلام الذي سمعه هو هذا «شيخنا در فکر خود باش».

وقال تلميذه الأرشد السيد حسين بن السيد حيدر الكركي في بعض إجازاته، بعد ذكره شيخه هذا في جملة مشايخه :

وشيوخنا هذا - طاب نراه - قد كان أفضل أهل زمانه، بل كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحم حوله أحد من أهل زمانه ولا قبله على ما أظن من علماء العامة والخاصة، يميل إلى التصوف كثيراً، وكان منصفاً في البحث، كنت في خدمته منذ أربعين سنة في الحضر والسفر، وكان له معي محبة وصداقة عظيمة.

- قال -: وكنت في خدمته في زيارة الرضا عليه السلام في السفر الذي توجه النواب الأعلى - خلد الله ملكه أبداً - ماشياً حافياً من أصفهان إلى زيارته عليه السلام. إلى آخر ما قال^٢.

١. روضة المتقين ١٤ : ٤٣٤.

٢. أنظر أعيان الشيعة ٩ : ٢٣٤.

وقوله ﷺ : كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم... إلى آخره. كأنه إشارة إلى ما كان يبرز عنه في بعض الأحيان من الغرائب التي هي من آثار تلك العلوم.

وآل الأمر في الناس حتى ظلّوا ينمون إليه كلّ نادرة وغريبة أكثرها من الأكاذيب، ولا مستند لها، بل أغرب بعض المؤلّفين من المعاصرين فنسب إليه كتاب الأسرار القاسمي المعروف أنّه أملاه على رجل اسمه قاسم، فنسب المسكين إلى هذا الحبر العظيم تجويز العمل بالكبائر الموبقة التي في هذا الكتاب، كحبس بقرة في مطمورة، والجماع معها، ثمّ صبّ بعض الأدوية المخصوصة في فرجها. إلى آخر المزخرفات، وهذا هو العمل الكبير المسمّى عندهم بالناموس الأكبر، ويزعمون أنّ من آثار أجزاء هذه البقرة من الإنسان عمل الخفاء وغيره.

وبالجملة، علمه ﷺ ببعض العلوم السريّة ممّا لا ينكر، ولنذكر غريبتين صدرتا منه ممّا وصل إلينا بالطرق المعتمدة :

الأولى : قال العلامة التحرير سليمان الماحوزي فيما ألحقه بكتاب البلغة في الرجال في ترجمة علماء البحرين، في ترجمة العالم الجليل السيّد ماجد البحريني قال :

واجتمع بالشيخ العلامة البهائي في دار السلطنة أصفهان المحروسة، فأعجب به شيخنا البهائي. إلى أن قال :

وحَدَّثني الشيخ العلامة أنّ السيّد لما اجتمع بالشيخ البهائي كان في يد الشيخ سبحة من التربة الحسينيّة - سلام الله على مشرّفها - فتلا الشيخ على السبحة فقطر منه ماء على طريقة ما تستعمله أهل الشعابذة والعلوم الغريبة، فسأل السيّد ﷺ أيجوز التوضؤ به؟ فقال السيّد : لا يجوز، وعلّله بأنّه ماء خيالي لا حقيقي، وليس من المياه المتأصّلة المنزلة من السماء، أو النابعة من الأرض، فاستحسنه الشيخ ﷺ.

الثانية : قال الفاضل المتبحّر قطب الدين الإشكوري - وهو تلميذ المحقّق

الداماد - في محبوب القلوب ، في ترجمة كمال الدين بن يونس :

حكى لي والدي ﷺ ناقلاً عن الشيخ الفاضل الشيخ عبد الصمد أخي الشيخ الجليل النبيل خاتمة المجتهدين في عصره بهاء الدين العاملي عامله الله بغفرانه الخفي والجللي ، أنّ أخي شيخنا البهائي ورد يوماً في مجلس شاهنشاه الأعظم مروّج المذهب الحقّ الإمامي صاحب إيران شاه عبّاس الصفوي الحسيني أسكن الله لطيفته في الجنان ، فقال له الملك : أيّها الشيخ ، استمع ما يقول رسول ملك الروم ، والرسول أيضاً جالس في المجلس .

فحكى الرسول أنّ في بلادنا جماعة من العلماء العارفين للعلوم الغريبة والأعمال العجيبة ، وقد عدّ بعض أعمالهم ثمّ قال : وليس من العارفين لهذه العلوم من بين علمائكم في إيران .

فلمّا رأى الشيخ أنّ كلام الرسول قد أثر في مزاجه الأشرف ، وانزجر من حكايته ، فقال الشيخ بحضرته : ليس لتلك العلوم التي عدّها الرسول وقر واعتبار عند أصحاب الكمال ، والشيخ في أثناء الكلام قد حلّ شدّ چاقشوره^١ الذي لبس ، وأنا أنظر إليه وأتعجب من حركة يد الشيخ في هذا المجلس ، والملك الأعظم ناظرٌ له ، فبعد لحظة قد أطال الشيخ الشدّ في تلقاء وجه الرسول ، ماسكاً رأس الشدّ بيده ، فاستحال الشدّ في الحال بالتّنين العظيم ، فاستوحش الرسول وكلّ أهالي المجلس ، وقاموا وأرادوا الفرار من المجلس ، ف جذب الشيخ رأسه بجانبه ، فعاد الشدّ كما كان ، فعرض الشيخ بخدمته الشريفة أنّ تلك الأعمال ليس لها اعتبار عند ذوي الأبصار ، وقد تعلّمت هذا العمل في بعض هذه الأيام عن بعض أرباب المعارك في ميدان أصفهان ، وهذا من أعمال اليد والنيرنجات^٢ ، وقد تعلّمها أصحاب

١ . نوع من اللباس يغطّي الجسم من رؤوس أصابع القدم حتّى البطن ، أنظر لفتناته دهخدا صفحة ٤٥ حرف چ

تسلسل ٤١ .

٢ . ومعناها المكر والحيلة والسحر . أنظر البرهان القاطع : ١١٦٢ ، نيرنك .

المعارك^١ لاستجلاب الدرهم والدينار من العوامّ للحاجات. فافحم الرسول ورجع عن المجلس الأرفع نادماً للتكلم عند الملوك والأفاضل بأمثال تلك الحكايات، وتعبير العلماء بهذه الخرافات.

وقال رحمته الله في ترجمة الشيخ رحمته الله :

وحكى لي بعض الأعلام أنّه سمع من المولى الفاضل والحبر الكامل، قاضي معزّ الدين محمد أقضى القضاة في مدينة أصفهان، أنّه قال : رأيت ليلة من الليالي في المنام أحد أئمتنا عليه السلام، فقال لي : اكتب كتاب مفتاح الفلاح وداوم العمل بما فيه، فلما استيقظت ولم أسمع اسم الكتاب قطّ من أحد، فتصفّحت من علماء أصفهان فقالوا : لم نسمع اسم هذا الكتاب، وفي هذا الوقت [كان] الشيخ الجليل مع معسكر السلطان في بعض نواحي إيران، فلما قدم الشيخ رحمته الله بعد مدّة في أصفهان تفحصت منه أيضاً عن هذا الكتاب، فقال : صنّفت في هذا السفر كتاب دعاء، ووسمته بـ مفتاح الفلاح^٢، إلّا أنّي لم أذكر اسمه لواحد من الأصحاب، ولا أعطيت نسخه للانتساخ لأحد من الأحباب، فذكرت للشيخ المنام، فبكى الشيخ، وناولني النسخة التي بخطّه، وأنا أوّل من انتسخ ذلك الكتاب من خطّه طاب ثراه.

ومن تمام نعم الله تعالى على هذا الشيخ الذي أسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة والدنيا والآخرة، أن رزقه الله تعالى زوجة عالمه سالحة، قال في الرياض : بنت الشيخ علي المنشار فاضلة عالمة فقيهة - ولم أعلم اسمها - محدّثة، وكانت

١. التعبير هنا فارسي والمراد : أنّ المشعوذين وأهل الحيل يصنعون بعض الحركات السريّة، وأصله كان مصارعة بين الأفراد أو مع الحيوانات ثمّ انتقل إلى هذه الأمور. راجع لغتنامه دهخدا صفحة ٧١٨ تسلسل ٢١٤ حرف معد - مغروس.

٢. في آخر مفتاح الفلاح : فرغت من تأليفه مع تراكم أفواج العلانق وتلاطم أمواج العوائق وتوزّع البال بالحلّ والترحال في أوائل العشر الثاني من الشهر الثاني من السنة الخامسة من العشر الثاني بعد الألف ببلدة كنجة، وأنا أقلّ الأنام محمد المشتهر بهاء الدين العاملي ... إلى آخره. (منه رحمته الله)

زوجة شيخنا البهائي، وقد قرأت على والدها، وقد سمعنا من بعض المعمّرين الثقات الذي شاهدها في حياتها أنّها كانت تدرّس في الفقه والحديث ونحوهما، وكانت النسوان يقرآن عليها، وقد ورثت من أبيها أربعة آلاف مجلّد من الكتب، وذكر لنا بعض الأفاضل أنّها وافرة العلم، كثيرة الفضل، وقد بقيت بعد وفاة الشيخ البهائي^١.

وقال في ترجمة والدها الشيخ الجليل زين الدين علي المعروف بمنشار العاملي :

كان من أجلة الفضلاء المعاصرين للسلطان شاه طهماسب الصفوي، وهو أبو زوجة الشيخ البهائي، وكان له كتب كثيرة وافرة جاء بها من الهند، وسماعي أنّها كانت بقدر أربعة آلاف مجلّد، ويقال : كان يسكن بالديار الهندية في أكثر عمره، ولمّا توفّي ورثتها بنته زوجة الشيخ البهائي، إذ لم يكن له غير بنت واحدة، وكانت تلك الكتب في جملة الكتب الموقوفة التي وقفها البهائي، فلمّا توفّي البهائي ضاع أكثر تلك الكتب لأسباب، منها عدم اهتمام المتولّي لها، وقد كانت هذه البنت أيضاً فاضلة عالمة فقيهة مدرّسة. انتهى^٢.

ويظهر منه ممّا نقله من تاريخ عالم آرا أنّ الشيخ علي المذكور كان شيخ الإسلام بأصفهان في زمان السلطان شاه طهماسب، وبعد وفاته انتقل المنصب المذكور إلى صهره الشيخ البهائي^٣.

وهذا الشيخ العظيم الشأن يروي عن والده المعظم، الشيخ الجليل عزّ الدين حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين الجبعي، صاحب التصانيف الرائقة، تلميذ

١. رياض العلماء ٥: ٤٠٧.

٢. رياض العلماء ٤: ٢٦٧.

٣. تاريخ عالم آرا ١: ١٥٤.

الشهيد الثاني ومصاحبه في السفر والحضر، الذي كتب له الإجازة المبسوطة التي مدحه فيها بقوله :

ثم إن الأخ في الله، المصطفى في الأخوة، المختار في الدين، المترقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ الإمام العالم الأوحـد ذا النفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العلية، والأخلاق الزاهرة الإنسية، عضد الإسلام والمسلمين، عزّ الدنيا والدين، حسين ابن الشيخ الصالح العالم العامل، المتقن المتفّن، خلاصة الأخيار، الشيخ عبد الصمد بن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي^١... إلى آخره.

كان شيخ الإسلام بقروين، ثم بالمشهد الرضوي، ثم بهرة، كلّ ذلك كان بأمر السلطان شاه طهماسب، وتوسّط الشيخ علي المنشار الذي كان شيخ الإسلام بأصفهان.

وفي الرياض :

لما كان أكثر أهل هراة في تلك الأوقات عارين عن معرفة الأئمة الاثني عشر عليه السلام، وعن التدين بمذهب أهل البيت عليه السلام، أمره السلطان المزبور بالتوجّه إلى بلدة هراة والإقامة بها، لإرشاد ضلال تلك الناحية. وأعطاه ثلاث قرايا من قرى تلك البلدة، وقد أمر السلطان المذكور الأمير شاه قلي سلطان يكان أغلي حاكم بلاد خراسان، بأن يحضر كلّ جمعة بعد الصلاتين السلطان محمد خدابنده ميرزا ولد السلطان المزبور في المسجد الجامع الكبير بهراة إلى خدمة هذا الشيخ، لاستماع الحديث، وينقاد لأوامر هذا الشيخ ونواهيـه بحيث لا يخالف أحد هذا الشيخ.

فأقام الشيخ بهراة ثماني سنين على هذا المنوال، بإفادة العلوم الدينية وإجراء الأحكام الشرعية فيها، وإظهار الأوامر المليّة، فتشيع لذلك خلق كثير ببركة أنفاسه

مَنْ بَهْرَاءَ وَنَوَاحِيهَا، دَخَلُوا فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ، حَتَّى تُظْهَرَ تِلْكَ النَّاحِيَّةُ عَنْ لُوثِ الْمُخَالَفِينَ، وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى حَضْرَتِهِ الطَّلِبَةِ - بِلِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ - مِنْ الْأَطْرَافِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ أَهْلِ إِيْرَانِ وَتُورَانِ لِأَجْلِ مُقَابَلَةِ الْحَدِيثِ وَأَخْذِ الْعُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ وَتَحْقِيقِ الْمَعَارِفِ الشَّرْعِيَّةِ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ هَذَا الشَّيْخُ مِنْ هَرَاءَ إِلَى قَزْوِينَ لِإِدْرَاكِ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ ثَانِيًا، وَاسْتَرْخَصَ مِنَ السُّلْطَانِ لَزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِنَفْسِهِ وَلَوْلَدِهِ الشَّيْخِ الْبَهَائِيِّ، فَرَخَّصَ هَذَا الشَّيْخُ لَزِيَارَةِ الْبَيْتِ وَلَمْ يَرْخِّصْ وَلَدَهُ، وَأَمَرَهُ بِإِقَامَتِهِ هُنَاكَ وَاشْتِغَالِهِ بِتَدْرِيسِ الْعُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ بِهَا.

فَتَوَجَّهَ هَذَا الشَّيْخُ لَزِيَارَةِ الْبَيْتِ، وَلَمَّا تَشَرَّفَ بِزِيَارَةِ الْبَيْتِ وَزِيَارَةِ الْمَدِينَةِ، رَجَعَ مِنْ طَرِيقِ الْبَحْرَيْنِ وَأَقَامَ بِتِلْكَ الْبَلَدَةِ وَتَوَطَّنَ بِهَا^١.

وَفِي اللَّوْلُوءَةِ :

أَخْبَرَنِي وَالَّذِي أَنَّ الشَّيْخَ الْمَزْبُورَ كَانَ فِي مَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ قَاصِدًا الْجَوَارِ فِيهَا إِلَى أَنْ يَمُوتَ، وَأَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ وَجَاءَ الْأَمْرُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنْ تَرْفَعَ أَرْضُ الْبَحْرَيْنِ بِمَا فِيهَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَلَمَّا رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا آثَرَ الْجَوَارِ فِيهَا وَالْمَوْتَ فِي أَرْضِهَا، وَرَجَعَ مِنْ مَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ وَجَاءَ الْبَحْرَيْنِ.

قَالَ : وَأَقَامَ الشَّيْخَ الْمَزْبُورَ فِي الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ لثَمَانٍ خُلُوفٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٩٨٤، وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ الْمَحَرَّمِ سَنَةِ ٩١٨^٢.

عَنِ الْعَالِمِ الْجَلِيلِ بَدْرِ الدِّينِ السَّيِّدِ حَسَنِ بْنِ السَّيِّدِ جَعْفَرِ بْنِ فَخْرِ الدِّينِ حَسَنِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ نَجْمِ الدِّينِ الْأَعْرَجِيِّ الْحُسَيْنِيِّ الْعَامِلِيِّ الْكُرْكِيِّ، وَالِدِ خَاتَمَةِ الْمُجْتَهِدِينَ السَّيِّدِ حُسَيْنِ الْمُجْتَهِدِ الْمُفْتِيِّ، وَابْنِ خَالَةِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ الْمُحَقِّقِ الْكُرْكِيِّ، وَشَيْخِ

١. رياض العلماء ٢ : ١٢٠.

٢. لؤلؤة البحرين : ٢٦.

شيخنا الشهيد الثاني، الذي وصفه في إجازته الكبيرة بقوله في موضع: وأرويهما - أيضاً - عن شيخنا الأجلّ الأعلم الأكمل ذي النفس الطاهرة الزكية، أفضل المتأخرين في قوّته العلميّة والعملية^١.

وفي موضع بقوله: شيخنا الكبير الفقيه العالم، فخر السيادة وبدرها، ورئيس الفقهاء وأبو عذرها^٢... إلى آخره.

صاحب كتاب المحجة البيضاء والحجة الغراء، جمع فيه بين فروع الشيعة والحديث، والتفسير للآيات الفقهية، وغير ذلك من المؤلفات الجليلة، المتوفى سنة ٩٣٣.

عن شيخيه الجليلين المحقق الثاني وسميّه الميسي^٣ طاب ثراهما، بطرقهما الآتية^٤.

(حيلة): وعن والده الشيخ حسين^٥. عن شيخه وأستاذه، ومن في جميع العلوم الشرعيّة والمقامات العالية النفسانيّة استناده، الشهيد الثاني رحمته الله.

١. بحار الأنوار ١٠٨: ١٥٠.

٢. بحار الأنوار ١٠٨: ١٥٦.

٣. في المشجرة هكذا: «السيد حسن بن السيد جعفر الأعرجي، عن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، عن المحقق الثاني».

٤. على التوالي، أنظر: ٢٧٧-٢٧٨.

٥. أي والد الشيخ البهائي.

الشيخ بهاء الدين في نزهة الجليس^١

السيد عباس المكي الحسيني الموسوي

.....
العالم العلامة، الحبر الفهامة، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد
العاملي الحارثي الهمداني الشامي أصلاً ومولداً، والخراساني منشأً وتربة
فاضل لم تتشوّف الأسماع بأحسن من معلوماته، ولم تتشرّف الأرباع بأمتن من
مؤلفاته، ولم تتشوّف الأسماع لأعجب من أخباره، ولم تتطرّف الأنظار بأعذب
من أشعاره.

رحل به والده إلى بلاد العجم، فنشأ بها إلى أن صار مفتيها الأعظم، وشيخها
المقدّم، وكان فاضلاً نبيلاً، كاملاً جليلاً، رئيساً مثيلاً، بالغاً في الفضل المحلّ
الأقصى، وفي الذكاء الغاية التي لا تستقصى.

ورحل بعد وفاة أبيه إلى الأقطار، وتفنّن في تنقيح الأخبار، وساح ثلاثين سنة،

١. نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، السيد عباس المكي الحسيني الموسوي (م حدود ١١٨٠ هـ)، ص ٣٧٠

ـ ٣٩٥، انتشارات المكتبة الحيدريّة، النجف، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م. ونفس الطبعة بالأوفسيت في إيران ١٤١٧ هـ

وآتاه ربّه كلّ حسنة، وحجّ البيت الشريف والقدس المنيف، وزار معاهده وورد موارده، واجتاز بدمشق الشام في أثناء السفر ولم يقم إلّا بمقدار أن قيل له أهلاً وسهلاً ومراً.

وكان قدومه إلى الديار الشاميّة من الديار المصريّة، وكان يجتمع مدّة إقامته بمصر بالأستاذ الأعظم والملاذ المعظم الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، وامتدحه بقصيدة غزاء وقعت من الأستاذ محمد بن أبي الحسن، غاية الموقع الحسن، ثمّ سار إلى بلاد العجم، فهرعت من كلّ فجّ إليه الناس وصار الرئيس المقدّم عند سلطانها الشاه عباس، وارتفع شأنه وكثرت أصدانه، واشتغل بإفادة معلوماته وتحرير مؤلّفاته في العلوم العقليّة والنقليّة والأدبيّة والفقهيّة والحكميّة والمنطقيّة والفلكيّة والرياضيّة، إلى أن ذوى غصن فضله القويم واصطفاه ربّه الكريم، وذلك في أصفهان لاثنتي عشرة خلت من شوال سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، ونقل قبل دفنه إلى طوس فدُفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضويّة.

وترجمه صاحب السلافة أيضاً وأثنى عليه كثيراً إلى أن قال في ترجمته :
وأخبرني بعض ثقات الأصحاب أنّ الشيخ رحمه الله تعالى قصد قبيل وفاته زيارة المقابر في جمع من الأجلاء والأكابر، فما استقرّ بهم الجلوس حتّى قال لمن معه : إنّي سمعت شيئاً، فهل منكم من سمعه ؟ فأنكروا سؤاله واستغربوا مقالته وسألوه عمّا سمعه، فأوهم وعمّى في جوابه وأبهم. ثمّ رجع إلى داره فأغلق بابه، ولم يلبث أن أهاب به داعي الردى، فأجابه رحمه الله تعالى وأفاض وابل غفرانه على ضريحه ووالى.

وكان مولده يوم الأربعاء في بعلبك عند غروب الشمس سابع عشر ذي الحجة الحرام سنة تسعمائة وثلاث وخمسين من هجرة خير الأنام.

ومن مؤلّفاته : العروة الوثقى، و الصراط المستقيم تفسير القرآن الحكيم، و الحبل

المتين في الفقه والحديث، و مشرق الشمسين في الفقه، و الجامع العباسي باللغة الفارسيّة في الفقه، و كتاب في علم الحساب لم ينسج على منواله، و مفتاح الفلاح في الأدعية والأوراد، و بداية الهداية في الفقه، و جمع أربعين حديثاً وشرحها، و شرح دعاء الهلال من الصحيفة الكاملة لعليّ بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام، و الزبدة في أصول الفقه، و التهذيب في النحو، و الرسالة الصمدية في النحو، و الكشكول سبعة أجزاء في كلّ فنّ، و نان و حلوى أي خبز و حلوى، نظماً في علم التصوّف بالفارسيّة، و شير و شكر أي لبن و سكر أيضاً في التصوّف نظماً بالفارسيّة، و غير ذلك في الإلهيّة والهندسة والسيما والكيما والهيما والريما والرمل والطلّسمات والمندل والوفق والطبّ، و كان علامة في علم البلاغة، وله في كلّ علم مؤلّفات مذكورة ورسائل مشهورة.

وكان مقبول الهيئة، سمح الكفّ، حسن المنظر، عالي الهمة. وكان منشي السلطنة بالعربيّة والتركيّة والفارسيّة. وله نظم أشهر من الغزاة، وأين الغزاة من الذبالة، فمن نظمه الفائق وشعره الرائق، هذه الأرجوزة التي هي كالوشاح للملاح، المسماة برياض الأرواح، وهي :

ألا يا خائضاً بحر الأماني هداك الله ما هذا التواني

.....

.....

الشيخ محمّد بن الحسين العاملي في لؤلؤة البحرين^١

الشيخ يوسف البحراني

محمّد بن الحسين :

محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي نسبةً إلى جبع - بالجيم والباء المنقطة تحتها نقطة - وهي قرية من قرى جبل عامل، والحارثي نسبة إلى الحارث الهمداني الذي كان من خواص أصحاب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وإلى ذلك أشار الشيخ أبو البحر جعفر الخطّي في قصيدته التي امتدح بها الشيخ المذكور التي أولها :

(هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري) فقال فيها :

فيا ابن الأولى أثنى الوصي عليهم بما ليس يشني وجهه يد إنكار
(الآيات).

والحارث المذكور هو الذي خاطبه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالآيات المشهورة :

١ . لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، العلامة المحدث الشهير الشيخ يوسف بن أحمد

البحراني صاحب الحقائق، المتوفى سنة ١١٨٦ هـ، ص ١٦-٢٨.

يا حارِ همدانَ من يمت يرني من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبلاً
يلحظني طرفه وأعرفه باسمه والكنى وما فعلا
وأنت عند الصراط معترضُ فلا تخف عشرةً ولا زلاً
أسقيك من باردٍ على ظمأٍ تخاله في الحلاوة العسلاً
أقول للنار حين تعرض للعَر ض ذريه ولا تقربي الرجلأ
ذريه لا تقريه إنَّ له حبلاً بحبل الوصيِّ متّصلاً

والأحاديث بما دلّت عليه هذه الأبيات متكاثرة، فلا يلتفت إلى استبعاد السيّد المرتضى ونحوه «إنّ الجسم الواحد كيف يحضر في أمكنة متعدّدة متباعدة في آن واحد ألف نفس».

والتحقيق في دفع شبهته ٢٢٢ ممّا سنح بالفكر القاصر أنّ أحوالهم - صلوات الله عليهم - ليست كأحوال سائر الناس، حيث شبههم بهم وقاس، فإنّ عليهم مسحة من القدرة الربّانيّة التي تقصر عن إدراكها العقول، كما لا يخفى على من تعمّق في أحوالهم وعلومهم، وأخبارهم بالمغيّبات، وما يظهر منهم من المعجزات، ونحو ذلك.

وكان هذا الشيخ علامة فهاّمة محقّقاً دقيق النظر، جامعاً لجميع العلوم، حسن التقرير، جيّد التحرير، بديع التصنيف، أنيق التأليف، حتّى قال في كتاب (سلافة العصر) بعد الإطراء عليه: «وما مثله ومن تقدّمه من الأفاضل والأعيان، إلّا كالملّة المحمّديّة المتأخّرة عن الملل والأديان، جاءت آخرأ ففاقت مفاخرأ» انتهى.

وكان رئيساً في دار السلطنة أصفهان، وشيخ الإسلام فيها، وله منزلة عظيمة عند سلطانها الشاه عبّاس، وله صنف الكتاب الجامع العبّاسي وربما طعن عليه بالقول بالتصوّف لما يتراءى من بعض كلماته وأشعاره، والحقّ في الجواب عن ذلك ما أفاده المحدث العلامة السيّد نعمة الله الجزائري - قدّس الله سرّه - من أنّ الشيخ المذكور كان يعاشر كلّ فرقة وملة بمقتضى طريقتهم، ودينهم وملّتهم، وما هم عليه،

حتى أن بعض علماء العامة ادّعى أنه منهم، قال السيّد المذكور: فأظهرت له كتاب (مفتاح الفلاح) - وكان معي - فعجب من ذلك، وذكر جملة من الحكايات المؤيدة لما ذكره، ثم استدلّ بقوله ﷺ في قصيدته التي في مدح القائم عليه السلام وعجل الله فرجه:

وإنّي امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
وأظهر أنّي مثلهم تستفزني صروف الليالي باختلاء وإمرار
وطعن عليه بعض مشايخنا المعاصرين أيضاً بأنّ له بعض الاعتقادات الضعيفة كاعتقاد أنّ المكلف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده ولا يخلد في النار وإن كان بخلاف أهل الحق، قال: «وهو باطل قطعاً لأنّه على هذا يلزم أن يكون علماء أهل الضلال ورؤساء الكفار غير مغلّدين في النار إذا أوصلتهم شبههم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك من غير اتباع لأهل الحق كأبي حنيفة وأحزابه، وتحقيق البحث لا يليق بهذا المقام» انتهى.

(أقول): وعندي فيه نظر؛ إذ يمكن أن يقال: لا نسلم أنّ علماء الضلال قد بذلوا الجهد في طلب الحق ولم يقفوا عليه حتى يتم الإيراد بهم كما توهم ﷺ، سيّما والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^١ فإنّا نقول: يجوز أن يكون منهم من لم يبذل الجهد على مذهب الأسلاف عصيّة، ومنهم من بذل الجهد وظهر له الحق، ولكن يحبّ الجاه والدولة والسلطان؛ حيث إنّ ذلك في جانبهم، قاده يد الشقاوة إلى الحميّة والبقاء على ذلك، ولذلك قيل: لا يكون العالم سنّيّاً بل السنّي عالماً.

وإلى ما ذكرنا يشير تصريح جملة من علمائهم - كما أوضحناه في كتابنا

(سلاسل الحديد) - بمخالفة جملة من السنن النبوية المروية من طرفهم؛ لأنّ الشيعة ملازمة عليها كمسألة تسطّيح القبور ونحوها، ومن المعلوم أنّ من بذل وسعه في تحصيل الدليل ولم يهتدِ إليه ولم يقف عليه فهو معذور عقلاً ونقلاً.

ولكنّا نقول: هؤلاء المخالفون ونحوهم ليسوا كذلك، بل حالهم لا يخلو عن أحد الأمرين المذكورين، كما أوضحناه في صدر كتابنا الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، فلا يرد ما أورده على شيخنا المذكور.

وله عليه السلام من المصنّفات كتاب الجامع العباسي المتقدّم ذكره - بالفارسيّة -، وكتاب الزبدة في أصول الفقه، وكتاب مفتاح الفلاح، والرسائل الخمس الاثنا عشرية في الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحجّ، ورسالة في علم الدراية تسمّى بـ الوجيزة، ورسالة في لغز الزبدة، ورسالة في تشريح الأفلاك، ورسالة في القبلة، ورسالة في الاسطرلاب فارسيّة سمّاها التحفة الحاتمية^١، وخلاصة الحساب، وكتاب الكشكول، وكتاب المخلاة، والحديقة الهلالية في شرح دعاء الهلال المذكور في الصحيفة الكاملة، وكتاب أربعين الحديث، وكتاب الجبل المتين لم يخرج منه إلّا القليل وهو الطهارة والصلاة، وكتاب مشرق الشمسين لم يخرج منه إلّا كتاب الطهارة، وكتاب العروة الوثقى في تفسير القرآن لم يخرج منه إلّا تفسير الفاتحة لا غير، وحاشية الشرح العضدي على مختصر الأصول، ورسالة في الموارد، ورسالة في ذبائح أهل الكتاب، ورسالة الصمدية صنّفها لأخيه الشيخ عبد الصمد - وقد توفي الشيخ عبد الصمد المذكور سنة العشرين بعد الألف حوالي المدينة المنورة ونقل جسده إلى النجف الأشرف - وله أيضاً حاشية على الفقيه لم تتمّ، وكتاب التهذيب في

١. سمّاها التحفة الحاتمية لأنّه ألّفها للوزير النوّاب اعتماد الدولة حاتم بك الأوردبادي حين قراءته الاسطرلاب

على الشيخ البهائي، ورثها على سبعين باباً، ولذا يقال لها (هفتاد باب) أيضاً، طبعت بإيران سنة ١٣١٦ هـ، كذا

قاله شيخنا الإمام الطهراني في الذريعة ٣: ٤٢٥.

النحو، و بحر الحساب ، و توضيح المقاصد في أيام السنة ، و جواب مسائل الشيخ صالح الجزائري - وهو عندي الآن ، وهو اثنتان وعشرون مسألة - و جواب ثلاث مسائل أخر عجيبة ، و جواب المسائل المدنيات ، و شرح الفرائض النصيرية للمحقق الطوسي رحمته الله لم يتم ، و رسالة في نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض ، و تفسيره الموسوم بعين الحياة ، و رسالة الكز ، و رسالة الاسطربلاب عربيّة سمّاها الصحيفة ، و شرح الصحيفة الموسوم بـ حدائق الصالحين ، و حاشية البيضاوي لم تتم ، و حاشية المطول لم تتم ، و رسالة القبله ، و كتاب سوانح الحجاز من شعره وإنشائه ، و حواشي الكشف ، و حاشية الخلاصة في الرجال ، و شرح الرسالة الاثني عشرية للشيخ حسن ، و حاشية القواعد الشهيدية ، و رسالة القصر والتخير في السفر ، و رسالة في بيان أن أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس ، و رسالة في حل إشكال عطار و القمر ، و رسالة في أحكام سجود التلاوة ، و رسالة في استحباب السورة و وجوبها ، و شرح شرح الرومي على الملخص ، ذكره في الحديقة الهلالية ، إلى غير ذلك من المسائل والرسائل والحواشي .

وكان مولد شيخنا المذكور ببعلبك غروب الشمس يوم الخميس لثلاث عشرة بقين من شهر محرّم الحرام السنة الثالثة والخمسين والتسمائة ، وتوفي رحمته الله لاثنين عشرة خلون من شوال السنة الحادية والثلاثين بعد الألف ، وقيل سنة الثلاثين بعد الألف ، وكان موته بأصفهان ، ونقل جسده الشريف - قبل الدفن - إلى المشهد الرضوي على مشرّفه السلام ، وقبره هناك معروف ، وراثه بعض تلامذته ، وهو الفاضل الشيخ إبراهيم بن فخر الدين العاملي بقصيدة منها :

شيخ الأنام بهاء الدين لا برّحت	سحائب الفضل ينشئها له الباري
ميت به اتّضحت سبل الهدى وغدا	لفقده الدين في ثوب من القار
والمجد أقسم لا تبدو نواجده	حزناً وشقّ عليه فضل أطمار
والعلم قد درست آياته وعفت	عنه رسوم أحاديث وأخبار

كم بكر فكرٍ غدت للكفاء فاقدة	ما دّستها الورى يوماً بأنظارٍ
كم خرّ لَمّا قضى للعلم طود علاً	ما كنت أحسبه يوماً بمنهارٍ
وكم بكته محاريب المساجد إذ	كانت تضيء دجىً منه بأنوارٍ
فاق الكرام ولم تبرح سجيته	إطعام ذي سغبٍ مع كسوة العاري
جلّ الذي اختار في طوسٍ له جدثاً	في ظلّ حامٍ حماها نجلٍ أطهارٍ
الثامن الضامن الجنّات أجمعها	يوم القيامة من جودٍ لزوّارٍ

.....

بيان أحوال الشيخ بهائي في الروضة البهية^١

السيد محمد شفيع الجابلي

بيان أحوال الشيخ بهائي عليه السلام :

...

وهذا الشيخ يروي عن الشيخ السعيد أمين الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي المشهور بالشيخ البهائي العاملي الجبعي - نسبةً إلى جبع، وهي قرية من قرى جبل عامل - والحارثي نسبةً إلى حارث الهمداني الذي هو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، وإلى هذا أشار الشيخ أبو البحر جعفر الخطي في قصيدته التي امتدح بها الشيخ المذكور، أولها :

هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري

فقال فيها :

يا ابن الأولى أثنى الوصي عليهم بما ليس يشني وجهه يد إنكار

الأبيات.

والحارث المذكور هو الذي خاطبه أمير المؤمنين عليه السلام بالأبيات المشهورة

١. الروضة البهية، السيد محمد شفيع الجابلي، الطبعة الحجرية، ص ٣٩-٤٦، طهران، ١٢٨٠ هـ.

المنسوبة إليه عليه السلام :

يا حارِ همدانَ من يمت يرني من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبلاً
يلحظني طرفه وأعرفه باسمه والكنى وما فعلاً
وأنت يا حارِ إن تمت ترني فلا تخف عشرةً ولا زللاً
أسقيكِ من باردٍ على ظمأٍ تخاله في الحلاوة العسلاً
أقول للنار حين تعرضني للحش سر ذريه ولا تقربي الرجال
ذريه لا تقريه إنَّ له حبلاً بحبل الولي متصلاً

والأحاديث بما دلَّت عليه هذه الأبيات متكاثرة، فلا يلتفت إلى استبعاد السيّد المرتضى ونحوه «إنَّ الجسم الواحد كيف يحضر في أمكنة متعدّدة متباعدة في آن واحد، فإنّه يموت في آنٍ واحد ألف نفس».

قال في اللؤلؤة : والتحقيق في دفع شبهته عليه السلام بما سنع بالفكر القاصر أنَّ أحوالهم - صلوات الله عليهم - ليست كأحوال سائر الناس، حيث شبههم بهم وقاس، فإنَّ عليهم السلام ليس كأحوال سائر الناس، حيث شبههم بهم وقاس، فإنَّ عليهم نسجة من القدرة الربّانيّة التي تقصر عن إدراكها العقول، كما لا يخفى على من تعمّق في أحوالهم وعلومهم، وإخبارهم بالمغيّبات، وما يظهر منهم من المعجزات. انتهى.

وأنت خبير بأنَّ السيّد يدّعي الاستحالة، والقدرة لا يتعلّق بالمحال والمعجزات وخوارق العادات، وليست من المحالات. نعم، يمكن منع استحالة هذا نظراً إلى عالم الأرواح والمجرّدات أو بإشراقهم عليه السلام في القوالب المثاليّة.

وكان شيخنا المذكور علامة فّهامة، محقّقاً دقيق النظر، جامعاً لجميع العلوم، حسن التقرير، جيّد التصنيف والتحرير وبديعهما، حتّى نقل عن كتاب سلافة العصر بعد الثناء عليه : وما مثله ومَن تقدّمه من الأفاضل والأعيان إلّا كالملّة المحمديّة المتأخّرة عن الملل والأديان جاءت آخرأ وفاقت مفاخرأ. كان رئيساً في دار السلطنة أصفهان، وشيخ الإسلام فيها، وكان له منزلة عظيمة عند السلطان، وهو

شاه عباس، وله صنف الجامع العباسي، وربما طعن عليه بالتصوف؛ كما يتراءى من بعض أشعاره وكلماته، كما هو المنقول. والحق أنه بريء عن أمثال هذه الخيالات، ولعل السر في هذا التوهم تركه التحصيل والاشتغال والتدريس، واشتغاله بالسياحة والمسافرة، كما هو المشهور، وما فعله حسن، وكل ما فعله محبوب لله إن شاء الله. قال السيد المحقق العلامة السيد نعمة الله الجزائري - كما هو المحكي، ونعم ما قال -: إن الشيخ المذكور يعاشر كل فرقة وملة بمقتضى طريقتهم ودينهم وملتهم وما هم عليه، حتى أن بعض علماء العامة ادعى أنه منهم، قال السيد المذكور: فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح وكان معي، فتعجب من ذلك».

وطعن عليه بعض العلماء المتأخرين أيضاً - كما هو المحكي - بأن له بعض الاعتقادات الضعيفة كاعتقاد أن المكلف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل فليس عليه شيء وإن كان مخطئاً في اعتقاده ولا يخلد في النار وإن كان بخلاف أهل الحق.

قال هذا الطاعن: وهو باطل قطعاً؛ لأنه على هذا يلزم أن يكون علماء أهل الضلال ورؤساء الكفار غير مخلصين في النار إذا أوصلتهم شبههم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك من غير اتباع لأهل الحق، كأبي حنيفة وأحزابه وتحقيق البحث لا يليق بهذا المقام. انتهى.

وأنت خبير بأن ما ذكره شيخنا البهائي حقيق بالاتباع، وإلا يلزم التكليف بما لا يطاق، وهو غير جائز بالاتفاق في حق العباد حتى المخالفين والكفار، إذا لم يكن بسوء اختيارهم. وهذا أمر معلوم بالعقل والنقل وهو مقتضى مذهب العدلية.

وأما ما ذكره من الملازمة في حيز المنع؛ إذ ما ذكره الله حكم الكبرى، وأما الصغرى فلا يقول بتحققها في حقهم لعنهم الله. كيف؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^١، ومن المعلوم أن أبا حنيفة وأحزابه جحدوا الحق

لحبّ الرياسة والجاه ونبذوه وراء ظهورهم، وهذا حال أكثر رؤسائهم، وجمعٌ منهم لم يتأملوا عصبيةً وأخذاً بدين الآباء والأمّهات، كما هو المشاهد في حقّ أكثر الناس.

نعم، الكلام في أنّ باب العلم مفتوح لكلّ أحد في أصول الدين، فلو لم يصل أحد بالحقّ بعد الاجتهاد التامّ كشف عن تقصيره لا عن قصوره، ولا يكون مفتوحاً لكلّ أحد، فيمكن عدم الوصول إلى الحقّ ناشئاً عن القصور لا عن التقصير. والظاهر من علمائنا الأول وأنّ الخطأ في أصول الدين ناشئ عن التقصير لا عن القصور كما هو ظاهر الآية الشريفة والآثار المروية، وهو مقتضى اللطف أيضاً. ولم يظهر من شيخنا المخالفة في هذا المقام، ولو خالف لا يوجب طعناً؛ فإنّ المسألة من غوامض المسائل ومن محالّ مزالّ الأقدام، والآيات والأخبار واللطف جارية في الفروع أيضاً، ومع ذلك المخطئ معذور، وباب العلم القطع فيها منسّد بالاتّفاق غالباً، والشرعي أيضاً منسّد كما بيّناه في القواعد الشريفة مع أنّه غير مأمون عن الخطأ. وكما يقيد الأدلّة بعدم الوجود المانع في الفروع يمكن تقييدها بعدم وجود المانع في الأصول، وسواء كان المانع هو ظلم الظالمين وغلبة المتغلّبين الذي هو الباعث لإخفاء الحجّة أو عدم قابليّتنا للانفتاح، ولتفصيل المقام مقام آخر لا يليق بهذا المقام.

ولشيخنا المذكور كتب ومصنّفات جيّدة ورسائل وحواشي كثيرة، منها: شرح أربعين حديثاً، وكتاب زبدة الأصول وحواشيه، وكتاب جبل المتين برز منه الطهارة والصلاة، وكتاب مشرق الشمسين برز منه الطهارة، وكتاب جامع العباسي فارسيّة برز منه العبادات وتمّ باقيه بعض تلامذته بعد وفاته، وكتاب الكشكول مشهور معروف، و خلاصة الحساب، و رسالة الصمدية، و الرسائل الخمس الاثني عشرية في الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحجّ، وغير ذلك من الكتب وهي كثيرة عدّها في اللؤلؤ، وفيه أنّ مولد شيخنا المذكور ببعلك غروب يوم الخميس لثلاث عشر بقين من شهر

محرم الحرام سنة الثالثة والخمسين وتسعمائة، وتوفي عليه السلام لاثنتي عشرة خلون من شوال سنة الحادية والثلاثين بعد الألف، وقيل سنة الثلاثين بعد الألف، وكان موته بأصفهان ونقل جسده الشريف قبل دفنه إلى المشهد الرضوي على مشرفه السلام، وقبره هناك معروف.

ورثاه بعض تلامذته - وهو الفاضل الشيخ إبراهيم إبراهيم بن الشيخ فخر الدين - بقصيدة، منها قوله :

شيخ الأنام بهاء الدين لا برحت	سحائب العفو ينشئها له الباري
مولي به اتضحت سبل الهدى وعن	فقدته الدين في ثوب من القار
والمجد أقسم لا تبدو نواجذه	حزناً وشق عليه فضل أطمار
والعلم قد درست أيامه وعفت	عنه رسوم أحاديث وأخبار
كم بكر فكر غدت للفكر فاقدة	ما دنتها الورى يوماً بأنظار
كم خرّ لما قضى للعلم طود غلاً	ما كنت أحسبه يوماً بمنهار
وكم بكته محاريب المساجد إذ	كانت تضيء دجى منه بأنوار
فاق الكرام ولم تبرح سجيته	إطعام ذي سغب وكسوة العاري
جلّ الذي اختار في طوس له جدناً	في ظلّ حامي حماها نجل أطهار
الثامن الضامن الجنات أجمعها	يوم القيامة من جود لزوار

وصف الشيخ البهائي في خزانة الخيال^١

محمد مؤمن الجزائري الشيرازي

وصف الشيخ البهائي زيد بهاؤه

بهاء وضياء :

بهاء الحق وضيأؤه، وعزّ الدين وعلاؤه، وأفق المجد وسماؤه، ونجم الشرف وسناؤه، وشمس الكمال وبدره، وروض الجمال وزهره، وبحر الفيض وساحله، وبرّ البرّ ومراحله، وواحد الدهر ووحيدة، وعماد العصر وعميده، وعَلَم العلم وعَلَامته، وراية الفضل وعلامته، ومنشأ الفصاحة ومولدها، ومصدر البلاغة وموردها، وجامع الفضائل ومجمعها، ومنبع الفواضل ومرجعها، ومشرق الإفادة ومشروعها، ومطلع الوفاة ومقطعها، وسلطان العلماء وتاج قمّتهم، وبرهان الحكماء وتنمّة أئمتّهم، وخاتم المجتهدين وزيدتهم، وقدوة المحدثين وعمدتهم، وصدر المدرّسين وأسوتهم، وكعبة الطالبين وقبلتهم.

١. خزانة الخيال، في الآداب والحكم والمواعظ والمناظرات والتراجم والأمثال، العلامة محمد مؤمن بن محمد

قاسم الجزائري الشيرازي (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري)، ص ٤٢١-٤٢٧، من منشورات مكتبة

بصيرتي، قم، ١٣٩٣ ق/ ١٣٥٢ ش.

مشهور جميع الآفاق، شيخ الشيوخ على الإطلاق، كهف الإسلام والمسلمين، مروّج أحكام الدين، العالم العامل، الكامل الأحد، بهاء الملة والحق والدين، محمد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي، عامله الله بلطفه الخفي والجلّي.

مولده ببعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وانتقل به والده وهو صغير إلى الديار العجميّة، فنشأ في حجره بتلك الأقطار المحميّة، وأخذ عن والده وغيره من الجهابذ، حتّى سلّم له كلّ مناضلٍ ومنابد. فلما اشتدّ كاهله، وصفت له من العلم مناهله، ولي بها شيخ الإسلام، له فوّضت أمور الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام.

ثمّ رغب في الفقر والسياسة، واستهتّب من مهاتّب التوفيق رياحه، فترك تلك المناصب، ومال لما هو لحاله مناسب، فقصد حجّ بيت الله الحرام، وزيارة النبيّ وأهل بيته الكرام، عليهم أفضل الصلاة والتحيّة والسلام. ثمّ أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة، وأوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، واجتمع في أثناء ذلك بجمع من أرباب الفضل والحال، ونال من فيض صحبتهم ما تعذّر على غيره واستحال.

ثمّ عاد وقطن بأرض العجم، وهناك همى غيث فضله وانسجم، فألف وصنّف، وقرّط المسامع وشنّف، وقصدته علماء الأمصار، واتّفقت على فضله الأسماع والأبصار، وغالت تلك الدولة في قيمته، واستمطرت غيث الفضل من ديمته، فوضّعه في مفرقها تاجاً، وأطلّعته في مشرقها سراجاً وهاجاً، وتبسّمت به دولة سلطانها الشاه عبّاس، واستنارت بشموس آرائه عند اعتكار حنادس الباس، فكان لا يفارقه سفيراً وحضراً، ولا يعدل عنه سماعاً ونظراً، إلى أخلاق لو مزج بها البحر لعذب طعاماً، وآراء لو كحلت به الجفون لم تلف أعمى، وشيم هي في المكارم غرر

وأوضح، وكرم بارق جوده، لشائمه لامع وضّاح، تتفجّر ينابيع السماح من نواله، ويضحك ربيع الأفضال من بكاء عيون أمواله.

وكانت له دار مشيّد البناء، رحيبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل، فكم مهدٍ بها وُضع، وكم طفل بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرةً وعشيّاً، ويوسعهم من جاهه جناباً مغشياً، مع تمسّكه من التقى بالعروة الوثقى، وإيثاره الآخرة على الدنيا، والآخرة خيرٌ وأبقى.

ولم يزل آنفاً من الانحياش إلى السلطان، راغباً في الغربة، كارهاً للأوطان، يؤمّل العود إلى السياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة، فلم يقدر له حتّى وافاه حِمَامه، وترنّم على أفنان الجنان حَمَامه.

وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلون من شوال سنة إحدى وثلاثين وألف بإصبهان، ونُقل قبل دفنه إلى طوس فدفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضويّة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحيّة. ومصنّفاته أكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى.

تمثيلٌ وتخيلٌ :

كان الشيخ البهائي قدّس لطيفه وأجزل في عالم الأنس تشريفه، مع كمال علمه وفضله المستجاد، بارعاً في فنّ الإنشاء والإرشاد، فشبّع ربع الأدب وشاد، وأبدع في كلّ ما أفاد وأجاد، فأدبه الروض المتأرّج أنفاسه، المتضوّع بنثره ونظمه وردّه وآسه، المستعذب قطافه وجناه، المستظرف لفظه ومعناه.

وها أنا أثبت من غرره ما هو مصداق ﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾ ومُورد من درره ما يزدري بأطواق الذهب وقلائد العقيان.

فمن نثره : هذه الرسالة الغربية لفظاً ومعنى، البديعة ربعاً ومعنى، وهي : المعاني تسافر من مدينة القلب الإنساني، إلى قرية الإقليم اللساني، فتلبّس

هناك ملابس الحروف وتتوجّه تلقاء مدين الأعلام من الطريق المعروف. وسيرها على نوعين :

إمّا كسليمان عليه السلام، فتسير على التموجات الهوائية بأفواه المتكلمين، ولهوات المترنمين، إلى أمصار صماخ السامعين.

وإمّا كالخضر عليه السلام، في ظلمات المداد، لابسة للسواد، فتسير في مراحل أنامل الكاتبين، إلى مدائن أعين الناظرين.

وإذا وصلت بالسير الأول إلى سبأ بلقيس السامعة، وانتهت بالسير الثاني إلى عين حياة الباصرة، عطفت عنان التوجّه من عوالم الظهور والانجلاء، بنية العود إلى مكان من الكمون والخفاء، حتّى إذا نزلت في محروسات آذان السامعين، وحلّت في مأنوسات مشاعر الناظرين، نزعت جلايبها الجزئية، فتجردت عن ملابسها الهيولانية، وسكنت في مواطنها القلبية، ورجعت بعد قطع تلك المسالك، إلى ما كانت عليه قبل ذلك، كما بدأكم تعودون، وإلى ما كنتم عليه تؤوبون.

إنزل مقامك فهو أول موطنٍ سافرت منه إلى جهات العالم.

ومنه قوله زيد طوله :

قد تهبّ من عالم القدس، نفحةً من نفحات الأنس، على قلوب أصحاب العلائق الدنيّة، والعوائق الدنيويّة، فتعطرّ بذلك مشام أرواحهم، وتجري روح الحقيقة في رميم أشباحهم، فيدركون قببح الانغماس في الأدناس الجسمانيّة، ويدعون بخساسة الانتكاس في مهاوي القيود الهيولانيّة، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد، وينتبهون من نوم الغفلة عن المبدأ والمعاد.

ولكن هذا التنبّه سريع الزوال، ورمحيّ الاضمحلال، فيا ليتّه يبقى إلى جذبة إلهيّة تميّط عنهم أدناس عالم الزور، وتطهّرهم من أرجاس دار الغرور.

ثمّ إنهم عند زوال تلك النفحة القدسيّة، وانقضاء هاتيك النسمة الإنسيّة، يعودون إلى الانتكاس في تلك الأدناس، فيتأسّفون على ذلك الحال الرفيع المنال، وينادي

لسان حالهم بهذا المقال، إن كانوا من أصحاب الكمال.

سقياً لساعاتٍ فرحت بطيها يا ليتهـا دامت ولم تتصرّم

نثر ونظم له ضوعف أجره :

نثرٌ ونظم : للشيخ البهائي ضوعف طوله من النثر البديع أيضاً قوله :

قد جرى ذكرى يوماً من الأيام في بعض المجالس العالية والمحافل السامية، فبلغني أنّ بعض الحضّار ممّن يدّعي الوفاق وعاداته النفاق، ويظهر الوداد ودأبه العناد، جرى في مضمار البغي والعدوان، وأطلق لسانه في الغيبة والبهتان، ونسب إليّ من العيوب ما لم تزل فيه، ونسي قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ ﴾^١، فلمّا علم أنّي علمت بذلك، ووقفت على سلوكه في تلك المسالك، كتب إليّ رقعة طويلة الذيل، مشحونة بالندم والويل، يطلب فيها الرضا، ويلتمس الإغماض عمّا مضى.

فكتبت إليه في الجواب :

جزاك الله خيراً فيما أهديت إليّ من الثواب، وثقلت به ميزان حسناتي يوم الحساب، فقد رويـنا عن سيّد البشر، والشفيع المشفّع في المحشر، أنّه قال : يـجاء بالعبـد يوم القيامة، فيوضع حسناته في كفة، وسيئاته في كفة، فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجّح، فيقول : يا ربّ ما هذه البطاقة ؟ فيقول عزّ وجلّ : هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء. فهذا الحديث قد أوجب بمنطوقه عليّ أن أشكر ما أسديته من النعم إليّ، فكثّر الله خيرك، وأجزل ميرك، مع أنّي لو فرضت أنّك شافهتني بالسفاهة والبهتان، وواجهتني بالوقاحة والعدوان، ولم تزل مصرّاً على إشاعة شناعتك ليلاً ونهاراً، مقيماً على سوء صناعتك سرّاً وجهاراً، ما

كنت أقابلك إلا بالصفح والصفاء، ولا أعاملك إلا بالموّدة والوفاء، فإنّ ذلك من أحسن العادات وأتمّ السعادات، وإنّ بقيّة مدّة الحياة أعزّ من أن تُصرف في غير تدارك ما فات، وتتمّة هذا العمر القصير، لا تسع مؤاخذه أحد على التقصير. والسلام.

.....

مكتوب ظريف :

مكاتبة أنيقة : حكى بعض أكابر الناس أنّ السلطان الصفوي الشاه عباس، قصد يوماً زيارة الشيخ بهاء الدين محمد رحمه الله تعالى، فرأى بين يديه من الكتب ما ينوف على الألوف. فقال له السلطان : هل في العالم عالم يحفظ جميع ما في هذه الكتب ؟ فقال الشيخ : لا، وإن يكن فهو الميرزا إبراهيم الهمداني. انتهى.

وأقول : كان الميرزا إبراهيم المذكور من فضلاء عصر الشيخ البهائي المغفور، وكان بارعاً في فنون العلوم، وماهراً باهراً في المنثور والمنظوم. وناهيك شهادةً بفضله واعترافاً بسموّ مقداره ونبله، قول خاتم المجتهدين ذلك الكلام في حقّه.

ومن إنشائه الذي بلغ من البلاغة الأدب، وعجزت عن الحوك على منواله مدار

العرب، ما كتبه إلى الشيخ بهاء الدين روح الله ونور ضريحه، وهو :

الاتّحاد الحقيقي يقتضي سماحة توشيح مفتتح الخطاب وترشيح مبتدأ الكتاب بما استقرّ عليه العرف العامّ واستمرّ عليه الرسم بين الأنام، من ذكر المحامد والألقاب، ونشر المزاي في كلّ باب، مع أنّ ذلك أمر كَفَتْ شهرته مؤونة التصديّ لتحريره، وأغنى ارتكازه في الأذهان عن شرحه وتقريره، فلو أطلقت عنان القلم في هذا المضمار، وأجريت فلك التبيان في ذلك البحر الزخّار، لكنت كمن يصف الشمس بالضياء، ويثني على حاتم السخاء، فلذلك ضربت صفحاً عن ذلك، وطويت كشحاً عن سلوك تلك المسالك، واقتصرت على الإيحاء إلى نبذة من هموم

مديدةٍ سلّم برهان السلم عدم انحصارها، وشرذمةٍ من غمومٍ عديدةٍ لا ينطبق دليل التطبيق على عشر معشارها، واكتفيت عن الإطناب في هذا الباب بما تضمّنه قول بعض ذوي الألباب :

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريه	فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موتٌ لذيد الطعم يأتي	يخلّصني من الموتِ الكريه
إذا أبصرتُ قبراً من بعيدٍ	وددتُ لو أنّني فيما يليه
ألا رَحِمَ المهيمَنُ روحَ ميتٍ	تصدّق بالممات على أخيه

فطوبى لمن لم يدخل في ساحة الوجود فبقي في فسحة العدم مستوراً، ومن خرج من هذه الدار الخربة وصار كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

نسأل الله سبحانه فتح أبواب السرور بقطع علائق عالم الزور، وحسم عوائق دار الغرور، وتبديل الأصدقاء المجازيين بالأخلاء الروحانيين، والانزواء في زاوية العزلة، والانفراد عن جلساء السوء والذلة.. وصرف الأوقات في تلافي ما فات، وإعداد الزاد ليوم المعاد، فإنّ ذلك أعظم المقاصد وأعلاها، وأهمّ المطالب وأولاها، والعمل الصالح أنفس من ذخائر الأعلاق، وما عندكم ينفد وما عند الله باق، والمؤانسة بالكتب في هذا الزمان أروح من مخالطة الأصحاب والإخوان.

نعم المؤانس والجلس كتابٌ	فأنس به إن ملك الأحبابُ
يعطيك نائلةً إذا طالعتَه	فاشغل به يفتح لك الأبوابُ

وهذا لمعة من كثير، وجرعةٌ من غدير، وفي القلب أشياء كثيرة لا سبيل إلى تقريرها، ولا طريق إلى تحريرها.

هذا، ولقد أوجع قلبي وأزعج لبي، ما شرحتهم من حكاية السقطة التي آلمت قدم قدوة المتألّهين وأوهنت رجل سلطان المتولّّهين، لكن ألقى هاتف الغيب في بالي أنّ السقوط مبشّر بالارتقاء، والهبوط مخبرٌ عن غاية الاعتلاء، فإنّ القطرة لما هبطت صارت لؤلؤة، والحبّة لما سقطت على الأرض صارت سنبلّة، مع أنّ المصيبة

والابتلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء، فيجب الشكر على التشبه بهم والتهنئة بالانخراط في سلكهم. ثم نسأل الله تعالى التوفيق لانتظام الأحوال وتحقيق الآمال. هذا، وإبلاغ السلام - إلى ثمرات دوحه السيادة والنقابة، وأغصان شجرة الإفاضة والنجابة، بلغهم الله أرفع معارج الكمال ومدارج الجمال - مأمول ومسؤول.

والسلام عليكم أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً.

البهائي وبهاء الدين في الكنى والألقاب^١

المحدّث الشيخ عباس القمّي

(البهائي وبهاء الدين) :

شيخ الإسلام والمسلمين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي الحارثي.

قال صاحب السلافة في حقّه ما ملخصه :

هو علامة البشر، ومجدّد دين الأئمة عليهم السلام على رأس القرن الحادي عشر. إليه انتهت رئاسة المذهب والملة، وبه قامت قواطع البراهين والأدلة.

وجمع فنون العلم فانعقد عليه الإجماع، وتفرد بصنوف الفضل فبهر النواظر والأسماع. فما من فنّ إلّا وله فيه القدح المعلى، والمورد العذب المحلى - إلى أن قال : - لم يدع قولاً لقاتل، أو طال لم يأت غيره بطائل.

مولده بعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث عشر بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣ (ظنج)، وانتقل به والده وهو صغير إلى الديار العجميّة، فنشأ في حجره بتلك الأقطار المحميّة، وأخذ عن والده وغيره من الجهابذ، حتّى أذعن له كلّ

١. الكنى والألقاب، المحدّث الشيخ عباس القمّي، ج ٢، ص ١٠٠-١٠٥.

مناضلٍ ومناذب. فلما اشتدَّ كاهله، وصَفَتْ له من العلم مناهله، ولى بها شيخ الإسلام، وفوضت إليه أمور الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام. ولم يزل آنفاً من الانحياس إلى السلطان، راغباً في العزلة عازفاً عن الأوطان، يؤمِّل العود إلى السياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة، فلم يقدر له حتَّى وافاه حِمَامه، وترنَّم على أفنان الجنان حَمَامه.

وأخبرني بعض ثقات الأصحاب أنَّ الشيخ رحمه الله قصد قبل وفاته زيارة المقابر، في جمع من الأجلَاء الأكابر، فما استقرَّ بهم الجلوس حتَّى قال لمن معه : إني سمعت شيئاً، فهل فيكم مَنْ سمعه ؟ فأنكروا سؤاله، واستغربوا مقالَه، وسألوه عَمَّا سمعه فأوهم، وعمي في جوابه. ثم رجع إلى داره فأغلق بابه، فلم يلبث أن أصاب داعي الردى فأجابه.

وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلون من شوال المكرَّم سنة ١٠٣١ (غلا) بإصبهان، ونقل قبل دفنه إلى طوس فدفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية. انتهى.

حكى عن المجلسيِّ الأوَّل قال في ترجمة أستاذه الشيخ بهاء الدين أنَّه سمع قبل وفاته بسنة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين، وكنت قريباً منه، فنظر إلينا وقال : سمعتم ذلك الصوت ؟ فقلنا : لا، فاشتغل بالبكاء والتضرُّع والتوجُّه إلى الآخرة، وبعد المبالغة العظيمة قال : إني أُخبرت باستعداد الموت. وبعد ذلك بسنة أشهر تقريباً توفِّي، وتشرَّفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً. انتهى.

أقول : حكى أنَّ الذي سمعه الشيخ كان هذا (شيخنا در فكر خود باش). له مصنَّفات فائقة مشهورة أكثرها مطبوعة، منها : جبل المتين، و مشرق الشمسين، والأربعين، و الجامع العباسي، و الكشكول، و المخلاة، و العروة الوثقى، و نان وحلوا، و الزبدة، و الصمدية، و خلاصة الحساب، و تشرريح الأفلاك، و الرسالة

الهلائية ، و مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة ، وهذه الكتب كلها مطبوعة في إيران . وله أيضاً الاثنى عشريات ، و التهذيب ، و الحواشي على الفقيه و على خلاصة الرجال ، و على الكشاف و اليبضوي ، و غير ذلك .

و عن قطب الدين الإشكوري أنه قال في ترجمة الشيخ البهائي ، و حكى له بعض الأعلام :

أنه سمع من المولى الفاضل والحبر الكامل القاضي معزّ الدين محمد ، أقضى القضاة في مدينة إصبهان أنه قال : رأيت ليلة من الليالي في المنام أحد أئمتنا عليه السلام فقال لي : اكتب كتاب مفتاح الفلاح وداوم العمل بما فيه ، فلما استيقظت ولم أسمع اسم الكتاب قطّ من أحد ، فتصفّحت من علماء إصبهان فقالوا : لم نسمع اسم هذا الكتاب ، وفي هذا الوقت كان الشيخ الجليل مع معسكر السلطان في بعض نواحي إيران ، فلما قدم الشيخ عليه السلام بعد مدّة في إصبهان تفحصت منه أيضاً عن هذا الكتاب ، فقال : صنّفت في هذا السفر كتاب دعاء ، سمّيته مفتاح الفلاح ، إلّا أنّي لم أذكر اسمه لواحد من الأصحاب ، ولا أعطيت نسخته للانتساخ لأحد من الأحاب . فذكرت للشيخ المنام ، فبكى الشيخ ، وناولني النسخة التي كانت بخطّه ، وأنا أوّل من انتسخ ذلك الكتاب من خطّه طاب ثراه . انتهى .

.....

بهاء الملة والدين في الغدير^١

الشيخ عبد الحسين الأميني

بهاء الملة والدين (المولود ٩٥٣ - المتوفى ١٠٣١) :

الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي، شيخ الإسلام، بهاء الملة والدين، وأستاذ الأساتذة والمجتهدين، وفي شهرته الطائفة، وصيته الطائر في التطلع من العلوم، ومكانته الراسية من الفضل والدين، غنى عن تسطير ألفاظ الثناء عليه، وسرد جمل الإطراء له، فقد عرفه من عرفه، ذلك الفقيه المحقق، والحكيم المتأله، والعارف البار، والمؤلف المبدع، والبحّاث المكثر المجيد، والأديب الشاعر، والضليع من الفنون بأسرها، فهو أحد نوابغ الأمة الإسلامية، والأوحد من عباقرتها الأمثال، بطل العلم والدين الفذّ على حدّ قول المحبّي في خلاصته (٣ / ٤٤٠) : صاحب التصانيف والتحقيقات، وهو أحقّ من كلّ حقيق بذكر أخباره، ونشر مزاياه، وإتحاف العالم بفضائله وبدائع، وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم، والتطلع بدقائق الفنون، وما أظنّ الزمان سمح بمثله، ولا

١. الغدير، ج ١١، الشيخ عبد الحسين الأميني، ص ٢٨٥ - ٣٧٦، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

جاء بنده، وبالجملّة فلم تتشكّف الأسماع بأعجب من أخباره. انتهى.
ينتهي نسبه إلى التابعي العلويّ - مذهباً - الكبير الحارث الهمداني، وقد أسلفنا القول فيه عند ترجمة والده الطاهر الشيخ حسين.

تجد ترجمته والثناء عليه بما هو أهله في غضون كثير من معاجم التراجم^١.

سلافة العصر : ٢٨٩؛ أمل الآمل : ٢٦؛ تذكرة نصرآبادي : ١٥٠؛ الروضة البهيّة
لسيدنا الشفيّع؛ ريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجي : ١٠٣ - ١٠٧؛ خلاصة الأثر
للمحبّي ٣ : ٤٤٠ - ٤٤٥؛ جامع الرواة للأردبيلي؛ إجازات البحار : ١٢٣؛
نقد الرجال : ٣٠٣؛ محبوب القلوب للإشكوري؛ لؤلؤة البحرين : ١٥؛ رياض الجنة
للزنوزي في الروضة الرابعة في حرف الباء بعنوان البهائي؛ الإجازة الكبيرة
للشيخ عبد الله السماهيجي؛ الإجازة الكبيرة للشيخ ميرزا حيدر علي بن عزيز الله
النظري الأصبهاني؛ تاريخ عالم آراي ١ : ١١٥؛ الأعلام للزركلي ٣ : ٨٨٩؛
نسمة السحر فيمن تشيّع وشعر؛ روضات الجنّات : ٦٣٢؛ مستدرك الوسائل ٣ : ٤١٧؛
رياض العارفين : ٤٥؛ مجمع الفصحاء ٢ : ٨؛ روضة الصفاء : ٨، في ذكر معاصري
الصفويّة من العلماء؛ نجوم السماء : ٢٦؛ طرائق الحقائق ١ : ١٣٧؛ مطلع الشموس
٢ : ١٥٧، ٣٨٦؛ تميم أمل الآمل لابن أبي شبّانة؛ تكملة الرجال للشيخ عبد النبي
الكاظمي؛ شرح قصيدته : وسيلة الفوز والأمان لأحمد المنيني؛ قصص العلماء :
١٦٩؛ تكملة أمل الآمل لسيدنا أبي محمد الحسن صدر الدين الكاظمي؛ تنقيح

١. أمل الآمل ١ : ١٥٥، رقم ١٥٨؛ ريحانة الألباء : ٢٠٧ - ٢١٤؛ جامع الرواة ٢ : ١٠٠؛ بحار الأنوار : ١٠٩؛

١٠٨، رقم ٢٦؛ محبوب القلوب ٣ : ٣٩٠؛ الأعلام ٦ : ١٠٢؛ نسمة السحر مج ٨ / ٣ : ٤٦٣؛ روضات

الجنّات ٧ : ٥٦، رقم ٥٩٩؛ مجمع الفصحاء ٤ : ١٢؛ روضة الصفاء ٨ : ٥٧٧؛ طرائق الحقائق ١ : ٢٤٢؛ تكملة

الرجال ٢ : ١٧٥؛ قصص العلماء : ٢٣٣ - ٢٤٧؛ الكنى والألقاب ٢ : ١٠٠؛ سفينة البحار ١ : ٤٢١؛ مؤلّفات

جرجي زيدان الكاملة - تاريخ آداب اللغة العربيّة ١٤ : ٧١٠.

المقال ٣ : ١٠٧ ؛ هدية الأحياء : ١٠٩ ؛ الكنى والألقاب ٢ : ٨٩ ؛ سفينة البحار ١ : ١١٣ ؛ الفوائد الرضوية ٢ : ٥٠٢ - ٥٢١ ؛ مفتاح التواريخ : ٣٣٢ ؛ من الرحمن ١ : ٦ ؛ دائرة المعارف للبستاني ١١ : ٤٦٢ - ٤٦٤ ؛ تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ٣٢٨ ؛ وفيات الأعلام لشيخنا الرازي ؛ معجم المطبوعات : ١٢٦٢ ؛ مجلة العرفان ، الجزء الثامن والتاسع من المجلد الثاني الصادر سنة (١٣٢٨) : ٣٨٣ ، ٤٠٧ - ٤١٣ ، ٤٧٢ - ٤٧٦ ، ٥٢١ .

وألف تلميذه العلامة المولى مظفر الدين علي رسالة في ترجمة أستاذه المترجم له ، وكذلك أفرد الشيخ أبو المعالي ابن الحاج محمد الكلباسي في ترجمته رسالة ، وطبع أخيراً كتاب في تاريخ حياته ألفه الكاتب الشهير نفيسي الطهراني ، وستقف على كلمتنا في آخر الترجمة حول الكتاب .

أساتذته ومشايخه :

إن رحلات شيخنا الأكبر - البهائي - لاقتناء العلوم رداً من عمره ، وأسفاره البعيدة إلى أصقاع العالم دون ضالته المنشودة ، وتجوّله دهرأ في المدن والأمصا وراء أمنيته الوحيدة ، واجتماعه في الحواضر الإسلامية مع أساطين الدين ، وعباقة المذهب ، وأعلام الأمة ، وأساذة كلّ علم وفنّ ، ونوابغ الفواضل والفضائل ، تستدعي كثرة مشايخه في الأخذ والقراءة والرواية ، غير أنّ المذكور منهم في غضون المعاجم :

- ١ - الشيخ والده المقدّس الحسين بن عبد الصمد ، أخذ منه ويروي عنه^١ .
- ٢ - الشيخ عبد العالي الكركي (المتوفى ٩٩٣) ابن المحقّق الكركي (المتوفى ٩٤٠) .

- ٣ - الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطيف المقدسي الشافعي، يروي عنه شيخنا البهائي وله منه إجازة توجد في إجازات البحار^١ (ص ١١٠) مؤرخة بسنة ٩٩٢.
- ٤ - الشيخ المولى عبد الله اليزدي (المتوفى ٩٨١) صاحب الحاشية، أخذ منه كما في خلاصة الأثر^٢ وغيرها.
- ٥ - المولى علي المذهب المدرّس تلمذ له في العلوم الرياضية.
- ٦ - القاضي المولى أفضل.
- ٧ - الشيخ أحمد الكجائي^٣ الكهدهمي المعروف بـ (بير أحمد)، قرأ عليه في قزوین.

٨ - النطاسي المحنك عماد الدين محمود، قرأ عليه في الطب.

قال المولى المحبّي في خلاصة الأثر (٣ / ٤٤١): كان يجتمع مدة إقامته بمصر بالأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري، وكان الأستاذ يبالغ في تعظيمه، فقال له مرة: يا مولانا أنا درويش فقير كيف تعظمني هذا التعظيم؟ قال: شممت منك رائحة الفضل، وامتدح الأستاذ بقصيدته المشهورة التي مطلعها:

يا مصر سقياً لك من جنّة	قطوفها يانعة دانية
ترائبها كالتبر في لطفه	وماؤها كالفضّة الصافية
قد أخجل المسك نسيم لها	وزهرها قد أرخص الغالية
دقيقة أصناف أوصافها	وما لها في حسنّها ثانية
منذ أنخت الركب في أرضها	نسيت أصحابي وأحبابيه
فيا حماها الله من روضة	بهجتها كافية شافية

١. بحار الأنوار ١٠٩: ٩٧، رقم ٦٩.

٢. خلاصة الأثر ٣: ٤٤٠.

٣. قرية من كهدهم من بلاد كيلان. (المؤلف)

فيها شفاء القلبِ أطيّارها بنعمة القانون كالداريه
ويقول فيها :

مَنْ شاءَ أَنْ يحيا سعيداً بها	منعماً في عيشة راضيه
فلْيَدْعِ العلمَ وأصحابه	وليجعل الجهل له غاشيه
والطبَّ والمنطق في جانبٍ	والنحو والتفسير في زاويه
وليتركِ الدرس وتدريسه	والمتن والشرح مع الحاشيه
إلى مَ يا دهرُ وحتى متى	تَشقى بأيّامك أيّاميه
وهكذا تفعلُ في كلّ ذي	فضيلةٍ أو همّةٍ عاليه
تحقّقُ الآمالَ مستعطفاً	وتوقعِ النقصَ بآماليه
فإن تكن تحسبني منهم	فهى لعمري ظنّة واهيه
دع عنك تعذيبي وإلا فأشد	كوك إلى ذي الحضرة العاليه ^١

وقال في الخلاصة (ص ٤٤٠، ٤٤١) : زار النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أخذ في السياحة، فساح ثلاثين سنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل، ثم عاد وقطن بأرض العجم.

إلى أن قال : وصل إلى أصفهان، فوصل خبره إلى سلطانها شاه عباس، فطلبه لرئاسة علمائها فولّوها وعظم قدره، وارتفع شأنه، إلا أنه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته لانتشار صيته في سداد دينه، إلا أنه غالى في حب آل البيت.

قال الأميني : ما أجرأ الرجل على الوقعة في مؤمن يقول : ربّي الله ! وبذاءة اللسان على العلويّ الطاهر عاقل البلاد في يومه، ورميه إياه بالزندقة، ومن المعلوم نزاهة هذا الملك السعيد في دينه ومذهبه وأعماله وأفعاله وتروكه، ولم يكن إلا على

مذهب أعلام أُمَّته وفي مقدّمهم شيخنا البهائي، ولم يؤثر عنه إلا ما هو حسنة وقته، وزينة عصره - وزينة كلّ عصر - من موالاة العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، وتأييد مذهبهم الحقّ، لكنّ الرجل مندفع بدافع بغضاء فيقذف ولا يكثرث، ويقول ولا يبالي، شنشنة أعرفها من أخزم.

وليت شعري أيّ غلوّ وقف عليه في حبّ الشيخ الأجلّ آل بيت نبيّه الأطهر؟ نعم؛ لم يجد شيئاً من الغلوّ لكنّه يحسب كلّ فضيلة رابية جعلها الله سبحانه لآل الرسول ﷺ وكلّ عظمة اختصّها بها غلوّاً، وهذا من عادة القوم سلفاً وخلفاً، وإلى الله المشتكى.

تلامذته ومن يروي عنه :

أخذ عن شيخنا البهائي علوم الدين والفلسفة والأدب زرافات لا يستهان بعدّتهم من العلماء الأفاضل، كما يروي عنه بالإجازة جمعٌ من الفطاحل الأعلام، فإليك أسماء الفريقين مرتّبةً على الحروف :

حرف الألف

- ١ - الشيخ إبراهيم بن فخر الدين العاملي البازوري، أمل الآمل^١ (ص ٥).
- ٢ - السيّد نظام الدين أحمد بن زين العابدين العلوي، له إجازات ثلاث من المترجم له كتبها سنة ١٠١٨ توجد في إجازات البحار.
- ٣ - الشيخ أبو طالب التبريزي، تلمذ لشيخنا البهائي وله منه إجازة كما في رياض العلماء^٢.

- ٤ - السيّد ظهير الدين إبراهيم بن قوام الدين الهمداني، (المتوفى سنة ١٠٢٥)،

١. أمل الآمل ١: ٢٥، رقم ١.

٢. رياض العلماء ٥: ٤٦٨.

له إجازة من المترجم له، جامع الرواة^١، سلافة^٢، نجوم السماء.

٥ - السيّد أبو القاسم الرازي الغروي، له إجازة من المترجم له. وفيات الأعلام.

٦ - السيّد أحمد بن عبد الصمد الحسيني البحراني، سلافة العصر^٣، أمل الآمل^٤.

٧ - السيّد معين الدين محمّد أشرف الشيرازي، كتب المترجم له إجازة له على كتابه مفتاح الفلاح سنة ١٠٢١.

٨ - السيّد أحمد بن الحسين بن الحسن الموسوي العاملي الكركي، توجد إجازة شيخنا البهائي له المؤرّخة سنة ١٠١٢ في إجازات البحار^٥ (ص ١٣٢).

حرف الباء

٩ - السيّد بدر الدين بن أحمد العاملي الأنصاري نزيل طوس، شارح الاثني عشرية الصومية والصلاتيّة لأستاذه المترجم له. أمل الآمل^٦.

١٠ - كمال الدين الحاج بابا بن ميرزا جان القزويني، كتب المترجم له إجازته سنة ١٠٠٧ على ظهر الجبل المتين الذي كتبه المجاز له. الذريعة (١ / ٢٣٧)، مستدرك الإجازات.

١١ - الأمير محمّد باقر الأسترآبادي المشهور بطلابان. أمل الآمل^٧ (ص ٦٠).

١٢ - المولى محمّد باقر بن زين العابدين اليزدي، تميم أمل الآمل للقزويني^٨.

١. جامع الرواة ١: ٣٠.

٢. سلافة العصر: ٤٨٠.

٣. المصدر السابق: ٥١٩.

٤. أمل الآمل ٢: ١٥، رقم ٣١.

٥. بحار الأنوار ١٠٩: ١٥٧، رقم ٧٧.

٦. أمل الآمل ١: ٤٢، رقم ٣٣.

٧. أمل الآمل ٢: ٢٤٧، رقم ٧٣١.

٨. تميم أمل الآمل: ٧٨، رقم ٣٠.

نجوم السماء .

١٣ - المولى بديع الزمان القهپاني، له إجازة كتبها المترجم له على كتابه الاثني عشرية الصلاية . الذريعة (١ / ٢٣٧) .

الحروف ج، ح، خ

١٤ - الشيخ جعفر ابن الشيخ لطف الله بن عبد الكريم الميسي العاملي الأصفهاني، أجاز له ولوالده سنة ١٠٢٠، توجد في إجازات البحار^١ (ص ١٣٠) .

١٥ - الشيخ جواد بن سعد بن جواد البغدادي المعروف بالفاضل الجواد يروي عن المترجم له . المستدرک (٣ / ٤٠٦) .

١٦ - الشيخ جعفر بن محمد بن الحسن الخطي البهراني . أمل الآمل^٢، سلافة العصر^٣ . وفي السلافة : أنه توفي سنة (١٠٢٨) .

١٧ - المولى حسن علي بن المولى عبد الله التستري المتوفى سنة ١٠٦٩ كما في السلافة^٤ أو ١٠٧٥، كتب المترجم له إجازته إيّاه سنة ١٠٣٠، توجد في إجازات البحار^٥ (ص ١٤٠) .

١٨ - الحاج المولى حسين اليزدي الأردكاني، له شرح خلاصة الحساب لأستاذه المترجم له، ولأستاذه تقرّيط عليه . رياض العلماء^٦ .

١٩ - السيّد حسين ابن السيّد كمال الدين الأبرر الحسيني الحلّي، يروي عن المترجم له كما في إجازة الشيخ عبد علي الخمايسي الراوي عن السيّد حسين

١ . بحار الأنوار ١٠٩ : ١٤٨ ، رقم ٧٢ .

٢ . أمل الآمل ٢ : ٥٤ ، رقم ١٣٩ .

٣ . سلافة العصر : ٥٢٤ .

٤ . المصدر السابق : ٤٩١ .

٥ . بحار الأنوار ١١٠ : ٢٣ ، رقم ٨٧ .

٦ . رياض العلماء ٢ : ١٩٥ .

المذكور للشيخ ناجي الحُصيناوي الصادرة سنة ١٠٧٢ وغيرها من إجازاته.
٢٠ - الشيخ حسين بن الحسن العاملي المشغري، نزيل مشهد الرضا والمدفون بها، يروي بالإجازة عن المترجم له، توجد على كتاب النكاح من التذكرة. أمل الآمل^١.

٢١ - الشيخ حسين بن علي بن محمد الحرّ العاملي نزيل أصفهان. أمل الآمل^٢.
٢٢ - السيّد حسين بن محمد علي بن الحسين العاملي الجبعي المتوفى ١٠٦٩. أمل الآمل^٣.

٢٣ - السيّد حسين بن حيدر الكركي المتوفى سنة ١٠٧٦، يروي عن المترجم له بالإجازات الثلاث المؤرّخة بسنة ١٠٠٣ و ١٠١٠ و ١٠٢٠. المستدرك (٣ / ٤١٩).

٢٤ - السيّد الأمير شرف الدين حسين، كتب المترجم له إجازة له سنة ١٠٣٠، على إجازة الشهيد الثاني لوالد المجيز، توجد في إجازات البحار^٤.
٢٥ - ميرزا حاتم بيك اعتماد الدولة الأوردبادي، أخذ الأسطُرلاب من المترجم له، وكتب أستاذة البهائي له رسالته الحاتمية بالفارسيّة (١٣١٩).
٢٦ - المولى خليل بن الغازي القزويني المتوفى سنة ١٠٨٩، يروي عن المترجم له. سلافة العصر^٥، أمل الآمل^٦، المستدرك (٣ / ٤١٣).

٢٧ - المولى خليل بن محمد أشرف القايني الأصفهاني يروي عن المترجم له.

١. أمل الآمل ١: ٦٩، رقم ٦٤.

٢. المصدر السابق: ٧٨، رقم ٧٠.

٣. المصدر السابق: ٧٩، رقم ٧٣.

٤. بحار الأنوار ١٠٩: ١٥١، رقم ٧٤.

٥. سلافة العصر: ٤٩١.

٦. أمل الآمل ٢: ١١٢، رقم ٣١٤.

- ٢٨ - رضي الدين بن أبي اللطيف القدسي . خلاصة الأثر (٢ / ٤٤٣) .
٢٩ - الشيخ زين الدين بن محمد حفيد شيخنا الشهيد الثاني المتوفى سنة ١٠٦٤ . الدر المنثور .

الحروف س، ش، ص

- ٣٠ - المولى سعيد بن عبد الله النصيري ، يوجد بعض تأليف أستاذه بخطه وعليه خط أستاذه .
٣١ - المولى سلطان حسين ابن المولى سلطان محمد الأسترآبادي ، مؤلف تحفة المؤمنين ، استشهد سنة ١٠٧٨ . رياض العلماء^١ .
٣٢ - الشيخ سليمان بن علي بن راشد البحراني الشاخوري المتوفى سنة ١١٠١ . روضات الجنّات^٢ .
٣٣ - كمال الدين السيّد شاه مير الحسيني ، كتب المترجم له إجازة له على نسخة من أربعينه سنة (١٠٠٨) . الذريعة (١ : ٢٣٨) .
٣٤ - المولى صالح بن أحمد المازندراني (المتوفى سنة ١٠٨١ - ١٠٨٦) يروي عن المترجم له . المستدرک (٣ / ٤١٣) .
٣٥ - المولى محمد صادق بن محمد علي التويسركاني ، شارح لغز أستاذه . الذريعة^٣ .
٣٦ - المولى محمد صالح الجيلاني ، نزيل اليمن (المتوفى سنة ١٠٨٨) . نسمة السحر^٤ .

١ . رياض العلماء ٢ : ٤٥٤ .

٢ . روضات الجنّات ٤ : ١٤ ، رقم ٣١٧ .

٣ . الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٢ : ٦٨١ ، رقم ٤٨٦ .

٤ . نسمة السحر مج ٩ / ج ٢ : ٤٩٦ .

٣٧ - الشيخ صالح بن الحسن الجزائري، له أسئلة عن المترجم له أجاز له في جوابها. أمل الآمل^١.

الحرف ع

٣٨ - الشيخ نجيب الدين علي بن محمد بن مكّي العاملي الجبعي. أمل الآمل^٢.

٣٩ - الشيخ زين الدين علي بن سليمان البحراني (المتوفى سنة ١٠٦٤)، حكى شيخنا الشيخ سليمان الماحوزي البحراني إجازة المترجم له إياه في تراجم علماء البحرين. لؤلؤة البحرين^٣، المستدرك (٤ / ٣٨٨).

٤٠ - المولى عبد الوحيد بن نعمة الله الديلمي الأسترآبادي صاحب التأليف الكثيرة. رياض العلماء^٤.

٤١ - الشيخ علي بن محمود العاملي. أمل الآمل^٥.

٤٢ - الشيخ علي بن نصر الله الجزائري مؤلف الحاشية على الروضة البهية. رسالة الشيخ سليمان الماحوزي في علماء البحرين.

٤٣ - المولى عزّ الدين علي النقي بن أبي العلا محمد هاشم الكمرئي (المتوفى سنة ١٠٦٠)، يروي عن المترجم له. مستدرك النوري (٣ / ٤٠٥).

٤٤ - الشيخ عبد العلي بن ناصر بن رحمة الله الحويزي، صاحب تأليف كثيرة. أمل الآمل^٦.

١. أمل الآمل ٢: ١٣٥، رقم ٣٨٤.

٢. المصدر السابق ١: ١٣٠، رقم ١٤٠.

٣. لؤلؤة البحرين: ١٤، ١٦.

٤. رياض العلماء ٣: ٢٨٤.

٥. أمل الآمل ١: ١٣٤، رقم ١٤٢.

٦. أمل الآمل ٢: ١٥٤، رقم ٤٥١.

٤٥ - الشيخ عبد اللطيف بن علي العاملي الحويزي. أمل الآمل^١، مستدرك

الوسائل^٢.

٤٦ - السيّد عبد العظيم ابن السيّد عبّاس الأسترآبادي. رياض العلماء^٣.

٤٧ - السيّد شمس الدين علي بن محمّد بن علي الحسيني الخلخالي شارح

خلاصة الحساب، و تشریح الأفلاك لأستاذة سنة ١٠٠٨. رياض العلماء^٤.

٤٨ - السيّد بهاء الدين علي الحسيني التفرشي، أجاز له المترجم له سنة ١٠١٣

سابع شهر رمضان. مستدرك الإجازات.

٤٩ - السيّد شرف الدين علي الطباطبائي الشولستاني الغروي (المتوفى

١٠٦٠)، يروي عن المترجم له. المستدرك (٣ / ٤٠٩).

٥٠ - الشيخ نور الدين علي بن عبد العزيز البحراني، أجاز له المترجم له في

شوّال سنة ٩٩٨.

٥١ - القاضي علاء الدين عبد الخالق المعروف بالقاضي زادة الكرهرودي.

رياض العلماء^٥.

٥٢ - المولى مظفر الدين علي، له رسالة في ترجمة أستاذة المترجم له وتعاليق

على أربعينه.

٥٣ - الشيخ علي بن أحمد النباطي العاملي شارح الاثني عشرة الصلاة

لأستاذة المترجم له، أجاز له بالإجازات الثلاث سنة ١٠١١ و ١٠١٢، توجد بعض

١. المصدر السابق ١: ١١١، رقم ١٠٣.

٢. مستدرك الوسائل ٣: ٤٠٦.

٣. رياض العلماء ٣: ١٤٦.

٤. المصدر السابق: ٤٤٠.

٥. رياض العلماء ٣: ٩١.

تأليف أستاذه بخطه وعليه إجازاته له .

٥٤ - الشيخ زكي الدين عناية الله بن شرف الدين علي القهپاني النجفي مؤلف مجمع الرجال .

٥٥ - المولى غياث الدين علي الأصفهاني ، يروي عن المترجم له كما في إجازات البحار (ص ١٣٦) .

٥٦ - السيد علي العلوي البعلبكي العاملي ، ولعله السيد علي بن علوان الحسيني .

الحروف ق، ك، ل

٥٧ - ميرزا قاضي بن كاشف الدين محمد اليزدي نزيل مشهد الرضا عليه السلام ، صاحب التحفة الرضوية في شرح الصحيفة السجادية .

٥٨ - المولى محمد قاسم الجيلاني . نجوم السماء .

٥٩ - السيد الأمير سراج الدين قاسم بن المير محمد الطباطبائي القهپاني ، يروي عن المترجم له . جامع الرواة^١ ، المستدرك (٣ / ٤٠٩) .

٦٠ - المولى محمد كاظم بن عبد علي الجيلاني التنكابني ، شارح تشریح الأفلاك بأمر أستاذه . رياض العلماء^٢ .

٦١ - الشيخ لطف الله بن عبد الكريم الميسي العاملي الأصفهاني ، أجاز له المترجم له سنة ١٠٢٠ . إجازات البحار^٣ (ص ١٣٠) ، (توفي سنة ١٠٣٢) بإصبهان ، ترجمه شيخنا الحرّ في أمل الآمل^٤ ، والكشميري في نجوم السماء .

١ . جامع الرواة ٢ : ٢١ .

٢ . رياض العلماء ٤ : ٢٧١ .

٣ . بحار الأنوار ١٠٩ : ١٤٨ ، رقم ٧٢ .

٤ . أمل الآمل ١ : ١٣٦ ، رقم ١٤٦ .

الحرف م

٦٢ - السيد أبو علي الماجد بن هاشم البحراني (المتوفى ١٠٢٨)، له إجازتان من المترجم له.

٦٣ - المولى محمد المحسن الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١)، يروي عن المترجم له. المستدرك (٣ / ٤٢١).

٦٤ - نظام الدين محمد بن الحسين القرشي الساوجي، متمم الجامع العباسي لأستاذه بعد وفاته.

٦٥ - السيد ميرزا رفيع الدين محمد النائيني (المتوفى سنة ١٠٨١)، يروي عن المترجم له^١. جامع الرواة، سلافة العصر، المستدرك (٣ / ٤٠٩).

٦٦ - الشيخ محمد بن علي العاملي التبيني. أمل الآمل^٢.

٦٧ - الشيخ محمود بن حسام الدين الجزائري، يروي عن المترجم له. لؤلؤة البحرين^٣، المستدرك (٣ / ٣٩٠).

٦٨ - المولى محمد صدر الدين بن محب علي التبريزي، مترجم الاثني عشريات و مفتاح الفلاح لأستاذه.

٦٩ - السيد محمد تقي بن أبي الحسن الحسيني الأسترآبادي. أمل الآمل^٤.

٧٠ - المولى علاء الدين محمد بن بدر الدين محمد القمي.

٧١ - المولى محمد رضا البسطامي، أجازته المترجم له سنة ١٠٣٠، وكتبها على نسخة من كتابه الحبل المتين.

١. جامع الرواة ١: ٣٢١؛ سلافة العصر: ٤٩١.

٢. أمل الآمل ١: ١٦٢، رقم ١٦٦.

٣. لؤلؤة البحرين: ١١٣، رقم ٤٣.

٤. أمل الآمل ٢: ٢٥١، رقم ٧٣٩.

- ٧٢ - المولى محمد تقي المجلسي (المتوفى سنة ١٠٧٠)، يروي عن المترجم له. إجازات البحار (ص ١٥٠)، و مستدرك الإجازات.
- ٧٣ - الشيخ حسام الدين محمود بن درويش علي الحلّي النجفي، يروي عن المترجم له. رياض العلماء^١، المستدرك (٣ / ٤٢٤)، وإجازة الشيخ عبد الواحد البوراني للشيخ أبي الحسن الشريف.
- ٧٤ - المولى صدر الدين محمد الشيرازي الشهير بالمولى صدرا (المتوفى سنة ١٠٥٠)، يروي عن المترجم له. المستدرك (٣ / ٤٢٤).
- ٧٥ - المولى صفّي الدين محمد القميّ، يروي عنه بإجازته له سنة ١٠١٥. إجازات البحار^٢ (ص ١٣٠).
- ٧٦ - المولى محمد باقر بن محمد مؤمن السبزواري المتوفى سنة ١٠٩٠.
- ٧٧ - المولى محمد أمين القاري الراوي، يروي بالإجازة عن المترجم له.
- ٧٨ - الشيخ بهاء الدين محمد العاملي، يروي عن سمّيه المترجم له بالإجازة.
- ٧٩ - الأمير شمس الدين محمد الكيلاني، شارح خلاصة الحساب.
- ٨٠ - المولى ملك حسين بن ملك علي التبريزي، أجاز له المترجم له سنة ٩٩٨. نجوم السماء.
- ٨١ - السيّد محمد علي بن ولي الأصفهاني، أجاز له المترجم له ولوالده. الذريعة (١ / ٢٣٨).
- ٨٢ - القاضي مجد الدين العبّاسي القمي الدزفولي، يروي عن المترجم له

١. رياض العلماء ١: ١٣٧.

٢. بحار الأنوار ١٠٩: ١٤٦، رقم ٧١.

٣. ذكره صاحب الروضات ١١٧: ٢ [٦٩: ٧٠، رقم ١٤١] ولعلّه اشتباه حيث ولد المولى السبزواري هذا سنة

١٠١٧ فكان له عند وفاة الشيخ ١٣ عاماً. (المؤلف)

ويذكره من مشايخه في إجازته لولده القاضي فصيح الدين. وفيات الأعلام.

٨٣ - المولى معز الدين محمد، يروي عن المترجم له. أمل الآمل^١.

٨٤ - الشيخ محمد بن سليمان^٢ المقابي البحراني. لؤلؤة البحرين^٣. وله من

المترجم له إجازة تاريخها شهر شعبان (٩٩٨) توجد في المستدرك.

٨٥ - الشيخ محمد بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري المتوفى سنة

١٠٩٨. أمل الآمل^٤.

٨٦ - الشيخ محمد بن نصار الحويزي. أمل الآمل^٥.

٨٧ - الشيخ أبو الحسن محمد بن الشيخ يوسف البحراني العسكري يروي

بالإجازات الثلاث المؤرخة بسنة ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠، الذريعة^٦، ومستدرك

الإجازات.

٨٨ - الشيخ محمود بن حسام الدين المشرفي الجزائري. وفيات الأعلام.

٨٩ - المولى مراد بن علي خان التفرشي (المتوفى سنة ١٠٥١). جامع الرواة^٧.

٩٠ - المولى محمد الشهير بالتقي الصوفي الزيابادي القزويني، صاحب ملحقات

الصحيفة الكاملة المؤلفة سنة ١٠٢٣، تلمذ للمترجم له وأجيز منه.

٩١ - المولى محمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود الكاشي أخو مولانا محمد

المحسن الفيض، يروي عن المترجم له بتصريح ولده الشاه مرتضى في إجازته

١. أمل الآمل ٢: ٢٣٢، رقم ٦٨٩.

٢. في إجازة المترجم له إياه: محمد بن يوسف. (المؤلف)

٣. لؤلؤة البحرين: ٨٦، رقم ٣٣.

٤. أمل الآمل ١: ١٧٨، رقم ١٨١.

٥. المصدر السابق ٢: ٣١٠، رقم ٩٤٣.

٦. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١: ٢٣٩، رقم ١٢٦٣.

٧. جامع الرواة ٢: ٢٢٣.

لولده نور الدين محمد بن المرتضى سنة ١٠٨٨. الذريعة (١ / ٢٥٠)، مستدرك الإجازات.

٩٢ - المولى مقصود بن زين العابدين الأسترآبادي. رياض العلماء.

٩٣ - الشيخ محمد شمس الدين بن علي بن خاتون العاملي مترجم شرح أربعين أستاذه، أجاز له سنة (١٠٢٩). أمل الآمل^١، الذريعة (١ / ٢٣٩).

٩٤ - المولى شريف الدين محمد الرويدشتي المعروف بشريفا الأصفهاني المتوفى سنة ١٠٨٧، تاريخ إجازته له سنة ١٠٢٢. المستدرك (٣ / ٤٠٩)، إجازات البحار^٢ (ص ١٣١).

٩٥ - المولى شمس الدين محمد الكشميري، يروي بالإجازة عن المترجم له كما صرح به في إجازته لتلميذه المولى هداية الله ابن المولى عبد الصمد الجيلاني في سنة ١٠٤٠. وفيات الأعلام.

الحروف ه ي

٩٦ - الشيخ هاشم بن أحمد بن عصام الدين الأتكاني، أجاز له المترجم له سنة ١٠٣٠، وكتب إجازته له على نسخة الاثنا عشرية المكتوبة بخط المجاز له. الذريعة (١ / ٢٣٩).

٩٧ - الشيخ يحيى اللاهيجي، له إجازة من المترجم له كتبها سنة ١٠٢٥.

تأليفه القيمة :

إن يكن شيخنا المترجم له - البهائي - قد طوته طوارق القدر، فغيبه عن العيون حمامه، فقد أبقى له علمه الجمّ وآثاره القيمة حياة خالدة مع الدهر، وإليك أسماء

١. أمل الآمل ١: ١٦٩، رقم ١٧٢.

٢. بحار الأنوار ١٠٩: ١٥٠، رقم ٧٣.

كتبه الثمينة في شتى العلوم :

- ١ - العروة الوثقى في التفسير - مطبوع.
- ٢ - الجامع العباسي في الفقه - مطبوع.
- ٣ - رسالة فارسية في الأسطرلاب.
- ٤ - رسالة عربية في الأسطرلاب.
- ٥ - حاشية على تفسير البيضاوي - مطبوع.
- ٦ - حاشية على خلاصة الأقوال.
- ٧ - الاثنا عشرية الخمس.
- ٨ - رسالة الحساب بالفارسية.
- ٩ - عين الحياة في التفسير.
- ١٠ - حاشية على مختلف الشيعة.
- ١١ - حاشية على رجال النجاشي.
- ١٢ - رياض الأرواح - منظومة.
- ١٣ - شرح تفسير البيضاوي.
- ١٤ - حاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه.
- ١٥ - سوانح سفر الحجاز.
- ١٦ - حواشي شرح التذكرة.
- ١٧ - تشریح الأفلاك - مطبوع.
- ١٨ - حلّ حروف القرآن.
- ١٩ - توضيح المقاصد.
- ٢٠ - رسالة في الموارث - مطبوع.
- ٢١ - حاشية على القواعد.
- ٢٢ - حاشية على المطول.
- ٢٣ - حواشي على الكشف.
- ٢٤ - شرح على شرح الجعفي.
- ٢٥ - حاشية إرشاد الأذهان.
- ٢٦ - رسالة تضاريس الأرض.
- ٢٧ - شرح الحق المبين.
- ٢٨ - شرح دعاء الصباح.
- ٢٩ - الحبل المتين - مطبوع.
- ٣٠ - شرح الأربعين - مطبوع.
- ٣١ - زبدة الأصول - مطبوع.
- ٣٢ - الرسالة الهلالية.
- ٣٣ - أسرار البلاغة.
- ٣٤ - دراية الحديث - مطبوع.
- ٣٥ - الكشكول - مطبوع.
- ٣٦ - لغز الزبدة.
- ٣٧ - بحر الحساب.
- ٣٨ - لغز النحو.

- ٣٩ - رسالة في السورة .
٤٠ - تنبيه الغافلين .
٤١ - الصراط المستقيم .
٤٢ - الرسالة الاعتقادية .
٤٣ - مشرق الشمسين .
٤٤ - مفتاح الفلاح - مطبوع .
٤٥ - خلاصة الحساب - مطبوع .
٤٦ - المخلاة - مطبوع .
٤٧ - الجوهر الفرد .
٤٨ - الفوائد الصمدية - مطبوع .
٤٩ - تهذيب النحو - مطبوع .
٥٠ - الجبر والمقابلة .
٥١ - رسالتان كرتيتان - مطبوع .
٥٢ - رسالة في القبلة .
٥٣ - ديوان شعره .
٥٤ - رسالة في الصلاة .
٥٥ - رسالة في الحج .
٥٦ - كربه و موش - مطبوع .
٥٧ - لغز القانون .
٥٨ - لغز الكشف .
٥٩ - شرح الصحيفة السجادية
المسمى بـ حقائق الصالحين .
- ٦٠ - رسالة في أن أنوار الكواكب
مستفادة من الشمس .
٦١ - جواب أسئلة الشيخ صالح
الجزائري (٢٢) مسألة .
٦٢ - شرح الفرائض النصيرية للمحقق
الطوسي .
٦٣ - حاشية شرح العضدي على
مختصر الأصول .
٦٤ - رسالة في حل إشكال العطار
والشمس .
٦٥ - رسالة نسبة أعظم الجبال إلى
قطر الأرض .
٦٦ - رسالة في القصر والتخيير في
السفر .
٦٧ - حاشية الاثنا عشرية للشيخ
حسن .
٦٨ - رسالة في ذبائح أهل الكتاب .
٦٩ - حاشية على معالم العلماء لابن
شهر آشوب ينقل عنه في الرياض .
٧٠ - رسالة في ترجمة ما ألفه الإمام
الرضا عليه السلام إلى المأمون .
٧١ - وسيلة الفوز والأمان ، منظومة
في مدح صاحب الزمان .

٧٢ - شرح على شرح الرومي على ٧٥ - رسالة في أحكام سجود الملخص .
التلاوة .

٧٣ - كتاب في إثبات وجود الإمام ٧٦ - جواب المسائل المدنيّات .
القائم .
٧٧ - رسالة في طبقات الرجال .

٧٤ - رسالة في حلّ عبارة من القواعد .

وغير ذلك من المتنويّات والقصائد والأراجيز والحواشي والشروح على بعض تأليفه وغيرها ، ولجملة من هذه التآليف شروحٌ وتعليق ونظمٌ للعلماء من معاصريه ومن بعده ، تنمّ عن شدّة اعتنائهم بها وإكبارهم محلّ مؤلفها من العلم والدين ، وإليك أسماؤها :

الاثنا عشريات

١ - تعاليق السيّد ماجد بن هاشم البحراني المتوفّى (١٠٢٨) تلميذ المترجم له على الاثنا عشرية الصلّاتية .

٢ - شرح حسام الدين بن جمال الدين الطريحي النجفي .

٣ - شرح الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني (المتوفّى سنة ١١٢١) .

٤ - شرح السيّد فيض الله بن عبد القاهر الحسيني التفريشي .

٥ - شرح الاثنا عشريات الصلّاتية للشيخ علي بن أحمد بن موسى العاملي النباطي .

٦ - شرح الاثنا عشريات الصوميّة ، للشيخ حسين بن موسى الأردبيلي ، نزيل أسترآباد معاصر المترجم له .

٧ - شرح الاثنا عشريات الحجّية ، للشيخ زين الدين الحسين العاملي (المتوفّى ١٠٧٨) أخي صاحب الأمل .

٨ - شرح الاثنا عشريات الصلّاتية ، للسيّد نور الدين علي بن الحسين الموسوي العاملي (المتوفّى ١٠٤٨) أخي صاحب المدارك .

٩ - شرح الاثنا عشريات الصلّاتية ، للشيخ عبد الله ابن الحاج صالح السماهيجي البحراني (المتوفى ١١٣٥)، وله نظمها.

١٠ - حاشية الاثنا عشريات الصلّاتية ، للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني صاحب المعالم علّقها عليها سنة ١٠١٢ سنة تأليف أصل الرسالة.

١١ - ترجمة الاثنا عشريات الصلّاتية والزكّاتية ، لتلميذه المولى صدر الدين محمّد بن محبّ علي التبريزي.

الأربعين

١٢ - حاشية الأربعين ، للشيخ عبد الصمد بن الحسين أخ المترجم له.

١٣ - حاشية الأربعين للسيد عبد الله بن نور الدين بن نعمة الله الجزائري (المتوفى سنة ١١٧٣).

١٤ - حاشية الأربعين ، للمولى إسماعيل بن محمّد حسيني الخواجوي الأصفهاني المتوفى سنة ١١٧٣.

١٥ - حاشية الأربعين ، لتلميذ المترجم له المولى مظفر الدين علي.

١٦ - ترجمة شرح الأربعين ، للشيخ محمّد بن علي بن خاتون العاملي وعليها تقرّظ المترجم له سنة (١٠٢٧).

تشريح الأفلاك

١٧ - شرح تشريح الأفلاك ، للشيخ فرج الله بن محمّد بن درويش الحويزي الرجالي.

١٨ - شرح تشريح الأفلاك ، للأمير صدر الدين محمّد بن محمّد صادق القزويني معاصر صاحب أمل الآمل.

١٩ - شرح تشريح الأفلاك لإمام الدين اللاهوري.

٢٠ - شرح تشريح الأفلاك ، للشيخ أبي الحسن الشريف الأصبهاناتي ابن الحاج إسماعيل اللاري (المتوفى سنة ١٣٢٨) - مطبوع.

٢١ - شرح تشريح الأفلاك ، للسيد محمد الشرموطي من أعلام القرن الثالث عشر .

٢٢ - شرح تشريح الأفلاك ، للسيد عبد الله بن عبد الكريم القنوي .

٢٣ - شرح تشريح الأفلاك ، للسيد علي حيدر الطباطبائي - مطبوع .

٢٤ - شرح تشريح الأفلاك ، للمولى محمد صادق التنكابني .

٢٥ - شرح تشريح الأفلاك ، للشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار القطيفي البحراني .

٢٦ - شرح تشريح الأفلاك ، للقاضي السيد نور الله المرعشي الشهيد سنة ١٠١٩ .

٢٧ - شرح تشريح الأفلاك ، لعباس قلي خان الكرمانشاهي (المتوفى سنة ١٢٧٣) ذكره صاحب مجمع الفصحاء .

٢٨ - شرح تشريح الأفلاك ، للمولى محمد كاظم بن عبد العلي الجيلاني التنكابني ، شرحه بأمر أستاذه وسمّاه نهاية الإدراك .

٢٩ - حواش على تشريح الأفلاك بالفارسية وترجمته بها ، للمولى محمد بن أحمد الأردبيلي .

٣٠ - حاشية تشريح الأفلاك ، للسيد مصطفى ابن السيد محمد هادي حفيد السيد دلدار علي النقوي الهندي (المتوفى سنة ١٣٢٣) .

٣١ - حاشية تشريح الأفلاك ، للحاج المولى علي العلياري التبريزي (المتوفى سنة ١٣٢٧) .

الجامع العباسي

٣٢ - شرح الجامع العباسي ، لشمس الدين محمد بن علي العاملي المعروف بابن خاتون تلميذ المترجم له .

٣٣ - حاشية على الجامع العباسي ، للشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي دونها سنة ١٠٥٤ ولعلها عين الشرح .

٣٤ - حاشية على الجامع ، للحاج المولى حسين علي بن نوروز علي التويسركاني (المتوفى سنة ١٢٨٦).

٣٥ - حاشية على الجامع ، للحاج الشيخ عبد الله المازندراني (المتوفى سنة ١٣٣٠).

٣٦ - حاشية على الجامع ، لشيخنا ميرزا أبي القاسم بن محمد تقي الأوردبادي (المتوفى سنة ١٣٣٣).

٣٧ - حاشية على الجامع ، لسيدنا محمد الكاظم اليزدي الطباطبائي (المتوفى سنة ١٣٣٨).

٣٨ - حاشية على الجامع ، لسيدنا إسماعيل الصدر العاملي الأصبهاني (المتوفى سنة ١٣٣٨).

٣٩ - حاشية على الجامع ، للحاج الشيخ عبد الله المامقاني النجفي (المتوفى سنة ١٣٥١).

٤٠ - حاشية على الجامع ، لسيدنا أبي محمد الحسن صدر الدين الكاظمي (المتوفى سنة ١٣٤٥).

٤١ - حاشية على الجامع ، للمولى محمد علي النخجواني النجفي (المتوفى سنة ١٠١٣).

خلاصة الحساب

٤٢ - شرح خلاصة الحساب ، للسيد حيدر بن علي العاملي.

٤٣ - شرح الخلاصة ، للحاج ميرزا أبي القاسم بن ميرزا كاظم الموسوي الزنجاني (المتوفى سنة ١٢٩٢).

٤٤ - شرح خلاصة الحساب ، للمولى رمضان.

٤٥ - شرح الخلاصة ، للشيخ محمد ابن الحاج المولى علي الساوجي الحائري.

٤٦ - شرح الخلاصة ، للسيد محمد الشرموطي الحلّي شارح شريح الأفلاك.

- ٤٧ - شرح الخلاصة ، للشيخ جواد بن سعد الكاظمي تلميذ المترجم له ، مطبوع .
- ٤٨ - شرح الخلاصة ، لصاحب قصص العلماء ميرزا محمد التنكابني .
- ٤٩ - شرح الخلاصة ، للمولى وحيد الدين .
- ٥٠ - شرح الخلاصة ، لآغا فتح علي الزنجاني (المتوفى بالنجف سنة ١٣٣٨) .
- ٥١ - شرح الخلاصة ، للشيخ محمد النادري ، فارسي .
- ٥٢ - شرح الخلاصة ، لمعتمد الدولة فرهاد ميرزا القاجاري (المتوفى سنة ١٣٠٥) بالفارسيّة .
- ٥٣ - شرح الخلاصة ، للسيد محمد مهدي ابن السيد جعفر الحسيني الحائري المعروف بحكيم زادة (المتوفى سنة ١٣٣١) فارسي .
- ٥٤ - شرح الخلاصة ، للمولى محسن بن محمد طاهر القزويني المعروف بالنحوي شارح العوامل .
- ٥٥ - شرح الخلاصة ، للشيخ هاشم بن زين العابدين التبريزي النجفي (المتوفى سنة ١٣٢٣) .
- ٥٦ - شرح الخلاصة ، للمولى محمد طالب بن حيدر الجيلي الأصفهاني ، فارسي عاش إلى سنة ١٠٤٢ .
- ٥٧ - شرح الخلاصة ، للميرزا محمد علي بن محمد نصير الرشتي النجفي (المتوفى ١٣٣٤) ، ألفه سنة ١٣١٤ .
- ٥٨ - شرح الخلاصة ، للسيد أمير شمس الدين علي الخلخالي تلميذ المترجم له .

- ٥٩ - شرح الخلاصة ، للسيد محمد أشرف الحسيني الطباطبائي .
- ٦٠ - شرح الخلاصة ، للحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدوله ، مطبوع .
- ٦١ - شرح الخلاصة ، للمولى محمد أمين القمي تلميذ المترجم له .
- ٦٢ - شرح الخلاصة ، للشيخ عبد العلي آل عبد الجبار القطيفي البحراني .

٦٣ - شرح الخلاصة ، للسيّد علي الفورجاني الخوانساري المعاصر للسيّد المجاهد الحائري الطباطبائي .

٦٤ - شرح الخلاصة ، للمولى حسين النيشابوري .

٦٥ - شرح الخلاصة ، للأمير أبي طالب الفندرسكي سبط الأمير الفندرسكي الشهير .

٦٦ - شرح الخلاصة ، للحاجّ المولى محمّد جعفر الأسترآبادي (المتوفّى سنة ١٢٦٣) .

٦٧ - شرح الخلاصة ، للمولى محمّد حسين اليزدي الأردكاني .

٦٨ - شرح الخلاصة ، للميرزا زين العابدين بن أبي القاسم الخوانساري .

٦٩ - شرح الخلاصة ، للمولى فرج الله بن محمّد بن درويش الحويزي العاملي معاصر صاحب الأمل .

٧٠ - شرح الخلاصة ، للسيّد عبد الله بن نور الدين ابن السيّد نعمة الله الجزائري .

٧١ - شرح الخلاصة ، للميرزا محمّد رضا . الذريعة^١ .

٧٢ - شرح الخلاصة ، للحاج محمّد ابن الحاج محمّد إبراهيم الكلّباسي .

٧٣ - شرح الخلاصة ، للأمير شمس الدين محمّد الكيلاني .

٧٤ - شرح الخلاصة ، للسيّد آغا بن الميرزا إسماعيل الحسيني المرعشي الأصفهاني من آل خليفة سلطان من أعلام القرن ١٣ .

٧٥ - حواش على خلاصة الحساب ، للمولى محمّد تقّي بن حسن الهروي الإصبهاني (المتوفّى ١٢٩٩) .

٧٦ - حاشية خلاصة الحساب ، للسيّد صدر الدين محمّد بن مجدّ الدين إسماعيل ابن الأمير علي أكبر شاه مير الطباطبائي التبريزي .

٧٧ - حاشية الخلاصة ، للسيد هبة الدين الشهرستاني المعاصر ، ذكرها هو في
عدّ تأليفه .

٧٨ - نظم خلاصة الحساب ، للسيد ميرزا قوام الدين محمد بن محمد مهدي
الحسيني السيفي القزويني سماء بـ : نظم الحساب ، نظمه سنة ١١١٨ في ٦٦١ بيتاً
وأشار إلى ذلك كله / قوله :

ومستأرخ قال ما اسم الكتاب فقلت له : هاك نظم الحساب

١١١٨

ورام اعتبار حساب الكتاب فقلت : عيون كتاب الحساب

٦٦١

زبدة الأصول

٧٩ - شرح زبدة الأصول ، للشيخ جواد بن سعد الكاظمي تلميذ المترجم له .

٨٠ - شرح زبدة الأصول ، للمولى محمد صالح المازندراني (المتوفى سنة

١٠٨٦) .

٨١ - شرح زبدة الأصول ، للميرزا محمد هاشم چهارسوقي .

٨٢ - شرح زبدة الأصول ، للمولى محمد تقي بن محمد ابن المولى علي الطبسي ،

فرغ منه سنة ١٠٥٤ .

٨٣ - شرح زبدة الأصول ، للمولى محمد زمان ابن المولى كلب علي التبريزي .

٨٤ - شرح زبدة الأصول ، لآقا حسين الخوانساري (المتوفى ١٠٩٩) .

٨٥ - شرح زبدة الأصول ، للسيد أمير محمد باقر الأسترآبادي المعروف بطالبان

تلميذ المترجم له .

٨٦ - شرح زبدة الأصول ، للمولى يعقوب بن إبراهيم البختياري الحويزي

المتوفى حدود سنة ١١٥٠ .

٨٧ - شرح زبدة الأصول ، للشيخ مهدي بن الحسين بن محمد ملا كتاب النجفي .

٨٨ - شرح زبدة الأصول ، للسيد علي بن محمد باقر الموسوي الخوانساري من أعلام القرن ١٣.

٨٩ - شرح زبدة الأصول ، للشيخ نور الدين علي بن هلال الجزائري.

٩٠ - شرح زبدة الأصول ، للشيخ محمد بن علي الحرفوشي العاملي (المتوفى سنة ١٠٥٩) على ما في سلافة العصر^١.

٩١ - شرح زبدة الأصول ، للمولى محمد علي الكربلائي - فارسيًا - فرغ منه ثامن محرّم سنة ١١٩٦.

٩٢ - شرح زبدة الأصول ، للمولى مهدي السبزواري الحكيم (المتوفى ١٢٨٩).

٩٣ - شرح زبدة الأصول ، للميرزا أبي القاسم ابن المولى حسن القمي (المتوفى ١٢٣١).

٩٤ - شرح زبدة الأصول ، للسيد علاء الدين حسين بن رفيع الدين محمد الحسيني الأملي المعروف بخليفة سلطان (المتوفى سنة ١٠٦٤).

٩٥ - شرح زبدة الأصول ، للسيد محمد حسين ابن السيد بنده حسين حفيد سيدنا دلداز علي النقوي الهندي (المتوفى سنة ١٣٢٥) - مطبوع.

٩٦ - شرح زبدة الأصول ، للسيد علي النقي ابن السيد جواد أخي سيد الطائفة بحر العلوم (المتوفى سنة ١٢٤٩).

٩٧ - شرح زبدة الأصول ، للشيخ محمد بن خلف التستري البلادي البحراني.

٩٨ - شرح زبدة الأصول ، للسيد مصطفى ابن السيد محمد هادي حفيد سيدنا دلداز علي النقوي الهندي (المتوفى سنة ١٣٢٣).

٩٩ - شرح زبدة الأصول ، للمولى محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني السبزواري صاحب الذخيرة (المتوفى سنة ١٠٩٠).

- ١٠٠ - شرح زبدة الأصول ، للسيّد بدر الدين العاملي من تلمذة المترجم له .
- ١٠١ - شرح زبدة الأصول ، لآقا محمد تقى ابن آقا محمد جعفر ابن آقا محمد علي الكرمانشاهي (المتوفى في النجف الأشرف سنة ١٢٩٩) .
- ١٠٢ - شرح زبدة الأصول ، للسيّد محمد جواد ابن السيّد هاشم التوبلي البحراني .
- ١٠٣ - شرح زبدة الأصول ، للشيخ حبيب ابن الشيخ محمد حسن آل محبوبة النجفي (المتوفى سنة ١٣٣٦) .
- ١٠٤ - شرح زبدة الأصول ، للمولوي حمد الله بن فضل الله بن شكر الله السنديلوي
- ١٠٥ - شرح زبدة الأصول ، للميرزا زين العابدين بن أبي القاسم جعفر الموسوي الخوانساري الأصفهاني والد صاحب روضات الجنّات (المتوفى حدود سنة ١٢٧٢) .
- ١٠٦ - شرح زبدة الأصول ، للشيخ عبد العلي بن محمد حسين .
- ١٠٧ - شرح زبدة الأصول ، للمولى علي الآراني من معاصري شيخ الطائفة الأنصاري .
- ١٠٨ - شرح زبدة الأصول ، للسيّد محمد ابن سيّدنا دلدار علي النقوي الهندي (المتوفى سنة ١٢٨٤) .
- ١٠٩ - شرح زبدة الأصول ، للسيّد علي محمد ابن السيّد محمد حفيد سيّدنا دلدار علي الهندي (المتوفى سنة ١٣١٢) .
- ١١٠ - شرح زبدة الأصول ، لميرزا إبراهيم بن أبي الفتح الزنجاني (المتوفى ١٣٥٠) ، فارسي .
- ١١١ - شرح زبدة الأصول ، لميرزا محمد بن سليمان التنكابني صاحب قصص العلماء (المتوفى حدود سنة ١٣١٠) .

١١٢ - نظم زبدة الأصول ، للشيخ أسد الله البغدادي ابن الحاج إسماعيل الدزفولي (المتوفى سنة ١٢٣٧).

١١٣ - نظم زبدة الأصول ، للسيد ميرزا قوام الدين محمد الحسيني السيفي نظمه سنة ١١٠٤ وأرخه بقوله :

في مائة وأربع والألف في ألف وواحد بمعناها يفي

١١٤ - نظم زبدة الأصول ، للشيخ أحمد بن صالح البحراني (المتوفى سنة ١٣١٥) سمّاه بالعمدة .

قال الحاج مفضل ابن الحاج حسب الله يثني على زبدة شيخنا البهائي :

فيا درّة قد ساد فيها محمدٌ وزبدة ألفاظٍ صفت وفصولٌ

حوّت من قوانين العلوم وجيزها معانٍ وأضحت للأصول أصولٌ

يوجد على الزبدة الموجودة بخطّه المؤرّخ بـ (١٠٩٨) في مكتبة الإمام أمير المؤمنين بالنجف الأشرف .

الفوائد الصمدية

١١٥ - شرح الفوائد الصمدية ، للسيد علي خان المدني صاحب سلافة العصر كبير وصغير .

١١٦ - شرح الفوائد ، للمولى أحمد بن محمد علي الأصفهاني البهبهاني .

١١٧ - شرح الفوائد ، للشيخ محمد بن علي الحرفوشي العاملي (المتوفى سنة ١٠٥٩).

١١٨ - شرح الفوائد ، للسيد بهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني النائيني المختاري معاصر شيخنا الحرّ العاملي .

١١٩ - شرح الفوائد ، للشيخ محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري الشيرازي ، يسمّى بالفوائد البهية .

١٢٠ - شرح الفوائد ، للميرزا محمد بن سليمان التنكابني صاحب قصص العلماء .

١٢١ - شرح الفوائد ، للسيد حسين ابن السيد علي الحسيني الهمداني المعاصر .

١٢٢ - شرح الفوائد ، للحاج الشيخ جواد ابن المولى محرم علي بن كلب قاسم

الطارمي (المتوفى بزجان سنة ١٣٢٥)، فارسي .

١٢٣ - شرح الفوائد ، لميرزا محمد بن عبد الوهاب الهمداني .

مفتاح الفلاح

١٢٤ - شرح مفتاح الفلاح ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن علي البحراني

(المتوفى سنة ١١٢١).

١٢٥ - شرح مفتاح الفلاح ، للشيخ محمد بن سليمان التنكابني مؤلف قصص

العلماء .

١٢٦ - شرح مفتاح الفلاح ، لآقا جمال الدين محمد ابن آقا حسين الخوانساري

(المتوفى سنة ١١٢٥).

١٢٧ - ترجمة مفتاح الفلاح بالفارسية ، للمولى صدر الدين محمد التبريزي

تلميذ المترجم له .

١٢٨ - ترجمة مفتاح الفلاح ، للسيد أبي المظفر محمد جعفر الحسيني .

١٢٩ - ترجمة مفتاح الفلاح ، لآقا جمال الدين الخوانساري (المتوفى سنة

١١٢٥).

١٣٠ - حاشية على مفتاح الفلاح ، للمولى إسماعيل بن محمد حسين الخواجوي

الأصفهاني (المتوفى سنة ١١٧٣).

وللسيد علي خان المدني المترجم له في هذا الجزء فيما يأتي ، على ظهر نسخة

من مفتاح الفلاح :

عليك بمفتاح الفلاح فإنه	لأبواب طاعات المهيمن مفتاح
يضيء به نور الهدى فكأنه	لقارئه في ظلمة الليل مصباح

فلا برحت تغشى من الله رحمة مؤلفه ما لاح في الأفق إصباح^١

الغاز البهائي

١٣١ - شرح لغزة زبدة الأصول يسمّى بـ مشكاة العقول، للشيخ محمد مؤمن الجزائري المتوفى عهد نادر شاه الأفشار، المترجم له في القرن الـ (١٢) من شعراء الغدير.

١٣٢ - شرح لغز الزبدة، لميرزا إبراهيم بن أبي الفتح الزنجاني (المتوفى سنة ١٣٥٠)، فارسياً.

١٣٣ - شرح لغز الزبدة، لميرزا محمد بن سليمان صاحب قصص العلماء.

١٣٤ - شرح لغز الكشف، للمولى محمد مهدي بن علي أصغر القزويني.

١٣٥ - شرح لغز النحو، للشيخ محمد صادق التويسركاني.

١٣٦ - شرح لغز القانون، للحاج محمد تقي الشيرازي الشهير بالحاج آقا بابا الطيّب.

١٣٧ - شرح لغز القانون، للمولى محمد سليم الرازي، ألفه سنة ١٠٦٠.

الوجيزة

١٣٨ - شرح الوجيزة، للمولى محمد بن سليمان مؤلف قصص العلماء.

١٣٩ - شرح الوجيزة، لسيدنا أبي محمد الحسن صدر الدين الكاظمي (المتوفى سنة ١٣٥٤).

وسيلة الفوز

١٤٠ - شرح قصيدة وسيلة الفوز والأمان، للشيخ أحمد بن علي الميني من أعلام العامة، مطبوع.

١٤١ - شرح قصيدة الوسيلة، للشيخ جعفر ابن الحاج محمد النقدي الموسوم بمنن الرحمن، طبع في مجلدين.

١. كذا أفاده الأستاذ حسين علي المحفوظ الكاظمي. (المؤلف)

تهذيب البيان

١٤٢ - شرح تهذيب البيان، للشيخ محمد بن علي بن محمد الحرفوشي العاملي (المتوفى سنة ١٠٥٩).

١٤٣ - شرح تهذيب البيان، للسيد نعمة الله الجزائري (المتوفى سنة ١١١٢).

١٤٤ - تعلية على حاشية البيضاوي، للشيخ ميرزا محمد بن محمد رضا القمي، من تلامذة العلامة المجلسي وقد أثنى عليه شيخه.

١٤٥ - تعلية تهذيب الأصول لصاحب القوانين الميرزا أبو القاسم القمي (المتوفى سنة ١٢٣١).

١٤٦ - تعلية الجبل المتين، للشيخ خير الدين بن عبد الرزاق نزيل شيراز من أحفاد شيخنا الشهيد الثاني من معاصري المترجم له، علّقها عليه حين أرسله إليه الشيخ ليطالعه.

١٤٧ - نظم رسالة الأسطرلاب، للسيد ميرزا قوام الدين محمد الحسيني السيفي القزويني.

١٤٨ - ترجمة الكشكول، للشيخ أحمد العاملي.

أدبه الرائق :

كان المترجم له شيخنا - البهائي - على توغّله في العلوم، وأنظاره العميقة فيها، غير تارك لمحاولة الأدب، ونضد القريض باللغتين: العربية والفارسية، وإنّك تجد كثيراً من شعره مبثوثاً في المعاجم...

ومن شعره رأيته المشهورة في الإمام المنتظر صلوات الله عليه تناهز (٤٩) بيتاً، شرحها العلامة المرحوم الشيخ جعفر النقدي بكتابه الموسوم بمن

الرحمن^١ في مجلدين طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤٤ ومستهل القصيدة :
سرى البرق من نجدٍ فهيجَ تذكاري وأججَ في أحشائنا لاهبَ النارِ
هذه القصيدة المهدوية جاراها جمعٌ من الأعلام الشعراء، منهم : العلامة الأمير
السيد علي بن خلف المشعشي الحويزي بقصيدة مهدوية مطلعها :

هي الدار ما بين العذيبِ وذوِ قارٍ عنتَ غيرَ سحِمٍ ماثلاتِ وأحجارِ
ومنهم : العلامة الشيخ جعفر بن محمد الخطي معاصر شيخنا المترجم له، اجتمع
معه في أصفهان فأنشده الشيخ رائيته وطلب منه معارضتها وأجل مدة، فاستأجل
ثلاثاً ثم لم يقبل لنفسه إلا في المجلس فارتجل قصيدة أولها :

هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري فسقياً فخيرُ الدمع ما كان للدارِ
وهي مذكورةٌ بتمامها في الجزء الثاني من الرائق للعلامة السيد أحمد العطار
وذكرها الشيخ جعفر النقدي في من الرحمن (١ / ٤١).

ومنهم : الشاعر الفاضل علي بن زيدان العاملي (المتوفى ١٢٦٠) بمعلقة وله
عقب هنالك ، جرى قصيدة شيخنا البهائي بقصيدة أولها :

حنانك هل في وقفةٍ أيّها الساري على الدارِ في حكمِ الصباية من عارِ
لفت نظر : قد يعزى في غير واحدٍ من معاجم الأدب^٢ إلى شيخنا البهائي :

لا يغرّتك من المرء	قميصٌ رقعته
أو إزارٌ فوق كعب	ب الساق منه رفعه
أو جبينٌ لاح فيه	أثرٌ قد قلعه
ولدى ^٣ الدرهم فانظر	غِيّه أو ورعه

١. من الرحمن ١ : ٥٤.

٢. راجع سلافة العصر : ٣٠٠ وغيره. (المؤلف)

٣. في سلافة العصر : «أره» بدل «ولدى».

هذا العزو لا يتمّ وإنّما الأبيات لبعض الشعراء المتقدّمين ذكرها الغزالي المتوفّي قبل ولادة شيخنا البهائي بأربعمائة وسبع وأربعين سنة في إحياء العلوم^١ (٢ / ٧٣).

وذكر السيّد في السلافة^٢ لشيخنا البهائي :

بالذي ألهم تعذيب جبي ثناياك العذابا

ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا

وهما من أبيات للصوري السابق ذكره، وقد نسبهما البهائي نفسه إلى الصنوبري، راجع ما أسلفناه في (٤ / ٢٢٩).

ولادته :

ذكر شيخنا البحراني في لؤلؤة البحرين^٣ (ص ٢٠)، والشيخ ميرزا حيدر علي الإصبهاني في إجازته الكبيرة، وغير واحد من أصحابنا : أنّه ولد بعلبك غروب يوم الخميس لثلاث عشرة بقين من شهر المحرم سنة ٩٥٣، وقال سيّدنا المدني في سلافة العصر^٤ : مولده بعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣، وحكاه عنه المحبّي في خلاصة الأثر^٥، لكن المعتمد عليه في تاريخ ولادته ما وجدته صاحب رياض العلماء^٦ من المنقول عن خطّ والده المقدّس الشيخ حسين من كتاب له ذكره في ترجمته، وفيه ما نصّه : ولدت المولودة الميمونة

١ . إحياء العلوم ٢ : ٧٨.

٢ . سلافة العصر : ٣٠١.

٣ . لؤلؤة البحرين : ٢٢، رقم ٥.

٤ . سلافة العصر : ٢٩٠.

٥ . خلاصة الأثر ٣ : ٤٤٠.

٦ . رياض العلماء ٢ : ١١٠.

بنتي ليلة الاثنين ثالث شهر صفر سنة خمسين وتسعمائة، وأخوها أبو الفضائل محمد بهاء الدين أصلحه الله وأرشدته عند غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشرين ذي الحجة^١ سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة.

وفاته :

قال السيّدان صاحب السلافة^٢ و الروضة البهيّة والشيخ صاحب الحقائق في لؤلؤة البحرين^٣ : إنّه توفيّ لاثنتي عشرة خلون من شوال ١٠٣١ وقيل ١٠٣٠ وعن العلامة المجلسي الأوّل (المتوفّى سنة ١٠٧٠) في شرح الفقيه : أنّه مات في شوال سنة ١٠٣٠. ويقول ما في أمل الآمل^٤ : قد سمعنا من المشايخ أنّه مات سنة ١٠٣٠، فكأنّ القول بوفاته سنة ١٠٣٠ كان هو المعتمد عليه عند المشايخ، وأزّخها بثلاثين تلميذه العلامة الشيخ هاشم الأتكاني في ظهر اثنا عشرية أستاذة المترجم له، قرأها عليه سنة ١٠٣٠ وأجاز له أستاذة في شهر رجب وكتب إجازته عليه، وقال صاحب مفتاح التواريخ ما معناه : إنّه توفيّ يوم الثلاثاء ١٢ شوال سنة ١٠٣٠. توفيّ بإصبهان ونقل جثمانه قبل الدفن إلى مشهد الرضا عملاً بوصيّته ودفن بها في داره قريباً من الحضرة المشرفة، وقد أتيحت لي زيارته سنة ١٣٤٨، رثاه تلميذه العلامة الشيخ إبراهيم العاملي البازروني بقوله :

شيخ الأنام بهاء الدين لا برحت سحائب الصفو ينشئها له الباري

١. لا تنافي بين ما ذكره صاحب السلافة وما ذكره والد المترجم من تاريخ ولادة المترجم له. فسابع عشرين ذي الحجة هو اليوم السابع عشر منه، فيكون قد بقي منه ثلاثة عشر يوماً، وهو التاريخ الذي ذكره صاحب السلافة وحكاه عنه المحبّي.

٢. سلافة العصر : ٢٩١.

٣. لؤلؤة البحرين : ٢٢، رقم ٥.

٤. أمل الآمل ١ : ١٥٨، رقم ١٥٨.

موليَّ به اتَّضحت سبل الهدى وغدا
والمجد أقسم لا تبدو نواجذه
والعلم قد درست آياته وعفت
كم بكرٍ فكرٍ غدت للكون فاقدةً
كم خزٍ لَمَّا قضى للعلم طود عُلاً
وكم بكته محاريبُ المساجد إذ
فاق الكرام ولم تبرح سجيته
جلّ الذي اختار في طوسٍ له جدثاً
الثامن الضامن الجنّات أجمعها

لفقده الدين في ثوبٍ من القارِ
حزناً وشقٍّ عليه فضل أطمارِ
عنه رسوم أحاديثٍ وأخبارِ
ما دَنَسَتْها الورى يوماً بأنظارِ
ما كنت أحسبه يوماً بمنهارِ
كانت تضيء دجىً منه بأنوارِ
إطعام ذي سغبٍ مع كسوة العاري
في ظلّ حامي حماها نجلٍ أطهارِ
يوم القيامة من جودٍ لزوّارِ

عشرة لا تقال :

لقد جاء الكاتب الفارسيّ سعيد النفيسي فيما ألفه من ترجمة حياة شيخنا بهاء الملة والدين كحاطب ليل، فضمّ إلى الدرّة بعة، وأتى بأشياء لا شاهد لها من التاريخ، وخفيت عليه حقائق ناصعة، فطفق يثبت التافهات بالأوهام، ويؤيد مزاعمه بالمضحكات، فمما باء بخزائمه ما حسبه من أنّ الشيخ عبد الصمد أخا الشيخ البهائي أكبر منه سنّاً، ودعم هذه الدعوى بأنّ الشيخ عبد الصمد توفّي قبل أخيه بعشر سنين، فكأنّه يزعم أنّ ترتيب الموت كترتيب الولادة، فكما أنّ المولود أولاً هو أكبر الإخوة فكذلك المتوفّي أولاً.

وبأنّ الشيخ عبد الصمد كان يسمّى باسم جدّه، لو كان البهائي أكبر الإخوة لاختصّ هو باسم جدّه وكان لأخيه اسم جدّه الأعلى. فكأنّه يرى ذلك مطّرداً في الأسماء، ولكن متى اطّرد ذلك؟ وممّن جاء النصّ؟ ولماذا هذا الإصرار والدأب

عليه؟ أنا لا أدري، والنفيسي أيضاً لا يدري، ووالد الشيخين وما ولد أيضاً لا يدرون.

وبأنَّ الشيخ عبد الصمد ما غادر عاملة مع أبيه لمّا سافر أبوه إلى البلاد الفارسيّة سنة ٩٦٦، وإنّما صحبه الشيخ البهائي، ويظنّ أنّه هرب إلى المدينة المنورة، فلو لم يكن أكبر من الشيخ البهائي لم يسعه أن يفارق أباه يوم فرّ من الفتنة الواقعة بعامة إلى إيران، وقد خفي على المسكين أنّ الشيخ عبد الصمد صحب أباه في بطن أمّه يوم غادر بلاده، وهو وليد إيران بقزوين بنصّ من أبيه الشيخ الحسين في سنة الفتنة المذكورة ٩٦٦، ولم نعرف من أين أتى الرجل بفرار الشيخ عبد الصمد إلى المدينة سنة ٩٦٦.

وبأنَّ الشيخ البهائي ألّف كتابه الفوائد الصمدية في النحو باسم أخيه الشيخ عبد الصمد، وبطبع الحال أنّ الصغير يسم تأليفه باسم الكبير، ويندر خلاف ذلك إلّا من أناس حنّكهم ترويض النفس.

هكذا لفّق الرجل السفساف في إثبات مزعمته، فسوّد صحيفة تاريخه بما لا يقبله العقل والمنطق، وقد خفي على المغفل أنّ الشيخ حسين والد الشيخين البهائي وأخيه أرّخ ولادتهما في كتاب محكيّ عنه في رياض العلماء^١ في ترجمته ولفظه :

ولدت المولودة الميمونة بنتي ليلة الاثنين، ثالث شهر صفر سنة خمسين وتسعمائة. وأخوها أبو الفضائل محمّد بهاء الدين أصلحه الله وأرشده عند غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشرين ذي الحجّة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة... وأختها أمّ أيمن سلمى بعد نصف الليل سادس عشر محرّم سنة خمس وخمسين وتسعمائة. وأخوهم أبو تراب عبد الصمد ليلة الأحد وقد بقي من الليل نحو ساعة ثالث

شهر صفر سنة ست وستين وتسعمائة في قزوين . وابن أخته السيد محمد ليلة السبت ثامن عشرين صفر من السنة المذكورة في قزوين . انتهى .

فالشيخ البهائي أكبر من أخيه الشيخ عبد الصمد رغم تلكم التلفيقات اثني عشر عاماً وستة وثلاثين يوماً . وكان للرجل أن يستفيد كبر الشيخ البهائي من إجازة والده الشيخ حسين له ولأخيه من تقديمه إتياء بالذكر على أخيه ، قال :
فقد أجزت لولدي بهاء الدين محمد وأبي رجب عبد الصمد حفظهم الله تعالى بعد أن قرأ عليّ ولدي الأكبر جملة كافية جميلة من العلوم العقلية والنقلية . إلى آخره .

وكذلك تقديم مشايخ الإجازة ذكر الشيخ البهائي مهما ذكروه وأخاءه في إجازاتهم ، والاستدلال بمثل هذه كان خيراً له من أساطيره التي تحذلّق بها .
ونحن في هذا المقام نضرب صفحاً عن كلّ ما هو من هذا القبيل في صفحات كتابه التي شوّه بها سمعة التاريخ ، والذي يهتّمنا الآن التعرّض لما تورّط به من التجري على علماء الدين وأساطين المذهب ، وهو لا يزال يحاول ذلك في حلّه وترحاله ، غير أنّه حسب أنّه وجد فسحةً لإبانة ما يدور في خلدّه على لسان شيخنا بهاء الملة والدين ، وإن كان خاب في ذلك وفشل ، قال ما معناه :

أما الإشارات التي توجد للبهائي في مثنويّة نان و حلوى في حقّ المتشرّعين المرائين فلم يرد بها السيّد الداماد ، وإنّما أراد بها الفقهاء القشريّين الجامدين ، المعجّبين بالظواهر ، المنكرين للتصوّف والذوق ، أمثال المولى أحمد الأردبيلي ، وكانوا كثيرين في عصره ، وكان على الضدّ منهم السيّد الداماد الذي كان حكيماً مفكراً ولم يكن فيه شيء ممّا ذكر . انتهى .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، وإنّي لمستعظم جهل هذا الرجل المركّب ، فإنّه لا يعرف شيئاً ولا يدري أنّه لا يعرف ، فطفق يقع في عمّد المذهب حسب أنّه علم ما فاتهم ، وحفظ ما أضاعوه ، فذكر عداد مثل المحقّق الأردبيلي في القشريّين

والفقهاء الظاهرية، وهو ذلك الإنسان الكامل، في علمه ودينه، في آرائه الناضجة وأفكاره العميقة، في نفسياته الكريمة وملكاته الفاضلة، في دعوته الإلهية وخدماته للمذهب الحق، في عرفانه الصحيح وحكمته البالغة، وقصارى القول أنه جماع الفضائل، ومختبأ المآثر كلها، ضع يدك على أي من المناقب تجده شاهد صدق على سمو رتبته، وهاتفاً بسمو مقامه، وتأليفاته الجليلة هي البرهنة الصادقة لعلو كعبه في العلوم كلها معقولها ومنقولها، والمأثور من غرائزه الكريمة أدلاء حق على تقدمه في المحاسن ومحامد الشيم النفسية وكسيية، وإنك لا تجد إنساناً يشك في شيء من ذلك بالرغم من هلجة هذا المؤرخ القشري الجامد، وكأني بروحية المحقق الأوحـد الأردبيلي يخاطبه بقوله :

ما شير شكاران فضاى ملكوتيم سيمرغ بدهشت نگرد بر مگس ما
أو بقوله :

غنينا بنا عن كل من لا يريدنا وإن كثرت أوصافه ونعوته
ومن صدّ عنا حسبه الصدّ والقللا ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته
ثم أي تصوّف يريد الرجل فيما عابه من شيخنا العارف الإلهي؟ أيريد ذلك المذهب الباطل الملازم للعقائد الإلحادية كالحلول ووحدّة الوجود بمعناها الكفري، وأمثالهما والتنصّل عن الطاعات بتحريف الكلم عن مواضعها، وتأويل قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^١ بالرأي الفطير؟ فحاشا شيخنا الأحمد والأوحد وكلّ عالم ربّاني من ذلك، وإنما هو مذهب يروق كلّ شقيّ تعيس . وإن كان يريد العرفان الحقّ والذوق السليم الذي كان يعتنقه الأوحديون من العلماء لدّة شيخنا البهائي، وجمال الدين أحمد بن فهد الحلّي، وزرافات من الأعظم قبلهما وبعدهما، فإننا نجلّ شيخنا الأردبيلي عن التنكّب عنه، بل يحقّ

علينا أن نعدّه من مشيخة الطريقة والعرفاء بها، وما يوجد في كتابه حديقة الشيعة من التنديد بالصوفيّة فإنّما هو موجّه إليهما بما ذكرناه أولاً. ولكن من أين عرف النفيسي الحقّ والباطل من قسمي التصوّف والعرفان والكميّة التي كانت عند شيخنا الأردبيلي؟ وهل هو من حقّه أو باطله؟ أنا لا أدري لكن الله عالم بما تكنّه الصدور وإنّ الرجل تفحّم غير مستواه، وتطلّع إلى ما قصر عنه. رحم الله امرأً عرف قدره ولم يتعدّ طوره.

الشيخ بهاء الدين في أعيان الشيعة^١

العلامة السيّد محسن الأمين

الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد ابن محمّد بن علي بن حسين بن صالح الحارثي الهمداني العاملي الجبعي نزيل أصفهان :
نسبته :

«الحارثي الهمداني» نسبةً إلى الحارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. و «الهمداني» بالبدال المهملة وسكون الميم، نسبةً إلى همدان القبيلة العربية المشهورة، وهم حيّ من اليمن، وبالمعجمة وفتح الميم البلد وهي مدينة إيرانيّة. والحارث الهمداني هو الذي قال له أمير المؤمنين عليه السلام شعراً منه :

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبلا
وكانوا مخلصين في ولاء عليّ عليه السلام وصبروا معه يوم صفّين، روي أنّهم في بعض أيامها حين استحرّ القتل ورأوا فرار الناس عمدوا إلى أعماد سيوفهم فكسروها وعقلوا أنفسهم بعمائمهم وبركوا للقتل، فقال فيهم عليّ عليه السلام :
همدان أخلاق ودينٌ يزينها وبأس إذا لاقوا وحسن كلام

١ . أعيان الشيعة، العلامة السيّد محسن الأمين، ج ٩، ص ٢٣٤ - ٢٤٩، دار المعارف للطبوعات، بيروت، إعداد السيّد حسن الأمين، ١٤٠٣ق.

فلو كنت بواباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
وقال عليه السلام يوم الجمل : لو تمت عدّتهم ألفاً لَعُبِدَ الله حقّ عبادته . وكان إذا رآهم
يتمثّل بقول الشاعر :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
وإلى ذلك يشير الشيخ جعفر الخطي شاعر البحرين في قصيدته الرائيّة التي
عارض بها رائيّة البهائي المسماة روح الجنان المذكورة في ترجمته بقوله :

فيا ابن الأولى أثنى الوصي عليهم بما ليس تشني وجهه يدُ إنكارٍ
بصقّين إذ لم يَلَف من أوليائه وقد عضّ نابٌ للوغى غير فرارٍ
وأبصر منهم جنّ حربٍ تهافتوا على الموتِ إسراعَ الفراشِ إلى النارِ
سراعاً إلى داعي الحروب يرونها على شربها الأعمارَ منهل أعمارٍ
أطاروا غمودَ البيضِ واتكلوا على مفارقِ قومٍ فارقوا الحقَّ فجّارٍ
وأرسوا وقد لاثوا على الركب الحبي بروكاً كهدي أبركوه لجزارٍ
فقال وقد طابت هنالك نفسه رضىً وأقروا عينه أيّ إقرارٍ
فلو كنت بواباً على باب جنّة كما أفصحَتْ عنه صحیحاتُ آثارٍ
مولده ووفاته ومدفنه :

ولد في بعلبك يوم الخميس لثلاث عشرة بقين من المحرّم سنة ٩٥٣ كما في
السلافة وغيرها .

وقال أبو المعالي الطالوي أنّه ولد بقزوين . والله أعلم .
وتوفي في أصفهان ١٢ شوّال سنة ١٠٣٠ على ما ذكره تلميذه السيّد حسين ابن
السيّد حيدر الحسيني الكركي العاملي والمجلسي الأوّل الذي حضر وفاته والصلاة
عليه فهما أعرف بتاريخ وفاته .

وقيل سنة ١٠٣١ ، وقيل : سنة ١٠٣٥ ، فيكون عمره ٧٧ سنة .

وذكر تلميذه المجلسي الأول أنّ عمره بضع وثمانون سنة إمّا إحدى وثمانون أو اثنتان وثمانون لأنّي سألته عن عمره فقال : ثمان أو تسع وسبعون ثمّ توفي بعد ذلك بسنتين « ١ هـ » وعليه فكون أحد التاريخين مغلوطاً تاريخ الولادة أو تاريخ الوفاة وكأنّ من أرّخ وفاته سنة ١٠٣٥ أخذه من هذا. والله أعلم.

وعن السيّد نعمّة الله الجزائري إنّ تاريخ وفاته على ما نظمه بعض مشائخنا المعاصرين :

بدر العراقيين خبا ضوؤه وتير الشام وشمس الحجاز
أردتُ تاريخاً فلم أهتدِ له فألهمت قلّ : « الشيخ فاز »
ولا يخفى أنّه ينقص سنة ؛ لأنّ حروفه تبلغ ١٠٢٩ .

وفي روضات الجنّات أنّه رأى في التعليقات القديمة على نسخة في توضيح المقاصد من مؤلّفات البهائي في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠ توفي شيخنا العلامة الكامل بهاء الدين محمّد العاملي مؤلف هذا الكتاب، وكان تاريخ وفاته بالفارسيّة .

بي سر و پا گشت شرع و افسر فضل او فتاد « أ هـ » .

ولست أعرف كيف صار هذا تاريخاً لوفاته ، فمن عرفه فليبيّنه .

كانت وفاته في أصفهان - كما مرّ - ثمّ نقل قبل الدفن إلى مشهد الرضا عليه السلام ودُفن هناك في داره بجانب الحضرة المقدّسة الرضويّة . وقبره هناك مشهور مزور إلى اليوم ، ولو كان في مضية العلماء (جبل عامل) لكان قنبر الشيخ علي الميسي في قرية صديق لا يعرفه أحد ، وقنبر السيّد علي الصانع فيها ، عليه الأتربة والأوساخ ولا يزوره أحد ، وقنبر صاحب المعالم و المدارك وأجلاء العلماء المدفونين في جبع وغيرها ، المهجورة المجهولة كما كان أصحابها زمن الحياة ، وكان من هو دونهم في إيران والهند وغيرها محفوداً محشوداً .

وقال تلميذه المجلسي الأول : تشرّفت بالصلاة عليه في جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً .

أقوال العلماء في حقّه :

في الأمل : حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظم الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة وجمع المحاسن، أظهر من أن يذكر، وفضائله أكثر من أن تحصر. وكان ماهراً متبحراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً منشئاً عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها.

وقال السيّد مصطفى التفريشي في نقد الرجال :

جليل القدر عظيم المنزلة رفيع الشأن كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلوّ رتبته في كلّ فنون الإسلام كمن له فنّ واحد، له كتب نفيسة جيّدة «أه».

وقال السيّد عزّ الدين الحسين ابن السيّد حيدر الكركي في بعض إجازاته :

شيخنا الإمام العلامة ومولانا الهمام الفهامة، أفضل المحقّقين وأعلم المدقّقين، خلاصة المجتهدين، بهاء الملمّة والحقّ والدين، كان أفضل أهل زمانه، بل كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحم حوله من أهل زمانه ولا قبله على ما أظنّ. «أه».

وقال السيّد علي خان في السلافة :

علم الأئمّة الأعلام وسيّد علماء الإسلام وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه وفحل الفضل الناتجة لديه أفراداه وأرواجه وطود المعارف الراسخ وقضاؤها الذي لا تحدّ له فراسخ، وجوادها الذي لا يؤمّل له لحاق، وبدرها الذي لا يعتره محاق، الرحلة التي ضربت إليها أكباد الإبل، والقبلة التي فطر كلّ قلب على حبّها وجبل، فهو علامة البشر ومجدّد دين الأئمّة على رأس القرن الحادي عشر. إليه انتهت رئاسة المذهب والملمّة، وبه قامت قواطع البراهين والأدلة.

جمع فنون العلم وانعقد عليه الإجماع، وتفرد بصنوف الفضل فبهر النواظر والأسماع. فما من فنّ إلّا وله فيه القدر المعلّى، والمورد العذب المحلّى.

إن قال لم يدع قولاً لقاتل، أو طال لم يأت غيره بطائل.

وما مثله ومن تقدّمه من الأفاضل والأعيان، إلّا كالملمّة المحمّدية المتأخّرة عن

الملل والأديان. جاءت آخراً، ففاقت مفاخرأً، وكلّ وصف قلته في غيره، فإنّه تجربة الخواطر.

وقال الحاج محمد مؤمن الشيرازي في كتابه خزانة الخيال في حقّه :
 بهاء الحقّ وضياؤه، وعزّ الدين وعلاؤه، وأفق المجد وسماؤه، ونجم الشرف
 وسناؤه، وشمس الكمال وبدره، وروض الجمال وزهره، وبحر الفيض وساحله،
 وبرّ البرّ ومراحله، وواحد الدهر ووحيده، وعماد العصر وعميده، وعلم العلم
 وعلّامته، وراية الفضل وعلامته، ومنشأ الفصاحة ومولدها، ومصدر البلاغة
 وموردها، وجامع الفضائل ومجمعها، ومنبع الفواضل ومرجعها، ومشرق الإفادة
 ومشروعها، وسلطان العلماء وتاج قمتهم، وبرهان الفقهاء وتتمّة أئمتهم، وخاتم
 المجتهدين وزبدتهم، وقدوة المحدثين وعمدتهم، وصدر المدرّسين وأسوتهم،
 وكعبة الطالبين وقبلتهم، مشهور جميع الآفاق، وشيخ الشيوخ على الإطلاق، كهف
 الإسلام والمسلمين، مروج أحكام الدين، العالم العامل الكامل الأوحد، بهاء الملة
 والحقّ والدين.

وفي لؤلؤة البحرين : كان رئيساً في دار السلطنة أصفهان، وشيخ الإسلام فيها،
 وله منزلة عظيمة عند سلطانها الشاه عباس، وله صنف الجامع العباسي.

وقال الشيخ أحمد الميني الدمشقي في شرح القصيدة الرائية للمترجم في حقّه :
 صاحب التصانيف والتحقيقات، وهو أحقّ من كلّ حقيق بذكر أخباره ونشر
 مزاياه، وإتحاف العالم بفضائله وبدائعه، وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم،
 والتضلع من دقائق الفنون، وما أظنّ أنّ الزمان سمح بمثله، ولا جاد بنده. وبالجملة
 فلم تتشّف الأسماع بأعجب من أخباره. وقد ذكره الشهاب في كتابيه وبالغ في
 الثناء عليه، وقد أطال أبو المعالي الطالوي في الثناء عليه، وكذلك البديعي «أ ه».

وذكره تلميذه المجلسي الأوّل في شرحه العربي على الفقيه عند الكلام على
 مشيخة الكتاب فصرّح بأنّه من مشائخه وأنّه من نسل الحارث الهمداني، قال :

ذكره الشهيد الثاني في إجازته لأبيه، وذكر جماعة من أجداده ومدحهم. ثم قال : هو شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظم كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلو مرتبته أحداً. له كتب نفيسة «أه».

وقال الشيخ محمد رضا الشبيبي :

لقد استرعى نظري وأنا أتصفح مختلف الأسفار والتصانيف لتقيد ما يتصل منها بتاريخ الفلسفة الإسلامية؛ أن جملة من كتب الشيخ بهاء الدين العاملي رحمته الله حافلة بفوائد وشوارد فلسفية مضافاً إلى بحوثه الأخرى في الرياضيات والفلكيات. لا تخلو كتب الطبقات والتأليف من التنويه بعلماء قليلين شاركوا في جملة من الفنون والعلوم، ولكن ما أندر الذين برعوا وحذقوا تلك العلوم والفنون التي شاركوا فيها جميعاً، وما أقل الذين جودوا التأليف ووضع الكتب فيها؛ إذ ليس كل من شارك في ذلك موفقاً - كما لا يخفى - ومن ذلك القليل النادر الإمام محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي المعروف بالشيخ البهائي أو بهاء الدين العاملي؛ فإنه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم والفنون المعروفة في زمانه عقلية ونقلية ووفق في التأليف فيها، وفي جملتها الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة وعلومها والحكمة والفنون الرياضية والفلكية، وقد كتب له التوفيق في مؤلفاته فذاعت وأقبل عليها العلماء المتعلمون في القرون الأربعة الأخيرة، ونادر أن يقدر لغيره ما قدر له من بقاء الذكر وطيب الأحدثه وجميل الأثر، ونلاحظ الأثر الذي تركه في مختلف شؤون الحياة من دينية ودنيوية مادية ومعنوية، نقول إن ذلك الأثر الذي تركه لدى طبقات مختلفة من العالم الإسلامي لا يزال باقياً حتى اليوم.

ما أكثر التأليف والتصانيف التي اندثرت فعفي شأنها وذهب زمانها. أما آثار الإمام العاملي على كثرتها فقد غابت الأيام بجذتها وطرافتها.

يحفل تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية بذكر عدد كبير من العلماء، منهم من

قصر جهده وصرف وكده على علم أو فن بعينه، فمنهم من انقطع لعلوم الدين، ومنهم من تجرّد لعلوم الدنيا حتّى عاش كلّ منهم داخل إطار معيّن من فنّه لا يكاد يتعدّاه في الغالب، أمّا الإمام العاملي فقد طاف في كلّ مدرسة واخترق نطاقها ودمّر على رجالها وشاركهم فيما يعينهم كأثّه واحد من القوم، وهذا سرّ من أسرار تفوّقه وسبقه وتقدّمه، أخذه بمجامع القلوب فهو فقيه مع الفقهاء، ومحدّث مع المحدّثين، وصوفي مع المتصوّفة، وفيلسوف مع الفلاسفة، ورياضي مع أصحاب التعليم، وهو نحوي مع النحاة، إلى غير ذلك.

ترجم للإمام العاملي كثيرون من متأخري المؤلّفين وأصحاب المعجمات، وأطنب بعضهم في هذه الناحية ومع ذلك بقيت مصادر من صنف آخر قلّما تناولها الباحثون، وفي هذا الصنف من المصادر نثر على نبذ غير معروفة حتّى الآن من إحراك الشيخ، وقوام هذا الصنف البقيّة الباقية من مخطوطات الإمام العاملي والنسخ الأصلية المقروءة عليه من مؤلّفات غيره؛ إذ لا يخفى أنّ الشيخ ﷺ كتب ونسخ وعلّق الكثير، وتوجد جملة من مؤلّفاته في مكتبات الديار الإيرانية وغيرها، ولا يستبعد وجود بعض نسخ الأصل من مؤلّفاته وغيرها من المؤلّفات التي نسخها بخطّه في بلاد أخرى كالهند وأفغانستان والبحرين، عدا ما يوجد منها في دور الكتب والمتاحف الغربيّة، ومن يتصقّح تلك النسخ المخطوطة وتعاليق الشيخ عليها وصور إجازاته لمن قرأ كتبه - أعني إجازات روايتها - عثر بلا شكّ على فرائد ونوادر غير قليلة لها علاقة بسيرته والتعريف بجملة من أصحابه الذين لم يرد لهم ذكر في التاريخ.

وقال الأستاذ الشيببي أيضاً :

أخذ الشيخ عن والده علوم العربيّة والفقه والأصول والحديث والتفسير، ودرس عليه في قزوین في عصر من عصور ازدهارها ونهضتها - أي في العصر الأوّل من عصور الدولة الصفويّة، وكانت قزوین قاعدة هذه الدولة الأولى - وقد شهدت حركة

علميّة واسعة في ذلك الزمان وأنشئت فيها عدّة مدارس، فثابر الشيخ على الدراسة إلى أن غادرها أبوه إلى (هراة) فبقي هو في قزوین متبرماً من طول الإقامة فيها مفضلاً الانتقال منها إلى حيث يقيم والده، وقد أسعفه الزمان بالرحلة إليها بعد ذلك وواصل هناك دراسته وذاعت شهرته أوّل ما ذاعت في هذه المدينة، وله فيها ذكريات جميلة خلّدها في أشعاره ورسائله.

ولنا أن نقول إنّ الإمام لم يترك ناحية من نواحي المملكة الإيرانية إلّا زارها. زار خراسان وأذربيجان وآران (قفقاسية) سنة ١٠١٥ صحبة الشاه عباس الكبير، فإنّ هذا الشاه قصد الديار الكرّجيّة وأوقع بأهلها في التاريخ المذكور، وكان يبدن الشيخ في سفره الأخذ عن الجهابذة.

وأعظم حاضرة إيرانيّة رحل إليها وطابت له الإقامة فيها أخيراً حتّى وافته منيته تغمّده الله بالرحمة هي مدينة أصفهان، وهي القاعدة الثانية للدولة الصفويّة. وفي أصفهان لقي جماعة من العلماء المتضلعين في مختلف العلوم والفنون، فأخذ عنهم وأخذوا عنه، وفي هذه المدينة على الأرجح وضع جملة من تأليفه المشهورة، وأسس أكثر من مدرسة واحدة فيها حتّى صارت إليها الرحلة من كثير من الأقطار الإسلاميّة وأصبحت أصفهان بذلك دار العلم في هذا العصر وما بعده إلى عصور غير قليلة - كما هو معروف - وما زالت تلك المدارس وغيرها من الآثار التي أنشأها الإمام العاملي غير حاضرة من حواضر الدولة الصفويّة قائمة إلى هذا اليوم.

وقال الأستاذ الشيبيني متحدّثاً عن أخلاقه :

خلق هذا الإمام مطبوعاً على حبّ الحرّيّة والتخفّف ومجاورة التصنّع والتكلف، مشغولاً بمظاهر البساطة في الحياة ﴿ فطرة الله ومَن أحسن من الله فطرة ﴾ ثائراً على المتصنّعين المتكلفين وما أكثرهم في زمانه ومكانه.

ويقول بعض المؤرّخين في معرض الاستدلال على مجافاته للتكلف والتصنّع :
إنّه ما كان على جلالة قدره يتحرّج من النزول إلى ميادين المدينة والاختلاط

بالسواد والوقوف مع المآزة على حلقات الألعاب البريئة كألعاب الحواة ومروّضي الحيوان وغيرها من الألعاب، ضارباً بمظاهر التزمّت والتصنّع عرض الحائط. هذا ما قاله بعض المؤرّخين. ومن رأينا أنّه ﷺ ما كان يقصد إلاّ المزيد من الاطلاع واكتناه الأسرار والفنون الكامنة في تلك الألعاب.

ويستفاد من كثير من مؤلفاته وأشعاره أنّه كان صوفيّ المشرب ميّالاً إلى الزهد والتقشّف، وقد رغب أواسط عمره بالفقر والسياسة، وكان زيّه في أسفاره هذه زيّ الدراويش أو السائحين المغتربين كما ورد في بعض كتب المؤرّخين. وقد أمضى في سياحته أعواماً كثيرة، ويعدّه بعض الباحثين أجلاً عرفاء أواخر المائة العاشرة وأوائل المائة الحادية عشرة خصوصاً في إيران، كما يعدّ أكبر مشايخ هذه الطائفة. وقد لاحظ جمع من المنتسبين إلى العلم أو المتصدّرين للرياسة أنّ الشيخ أفرط في بعض اتّجاهاته الصوفيّة حتّى زعموا أنّ والده أنكر عليه ذلك، وليس من السهل إثبات ما قيل عن والده في هذا الشأن، وهناك روايات أشبه بالأساطير تروى معزّزة بالصور والرسوم عن بعض أوضاعه في ثباته ورباطة جاشه. والمرجح أنّ بعض هذه الروايات موضوعة.

كان الإمام العاملي عميق النظر، جوّال الفكر، حادّ الذكاء، جَمّ النشاط، راغباً رغبة أكيدة في إصلاح ما فسد من الأخلاق والأوضاع العامّة. انتقد الجمود والتقليد، وشنّ الحملة تلو الحملة في شعره ونثره على المتزعمين الجامدين، وعلى المرتزقين من الدجل والشعوذة والرياء. ومن هذه الناحية ناوّه من ناوّه من هذه الطبقة، بل وجّهت إليه بعض المطاعن والتهم الباطلة. وتاريخ العالم الإسلامي قديماً وحديثاً طافح بأخبار الصراع بين المصلحين ومناوئهم والمتحرّرين والجامدين على صورة أدّت إلى حوادث دامية معروفة في التاريخ، فلا عجب إذا اتّفقت هذه المشادّة بين الإمام العاملي وهو قطب من أقطاب الحكمة والإصلاح والتجدّد وبين غيره من الجهلة المقلّدين. ومن يقرأ أشعاره بالعربيّة والفارسيّة - وهي كثيرة - في

هذا المعنى يتضح له ذلك.

كان عليه السلام على جانب عظيم من رحابة الصدر وسعة الأفق، اتصل بشتى الطوائف وباحث ملأً ونحلاً، ولم يتحرج من أخذ الحكمة أينما وجدت، وبذلك نال ثقة أبناء مختلف الملل والنحل، وكان العصر الصفوي بحاجة إلى إمام مثل هذا الإمام المجتهد المصلح، بل كان مفتقراً إلى توجيهه وإرشاده في رتق الفتوق ورأب الصدوع الكثيرة في العصر المذكور. وقد عمل على توحيد الآراء وجمع الشتات. وعوّل السلاطين والأمراء على آرائه في الإصلاح وحسم مادة النزاع الداخلي بالوسائل السلمية على قدر الإمكان، وفي كثير من الأحيان «أه».

وقال الأستاذ قدرى حافظ طوقان في مجلة المقتطف، ولكنه اشتبهه فلقيه (الأملي):

على الرغم مما كانت عليه العربية والإسلامية في مختلف الأقطار من الضعف، وعلى الرغم مما أصابها من الانحلال، وما حلّ بها من المصائب، وما أحاطها من المتاعب التي تحول دون تقدّم العلوم ودون ازدهار الفنون. أقول: على الرغم من كلّ ذلك فقد ظهر في بعض الحواضر من وجه بعضاً من عنايته إلى العلوم وتشجيع المشتغلين بها. ومن هؤلاء الذين ظهوروا في القرن السادس عشر للميلاد وبرزوا في العلوم الرياضية بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد (الأملي).

وقد اختلف المؤرخون في البلدة التي ولد فيها، فبعضهم يقول إنه ولد في بعلبك، وآخرون في آمل الواقعة في شمال إيران. ومن المؤلفين من قال إنه ولد في بلدة آمل الخراسانية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون^١.

أمّا القول بأنّه ولد في بعلبك فبعيد عن الصواب، بل هو خطأ محض، وأرجح أن

١. هو عاملي من جبع، وهي من قرى جبل عامل، هاجر أبوه إلى بعلبك وبها ولد ولده البهائي، ومنها هاجر إلى

إيران، كما مرّ.

قولهم هذا يرجع إلى الخلط^١ بين جبل عامل في سوريا وبين آمل، وقد يكون هذا الخلط هو الذي جعلهم يقولون بمولده في بعلبك، وقد يكون أيضاً هو الذي جعل بعض العلماء يسمّونه «بهاء الدين العاملي». وتجد في بعض الكتب أن الآملي ينتسب إلى قبيلة همدان اليمنيّة، وأنّ نسبه ينتهي بالحارث، وهذا ما جعل البعض يلقّبه بالحارثي الهمداني.

ولكنّ الروايات تكاد تؤيد القول بأنّه ولد في آمل الإيرانية الكائنة على طريق مازندران. وكانت ولادته في منتصف القرن السادس عشر للميلاد، ثمّ أحضره^٢ والده إلى العجم حيث أخذ العلم عن كبار علماء زمانه، وقد أثر حياة الفاقة والفقر على حياة الغنى والترف، يدلّنا على ذلك المناصب التي عرضها عليه أوّل الأمر، ولعلّ أكثر ما امتاز به الآملي رغبته الشديدة في السياحة وزيارة الأقطار المختلفة، وقد بقي في سياحته ثلاثين سنة زار خلالها مصر والجزيرة العربيّة وسوريا والحجاز حيث أدّى فريضة الحجّ. وبعد ذلك عاد إلى أصفهان، ويقول إنّّه عندما علم الشاه عبّاس حاكم الدولة الصفويّة بعودة الآملي إلى أصفهان ذهب بنفسه إليها وأحاطه بالإكرام والجلّة وعرض عليه منصب رئاسة العلماء، ومع أنّه لم يقبل هذا المنصب فقد بقي صاحب المقام الأوّل عند الشاه إلى أن وافاه أجله في أصفهان في القرن السابع عشر للميلاد، ودفن في طوس بجوار الإمام الرضا.

اشتهر صاحب الترجمة بما ترك من الآثار في التفسير والآداب، فله فيها تأليف قيّمة. أمّا آثاره في الرياضيات والفلك فقد بقيت زمنّاً طويلاً مرجعاً لكثيرين من علماء المشرق، كما أنّها كانت منبعاً يستقي منه طلاب المدارس والجامعات. فمن أشهر مؤلفاته رسالة الهلائيّة، وكتاب تشریح الأفلاك، و الرسالة الأسطرولاييّة، وكتاب خلاصة الحساب. وقد اشتهر هذا الكتاب الأخير كثيراً وانتشر انتشاراً واسعاً في

١. الخلط استنتاج الكاتب.

٢. إذا كان ولد في إيران - كما يقول الكاتب - فما معنى قوله «أحضره».

الأقطار بين العلماء والطلاب، ولا يزال مستعملاً إلى الآن في مدارس بعض المدن الإيرانية، ولقد تمكّننا من الحصول على نسخة من هذا الكتاب أخذناها عن مخطوطة عثرنا عليها في المكتبة الخالديّة في القدس^١. ويقول عنه كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون: «خلاصة في الحساب لبهاء الدين محمد بن محمد بن حسين، وهو من علماء الدولة الصفويّة. وهو على مقدّمة وعشرة أبواب...».

أحواله :

في السلافة : تولّد ببيعلبك، وانتقل به والده وهو صغير إلى إيران، فنشأ في حجره بتلك الديار المحميّة، وأخذ عن والده وغيره من الجهابذة كالعلامة عبد الله اليزدي، حتّى أذعن له كلّ مناضل ومنابد،...

وفي تلك الأعصار التي كان فيها البهائي وأبوه وغيرهما مشائخ الإسلام في هراة وأصفهان، كان الشهيد الثاني الذي هو أعلم منهم وأجلّ قدرًا يحرس الكرم في جبع وفي مضیعة العلماء جبل عامل، وينقل الحطب على حمارة لعياله بالليل ويبني مسجده في جبع بيده ويتّجر بالشريط - كما ذكره ابن العودي - لتحصيل قوته، ويسافر في تجارته مع الجمّالة إلى الأمكنة البعيدة كالقسطنطينيّة وغيرها ولا يعامله الجمّالة معاملة أحدهم بل يتعدّون عليه.

وفي الوقت الذي كان فيه المحقّق الكركي شيخ الإسلام بأصفهان نافذ الأمر مفوّضة إليه جميع أمور السلطنة ويخرج في موكب الملوك، كان سمّيه ومعاصره المحقّق الميسي ينقل الحطب على حمارة ليلاً لتلاميذه في ميس ويعيش عيشة القناعة والفقر، ويكون عند أهل جبل عامل أقلّ قدرًا من بعض المتفكّهة.

١. هو مطبوع طبعاً حجرياً في إيران.

ومما يؤسف له أن الشيخ البهائي لم يدوّن أخباره في سياحته التي استغرقت ثلاثين سنة في بلاد الروم والشام وغيرها مع ما كان عليه من الفضل والمعرفة وطول صحبة الملوك والأمراء والعلماء، ولا شك أنه اتفق له في سياحته هذه أمور غريبة وأشياء كثيرة لو دوّنت لكانت من نفائس الكتب. ونرى أن الشهيد الثاني دوّن رحلته من الشام إلى القسطنطينية إلى إيران إلى العراق إلى الشام التي لم تستغرق زمناً طويلاً فكان فيها من الفوائد والغرائب أمور كثيرة تداولها المؤلفون واستفاد منها المطالعون، وكذلك رحلته من الشام إلى مصر كما ذكرناه في ترجمته، وابن بطوطة وابن جبير دوّنا رحلتين لهما لم يستغرقا بعض ما استغرقت سياحة البهائي، وقد طبعتا ونشرتا واستفاد منهما الناس، ولا ريب أن سياحة البهائي لو دوّنت لكانت فوق ذلك كلّه ولكن وللأسف لم يدوّن منها شيء سوى أمور يسيرة نقلها الشيخ أحمد المنيني في شرح قصيدة البهائي عن أبي المعالي الطالوي، وستأتي.

مركزه في الدولة :

يقول المنشي في كتابه عالم آداب عباسي : تقلّد الشيخ منصب شيخ الإسلام في أصفهان زمن الشاه عباس الكبير، خلفاً للشيخ علي المنشار، وتبوّأ مكانته المعروفة في عهد الشاه المذكور، ولم يكن لأحد من كبار الرجال الصفويين مركزاً يداني مركزه، ولذلك كثر حسّاده ومناوئوه، وكثر الدسّ حوله حتّى تمّنى أن والده لم يخرج به من جبل عامل إلى الشرق، في كلمة قويّة عبّر بها عن تبرّمه من فساد الأخلاق في كثير من أبناء زمانه ومعاصريه، فقال طيّب الله ثراه : لو لم يأت والدي قدّس الله روحه من بلاد العرب، ولو لم يختلط بالملوك لكنت من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم، لكنّه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتّصفت بصفاتهم، ثم لم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلّا القليل والقال والنزاع والجدال، وآل الأمر أن تصدّي لمعارضتي كلّ جاهل، وجسر على مباراتي كلّ خامل.

هذه نصّ كلمة الشيخ، وهي نفثة مصدور عبّر بها - كما قلنا - عن آلامه وامتناعه وتكاثر حسّاده ومنافسيه، وما كان أكثر هؤلاء الحساد والمنافسين بلا شكّ إلّا من ذوي الأطماع وعبّاد المصالح الشخصية والجاه الزائف، ولكنّهم مع ذلك لم ينالوا منه منالاً، ولا استطاعوا أن يزعموا من مركزه الكبير، وكان ذلك من بواعث تنغيص عيشه وتكدير صفو حياته أحياناً، وطالما نفّس عن كربه بالعزلة أو بالسياحة والرحلة.

يستفاد أيضاً من هذه الكلمة أنّ والده الحسين بن عبد الصمد سبقه إلى مخالطة الملوك وصحبة السلاطين عندما انتقل من بلاده إلى البلاد الإيرانية، وذلك في عصر الشاه طهماسب، حتّى ألّف له كتاباً في الفقه سمّاه (العقد الطهماسبي)، ومن ذلك يتّضح أنّ هذه الدولة الناشئة كانت بأمسّ الحاجة إلى من يرعى لها التأليف في المعارف الدينية والمصنّفات في أصول الشريعة وفروعها، فلم ينهض بهذه المهامّ الجسام إلّا قليلون في مقدّماتهم الحسين بن عبد الصمد وابنه بهاء الدين بعد ذلك. والظاهر أنّ إقامة الشيخ حسين لم تكن طويلة في حواضر الدولة الصفوية، فإنّه سرعان ما انتقل منها عائداً إلى البحرين فأقام فيها إلى أن وافته المنية ﷺ، وكانت البحرين عامرة بالمدارس والدراسة وفيها عدد غير قليل من الفقهاء والمحدّثين والأدباء، ولا تخلو البحرين حتّى هذا اليوم من تلك الدراسات^١.

بطل أم قدّيس :

وتتحدّث الأجيال التي تلت جيل البهائي حتّى الجيل الحاضر بأحاديث تشبه الأساطير عن مكائنه وأعماله الإنشائيّة في دولة الشاه عبّاس الكبير، حتّى أنّه كان يضع تصاميم المعاهد والمعابد والصور وغير ذلك من الأبنية التي اشتهر هذا الشاه بإنشائها وهي مباني ضخمة لا يزال جملة منها قائماً، ومنها عمارة المشهد العلوي في النجف.

١. الشيخ محمد رضا الشبيبي.

وهذه التصاميم تشهد للشيخ بخبرته وبراعته الفنيّة في فرع الرياضيات والهندسة، وقد وضع تصاميم كثيرة من تلك المعابد والمساجد على أسس فنيّة بحيث يستفاد منها تعيين المواقيت الشرعيّة. ويقال: إنّه صنع بعض الآلات الفلكيّة التي تحدّد المواقيت المذكورة، ولا شكّ في صحّة هذا القول؛ لأنّ له أكثر من تأليف واحد في صناعة الأسطرلاب وما إلى ذلك من الآلات العلميّة. هذا إلى روايات أخر شائعة عند الجمهور عن أعماله الرصدية والفلكيّة في أصفهان وغيرها من ديار الفرس والعرب، وهي روايات ترفع البهائي إلى مستوى الأبطال أو القديسين في نظر الجمهور، ولا شكّ أنّ جملة من هذه الروايات لا تتحمّل النقد والتمحيص. وممّا لا شكّ فيه أنّ سور المشهد العلوي القائم اليوم يرجع إلى عصر الشاه عبّاس الكبير، وأنّ الشيخ البهائي أشرف على وضع أسسه وإنشائه، وإن كنّا لا نحّد بالضبط مدّة مكثه في النجف، بيد أنّه على كلّ حال جاء إلى النجف ونشأت بينه وبين علماء هذه المدينة علاقة وثيقة حتّى دارت بينه وبينهم مراسلات شعريّة ونثريّة بعد عودته إلى أصفهان. ويروي المحبّي في خلاصة الأثر بعض الرباعيّات التي كاتب بها الشيخ بعض إخوانه في هذه المدينة^١.

ورود الخطّي على البهائي بأصفهان :

وفي سنة ١٠١٦ دخل الشيخ أبو البحر جعفر الخطّي العبدى من عبد القيس البحراني شاعر البحرين الشهير أصفهان، واتّصل بحضرة المترجم وعرض عليه أدبه، فاقترح عليه إجازة هذه القصيد فأجازها الخطّي بالقصيدة المذكورة في ترجمته التي أولها :

هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري فسقيا فأجدى الدمع ما كان للدار
ومدّه بها المترجم وأنشده إيّاها بداره في محروسة أصفهان في رجب من السنة

المذكورة، وكان المتولّي لإنشادها الحسن بن محمد الغنوي الهذلي راوية الخطّي ومنشده، فاستحسنها واستجادها، ولما وصل في إنشادها إلى قوله :
جهلت على معروف فضلي فلم يكن سواء من الأقوام يعرف مقداري
وكان عند الشيخ البهائي جماعة من أعيان البحرين وساداتهم، فقال الشيخ :
وهؤلاء يعرفون مقدارك إن شاء الله، وأشار إلى القوم وأجازه.
ثم كتب له رقعة بيده المباركة هذا لفظها :

أيها الأخ الأعزّ الفاضل الألمعي، بدر سماء أدباء الأعصار، وغرّة سماء بلغاء
الأمصّار، أيم الله، إنّي كلّما سرحت بريد نظري في رياض قصيدتك الغراء ورويت رائد
فكري من حياض فريدتك العذراء، زاد بها ولوعي وغرامي، واشتدّ إليها شوقي
وأوامي، فكأثما عناها من قال :

قصيدتك الغراء يا فرد دهره تنوب عن الماء الزلال لمن يظما
فتروي متى تروي بدائع لفظها ونظماً إذا لم ترو يوماً لها نظما
ولعمرك لا أراك إلاّ آخذاً فيها بأزمة أوابد اللسن تقودها حيث أردت، وتوردها أنى
شئت وارتدت، حتّى كأنّ الألفاظ تتحاسد على التسابق إلى لسانك، والمعاني تتغير في
الانتيال على جنانك. والسلام.

(وكتب محبّك الإخلاصي بهاء الدين محمد).

وقال الخطّي يشكر إتمام الشيخ البهائي وقد سيّر له بعض الملابس الخضراء وهو
يومئذٍ بأصفهان سنة ١٠١٦ :

يا فتح من أغلقت أبواب مطلبه في وجهه وغنى القوم المفاليس
لو سمتني حصر ما أوليت من نعم كتباً لضاق بها باع القراطيس
أوليتني منك آلاء خرجت لها أجرّ ذيلي في خضر الملايس
فلو رأني أدري الناس بي لقضى عليّ أني من بعض الطواويس

وقال الطالوي : ولد بقزوين وأخذ عن علماء تلك الديار، ثم خرج من بلده وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل إلى أصفهان، فوصل خبره إلى سلطانها الشاه عباس، فطلبه لرئاسة العلماء فوليها. وعظم قدره وارتفع شأنه، إلا أنه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته، لانتشار صيته في سداد رأيه، إلا أنه غالى في حب آل البيت. وألف المؤلفات الجليلة.

ثم خرج سائحاً فجاب البلاد ودخل مصر وألف بها كتاباً سمّاه الكشكوك، جمع فيه كل نادرة من علوم شتى.

أقول : الظاهر أنه لم يؤلفه بمصر، وإلا لذكر ذلك في خطبته.

قال : وكان يجتمع مدة إقامته بمصر بالأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري، وكان الأستاذ يبالغ في تعظيمه، فقال له مرة : يا مولانا، أنا درويش فقير، فكيف تعظمني هذا التعظيم؟ قال : شمت منك رائحة الفضل. وامتدح الأستاذ بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

يا مصر سقياً لك من جنة قطوفها يانعة دانية

مجيئته في سياحته إلى القدس وما جرى له فيها :

ثم قدم القدس. وحكى الرضي بن أبي اللطف المقدسي، قال: ورد علينا من مصر رجل من مهابته محترم، فنزل من بيت المقدس بفناء الحرم، عليه سيماء الصلاح، وقد اتسم بلباس السياح. وقد تجنّب الناس، وأنس بالوحشة دون الإيناس، وكان يألف من الحرم فناء المسجد الأقصى، ولم يسند أحد مدة الإقامة إليه نقصاً، فألقي في روعي أنه من كبار العلماء الأعاظم، فما زلت لخاطره أتقرب، ولما لا يرضيه أتجنّب، فإذا هو ممّن يرحل إليه للأخذ منه، وتشدّ له الرحال للرواية عنه، يسمّى بهاء الدين محمد الهمداني الحارثي، فسألته عند ذلك القراءة عليه في بعض العلوم، فقال : بشرط أن يكون ذلك مكتوماً، وقرأت عليه شيئاً من الهيئة والهندسة.

ثم سار إلى الشام قاصداً بلاد العجم، وقد خفي عني أمره واستعجم. «أه»

مجيئه في سياحته إلى دمشق وما جرى له فيها :

وقال المنيني : ولما ورد دمشق نزل بمحلة الخراب عند بعض تجّارها الكبار، واجتمع به الحافظ الحسين الكربلائي القزويني والتبريزي نزيل دمشق صاحب الروضات الذي صنّفه في مزارات تبريز، واستنشدته شيئاً، وكثيراً ما سمعت أنّه تطلّب الاجتماع بالحسن البوريني، فأحضره له التاجر الذي كان عنده بدعوة وتأنق في الضيافة، ودعا غالب فضلاء محلّته، فلما حضر البوريني المجلس رأى فيه البهائي بهيئة السيّاح وهو في صدر المجلس، والجماعة محدقون به، وهم متأدّبون غاية التأدّب، فعجب البوريني من ذلك، وكان لا يعرفه ولم يسمع به، فلم يعبأ به، ونحّاه عن مجلسه وجلس، غير ملتفتٍ إليه، وشرع على عادته في بثّ دقائقه ومعارفه، إلى أن صلّوا العشاء ثم جلسوا. فابتدر البهائي في نقل بعض المناسبات، وأخذ في الأبحاث، فأورد بحثاً في التفسير عويصاً، فتكلّم عليه بعبارة سهلة فهمها الجماعة كلّهم، ثم دقّق في التعبير حتّى لم يبقَ من يفهم ما يقول إلّا البوريني، ثم أغمض في العبارة، فبقي الجماعة كلّهم، والبوريني معهم صموتاً جموداً لا يدرون ما يقول، غير أنّهم يسمعون تراكيب واعتراضات وأجوبة تأخذ بالألباب. فعندها نهض البوريني واقفاً على قدميه، فقال : إن كان ولا بدّ فأنت البهائي الحارثي؛ إذ لا أجد اليوم بهذه المثابة إلّا هو. فاعتنقا، وأخذوا بعد ذلك في إيراد أنفس ما يحفظان. وسأل البهائي من البوريني كتمان أمره، واقتربا تلك الليلة. ثم لم يَقم البهائي فأقْلَع إلى حلب.

وذكر الشيخ أبو الوفاء العُرَضي في ترجمته، قال : قدم مستخفياً في زمن السلطان مراد بن سليم، مغيّراً صورته بصورة رجل درويش، فحضر درس الوالد الشيخ عمر، وهو لا يظهر أنّه طالب علم، حتّى فرغ من الدرس، فسأله عن أدلّة تفضيل الصديق على المرتضى، فذكر حديث «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيّين أفضل من أبي بكر» وأحاديث غيره، فردّ عليه، ثم ذكر أشياء كثيرة

تقتضي تفضيل المرتضى، فشتمه الوالد، وقال له : رافضي شيعي ! وسبّه، فسكت -وما فعل ذلك إلا لعجزه عن الجواب، فعمد إلى السفه والسباب لما أعيته الحجة في الجواب كما هي العادة -.

قال : ثم إن البهائي أمر بعض تجّار العجم أن يصنع وليمة، ويجمع فيها بين الوالد وبينه. فاتّخذ التاجر وليمة ودعاهما، فأخبره أنّ هذا هو المنلّا بهاء الدين، عالم بلاد العجم. فقال للوالد : شتمتمونا. فقال : ما علمت أنّك المنلّا بهاء الدين، ولكنّ إيراد مثل هذا الكلام بحضور العوام لا يليق. «أه»

وهذا عذر أقبح من الذنب، فإنّه إن كان ما اعترض به مستحقاً لهذا الجواب فلا فرق بين أن يكون المنلّا بهاء الدين أو رجلاً من المساكين، وإن كان غير مستحقّ لهذا الجواب، فالمجيب مذموم ولو لم يكن المجاب بهاء الدين. فهو بهذا العذر سجّل على نفسه أنّه ينظر إلى من قال لا إلى ما قال، ويعرف الأقوال بالرجال لا الرجال بالأقوال، ويتشم أهل المسكنة ويتحامى أهل الجاه والأبهة.

وأبرد من ذلك : العذر بأنّ إيراد مثله لا يليق بحضور العوام، فإن كان الدليل يقتضيه يلزم إيراده بحضور العوام والخواصّ، وإن كان الدليل لا يقتضيه يلزم أيضاً إيراده بحضور العوام ليعلموه عن دليل لا عن تقييد. ولكنّ الحال ظاهر في أنّ إثباته بالدليل غير مستطاع، فيخشى من تغيّر عقيدة العوام، ويلزم بقاؤهم على التقليد بغير برهان.

قال : ولما سمع بقدومه أهل جبل بني عاملة، تواردوا عليه أفواجا، فخاف أن يظهر أمره، فخرج من حلب.

قال : وسياق كلام العرضي يقتضي أنّ دخوله إلى حلب كان بقصد الحجّ.

اعتقاد البهائي تشييع الرازي :

ومما يحكى عن البهائي أنّه كان يعتقد تشييع الفخر الرازي صاحب التفسير.

الحكايات عن البهائي في سياحته :

واشتهرت عنه حكايات في سياحته، منها ممكن الحصول، ومنها مستبعد أو ملحق بالخرافات.

(فمن الأول) أنّه مرّ في سياحته براحٍ فبات عنده، فقال له الراعي : يا درويش، ادخل إلى داخل المراح ولا تبت خارجه. فأبى البهائي إذا كانت السماء صاحبة وليس من شيء يدلّ على المطر، فلمّا كان في أثناء الليل أمطرت السماء مطراً غزيراً، فدقّ عليه الباب ففتح له، فقال : ألم أقل لك لا تبت خارج المراح؟ قال : نعم، ولكن هل عندك علم الغيب؟ قال : لا، قال : فمن أين علمت أنّ السماء ستمطر؟ قال : عندي كلبة والدة فرأيتها أول الليل أدخلت جراءها إلى المراح، ومن عادتها أنّها إذا فعلت ذلك تمطر السماء.

هل للبهائي ذرّيّة :

لم يذكر أحد من المترجمين له ذرّيّة، وبعضهم يقول إنّ كان عقيماً، وإنّ ذلك ممّا ساعده على السياحة ثلاثين سنة، وإنّ من كان له أولاد وعائلة لا تطاوعه نفسه على فراقهم كلّ هذه المدّة، وعليه فما اشتهر من أنّ آل مروّة العامليّين - وهم بيت علمٍ وفضلٍ وتقوى وصلاح - من ذرّيّته، غير صحيح. ويمكن أن يكون لهم به علاقة بالنسب من بعض الوجوه لا أنّهم من ذرّيّته. والله أعلم.

حديث إنّ القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، واستفادة تلامذته منه أيام التعطيل :

عن السيّد نعمة الله الجزائري أنّه قال في كتابه المعروف بالمقامات، في مقام حثّه على رعاية حال النفس، وتحذيره الناس عن الارتكاب لموجبات ملالها وإعيائها :

يا أخي، قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وروي عن ابن عباس أنّه كان يقول عند ملله من دراسة العلم : حمّضونا، حمّضونا. فيخوضون عند ذلك في الأخبار والأشعار.

وقد حكى لي أوثق مشائخي أنّ تلامذة شيخنا البهائي عطر الله مرقدّه، كانوا يستفيدون منه يوم تعطيل الدروس أكثر من الدرس؛ لأنّه كان يلقي عليهم يوم التعطيل من فنون العلم ونوادر الأخبار والأشعار الفائقة والحكايات الرائقة. ففيه الاستفادة لعلوم جديدة ونشاط واستعداد لأيّام الدرس وطلب العلم، ولعلّ طرفاً من الانبساط ونوعاً من الحكايات والمطاييب محصّل للنشاط أيضاً، وقد يقع الملل أيضاً في العبادات والمداومة على نوعٍ منها، فينبغي التنقّل في أنواع العبادات والطاعات حتّى يحصل من التنقّل الإقبال على العبادة. قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فأقبلوا على النوافل، وإذا أدبرت فدعوها.

وقد استنبطت في شرح تهذيب الحديث من هذا التحقيق وجهاً لطيفاً لما وقع من النوافل والأدعية المأثورة في جميع الأوقات، خصوصاً بين الصلاتين، لا سيّما المغرب والعشاء، فإنّ ما بينهما من الوقت يضيق عمّا شرح فيه من الدعاء والعبادة، ولا يجوز التكليف بعبادة في وقت يضيق عنها كما قرّر في الأصول.

عدم اشتهار الكتب في عصر مؤلفيها :

وممّا ذكره السيّد نعمة الله في الكتاب المذكور :

إنّ بعض الأفاضل من أهل عصره صنّف كتاباً مفيداً لكنّه لم يشتهر مع وفور مؤلّفه، فقيل له في ذلك فقال : كتابي هذا لم يشتهر لأنّ له عدوّاً، فإذا ذهب أقبل الناس على كتابه، فقيل له : من هذا العدو؟ قال : أنا. وكان الحال كما قال.

ثمّ ذكر أنّ بهاء الملة والدين لما صنّف كتابه شرح الأربعين حديثاً أتى به بعض الطلبة إلى حضرة المحقق المدقّق جامع العلوم السيّد محمّد باقر الداماد، فلمّا نظر فيه قال : إنّ هذا العربي رجلٌ فاضل، لكنّه لمّا جاء في عصرنا لم يشتهر ولم يعد عالماً. «أه».

ويبعد هذه الحكاية أو ينفىها ما تواتر به النقل من اعتراف الداماد بفضل البهائي

وأنتهما كانا بغاية المصافاة والوداد وكانت بينهما خلطة تامّة ومؤاخاة عجيبة قلّما يوجد مثلها بين متعاصرين، وذلك ممّا يبعد معه أو يمتنع صدور مثل هذا الكلام من الداماد الذي لو صحّ لكان قدحاً في مقام الداماد مع اشتهاره بالتقوى والفضل والساد.

ما جرى للبهائي والداماد بصحبة الشاه عباس :

وممّا يحكى أنّ الشاه عباس ركب يوماً إلى بعض مستنزهاته، وكان البهائي والداماد في مركبه، إذ كان لا يفارقهما غالباً، وكان الداماد عظيم الجثة والبهائي نحيفاً. فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما. فقال للداماد - وهو راكب فرسه في مؤخرة الجمع وقد ظهرت عليه آثار الإعياء والتعب والبهائي في مقدّمة الجمع - : يا سيّدنا، ألا تنظر إلى هذا الشيخ كيف تقدّم بفرسه ولم يمشِ على وقار كما تمشي أنت؟ فقال الداماد : أيّها الملك، إنّ جواد الشيخ قد استخفّه الطرب بمن ركبه، فهو لا يستطيع التأمّني. ألا تعلم من الذي ركبه. ثمّ قال للبهائي : يا شيخنا، ألا تنظر إلى هذا السيّد كيف أتعّب مركبه بجثمانه الثقيل، والعالم ينبغي أن يكون مرتاضاً مثلك خفيف المؤونة؟ فقال البهائي : أيّها الملك، إنّ جواد الشيخ أعيا بما حمل من علمه الذي لا يستطيع حمله الجبال. فعند ذلك نزل الشاه عن جواده وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء.

فأكرم به من ملك كامل وسلطان عادل، وأكرم بهما من عالمين مخلصين. وحكايات ما وقع بينهما من المصافاة والمصادقة كثيرة، وهكذا يسعد الزمان وأهله بأمثال هؤلاء العلماء وهؤلاء الملوك.

نسبته إلى التصوّف :

عن السيّد نعمة الله الجزائري التستري في كتاب المقامات عند ذكره أنّ السيّد المرتضى كان يترجّل عند مروره بقبر أبي إسحاق الصابي تعظيماً لعلمه، والمشهور أنّ الصابي ماتا على دين الصابئة، أنّه قال : إنّ هذا التعظيم له ممّا لا تسمح به

النفس، حذراً من قوله تعالى: ﴿يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾^١. وهذه المسامحة كانت أيضاً في الشيخ الأجلّ بهاء الدين محمد طاب ثراه، وذلك حيث إنك تراه يعظم كثيراً من الصوفية الأغوياء والملاحدة الأشقياء، في جملة من مؤلفاته ومنظوماته، مثل قوله في حسين بن منصور الحلاج:

روا باشد أنا الحقّ از درختی چرا نبود روا از نیک بختی
ولذلك كانت كلّ طائفة من طوائف المسلمين تنسبه إليها.

وسمعت الشيخ الفاضل الشيخ عمر من علماء البصرة يقول: إنّ بهاء الدين محمّداً من أهل السنة والجماعة، إلّا أنّه كان يتّقي من سلطان الرافضة. وكذلك الملاحدة والصوفية والعشّاق، سمعت كلّ هؤلاء يقول: إنّ من أهل نحلّتنا. ومن هذا كان شيخنا المعاصر أبّاه الله - يعني محمّد باقر المجلسي - يزري عليه بهذا وأمثاله، وفيض الله التفرشي لم يوثّقه في كتاب الرجال وإن أثنى عليه في العلم والحفظ وغير ذلك. والحقّ أنّه ثقة معتمد عليه في النقل والفتوى. «أه»

وفي اللؤلؤة ربما طعن عليه بالقول بالتصوّف كما يترأى من بعض كلماته وأشعاره. والحقّ في الجواب عن ذلك ما أفاده المحدث العلامة السيّد نعمّة الله الجزائري التستري رحمه الله، وهو أنّ الشيخ المذكور كان يعاشر كلّ فرقة وملة بمقتضى طريقتهم ودينهم وملّتهم وما هم عليه. قال السيّد المذكور: فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح وكان معي، فعجب من ذلك وذكر جملة من الحكايات المؤيّدّة لما ذكره، ثمّ استدلّ له بقوله في القصيدة الآتية:

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايّتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
وأظهر أنّي مثلهم تستفزّني صروف الليالي باختلاء وإمرارٍ

قال : وطعن عليه بعض مشائخنا المعاصرين - وقال في الحاشية : هو المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني - بأن له بعض الاعتقادات الضعيفة، كاعتقاد أن المكلف إذ بذل جهده في تحصيل الدليل، فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده، ولا يخلد في النار وإن كان بخلاف أهل الحق. قال : وهو باطل قطعاً؛ لأنه على هذا يلزم أن يكون معتقدوا غير الحق من علماء أهل الضلال ورؤساء الكفار، غير مخلصين في النار إذا وصلت شبههم وعقائدهم إلى هذا الحد. «أه»

ثم ردّ عليه صاحب اللؤلؤة بأن لا نسلم أنهم بذلوا الجهد في تحصيل الدليل، ولو بذلوه لوصلوا إلى الحق غالباً.

(قال المؤلف) : لا شيء أعجب من نسبة مثل الشيخ البهائي أحد أعلام الإسلام إلى التصوف المذموم. أمّا التصوف الممدوح فعلى فرض ميله إليه لا ذمّ فيه عليه، وهو ينقل في كشكوله كثيراً من أشعار الصوفيّة وأحوالهم، ولعلّ من نسب إليه التصوف استفادته من أمثال ذلك.

وأما تعظيم المرتضى للصابي بعد موته - إن صحّ ذلك - فلا حذر فيه من موادّة من حادّ الله؛ إذ المنهي عنه الموادّة من حيث المحادّة لما أنّ تعليق الحكم على الوصف يُشعر بالعلّية، أمّا الموادّة لغرض صحيح فلا تتناولها الآية الكريمة. وأما الحلاج المنسوب إلى سوء العقيدة، فلسنا نظنّ بمثل شيخنا البهائي تعظيمه، ولعلّه لم يطلع على فساد عقيدته، أو لم يثبت عنده فسادها، أو لم يصحّ عنه تعظيمه إياه.

وأما معاشرته كلّ أهل نحلة بالحسنى بحيث يظنون أنّه منهم، فهو يدلّ على علوّ درجته واستحقاقه على صفات المدح.

وأما إزراء المجلسي عليه فلا نحتمله من مثل المجلسي في مثل البهائي. وأما عدم توثيق التفريشي له، فالرجاليون إنّما يهتمون بتوثيق رجال الحديث

من أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين وقع الكلام في وثاقتهم وعدمها، لا بتوثيق مشاهير العلماء الذين وثاقتهم أشهر من النور على الطور، وليس التفريشي الذي يحتاج إلى توثيقة البهائي أعرف في الوثاقة من البهائي، ولا المحدث الجزائري الذي دغدغ أولاً في وثاقته ثم تفضل عليه بالشهادة بوثاقته والاعتماد عليه في النقل والفتوى يدانيه في علم وفضل ووثاقة، فضلاً عن أن يحتاج إلى شهادته له.

وأما طعن البحراني عليه في قوله بمعدوريّة من بذل جهد، فكفى في ردّه كلام صاحب اللؤلؤة.

وما أحقّ هؤلاء بقول القائل :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنّه لدميم

والحاصل : إنّه إذا تطرّق الشكّ إلى وثاقة البهائي، لم يبقَ ثقة في الدنيا. وما الوسوسة في وثاقة البهائي إلّا كالوسوسة في إعجاز القرآن، وبلاغة نهج البلاغة، وشجاعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكرم حاتم، وشاعريّة امرئ القيس، ووجود مكّة المكرّمة.

وللبهائي عليه السلام كلام معروف في مسألة الضدّ، ذكره في زبدة الأصول، نفى فيه فائدة الخلاف فقال :

إنّ الأمر بالشيء لو لم يقتضِ النهي عن ضده، فهو يقتضي عدم الأمر بضده؛ إذ لا يمكن الأمر بالضدّين في آن واحد، فإذا كان الضدّ عبادة فسد؛ لأنّ العبادة لا تصحّ بدون أمر، ويكفي في فسادها عدم الأمر، ولا يحتاج إلى النهي.

ولكنّ المتأخّرين قالوا بإمكان الأمر بالضدّين في وقتٍ واحد أحدهما منجز والآخر معلّق على عصيان الأوّل، وهو الحقّ كما حقّق في محلّه.

لغز في عليّ :

عمل الشيخ البهائي عليه الرحمة لغزاً في اسم عليّ عليه السلام، وكأ أنّه أرسله إلى والده، وهو :

يا ثقتي ورجائي، ومَن به في الدارين اقتدائي. أَسْتَدْعِي منكم الإخبار عن اسم عدد أفرادهِ بعدد لطائف الأركان. ومن أجزائه عرق أبواب الجنان. ويذكرونه مع الله المَنَّان. في أوَّلِهِ بصيرة المخلوقات، وثانيه تالي اسم الذات، وآخره أوَّل مراتب العشرات. ويحصل منه الإيمان بالزبر والبيّنات. أوَّل أفرادهِ رأس العرب والعجم، وآخر أجزائه مساوٍ للاسم الأعظم. صورته بالاستعلاء موصوف، ومسمّاه في السماوات والأرضين معروف. وآخر آخره صدر الحروف. أوَّلِهِ مدار الدنيا، وبآخره تتمّ العقبي، ولولا وسطه لكان معه. وما أن نقص ثلاثة من ثلثه بقي ثلاثة، وإن زيد ثلاثة على ثلثه جعل ثلث ثلاثة. لولا أوَّلِهِ لكان رأس العمر مقطوعاً، وإن لم يكن آخر ثانيه واسطة العمر لكان بقطعتين مكسولاً. من وجد بأوَّلِهِ نصيباً فقد كان غنياً، ومَن عري فلا يرى من العيش نصيباً. ولو كان أوَّلِهِ لآخرته لم يكن فقيراً. آخره رأس اليقين، وبجزئي أوَّلِهِ يتمّ الدين. الحروف المندرج بين جزئي آخره بالتمام، وبآخره يبنى حروف كلّ كلام. والسلام خير ختام.

مشائخه من علماء الشيعة :

قرأ على أبيه الإمام المحقق - كما مرّ - ويروي عنه قراءةً وسماعاً وإجازة لجميع ما للإجازة فيه مدخل من سائر العلوم العقلية والنقلية لا سيما كتب الحديث والتفسير والفقه من طرقنا وطرق العامة بحق روايته عن شيخنا الإمام قدوة المحققين الشهيد الثاني طاب ثراه حسبما ذكره في إجازته الطويلة.

وقرأ أيضاً في إيران على جماعة من الجهابذة كالمولى عبد الله اليزدي كما عن السلافة، وعن رجال النيسابوري أنّ أساتيدهِ ورؤساء سلسلة أساتيدهِ الذين أخذ عنهم الحديث وغيره بالقراءة وغيرها من علماء الإمامية وغيرهم هم أيضاً جماعة. وفي روضات الجنّات بعد نقل ذلك: إلّا أنّي مهما تصفّحت كتب الإجازات والرجال، لم أعرّ على شيخ له في الرواية لأحاديث الشيعة الإمامية ومصنّفاتهم غير والده وأستاذه. «أه».

مشائخه من علماء أهل السنة والسند المسلسل بالمحمّدين :

في اللؤلؤة : وأمّا كتاب صحيح البخاري فنرويه بالاستناد عن شيخنا البهائي قدّس الله روحه ، عن محمّد بن محمّد بن أبي اللطف المقدسي ، عن أبيه محمّد بن محمّد ، عن شيخه كمال الدين محمّد بن أبي الشريف المقدسي ، عن أبي الفتح محمّد بن أبي بكر ، عن أبي الحسين محمّد المراغي ، عن أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل القرشيدي ، عن السيّد أبي عبد الله محمّد بن سيف الدين قليج بن كيكذي العلاني ، عن قاضي القضاة أبي عبد الله محمّد بن مسلم بن محمّد بن مالك الحنبلي ، عن أبي عبد الله محمّد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي ، عن أبي طاهر محمّد بن عبد الواحد البرّاز ، عن محمّد بن أحمد بن حمدان ، عن محمّد بن التيم ، عن محمّد بن يوسف الغريري ، عن محمّد بن إسماعيل البخاري بكتابه المذكور وجميع مصنفاته .

إلى أن قال في اللؤلؤة : وهذا السند من غريب الأسانيد باتّفاق كون رجاله كلّهم من المحمّدين ، ويمكن تنميته من أوّله بطريقنا إلى الشيخ محمّد بن يوسف بن كنبّار البحراني ، عن الشيخ محمّد بن ماجد البحراني ، عن الآخوند المولى محمّد باقر المجلسي عطر الله مرقده ، عن والده المولى محمّد تقي ؒ ، عن شيخنا محمّد بن الحسين البهائي زاده الله تعالى مع هؤلاء المذكورين - بل جملة علمائنا الصالحين - بهاءً وشرفاً .

تلامذته :

- ١ - السيّد حسن ابن السيّد حيدر الكرّكي .
- ٢ - نظام الدين محمّد القرشي ، صاحب نظام الأقوال في أحوال الرجال . والظاهر أنّه نظام بن حسين الساوجي الذي أتمّ الأبواب العشرين من الجامع العبّاسي بعد وفاة شيخه البهائي بأمر الشاه عبّاس الصفوي .
- ٣ - الشيخ نجيب الدين علي بن محمّد بن مكّي العاملي الجبيلي ثمّ الجبعي .

- ٤ - الفاضل الجواد البغدادي، شارح الزبدة لشيخه المذكور.
- ٥ - السيّد ماجد البحراني.
- ٦ - ملّا محسن الفيض الكاشاني، كما يظهر من مفتّح كتابه الوافي.
- ٧ - السيّد الأميرزا رفيع الدين النائيني.
- ٨ - المولى شريف الدين محمد الروي دشتي.
- ٩ - المولى خليل بن غازي القزويني.
- ١٠ - المولى محمد صالح بن أحمد المازندراني.
- ١١ - الشيخ زين الدين ابن الشيخ محمد ابن صاحب المعالم.
- ١٢ - المولى حسنعلي ابن المولى عبد الله الشوشتري، شيخ رواية المجلسي الأوّل محمد تقي.
- ١٣ - الشيخ محمد بن علي العاملي التبنيني.
- ١٤ - المولى مظفر الدين علي، الذي كتب رسالة في أحوال شيخه البهائي.
- ١٥ - الشيخ محمود بن حسام الدين الجزائري، الذي يروي عنه الشيخ فخر الدين الطريحي صاحب مجمع البحرين.
- ١٦ - الشيخ زين الدين علي بن سليمان بن درويش بن حاتم القديمي البحراني، وكان قبل تلمّذه على البهائي يقرأ عند الشيخ محمد بن حسن رجب المقابي البحراني، ولمّا رجع من خدمة البهائي جعل الشيخ محمد المذكور يقرأ عليه، فعوتب على ذلك فقال: إنّه قد فاق عليّ وعلى غيري ممّا اكتسبه من علم الحديث «ه»، وفيه أيضاً دلالة على فضل البهائي المكتسب منه.
- ١٧ - المجلسي الأوّل محمد تقي.
- ١٨ - الشيخ إبراهيم بن إبراهيم العاملي البازوري، نزيل المشهد المقدّس.
- ١٩ - الشيخ عبد اللطيف بن أبي جامع العاملي، يروي عنه بالإجازة، ويمكن أن يكون في الباقيين هو كذلك.

ومن تلاميذه سلطان العلماء السيّد حسين الحسيني المرعشي صاحب الحواشي على الروضة والمعالم، وزير الشاه عبّاس، وله منه إجازة، صرّح به في الرياض وجامع الرواة وغيرها.

مؤلفاته

التفسير :

- ١ - مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، جمع في آيات الأحكام وشرحها والأحاديث الصحاح وشرحها، خرج منه كتاب الطهارة لا غير نحو ٤٠٠ حديث، مطبوع.
- ٢ - العروة الوثقى في تفسير القرآن، خرج منه تفسير الفاتحة لا غير.
- ٣ - حاشية على تفسير القاضي البضاوي، جيّدة نفيسة، أحسن ما كتب على هذا التفسير، قاله تلميذه السيّد حسين الكركي.
- ٤ - حواشي الكشف، لم تتمّ.
- ٥ - التفسير الموسوم بعين الحياة.

الحديث :

- ٦ - الجبل المتين في أحكام الدين، في الأحاديث الصحاح والحسان والموثّقات خاصّة، وشرحها شرحاً لطيفاً وجمع بين متعارضاتها، خرج منه كتاب الطهارة لا غير في مجلّد واحد فيه ألف حديث وزيادة يسيرة، لم يتمّ. مطبوع.
- ٧ - شرح الأربعين حديثاً، قال تلميذه الكركي : لم يصنّف مثله، مطبوع عدّة طبعات.

- ٨ - حاشية الفقيه، لم تتمّ.

الدراية :

- ٩ - رسالة في الدراية، مختصرة مطبوعة.

الرجال :

- ١٠ - حاشية على خلاصة العلامة مختصرة.

١١ - فوائد في الرجال .

العبادة والدعاء :

١٢ - مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة ، مطبوع عدّة طبعات ومنها الطبعة المصرية ، ولنا عليها بعض الحواشي .

١٣ - حقائق المقرّبين أو حقائق الصالحين في شرح الصحيفة السجّادية ، مطبوع وسمّي شرح كلّ دعاء باسم حقيقة ، فسّمّي شرح دعاء الهلال بالحقيقة الهلالية ، وكذا غيره . وعليه فما ذكره المترجمون من أنّ له الحقيقة الهلالية وحقائق المقرّبين وشرح دعاء الصباح وشرح دعاء رؤية الهلال من الصحيفة ليس في محله . نعم ، الظاهر أنّ شرح الصحيفة لم يتمّ .

الفقه :

١٤ - الجامع العباسي ، صنّفه للشاه عبّاس الصفوي ، خرج منه إلى آخر كتاب الحجّ ، مطبوع .

١٥ - الاثنا عشرية الخمس في الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحجّ ، مرتّبة على اثني عشر في كلّ أبوابها وفصولها ومطالبها .

١٦ - رسالة في استحباب السورة ، ردّاً على بعض معاصريه ، لكنّه رجع عنه أخيراً .

١٧ - رسالة في قصر الصلاة وإتمامها في الأماكن الأربعة .

١٨ - شرح اثني عشرية صاحب المعالم .

١٩ - حواش على مختلف العلامة .

٢٠ - رسالة في الموارث .

٢١ - رسالة في ذبائح أهل الكتاب .

٢٢ - شرح الفرائض النصيرية للمحقّق الطوسي ، لم يتمّ .

٢٣ - رسالة الكزّ .

٢٤ - رسالة القبلة .

٢٥ - رسالة في أحكام سجود التلاوة .

الأصول :

٢٦ - الزبدة ، مطبوع ، وشرحه الشيخ جواد الكاظمي المعروف بالفاضل ،
والشرح كالأصل مشهوران .

٢٧ - لغز الزبدة .

٢٨ - حواش على قواعد الشهيد .

٢٩ - حواشي الزبدة .

٣٠ - حاشية شرح العضدي على مختصر الأصول .

٣١ - شرح شرح الرومي على الملخص ، ذكره في الحديقة الهلالية .

النحو :

٣٢ - الفوائد الصمدية ، صنّفها لأخيه عبد الصمد ، يدرسها الإيرانيون ومطبوعة .

٣٣ - تهذيب البيان .

البيان :

٣٤ - حاشية على المطول ، لم تتم .

الحساب :

٣٥ - خلاصة الحساب ، لم يصنّف مثلها ، مطبوعة في إيران وغيرها عدّة طبعات ،
ومترجمة إلى لغات أجنبية منها الألمانية . وكانت العادة أن تدرس في المدارس
الدينية في العراق وغيرها في شهور التعطيل .

٣٦ - بحر الحساب .

علم الهيئة :

٣٧ - تشریح الأفلاك مع حواشيه ، مختصر مطبوع ، والظاهر أنّه فارسي .

٣٨ - الأسطرلاب ، كبير بالعربية سمّاه الصفيحة .

٣٩ - أسطرلاب آخر بالفارسيّة سمّاه التحفة الحاتميّة .

٤٠ - رسالة في نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض .

٤١ - رسالة في أنّ أنوار الكواكب مستفادة من الشمس .

٤٢ - رسالة في حل إشكالي عطارد والقمر .

الحكمة :

٤٣ - الرسالة الموسومة بالجواهر الفرد، ذكرها في الكشكول وذكر فيها دليلاً على إبطال تركيب الجسم من الأجزاء التي لا تتجزأ .

التاريخ والأدب :

٤٤ - توضيح المقاصد فيما اتفق في أيام السنة .

٤٥ - المخلاة ، جمع فيها فوائد وطرائف من كلّ فنّ بدون ترتيب مطبوعة

بمصر .

٤٦ - الكشكول ، صنّفه بعد المخلاة وجمع فيه من كلّ فنّ بدون ترتيب تشبيهاً له بكشكول الدراويش الذي يجمعون فيه من كلّ طعام ، وقد صار كلّ كتاب بعده بهذا الوصف يسمّى الكشكول وإن كان له اسم غير ذلك ، ككشكول البحراني ، وكلّ من جمع أصنافاً من علوم شتى يسمّى مجموعة بالكشكول ، وجمع جماعة كتباً سمّوها بنحو هذا الاسم ، مثل بيدر الفلاح وسفينة نوح ، وقد اشتهر الكشكول بين الناس اشتهاراً عظيماً وطبع في مصر مراراً كثيرة ، وطبع في إيران . لكن الظاهر أنّ الطبعة الإيرانية تزيد عن المصرية ، وبعضهم يتوهم أنّ الكشكول جمعه في وقت سياحته وليس كذلك كما يظهر من خطبته . وقد ترجم الكشكول إلى الفارسي برغبة أحد ملوك الهند المغول ، ولو كان دون جميع مشاهداته وما جرى له في سياحته لكانت من أنفس وأمنع ما كتب .

٤٧ - سوانح سفر الحجاز ، كتاب من شعره وإنشائه ، أكثره بالفارسيّة .

٤٨ - نان و حلوى ، أي خبز وحلوى ، كتاب شعر بالفارسيّة ظريف .

٤٩ - ديوان شعره بالعربية والفارسية ، في الأمل : جمع شعره ولدي محمد رضا الحرّ، فصار ديواناً لطيفاً .

أجوبة المسائل :

٥٠ - جواب مسائل الشيخ صالح بن حسن الجزائري ، اثنتان وعشرون مسألة مشهورة .

٥١ - جواب ثلاث مسائل أخرى عجيبة .

٥٢ - جواب المسائل المديّنات . إلى غير ذلك من الرسائل وأجوبة المسائل .

٥٣ - حواشي شرح التذكرة .

استدراك على مؤلفاته :

يضاف إلى أسماء مؤلفاته المتقدمة ، ما يلي :

١ - حاشية على نتائج الأفكار للسيد إبراهيم الحائري في الأصول .

٢ - حاشية على مبادئ الأصول للعلامة الحلّي .

٣ - شرح الشافية في الصرف .

٤ - حاشية على شرح الكافية للجامي في النحو .

٥ - هداية العوام ، رسالة عمليّة في الفقه .

٦ - تشييد الأذهان معرب عين الحياة للمجلسي .

٧ - رسالة في مقتل الحسين عليه السلام .

شعره :

له شعر كثير بالعربية والفارسيّة . فمن شعره قصيدته التي يمدح بها صاحب الزمان وسماها وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان ، كما في شرح المنيّني عليها ، وبعضهم يقول اسمها روح الجنان كما في ديوان الشيخ جعفر الخطّي ، وهي التي شرحها الشيخ أحمد بن علي المنيّني الدمشقي بطلب السيّد محمد هاشم قاضي دمشق الشام وطبعت مع شرحها في آخر الكشكول .

ويقال : إنّ السيّد محمد باقر الداماد كتب إلى الشيخ البهائي بهذين البيتين بالفارسيّة :

ای شروه حقیقت ای کان سخا در مشکل این حرف جوابی فرما
گوئی که خدا بود دیگر هیچ نبود چون هیچ نبود پس کجا بود خدا
فأجابه الشيخ البهائي بقوله :

ای صاحب مسأله تو بشنو ز ما تحقیق بدان که لا مکان است خدا
خواهی که کشف شود این معنی جان در تن تو بگو کجا دارد جا

وعن السيّد نعمة الله الجزائري في كتاب المقامات : أنّ الشيخ صالح بن حسن الجزائري صاحب المسائل المشهورة التي سأل عنها البهائي، كتب إليه : ما قول سيّدي وسندي ومنّ عليه بعد الله وأهل البيت معتمدي، في هذه الأبيات لبعض النواصب، فالمأمول من أنفاسكم الفاخرة وألطفكم الظاهرة أن تشرفوا خادكم بجواب منظوم عنها، نصر الله بكم الإسلام بمحمد وآله الكرام عليهم السلام، وذكر الأبيات الرائيّة الثلاثة التي أولها (أهوى عليّاً أمير المؤمنين ولا)، قال : فأجابه الشيخ بهاء الدين محمد طاب ثراه :

الثقة بالله وحده، التمسّت أيّها الأخ الأفضل، الصفيّ الوفيّ الألمعيّ الزكيّ الذكيّ، أطال الله بقاءك وأدام في معارج العزّ ارتقاءك، الإجابة عمّا هذر به هذا المخذول، فقابلت التماسك بقبول وطفقت أقول : (يا أيّها المدّعي حبّ الوصيّ ولم) ثمّ أورد اثني عشر بيتاً تركنا ذكرها، ولكنّ الأبيات الرائيّة الثلاثة المذكورة منسوبة إلى الكميت، ولها خبر معروفة من أنّه أثبت الذنب واحتمل العذر، فكيف نسبها الشيخ صالح إلى غيره؟ وكيف خفي ذلك على البهائي مع سعة اطلاعه؟!

البهائي في فلاسفة الشيعة^١

الشيخ عبد الله نعمة

البهائي محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني^٢:

١ - ولد في بعلبك في ١٣ ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٧ م، وتوفي في أصفهان في ١٢ شوال سنة ١٠٣١ هـ - ١٦٢٢ م، ونقل قبل دفنه إلى طوس، فدفن في داره قرب الحضرة الرضوية على صاحبها السلام، وقبره هناك مشيد فخم مشهور، يزوره من يفد إلى خراسان من الزائرين والسيّاح.

٢ - والبهائي من ألع العلماء اسماً، وأبعدهم ذكراً في القرن الحادي عشر الهجري، قد أخذ بأسباب الثقافة الإسلامية، وهو أحد الأئمة الكبار المنفردين بالعلوم المعروفة في ذلك العصر. جمع إلى الفقه والآثار والأصول والآداب، الهندسة والفلك والحساب والجبر وجميع أقسام الرياضيات باتقان عجيب وهضم غريب، كما جمع إلى كلّ ذلك الحكمة والكلام وبعض العلوم التي لم يحم حولها سواه كما قيل^٣.

١. فلاسفة الشيعة، الشيخ عبد الله نعمة، ص ٤٤٦ - ٤٦٥، طبع دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٧ م.

٢. والحارثي نسبة إلى الحارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. أنظر: الروضات: ٥٣٢.

وقد حظي «البهائي» بإعجاب العلماء وإطرائهم، وقد أفاضوا في مدحه، ومن هؤلاء أحمد بن علي المنيني شارح قصيدة «البهائي» المسماة وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان، والتي فرغ المنيني من شرحها عام (١١٥١ هـ) قال فيه: «... صاحب التصانيف والتحقيقات، وهو أحقّ من كلّ حقيق بذكر أخباره ونشر مزاياه، وإتحاف العالم بفضائله وبدائعه. وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم، والتضلع من دقائق الفنون، وما أظنّ أنّ الزمان يسمح بمثله، ولا جاء بنده»^١.

ووصفه تلميذه السيّد عزّ الدين حسين بن حيدر الكركي العاملي بقوله: «... وشيخنا هذا - طاب ثراه - قد كان أفضل أهل زمانه، بل كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحم حولها أحد من أهل زمانه ولا قبله.. يميل إلى التصفّو كثيراً... منصفاً في البحث...»^٢.

وأطراه صاحب سلافة العصر على عادته في التسجيع والإطناب، ووصفه بأنّه جمع فنون العلم وتفرّد بصنوف الفضل.

كما أفاض في إطرائه كثيرون غير هؤلاء، الأمر الذي يدلّ على مكانته الاجتماعية وشخصيته العلميّة ذات الأثر الكبير في يقظة الجيل الذي عاشه، وفي الحركة العلميّة المنتجة.

٣ - وبحسب البهائي أثراً ونفوذاً علمياً أنّه ظهر في تلك الفترة، التي كانت تغطّ أكثر شعوب الأرض في سباتٍ عميق. قد تخدّرت فيها المعرفة والفكر، وركدت فيها الحركة الثقافيّة، وعمّها الضعف والانحلال في أكثر جوانب الحياة، كلّ ذلك بسبب الأحداث والنوازل التي انصبّت على كثيرٍ من الدول العربيّة والإسلاميّة، في مختلف الأقطار، التي شملها الضعف والوهن، وحال ذلك دون نشاط الثقافة فيها. وإنّه رغم كلّ ذلك فقد كانت هناك واحات في بعض الأقطار الإسلاميّة معشبة

١. أنظر: شرح وسيلة الفوز والأمان، المطبوع في آخر الكشكول: ٣٧٧.

٢. روضات: ٥٣٢.

مخضوضرة بالمعرفة والفكر، فيها مدارس علميية، قد أينعت ثمارها، وبلغت أوج نشاطها.

وكان هناك في جنوب لبنان بقعة يطلق عليها اسم (جبل عامل) تتفجر فيها الطاقة العلميية وتنشط فيها المعرفة من عقالها، وتستفيق من سباتها، لتكون هذه البقعة (جبل عامل) التي اختصها الله سبحانه بعنايته، منبت العلماء والمفكرين، والهداة الميامين، الذين حملوا في تلك الفترة الدامسة مشعل العلم والفكر، لتهتدي شعوب أخرى على سناه.

وحسبنا أن نذكر منهم :

علي بن عبد العالي الميسي الشهير بالمحقق الميسي العاملي، وعلي بن عبد العالي الكركي المعروف بالمحقق الثاني صاحب المؤلفات القيية، وزين الدين بن علي العاملي الجبعي المعروف بالشهيد الثاني، ومحمد بن مكّي الجزيني العاملي الشهير بالشهيد الأوّل، والشيخ حسين عبد الصمد العاملي والد البهائي، وفي أمثالهم من روّاد العلم والفكر، الذين أفادوا أجيالهم وأجيالاً طويلة من بعدهم بما خلّفوه من آثار، غنيّة بالطاقة العلميية الخصبة، وبالمدد الفكري العام، الذي لا يزال إلى اليوم مصدراً كبيراً للمعرفة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي.

ومن نفس هذه الواحة الخصبة جبل عامل، وفي هذه الفترة بالذات ظهر البهائي رائداً علمياً، يتّسع عقله لكلّ أنواع الثقافة التي عرفت في عصره، وتفعل آثاره في تفكير المجتمع الذي عاشه فعل الكهرباء، لما فيها من قوّة علميية ونشاط فكري في ميادين المعرفة والعلم.

وقد ظلّت آثاره في الهندسة والفلك والرياضيات وسواها زمناً طويلاً من بعده حتّى الآن مرجعاً لكثيرين من علماء المشرق، كما أنّها كانت منبعاً يستقي منه طّلاب المدارس والجامعات.

كما أنّ آثاره في الفلسفة والكلام والفقه والحديث والأدب والشعر، لا تقلّ شأنًا

وأهميّة عن آثاره في الفلك والرياضيات. على أنّ شهرته في هذه العلوم الأخيرة غلبت عليه، وبخاصّة في العصور الأخيرة، وذلك بسبب مؤلفاته في هذه المواضيع، التي نالت إعجاب العلماء والطلّاب على السواء، ممّا دفعهم إلى شرحها والتعليق عليها، وتدريسها في كثير من عواصم الشرق الإسلامي.

٤ - ويرز على تفكير «بهاء الدين» اتّجاهان واضحان، هما :

أولاً : الاتّجاه الرياضي، الذي يسيطر على كثير من محاولاته ومعالجاته لمسائل علميّة، وبخاصّة لمسائل ما وراء الطبيعة، يبدو هذا الاتّجاه في صفحات كثيرة من كتابه الكشكول حين يعرض «اللاتناهي» فهو يقول ببطلانه، مبرهنناً على ذلك ببراهين رياضيّة وهندسيّة، تذكّرنا بطريقة «الكندي الفيلسوف» الذي عرضنا في محلّه لشيء من اتّجاهاته. كما تذكّرنا بطريقة «نصير الدين الطوسي» التي تتمثّل فيما أقامه من دليل على بطلان اللاتناهي، والتسلسل أيضاً، في كتبه الكلاميّة، أمثال التجريد و فوائد الاعتقاد وسواهما.

ثانياً : الاتّجاه العرفاني أو الصوفي، الذي ينعكس في كثير من مؤلفاته انعكاساً بارزاً. ولعلّ كتابه الكشكول يعطينا أوضح صورة عن هذا الاتّجاه. فقد أكثر فيه من ذكر أقوال الزهّاد والعبّاد والعارفين والمتصوّفة، وقصصهم، كما نجد انعكاس ذلك بارزاً في أقواله وأشعاره بصورة عامّة.

حياة البهائي :

١ - وأصل بهاء الدين من جبل عامل، وهو القسم الجنوبي من لبنان، من بلدة «جبع» أو «جباع» التي هي موطن آبائه وأجداده، وإليها ينتسب كلّ من والده الشيخ حسين عبد الصمد الجبعي العاملي، وجدّه شمس الدين محمّد الجباعي صاحب المجموعة الشهيرة، التي ينقل عنها كثيراً بهاء الدين العاملي في الكشكول. والبهائي نفسه يصرّح بأنّ أصله من جبل عامل، فقد نقل عنه محمّد تقي

المجلسي : إنّ البهائي كان يقول : «آباؤنا وأجدادنا من جبل عامل، كانوا دائماً مشغولين بالعلم والعبادة والزهد، وهم أصحاب كرامات... ولمّا شربنا ماء العجم سلبنا جميع ذلك».

ولا زال إلى اليوم في جبل عامل بعض الأسر تنتمي إلى أخيه عبد الصمد، وهي أسرة آل مروّة^١.

وقد وهم كثير من الكتّاب والمؤرّخين، فنسبوه إلى «آمل» الواقعة في شمالي إيران، وقال بعض هؤلاء : إنّهُ ولد في بلدة «آمل» الخراسانية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون.

وآخر من وقع في هذا الوهم الأستاذ قدرّي حافظ طوقان في كتابه تراث العرب العلمي فقد قال :

«وأما القول بأنّه ولد في بعلبك فبعيد عن الصواب، بل هو خطأ محض، وأرجّح أنّ قولهم هذا يرجع إلى الخلط بين جبل عامل في سوريا، وبين آمل، وقد يكون هذا الخلط هو الذي جعلهم يقولون بمولده في بعلبك، وقد يكون أيضاً هو الذي جعل العلماء يسمّونه بهاء الدين العاملي»^٢. وقد نشر هذا الخطأ في دائرة المعارف اللبنانية في مادّة آمل.

ولا ريب أنّ ما ذكره «طوقان» ليس بصواب حتماً، وهو من الأوهام التي لم يعتمد على سند.

ولسنا بحاجة كبيرة إلى إثبات أنّ البهائي هو عاملي لا آملّي، بل يكفي الرجوع إلى ما كتبه عنه تلميذه الحرّ العاملي في كتابه أمل الآمل في علماء جبل عامل، وما كتبه عنه (أحمد المنيني) في شرحه لقصيدة البهائي المسماة وسيلة الفوز والأمان، وإلى مؤلفاته المطبوعة مثل مفتاح الفلاح وكتاب الأربعين والكشكول التي يصرّح

١. أنظر: أعيان الشيعة ٢٦: ٢٥٩.

٢. أنظر: تراث العرب العلمي: ٤٢٧.

فيها بنسبته إلى (جبل عاملة).

هذا بالإضافة إلى ما ذكره علماء الرجال وأصحاب التراجم من الشيعة، مثل الخوانساري في الروضات، والسيد علي خان في سلافة العصر، وما كتب عن أبيه وإخوته وجدّه في كتب التراجم والرجال، وهي كلّها تثبت أنّه كان عاملياً لا آملياً، وبخاصّة تصريحه «للمجلسي» الذي هو من المعاصرين له، على ما سلف.

٢ - وانتقل به والده الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي إلى إيران، وهو صغير، وعمره إذ ذاك سبع سنوات، وقيل أقلّ من ذلك، على أثر مقتل أستاذه الشيخ زين الدين العاملي الشهير بـ الشهيد الثاني المقتول سنة ٩٦٦ هـ.

٣ - أمّا أساتذته فقد عرفنا منهم :

والده حسين بن عبد الصمد العاملي، وهو من أعلام العلم والفقه والأدب في ذلك العهد، وقد توفّي عام ٩٧٤ هـ.

والمولي عبد الله بن حسين اليزدي المتوفّي عام ٩٨١ هـ، من أساتذة المنطق والحكمة، وهو صاحب الحاشية في المنطق التي لا تزال تدرّس في جامعات النجف وقم وجميع العواصم الشيعيّة العلميّة إلى اليوم.

وطبيعي أن تكون ثقافة البهائي العامّة قد أخذها عن عدّة أساتذة عادةً. وربما كان تعرّفه في أثناء سياحته الطويلة على شخصيّات علميّة وأديّة وسواها قد أكسبته ثقافة وعلماً.

وما زالت مصادر كثيرة لثقافته مجهولة لدينا، ولم أجد من مؤرّخيه من عني بذلك، وغاية ما قالوه هنا : إنّّه درس على جهابذة عصره.

٤ - وللبهائي تلاميذ كثر، نهلوا من مدرسته، وأخذوا عنه، كانوا من أعلام

عصرهم في العلم والمعرفة. ومن هؤلاء :

أ - الشيخ جواد بن سعد الله البغدادي الكاظمي المعروف بالفاضل الجواد الكاظمي، درس على البهائي في أصفهان، حتّى أصبح من اللامعين في المعقول

والمنقول والرياضيات وغير ذلك. وقد شرح بعض كتب أستاذه البهائي مثل خلاصة الحساب، و زبدة الأصول^١.

ب - ملّا محسن الفيض الكاشاني (المتوفى عام ١٠٩١ هـ)، وهو من الفلاسفة المعروفين.

ج - السيّد رفيع الدين محمّد بن حيدر الطباطبائي الحسيني النائيني (المتوفى عام ١٠٨٢ هـ) من أئمّة الفلسفة المشهورين.

د - الشيخ محمّد بن علي التبنيني العاملي.

هـ - زين الدين بن محمّد بن حسن بن زين العاملي من علماء الفقه والآثار.

و - صدر المتألّهين الشيرازي.

ز - السيّد ماجد البحراني وجماعة كثيرون غيرهم^٢.

٥ - ونال بهاء الدين مكانة رفيعة، ومنزلة عظيمة لدى الصفويين (ملوك إيران) وبخاصّة لدى الشاه عبّاس الصفوي في أصفهان، وتولّى فيها «مشيخة الإسلام»، وألّف للشاه المذكور كتابه الجامع العباسي في الفقه.

وكان على صلة وثيقة بفيلسوف عصره السيّد الداماد صلة صداقة وإخاء، وقد كانا معاً موضع تقدير الشاه عبّاس واحترامه، يسود بينهما الصفاء والودّ. وقد ذكرت في كتب التراجم بعض القصص التي تمثّل هذا الصفاء الذي كان يسود بينهما. على أنّ ذلك لم يذهب بروح التنافس بينهما، شأن كلّ عالمين متعاصرين عادة، وجدا في مكان واحد، فقد ورد :

«إنّ البهائي حين صنّف كتابه الأربعين أتى به بعض الطلبة إلى السيّد الداماد فلمّا نظر فيه قال : إنّ هذا العربي رجل فاضل، لكنّه لمّا جاء في عصرنا لم يشتهر

١. أنظر: الكنى والألقاب ٦: ٣.

٢. أنظر: الروضات: ٥٣٩.

ولم يعدّ عالماً^١.

وقد سكن البهائي هراة مدّة طويلة، وأعجب بها وبمناخها، وله أرجوزة يصف فيها هراة وهواءها وماءها وعنبها وأنواع ثمارها، وهي أرجوزة طويلة، ويتحسّر في آخرها على فراقها، ويقول:

يا حبّذا أيا ما اللواتي مضت لنا ونحن في الهراة
نسترق اللذات والأفراحا ولا نملّ الهزل والمزاحا
وعيشنا في ظلّها رغيْدُ والدهر مسعفٌ بما تريْدُ^٢

ولم ترق هذه الحياة بعيني البهائي، فأثر العزلة والسياسة واستمرّت سياحته حوالي ثلاثين سنة، جاب في أثنائها مصر والعراق والحجاز وسوريا، التقى في خلالها بشخصيّات كثيرة علميّة وأدبيّة، وألّف كتابه الكشكول في سياحته وهو في مصر، وعاد إلى أصفهان، وعندما علم الشاه عبّاس حاكم الدولة الصفويّة بعودته إلى أصفهان ذهب إليها بنفسه وأحاطه بالتجلّة والإكرام.

وقد بقي البهائي صاحب المقام الأوّل عند الشاه إلى أن وافاه جِمامه بأصفهان سنة ١٠٣١ هـ، ثمّ نقل ودفن في طوس في جوار الإمام عليّ الرضا عليه السلام.

* * *

ولم يسلم البهائي من نقدٍ وطعنٍ عليه في دينه وعلمه رغم شخصيّة العلميّة الشاملة والدينيّة، شأن العظماء والمفكرّين الذين يسمون بتفكيرهم على تفكير الناس.

وقد خلق له مركزه العلمي الرفيع ومكانته من ملوك إيران منافسين وحاسدين، أثاروا من حوله الشكوك والظنون.

١. أنظر: الروضات: ٥٣٦.

٢. أنظر: الكشكول: ٧٣.

وذكر البهائي نفسه في بعض سوانحه التي دوّنها في كتابه الكشكول شيئاً من ذلك، قال :

« قد جرى ذكرى يوماً في بعض المجالس العالية، فبلغني أن بعض الحضّار ممّن يدّعي الوفاق وعادته النفاق، ويظهر الوداد وبغيته العناد، جرى في ميدان البغي والعدوان. وأطلق لسانه في الغيبة والبهتان، ونسب إليّ من العيوب ما لم تزل فيه، ونسي قوله تعالى: ﴿أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ﴾^١.
وقد أرزى به غير واحد من أهل العلم مثل المجلسي وفيض الله التفريشي ولم يوتّقه، وطعنا عليه لميله إلى التصوّف.

وحمل عليه الشيخ عبد الله بن صالح البحراني قائلاً :

إنّ له بعض الاعتقادات الضعيفة، كاعتقاد أنّ المكلف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل، فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده، ولا يخلد في النار، وإن كان بخلاف أهل الحق.

قال : وهو باطل قطعاً، لأنّه على هذا يلزم أن يكون علماء الضلال ورؤساء الكفّار غير مغلّدين في النار، إذا أوصلتهم شبههم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك من غير اتّباع لأهل الحق.

فحملة البحراني هذه إنّما كان مصدرها مخالفة البهائي في رأيه لما عليه تفكير أمثال البحراني، الذين لا يعتبرون العقل حجة في أمثال هذه المواضيع. وما أحرى بأن يكون رأي البهائي المذكور منقبة ومأثرة، تدلّ على حرّيّة تفكيره وسلامة طبعه، ولأنّ يكون رأيه هذا مدحاً له أولى من أن يكون ذمّاً. ولكنّ القصّة قصّة رواسب عقائديّة، لا تتّصل للدين بسبب، تتحكّم بتفكير الكثرة الساحقة من العلماء.

آثار البهائي ومؤلفاته :

امتاز البهائي بشخصية علمية كبيرة، ومكانة رائعة في جميع ميادين العلم، وبلغ من شأنه العلمي لدى الناس حدّاً يكاد يلحقه في عداد الشخصيات الأسطورية، وقد نسب الناس إليه غرائب وعجائب وأساطير كثيرة، تعبّر تعبيراً واضحاً عن أثر البهائي العلمي، ونفوذه البالغ على أفكار الناس. فقد حكي عنه أنّه استطاع أن يحطّم الذرّة، وأن يسيطر على طاقتها، وأن يستخدمها في الحاجات. وأنّ من مظاهر ذلك أن صنع شمعة أوقدها في أتون حَمَام بأصفهان، وأنّها كانت تكفي لتدفئة حَمَام بكامله مدّة طويلة، دون أن تتغيّر الشمعة.

وينسب إليه أنّه صنع ساعة دوّامة الحركة، دون أيّ حاجة إلى مَنْ يحرّكها^١. كما نسب إليه غرائب كثيرة لا مجال لذكرها الآن.

والأرجح أنّ شخصية البهائي في ميادين العلم والفنون، ومكانته الشهيرة من أكثر الثقافات التي عرفت في عصره، والتي تجاوزت أصدائها في أنحاء العالم الإسلامي، قد نسجت من حوله هالة رائعة، كانت العامل القوي في أكثر ما ينسب إليه من غرائب وأساطير.



وللبهائي مؤلفات وكتب قيّمة، حظيت باهتمام العلماء ودراساتهم، وأكثرها مطبوع، كما أنّ بعض كتبه في الحساب والهندسة والفلك قد نال عناية كبيرة، فشرحت وعلّق عليها.

وتمتاز مؤلفاته بصفة عامّة بأنّها خالية من الحشو، وأنّ قارئها لا يخرج منها إلّا بفائدة.

١. أنظر (أجوبة المسائل الدينية) عدد ٦ الدورة ٤ شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩، وهي نشرة تصدر في كربلاء

ومؤلفاته هذه قد تناولت جوانب كثيرة من الثقافة والفكر، وأتت على هذه الجوانب باستيعاب وهضم.

ويعدّ البهائي من المخصّبين في الإنتاج، فقد ترك أكثر من خمسين مؤلفاً، وظلّت آثاره ومؤلفاته مرجعاً يؤخذ عنه ويعتمد عليه، ولا زال بعض كتبه في الحساب والهيئة يدرّس في جامعات النجف وإيران وغيرهما إلى اليوم. ومن مؤلفاته :

١ - رسالة تحقيق جهة القيلة باللغة العربيّة، منها نسخة ضمن مجموعة في خزانة كوركيس عوّد، ونسخة أخرى مخطوطة موضّحة بأشكال فلكيّة كتب في أواخر رجب سنة ١١٧٨ هـ وهي موجودة عند صاحب تاريخ علم الفلك في العراق الأستاذ عبّاس العزّاوي^١.

٢ - بحر الحساب وهو كتاب كبير في الحساب^٢.

٣ - خلاصة الحساب لخصه من كتابه الأول بحر الحساب واشتهر أكثر منه، وهو أجمع كتاب لفنون الحساب، وكان موضع اهتمام ودراسة حتّى اليوم في بعض الجامعات الشيعيّة، وأخذ شهرة كبيرة في الأقطار بين الطّلاب والعلماء، وهو مرّتب على مقدّمة وعشرة أبواب وخاتمة، وقد كتب عنه الأستاذ طوقان بإسهاب ممّا هو جدير بالمطالعة^٣.

وطبعت الخلاصة في إيران والهند واسطنبول ومصر كما ترجم إلى الألمانيّة سنة ١٨٤٣ م في برلين وترجم إلى الافرنسيّة في عام ١٨٦٤ م.

وقد حظي هذا الكتاب بشروح العلماء وتعليقاتهم، ومن ذلك :

(١) شرح المولوي عصمة الله بن أعظم بن عبد الرسول السهارنغوي (المتوفّى

١ . تاريخ علم الفلك في العراق : ٢٩٧.

٢ . أنظر : الذريعة ٣ : ٣٥.

٣ . راجع تراث العرب : ٤٢٨ - ٤٣٥.

سنة ١٠٣٩ هـ) والمعاصر للبهائي المؤلف.

(٢) شرح نظام الدين المرتضى بن حسن بن مرتضى العاملي الكاظمي اسمه تشریح الحساب.

(٣) شرح محمد علي الكرمانی، واسمه تشریح الحساب أيضاً.

(٤) توضیح خلاصة الحساب، بالفارسیّة، لمحمد أمين النجفي الحجازي القمي، وهو من تلاميذ البهائي.

(٥) إيضاح الحساب لفخر الدين بن محمد علي الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ، ألفه في أصفهان وأتمه سنة ١٠٨٣ هـ منه نسخة في خزانة آل الطريحي في النجف الأشرف.

(٦) حلّ الخلاصة لأهل الرياسة، لرمضان بن أبي هريرة الجزري القادري، فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٢ هـ منه نسخة بدار الكتب المصريّة.

(٧) شرح جواد بن سعد بن جواد الكاظمي، منه نسخة بخط أبي الثناء محمود الألوسي مؤرّخة في ١٥ شهر رمضان سنة ١٢٣٧ هـ، وهناك نسخ أخرى في مكنتبات بغداد.

(٨) تحفة الطلاب في حلّ خلاصة الحساب، لعبد الرحمن بن عبد الله الحلّي المشهور بـ«كاك حلّي» منه نسخة في خزانة الأوقاف العامّة في بغداد من كتب نعمان خير الدين الألوسي، كتبها سنة ١١٨٦ هـ.

(٩) توضیح خلاصة الحساب للشيخ عبد النبي بن علي الكاظمي المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ.

(١٠) توضیح الحساب، وهي حواشي على الخلاصة للمولى محمد تقی الدين بن حسن الهروي الأصفهاني المتوفى عام ١٢٩٩ هـ. وغير ذلك من الشروح الكثيرة.

٤ - تشریح الأفلاك مع حواشيه، وهو مختصر طبع في الهند مراراً، ومنه نسخ

- مخطوطة كثيرة في مكتبات إيران والعراق وغيرهما .
- وقد نال عناية العلماء واهتمامهم ، وتناولوه بالشرح والتعليق ، ومن ذلك :
- (١) شرح القاضي نور الله التستري المرعشي المتوفى في القرن العاشر الهجري .
- (٢) شرح الشيخ محمد بن عبد علي البحراني .
- (٣) شرح السيد محمد الشرموطي .
- (٤) شرح فضل بن محمد الشريف الكاشاني ، ألفه سنة ١٠٧٢ هـ .
- (٥) شرح فرج الله بن محمد بن درويش الحويزي ، وهو من المعاصرين للحرّ العاملي .
- (٦) شرح السيد شمس الدين علي بن محمد بن علي الحسيني الخلخالي من تلاميذ البهائي ، وألفه في حياة أستاذه سنة ١٠٠٨ هـ .
- (٧) شرح السيد صدر الدين محمد بن محمد صادق القزويني المعاصر للحرّ العاملي ، واسمه تفريح الإدراك في توضيح تشريح الأفلاك .
- (٨) شرح المولوي عصمة الله بن أعظم بن عبد الرسول السهارنغوي (المتوفى سنة ١٠٣٩ هـ) ، واسمه باب تشريح الأفلاك .
- (٩) شرح إمام الدين اللاهوري المهندس ، واسمه التصريح أو التوضيح ، طبع في دلهي ١٩١٢ هـ و فرغ من تأليفه سنة ١٣٠٣ هـ .
- (١٠) شرح المولى عبد الكاظم ، اسمه برهان الإدراك أو نهاية الإدراك .
- (١١) شرح السيد علي الطباطبائي ، طبع في الهند سنة ١٣٠٠ هـ .
- (١٢) شرح علي بن عبد الله العلياري التبريزي المتوفى عام ١٣٢٧ هـ .
- وسوى ذلك من الشروح التي ذكرها الطهراني^١ .
- وقد ابتدأ البهائي كتابه تشريح الأفلاك بقوله :
- «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا...» وهو مرتَّب على مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة .

٥ - جبر الحساب مات قبل الفراغ منه، وفيه تفصيل لبراهين كثيرة من النظريات الهندسيّة، وقوانين المساحات والحجوم، وعدد من المبادئ الحسابيّة، وأدخل فيه أيضاً طرقاً جديدة لحلّ مسائل مختلفة صعبة، تشدّ الذهن، وتمرّنه على حلّ الأعمال المعقّدة^١.

٦ - الصفيحة في الأسطرلاب باللغة العربيّة، منها نسخة في خزانة المتحف العراقي، وهي في ستّ صفحات نقلت عن خطّ المؤلّف^٢، وعليه شروح منها: (١) سوانح الفريحة في شرح الصفيحة، للسّيّد عبد الله الفخري الموصلي. (٢) رسالة في كيفيّة العمل بالصفيحة، له أيضاً، وهذان الشرحان منهما نسختان في خزانة الأوقاف في بغداد. (٣) نقش الصحيفة في شرح الصفيحة، تأليف أحمد بن محمّد بن خضر البغدادي.

٧ - كتاب الأسطرلاب بالفارسيّة سمّاه التحفة الحاتميّة، وهو مختصر من كتاب بيست باب لنصير الدين الطوسي، وقد طبع في إيران سنة ١٣١٦ هـ.

٨ - الجفر، صرّح باسمه ونسبه في الخطبة، أوّله: الحمد لله الذي كشف علينا رموز الغرائب بفيضه، ربّبه على مقدّمة وستّة فصول، وفي المقدّمة ثلاثة مطالب، ذكر فيها ما يتوقّف عليه استخراج السؤال، رآه الطهراني في كربلاء^٣.

٩ - شرح الجعمني في الهيئة، ولعلّه شرحه على شرح الرومي على الملخص.

١٠ - الرسالة الاعتقاديّة، مطبوعة في عام ١٣٢٦ هـ مع منظومة مواهب المشاهد

لهبة الدين الشهرستاني.

وقد بيّن فيها عقائد الإماميّة وميّزهم عن سواهم من الفرق الأخرى المتشيعة،

١. أنظر تراث العرب: ٤٣٥.

٢. تاريخ علم الفلك في العراق: ٣٠١.

٣. أنظر الذريعة: ١٢٢: ٥.

وأصحاب العقائد غير المرضية^١.

- ١١ - إثبات الأنوار الإلهية، منه نسخة في مكتبة راغب باشا في استانبول.^٢
١٢ - رسالة الجوهر الفرد، وهي في إبطال الجوهر الفردي، ذكره في كشكوله، ونقل قطعة منه.

- ١٣ - رسالة في نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض.
١٤ - رسالة في أن أنوار الكواكب مستفادة من الشمس.
١٥ - رسالة في حل إشكال عطارد والقمر.
١٦ - شرح الفرائض النصيرية، للمحقق الطوسي، لم يتم.
١٧ - جواب ثلاث مسائل عجيبة.
١٨ - جواب المسائل المديتات.
١٩ - جواب مسائل الشيخ صالح الجزائري، وهي اثنتان وعشرون مسألة.
٢٠ - الجبل المتين، جمع فيه الأخبار الصحاح والحسان والموثق.
٢١ - مشرق الشمسين، في الحديث أيضاً.
٢٢ - الفوائد الصمدية، ألفها لأخيه الشيخ عبد الصمد.
٢٣ - تهذيب البيان في النحو أيضاً.
٢٤ - الزبدة في أصول الفقه، وقد شرحها المحقق جواد الكاظمي، وهي مختصرة جامعة، وهذه الكتب الخمسة الأخيرة كلها مطبوعة.
٢٥ - حاشية على شرح العضدي على مختصر الأصول.
٢٦ - رسالة في الموارد.
٢٧ - رسالة في علم الدراية، وهي مطبوعة في آخر أمل الآمل.
٢٨ - الكشكول وهو في ثلاثة أجزاء، وقد طبع في إيران ومصر، وهو مجموعة

١. الذريعة ٢: ٢٣٨.

٢. الذريعة ١: ٨٥.

قيّمة، تحتوي على كثير من فصول علميّة في الهندسة والفلسفة والأدب والشعر والتاريخ، وعلم المناظر والضوء والجبر والحساب وسوى ذلك.

٢٩ - المخلاة وهو مجموعة فيها فوائد كثيرة. وطبعت في مصر وإيران.

٣٠ - توضيح المقاصد فيما اتّفق له في أيّام السنة وفي وقائع الأيّام، وذكر فيه

وفيات بعض العلماء، وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ هـ مع شرح بائيّة الحميري، كما طبع في إيران سنة ١٣١٥ هـ.

٣١ - العروة الوثقى في تفسير القرآن.

٣٢ - شرح أربعين حديثاً وفيه تحقيق وفوائد جمّة، وقد طبع في إيران سنة

١٣١٠ هـ.

٣٣ - الجامع العباسي، ألفه للشاه عبّاس الصفوي.

٣٤ - شرح على اثنا عشرية الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

٣٥ - حواش على كتاب مختلف الشيعة.

٣٦ - حاشية على تفسير البيضاوي.

٣٧ - كتاب سوانح سفره إلى الحجاز، أكثره بالفارسيّة.

٣٨ - عين الحياة، وهو في تفسير القرآن.

٣٩ - شرح الصحيفة المعروف بـ حدائق الصالحين.

٤٠ - مفتاح الفلاح في أدعية اليوم والليلة وأعمالهما، وهو مطبوع في مصر

وإيران.

٤١ - حاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه في الحديث.

٤٢ - حواش على الزبدة لنصير الدين الطوسي.

٤٣ - حواش على التذكرة في الهيئة للطوسي أيضاً، وله مؤلّفات كثيرة غير ذلك

في الفقه والحديث وسواهما.

٤٤ - الملخص في الهيئة.

وتقوم شهرة البهائي في الأكثر على بعض من مؤلفاته، مثل خلاصة الحساب و تشریح الأفلاك وقد عرفت شيئاً عنهما، ومثل كتابه الكشكوك الذي طبع مراراً في إيران ومصر.

وكتابه المذكور يعدّ من أروع الكتب وأكثرها فائدة، وأجمعها لفنون المعرفة، وقد اشتهر اشتهاراً كبيراً في الأوساط العلميّة والأدبيّة.

وقد جمع البهائي فيه من الشوارد العلميّة، والفوائد الثقافيّة، والنوادر الأدبيّة، ما يغني عن كتب كثيرة في هذا الباب. وهو مجموعة قيّمة، تشتمل على بحوث فلسفيّة وعرفانيّة وصوفيّة، كما تشتمل على مسائل مبسّطة من علم المناظر والرؤية، وعلى جانب كبير من الهندسة والجبر والحساب.

كما تجده قد تناول فيه التفسير لكثير من آيات القرآن، وعرض فيه لمسائل غير قليلة من الفقه.

أمّا الأدب والشعر والتاريخ فهو الشيء الكثير البارز، الذي يواجه القارئ. كما جمع إلى ذلك ألغازاً حسابيّة وأعمالاً جبريّة، وألغازاً شعريّة وأدبيّة وسواها.

ويتمثّل البهائي في كتابه الكشكوك بروحه الصوفيّة، واتّجاهاته العرفانيّة، وتبرز فيه هذه الخصائص بروزاً واضحاً. فهو يكثر من ذكر الصوفيّين، وحكاياتهم وكلماتهم وأشعارهم وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بهذا الموضوع.

ويبرز فيه البهائي أدبياً، دقيق الملاحظة، وشاعراً له في الشعر الملكة القويّة. وهو ينحو في شعره وجهة عرفانيّة، وعليه مسحة فلسفيّة ظاهرة. كما تناول فيه أيضاً معنى الموسيقى وأقسامه، والسحر وأنواعه، وبحث مسائل من علم الفلك بإسهاب.

كما تجد فيه بحوثاً فلسفيّة وكلاميّة كثيرة يلتقي بها القارئ في صفحاته. ومن آثاره القيّمة رسالته في الجوهر الفرد، وقد ذكرها في كتابه الكشكوك، وهي

في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ، وقد أقام تسعة براهين على إبطاله، وروح هذه البراهين قائمة على أدلة رياضية هندسية.

قال في الكشف :

من رسالتي الموسومة بالجواهر الفرد وما سنع بخاطري في إبطال تركيب الجسم من الأجزاء التي لا تتجزأ، سوى الوجوه الستة السابقة .

أن نفرض مثلثاً متساوي الساقين، كلّ منهما ثمانية أجزاء، وقاعدته سبعة، فما بين طرفي ساقيه خمسة من قاعدته، لاشتراك طرفيها، والثامن الذي هو رأس المثلث مشترك أيضاً، فما بين الساقين، إذا كان واحداً، فبين السادسين اثنان، وبين الخامسين ثلاثة، فبين الأولين سبعة، وقد كان خمسة. هذا خلف. وإن كان أكثر فالفساد أشدّ، فهو أقلّ من جزء، فافهم.

- قال :- وقد لاح لي وجه ثامن، وهو : أن نفرض دائرة، ونصل بين جزئين منها بالقطر. ثمّ بين ثمانية يتوسطها القطر، وبين نظائرها أوتار ثمانية، ونصل بين الطرفين الأقصرين بخطّ مستقيم، فهو تسعة أجزاء ووتر القوس، وهو تسعة أيضاً، فقد ساوت قاعدة القطعة قوسها.

- قال :- «ولنا وجه تاسع لطيف ذكرته في لغز موسوم بـ (رتبة الوصول) فهذه وجوه تسعة في إبطال الجزء لم يسبقني إلى شيء منها أحداً».

١ . أنظر الكشف : ٩٣. وقد رجعنا في دراسة البهائي إلى (تاريخ علم الفلك في العراق) : ٢٩٦ - ٣٠٢؛ وتراث العرب العلمي : ٥٢٧ - ٤٣٥؛ وروضات الجنّات : ٥٣٢ - ٥٤٠؛ والكنى والألقاب ٢ : ٨٩ - ٩١؛ والذريعة في أجزائها الأحد عشر المطبوعة : وأعيان الشيعة ٢٦ : ٢٧٠ - ٢٧٦ في ترجمة والده حسين عبد الصمد العاملي، وفيها شيء من أخبار ولده البهائي، وقد رجعنا إلى هذا الجزء قبل صدور الجزء المشتمل على ترجمة البهائي.

بهاء الدين العاملي في طبقات أعلام الشيعة^١

الشيخ آقا بزرگ الطهراني

بهاء الدين العاملي :

محمد بن عزّ الدين حسين بن عبد الصمد الحارثي (٩٥٢ - ١٠٣٠) ولد في بعلبك يوم الأربعاء ١٧ / ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كما في السلافة أو اثنين وخمسين كما عن بعض تلاميذ البهائي. ولكن ذكر المجلسي الأوّل ما يقتضي أن يكون عمر البهائي حين وفاته في سنة ثلاثين وألف، إمّا إحدى وثمانين وإمّا اثنتين وثمانين سنة. وقد أرّخ وفاة البهائي تلميذه هاشم بن أحمد بن عصام الدين الأتكاني على ظهر نسخة من «الاثني عشرية» للبهائي، بعدما كتبه بخطّه وقرأه على أستاذه المؤلّف، وكتب البهائي إجازة له بخطّه في موضعين من النسخة. وهي موجودة في (الرضويّة) تأريخها رجب ١٠٣٠.

وبالجملة فقد ورد المترجم له بلاد إيران مع والده في عصر أستاذه المؤلّف، وكتب البهائي إجازةً له بخطّه في موضعين من النسخة وهي موجودة في (الرضويّة) تأريخها رجب ١٠٣٠. وبالجملة، فقد ورد المترجم له بلاد إيران مع والده في عصر

١. طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر، الشيخ آقا بزرگ الطهراني، ص ٨٥ - ٨٧.

طهماسب (٩٣٠ - ٩٨٤) واشتغل على العلماء كوالده وعبد الله ابن شهاب الدين اليزدي ومحمد باقر اليزدي وعليّ المذهب وأفضل القايني واعتماد الدين محمود وأحمد الكچائي وغيرهم، حتّى برع في فنون عصره بشهادة تصانيفه في التفسير والفقه والأصول والأدبيات والرجال والتواريخ والعلوم وأفتى بوجوب تعريب الصلاة في الاثنى عشرية فانصب لمقام «شيخ الإسلام» ثم استعفى عنه وساح البلاد ثلاثين سنة وحصلت عنده خزانة كتب كبيرة فيها كتب وافرة كثيرة، منها الأربعة آلاف كتاب التي جاء بها الشيخ علي المنشار من بلاد الهند، وانقلت بعده إلى بنته العالمة المدرّسة زوجة البهائي، فأوقفها جميعاً البهائي وعمل خاتماً كبيراً للوقفية، رأيته على نسخة الذكرى عند الحاجّ الشيخ عباس القمي صاحب هدية الأحاب مکتوب في الخاتم [هذا ممّا وقفه العبد بهاء الدين محمد، على الطلبة الإمامية بتولية ابن أخيه وسمي أبيه حسين بن عبد الصمد، ثمّ الأتقى من بنيه وبنينهم، ولو كان أبعد ١٠٣٠] وذلك لأنّه لم يعقب ولداً. وذكر في الرياض ووقية الكتب الكثيرة وتلفها لعدم اهتمام المتولي. ويظهر من تأريخ هذا الخاتم أنّ وقفه للكتب كان في السنة الأخيرة من عمره. وممن انتسب إلى الشيخ البهائي الميرزا محمد الخطّاط الكلبيگاني المتخلص بـ «گلشن» (ذ ٨ : ٩٣٣) فإنّ بينه وبين جدّه البهائي سبعة آباء.

أقول: ويروي البهائي في كتابه الأربعين (ذ ١ قم ٢١٨٠) عن والده عزّ الدين حسين في الثلاثاء ثاني رجب سنة ٩٧١ في داره بمشهد طوس.

بهاء الدين العاملي وفكره المتّصل والمنفصل^١

الدكتور عبد الكريم اليافي

الحمد لله الأكرم الذي هدانا إلى الطريق الأقوم، والصلاة والسلام على سيّد الجهات من شمال وجنوب وشرق وغرب وما فيهنّ من خلائق وأمم. وبعد؛ فإنّ بهاء الدين العاملي عبقرية من عبقریات الحضارة العربيّة الإسلاميّة، بزغت من بلاد الشام وتقلّبت كالكوكب الدريّ في ربوع العالم العربي والإسلامي الواسعة. فقد ولد محمّد بن حسين بن عبد الصمد في بعلبك سنة ٩٥٣ هـ = ١٥٤٧ م، من أسرة عربيّة الأصل ترجع في نسبها إلى الحارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه.

وكانت قبيلته حيّاً من اليمن. وتوفّي بهاء الدين بأصفهان سنة ١٠٣٠ هـ أو ١٠٣١ هـ = ١٦٢١ / ١٦٢٢ م عن عمرٍ يناهز الثامنة والسبعين قضاء في العلم والعمل والعبادة والسياحة. ونقل جثمانه إلى مدينة مشهد فدفن فيها. تاريخ وفاته مختلف فيه ويقع هذا الاختلاف في مجال سنة واحدة. وأكثر

١. مجلّة الثقافة الإسلاميّة، العدد الخامس ١٤٠٦ هـ، ص ٨٢-٩٧، التراث العربي، السنة السابعة، ش ٢٥-٢٦.

المحققين على أنه سنة ١٠٣٠، ولكن روي أيضاً عام ١٠٣٥. وحسبنا هنا ملاحظة واحدة عابرة على هذه الروايات وهي أنه من المعروف في علم السكّان أنّ الأرقام التي تنتهي بالصفّر أو الخمسة ذات جاذبيّة خاصّة بحيث تقرّب منها الأعمار فتتراكم عندها.

عاش بهاء الدين في النصف الثاني من القرن العاشر والرّبع الأوّل من القرن الحادي عشر الهجريّين، أي في النصف الثاني من القرن السادس عشر والرّبع الأوّل من القرن السابع عشر الميلاديّين، وهو عهد ذو أهميّة كبيرة عند المؤرّخين، هو عهد الملوك العظام من أمثال السلطان العثماني سليمان القانوني، ملك في سنة ١٥٢٠ حتّى وفاته سنة ١٥٦٦، وصلت جيوشه فحاصرت مدينة فيينا عاصمة النمسا عام ١٥٢٩، والشاه عبّاس الأوّل الصفوي في إيران ملك من سنة ١٥٨٧ حتّى وفاته عام ١٦٢٩، والسلطان المغولي جلال الدين محمد شاه أكبر في الهند ملك من سنة ١٥٥٦ حتّى وفاته عام ١٦٠٥، والملكة اليزابيث الأولى في إنكلترا ملكت من عام ١٥٥٨ حتّى وفاتها عام ١٦٠٣، ولويس الرابع عشر في فرنسا انتحل زهواً لقب الملك الشمس حكم بعدهم بقليل من سنة ١٦٤٣ حتّى وفاته عام ١٧١٥.

شهر هؤلاء الملوك والسلّاطين بحبّ العلم والاهتمام بالعمران وتحسين مرافق الدولة، كما شهرت اليزابيث بالتشجيع على التجارة وعلى الاستعمار البغيض. في ذلك العهد نشأ بتلك الدول علماء وفنّانون كبار. نشأ في إنكلترا فرنسيس بيكون صاحب الطريقة التجريبيّة (١٥٦١ - ١٦٢٦) التي أفاد فيها من مضمون التراث العلمي العربي، والشاعر شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) وفي فرنسا الفيلسوف روني ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠)، والراهب الرياضي غاسندي (١٥٩٢ - ١٦٥٥)، والشاعر المسرحي كورني (١٦٠٦ - ١٦٨٤)، وقد ولد مولير في سنة ١٦٢٢ أي في عام وفاة بهاء الدين العاملي تقريباً، وفي أسبانيا الكاتب المشهور

سرفانتيس صاحب دون كيخوت (١٥٤٧ - ١٦١٦)، والمصوّر الكبير فيلا سكينز (١٥٩٩ - ١٦٦٠)، وفي ألمانيا الفلكي كيبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠)، وفي إيطاليا الفيزيائي والفلكي غاليلو (١٥٦٤ - ١٦٤٢).

وفي بلاد العرب والإسلام كتاب وفلاسفة ومؤلفون ومؤرخون وعلماء يضيق هذا الحديث عن تعدادهم. منهم - بل في طليعتهم -: بهاء الدين العاملي، والفيلسوف الإسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي محمد بن إبراهيم (وفاته عام ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م). ونحن هنا ذكرنا أمثلة على العبقريات الأجنبية المعاصرة دون حصر ولا استقصاء.

لقد كان عهد تلك الدول جميعاً في إقبال إبان تلك الحقبة.

لقد بلغ نجم الدولة العثمانية الأوج في زمن سلطانها سليمان القانوني ثم لم يُعتم أن مال إلى الانحدار بعده، وبدأت الصروف تتصعب وتسوء ولا سيما في البلاد العربية ومنها بلاد الشام، فقد أهملت هذه الربوع وغدت الولاية تُسمّى عليها وهي موطن العمل في دون اختيار الجديرين والمصلحين. «تعاقبت على دمشق خلال القرن الحادي عشر الهجري واحد وثمانون والياً وعلى حلب تسعة وأربعون والياً فكان الوالي لا يتمكّن من الإصلاح إن أرادته وقلبه متعلّق أبداً بثبات منصبه، والغالب أنّه لا يتوفّر على غير جمع المال بالطرق المتنوعة ليوفي ما عليه من المقرّر لجماعة الآستانة من الأموال. وكان الولاية يبتاعون الولاية ابتياعاً والمزايد الأكبر هو الذي توسّد إليه»^١.

وروي أنّ السلطان مراداً في عهد العاملي أمر «أن يكتب إلى أحمد باشا كوجك والي الشام بأن يدفع إلى السلحدار باشا عشرين ألف ليرة ويبقى في منصبه فاضطرّ الوالي أن يؤدّي المبلغ. ومن أهمّ أدوات التخريب في هذا القرن خروج جند

الإنكشارية عن حدّ الاعتدال وكثرة اعتدائهم على الرعية يستطيلون على أموالها وأعراضها ويثلمون شرفها ويذلّون أعزّتها وهم القوّة القاهرة وأذاهم لاحق بالكبير والصغير»^١.

وقد روى المؤرّخون فيما روه أنّه في سنة ألف هجرية أمر قاضي دمشق مصطفى بن سنان بقيام النّوّاب من المحاكم وإغلاق أبوابها فأغلقت أسواق البلد كلّها. وسبب ذلك أنّ الدفتردار محموداً ارتشى من ابن الأقرع بخمسة عشر ألف دينار وولاه على بعلبك بدل ابن الحرفوش فأدّى ذلك إلى خراب بعلبك - مسقط رأس العاملي - ظاهرها وباطنها، ورحل أهلها عنها حتّى تعطلّت الأحكام الشرعيّة وعتا بها ابن الأقرع وأتباعه وصادر الناس مصادرة ليوفي بها المال الذي التزم به للسلطة^٢، ثمّ إنّ أرباب النفوذ وطائفة من العلماء في البلاد كانوا فاسدين متفرّقين متملّقين للولاة والحكّام، ولو كانوا صالحين متعاونين لما استطاع الحكّام والولاة أن يفعلوا شيئاً، ناهيك بالشعب يعاني أصناف العسف والضغط والاستغلال.

كذلك بلغت الدولة الصفويّة أوجها بزعامة الشاه عبّاس الذي كان أعظم ملوكها، على أنّ العداء كان مستحكماً بين الدولة الصفويّة الشيعيّة والدولة العثمانيّة السنيّة، وجرت حروب شعواء بينهما مع أنّ مثلهما الدينيّة من ينبوع واحد. وقد استعان الشاه عبّاس ببعض الضبّاط الإنكليز لينظّموا له جيوشه ويناوش بها الدولة العثمانيّة. والغريب في هؤلاء الملوك المسلمين أنّهم يستعينون بأعدائهم على أبناء ملّتهم. وفي عام ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م نقل الشاه عبّاس العاصمة من قزوین إلى أصفهان واختصّها بعناية فائقة وسرعان ما زحرت المدينة بالنشاط والفنون والصنائع. وعُني الشاه بالثقافة الأدبيّة والفنون والعمارة وبناء القصور والمزارات

١. المرجع نفسه.

٢. خطط للشام ٢: ٢٣١.

وتقريب العلماء واجتذابهم وإن ظلّت الأحوال الداخليّة يخامرها الفساد والارتشاء .
ثمّ تردّت تلك الأحوال في الداخل والخارج تردّياً سريعاً بعد وفاته .
ولم تكن الدولة المغوليّة في الهند في عهد سلطانها شاه أكبر بأقلّ احتفالاً بالعلم
وأهله وبالعمران وضبط أحوال الرعيّة بل كانت أعلى شأنًا في هذه الميادين . كان
هذا السلطان الذي يكاد يعرف القراءة والكتابة مشغولاً بالعلم والفلسفة متفهّماً
لمسائلهما عميق الإدراك لقضايهما ، كان يجمع العلماء من مختلف المذاهب لعلّه
يستطيع توحيدها فيجمع الشعب المتفرّق على منهج واحد ويريح الناس من تشتّتهم
أدياناً ونحلاً وطوائف .

كان عهده عهد حرّيّة وتسامح وتعظيم للفكر في وقت كانت أوروبا تجتاحها
عواصف مدمّرة من التعصّب ؛ إذ كان الكاثوليك يفتكون بالبروتستانت في فرنسا ،
والبروتستانت يذبّحون الكاثوليك في إنكلترا ، ومحاكم التفتيش تنكّل ببقايا
المسلمين واليهود في أسبانيا ، ورجال الكنيسة يحرقون جمهرة من العلماء بتهمة
الهرطقة في إيطاليا .

في هذا الإطار التاريخي ظلّت بلاد الشام بما تأثّل فيها من علم ومجد وأماكن
مقدّسة مطمح الباحثين والسائحين والعلماء ، وبهذه الصورة التي عرضناها نتفهّم
تقلّب بهاء الدين العاملي في ربوع البلاد العربيّة والإسلاميّة حتّى إنّهُ قضى في
سياحته كما يذكر الرواة نحو ثلاثين عاماً أضاف في هذه السياحة إلى علمه خبرة
واسعة بصروف الدنيا وحوادث الزمان على أنّ رواية سياحته وتغرّبه هذه إن شكّ
فيها بعض الباحثين فهي عندنا مقبولة إذا اعتبرنا محلّ إقامته موطنه الأوّل بعلبك
وموطنه الأخير أصفهان ؛ لأنّ السياحة والهجرة لا بدّ فيها من النظر إلى محلّ الإقامة
الذي وطّن السائح المهاجر عزمه على اللبث فيه .

لقد نشأ بهاء الدين في بيت علم وأدب ودين وتقوى ، والده حسين بن عبد
الصمد عالم فقيه رياضي شاعر ، ومن المعروف في العصر الحديث وباعتماد

الإحصاء أنّ النوابع في بيوتات معروفة بالعلم أكثر احتمالاً منهم في غيرها، إذ ينشأ الفتى فيتلقى ثمرات العلم والمعرفة دانية قطوفها لديه، فلا بدّ من أن يفيد هذا الجوّ العلمي وأن يتذوّق حلاوته ويدرك علوّ درجات أصحابه. لقد كان هذا الأب الفاضل حريصاً على تخريج ولده في المدرسة الأولى مدرسة البيت خير تخريج سواء في الأخلاق الحميدة والمزايا الرشيدة وفي قرض الشعر والتفتّح على عالم الرياضيات والعلوم وحبّ آل البيت، شأنه في ذلك شأن غالبية العلماء في ذلك الوقت إذ كانوا موسوعيّين متبحّرين في علوم شتى، وكان العلم في ذلك الزمان الغاية المثلى للإنسان المسلم، وكانت قيمة المرء فيما يحسن من علوم لا فيما يملك من مال ومتاع، هذا إلى وجود رعا ع من الولاة والحكّام لا همّ لهم إلّا جمع الحطام وتكديس المال الحلال والحرام.

ولم يكد الفتى يتعرّع حتّى جمع إلى حبّ العلم والتبحّر فيه حبّ السفر والسياحة، شأنه في ذلك شأن أبيه، ويظهر أنّه رافق أباه إلى قزوين وكانت في ذلك العهد عاصمة للصفويّين وشهدت حركة علميّة واسعة، ثمّ سافر أبوه إلى هراة وتركه. ونجد في شعر الفتى الناشئ رغبة في اللحاق بأبيه. وقد أصيب في قزوين برمد تطاول أمده فأزعجه يذكر ذلك في أرجوزته الطويلة :

مقرحٍ للقلب من فرط الكمد	بليتُ في قزوين وقتاً برمد
يرضي اللبيب الحاذق الفهيم	يمنع من صرف النهار فيما
أو درسٍ أو عبادةٍ أو فكرٍ	من بحثٍ أو تلاوةٍ أو ذكرٍ
لأنّها من شيم الجهالة	ولم يكن من عادتي البطالة
... .. الخ	

ولكنّه لم يلبث أن لحق بهراة التي أحبّها فوصف طبيعتها ومرافق الحياة فيها وصفاً بديعاً في تلك الأرجوزة نفسها.

إنّ بهاء الدين لم يسجّل أحداث سياحاته الطويلة التي استمرّت ثلاثة عقود كما

سلف آنفاً ولا أزمانها ولكننا نجد لمعاً من أخبارها منشورة في ثنايا تأليفه وفي روايات معاصريه ومؤرخيه. فلقد زار بلاد الشام كلّها تقريباً والقدس وتركيا العثمانية ومصر والحجاز كما أنّه لم يترك ناحية من نواحي المملكة الإيرانية إلا زارها ولا سيّما بعد أن تلقّاه الشاه عبّاس ومكّن له في دولته وقربّه منه وغداً رئيساً في دار السلطنة بأصفهان وشيخ الإسلام فيها. وقد رافق هذا السلطان في سياحاته وحروبه فزار خراسان وأذربيجان وأران وديار الكرج.

ويذكر المؤرّخون أنّ البهائي كان مطبوعاً على حبّ الحرّيّة ومجافاة التصنّع والتكلّف، مشغولاً بمظاهر البساطة في الحياة، حسن الاختلاط بالناس، محبّاً للخير، ميّالاً إلى التصفّو السليم إلى جانب علومه الواسعة. ولا أستطيع أن أملك نفسي دون ذكر هذه النادرة في علاقاته بأقرانه، فقد حُكي أنّ الشاه عبّاساً ركب يوماً إلى بعض متنزهاته وكان البهائي والداماد (صهر السلطان) في موكبه إذ كان غالباً لا يفارقهما وكان الداماد عظيم الجثّة والبهائي نحيفها، فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما فقال للداماد وهو راكب فرسه في مؤخّرة الجمع، وقد ظهرت عليه آثار الإعياء والتعب، والبهائي في مقدّمة الركب: ألا تنتظر إلى هذا الشيخ كيف تقدّم بفرسه ولم يمشِ على وقار كما تمشي أنت؟ فقال الداماد: أيّها الملك! إنّ جواد الشيخ قد استخفّه الطرب عن ركبه فهو لا يستطيع التأمّني. ألا تعلم من ركبه! ثمّ قال للبهائي: يا شيخنا، ألا تنتظر إلى هذا السيّد كيف أتعب مركبه بجثمانه الثقيل؟ والعالم ينبغي أن يكون مرتاضاً مثلك خفيف المؤونة؟ فقال البهائي:

أيّها الملك إنّ جواد الشيخ أعيا بما حمل من علمه الذي لا يستطيع حمله الجبال.

فعند ذلك نزل الشاه عن جواده وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء.

وهكذا يسعد الزمان وأهله بأمثال هؤلاء العلماء المتواضعين المتعاونين على

حين نجد في العصر الحاضر من أَلَمَّ بطرفٍ من العلم يتنطَّع ويطاول الذرى العالية .
هذا وكان البهائي واثقاً بنفسه عارفاً قدرها وهو القائل :

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أُخاطب أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
ومع هذا فقد كان في قرارة نفسه يؤثر التفرُّع للعلم والتخلّي للعبادة واعتزال
الملوك والبعد عن المناصب ؛ لأنّ بلاط الحكم لا يخلو من دسائس ومن حسد
ومناوأة وأطماع ومنافسة . وقد كتب يحاسب نفسه أيّ حساب ويحنّ إلى وطنه
العربي على الرغم من الصروف التي اعتورت هذا الوطن :

«لولم يأتِ والذي قدّس الله روحه من بلاد العرب ، ولولم يختلط بالملوك لكنت من
أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم ، لكنّه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه
الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتّصفت بصفاتهم ثمّ لم
يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلّا القيل والقال والنزاع والجدال ، وآل الأمر أن
تصدّى لمعارضتي كلّ جاهل وجسر على مباراتي كلّ خامل» .

نقول : هذا شأن كلّ مبرز في العلم والمعرفة ، سليم القلب طيّب السريرة . أمّا ما
جاء في كتاب الكشكود من إحماض ومن شعر خليع لابن حجاج أحياناً فمحمل
ذلك على التفكّه وعلى الرغبة في إجمام القلب والترويح عن النفس الدؤوب في
العمل الجادّ ، ويبدو لنا أنّ البهائي كان مجاملاً في حياته للحكّام وللجهّال شأنه في
ذلك شأن العلماء الذين يتحامون الشرور والاضطهاد ما استطاعوا ، ولكنّه لم يكن
راضياً عن الأحوال الداخليّة التي كانت في بلاد الإسلام ، إنّ بيت الشعر السالف :

أُخاطب أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
دليلٌ على ما يذهب إليه من وصفه بالمجاملة . ولذلك يحسن بمطالع كتبه
وأشعاره في جانب ما زخرت به من فوائد جمعها أن ينتبه إلى ما أدمجه فيها من

فقرات وحكم ومواعظ. ففي الجزء الثاني من الكشكول^١ وردت رواية عن عليّ بن أبي رافع الذي كان على بيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام في شأن إعارته بنته عقداً عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيّام. فهذه موعظة للولاة والحكّام. وفي الجزء نفسه موعظة للمتنفّذين وهي أنّه «مرّ ديوجانس الحكيم بشرطي يضرب لصاً فقال: انظروا إلى لصّ العلانية يضرب لصّ السرّ». وعندنا أنّ قصيدته في اللغة الفارسيّة التي يصف فيها شاباً تقيّاً صالحاً قتل أمّه الفاسدة لا تفهم إلّا على أنّها رمز يهيب مؤلّفها في أغلب الظنّ إهابة خفيّة بالشعب للثورة على الحكم الفاسد، وإلّا فإنّ قتل الأمّ لا يجيزه عقل ولا شرع. إنّ في ذلك يجري على نسق الشعراء الإيرانيين الذين تقدّموه باعتماد الرمز في أشعارهم لإفادة مقاصدهم (منطق الطير مثلاً لفريد الدين العطار).

من أجل دراسة أفكار العاملي وبيان علومه الواسعة لا بدّ من العمل قبل كلّ شيء على تجميع تراثه الفكري الواسع الذي يناهز تسعين مؤلّفاً ورسالة وعلى طبعه وإشاعته، ونحن في موضوعنا «المتّصل والمنفصل في فكر العاملي» اعتمدنا نبذاً قليلة منشورة في كتاب الكشكول وحده لأنّ المخلاة لا تشتمل على شيء من موضوعنا. ولم نستطيع أن نطلع على رسالته الموسومة بـ «الجوهر الفرد التي تهمّنا في هذا الموضوع. وقد راجعنا إلى جانب ترجماته وما رواه المؤرّخون عنه كتابه خلاصة الحساب الذي في المكتبة الظاهريّة نسخة منه مطبوعة على الحجر، وكذلك عثرنا على شرح ممتاز ولكنّه وجيز لكتاب العاملي تشريح الأفلاك ولم نعر على الكتاب نفسه، وعجبنا لهذه الأفكار الجيدة التي في الشرح حول سقوط الأجسام في الخلاء وسقوطها الحرّ في الهواء، وعلى شؤون جاذبيّة الشمس والشوابت والسيّارات والأقمار بحيث تسبق سبقاً لا مثيل له كلام نيوتن الذي ينسب إليه الكشف عن الجاذبيّة وقوانينها.

١. الكشكول: ٢٦٧، تحقيق طاهر أحمد الزاوي.

وكم يسعدنا حين نقرأ مسرحية لشكسبير أو لشاعر فرنسي مثل كورني وراسين وموليير أو مقالة لفيلسوف وعالم مثل ديكارت أن نجد الطبقات الكثيرة المحققة مع الشروح ومع الدراسات الكثيرة لكل منها. وكم يؤسفنا في المقابل حين نريد أن نفتش عن كتاب الجواهر الفرد للعالمي ولبعض رسائله العلمية ألا نجد لها أثراً - أي أثر - في مكتبتنا العامة أو الخاصة. أواه كم نشعر بالمرارة وكم يحزّ في النفس أن الأموال العربية والإسلامية الطائلة تذهب هدرًا في حروب مدمرة بين الإخوة والأشقاء، وكان من الممكن أن يُصرف عشر معشارها في خدمة التراث العربي والإسلامي لتجلى صحائفه وتصل صفائحه، هذا إلى جانب مئات الألوف من القتلى والمشوهين وهم في ريعان الشباب ومخايل القوة والعتاء.

أما موضوع المتصل والمنفصل، فهو حديث فكري فلسفي علمي طويل ومتشعب، نعرض خلاصته عرضاً واضحاً لنبرز المعية الشيخ البهائي في إطار هذا الشأن. وكما أن العالم الفيزيائي يستطيع أن يحلل سنا كوكب متوهج بمقياس الطيف ليعلم ما يشتمل عليه الكوكب من عناصر، كذلك نستطيع أن نتبين من وراء فكرة واحدة وهي فكرة المتصل والمنفصل مثلاً مدى تعمق البهائي في علم الحكمة، قضية المتصل والمنفصل تبحث في الرياضيات وفي الفيزياء وفي الكيمياء. ومعنى المتصل أن الخطّ مثلاً قابل للانقسام غير المتناهي، وكذلك السطح والمادة. ومعنى المنفصل أن الخطّ أو السطح والمادة يتألف كل منها من نقاط أو أجزاء دقيقة محدودة وأن الانقسام يقف عند هذه الأجزاء فهو متناهٍ فالمتصل والمنفصل لفظان شاع استعمالهما في التراث العلمي العربي وانتقلا إلى اللغات الأجنبية على طريق الترجمة فيقال في اللغة الإنكليزية والفرنسية مثلاً للمتصل Continu، Coninuous وللمنفصل discontinu discontinuous. وثمة لفظ ثالث ألحق بهما وهو discret بمعنى المنفصل أي المتقطع يطلق على بعض الحوادث أو النقاط المفردة. اتّصال الخطوط والسطوح والأجسام والطاقة والضوء أو انفصالها شغل

المفكرين منذ قديم الزمان وقد عرضنا في أكثر من موضع من كتبنا ومقالاتنا هذه القضية فلا نفيض فيها بل نكتفي بعرض بعض المفارقات واللمع الفكرية في تاريخ الفلسفة والعلم لنصل إلى موقف البهائي.

الانفصال في المادة عُرف في كلا المذهبين نيايا وفايششيكيا عند براهمة الهند القدماء. ولقد نوّه لوقيبوس وديمقريطس ثم أبيقورس عند اليونان بأنّ المادة تتألف في النهاية من أجزاء لا تتجزأ. ولكنّ المعلم الأول أرسطو اعتمد الاتصال والانقسام اللامتناهي. وقد ضحك زينون الإيلي من فكرة الاتصال حين صوّر الخُلف في فكرة الحركة المتصلة فمثّل أخيلوس ذا القدمين الخفيفتين يلحق بسلحفاة. فلو كان الطريق متصلاً أي مؤلفاً ممّا لا نهاية له من الأجزاء لكان أخيلوس كلّما قطع نصف المسافة بينه وبين السلحفاة مثلاً ووصل إلى النقطة التي كانت بها السلحفاة لزم أن تكون السلحفاة قد قطعت مسافةً ما. وهكذا لا يمكن له أن يلحق بها منطقياً مع أنّ الواقع بلوغه مكانها. ولما جاء المفكر الروماني القديم لوقريطس انضمّ إلى أبيقورس في تنويهه بانفصال المادة.

وثارت هذه القضية في التراث الإسلامي. فالاعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجزأ مذهب فريق واسع من المسلمين وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين. وربما كانت آراؤهم بادئ بدءٍ صادرة عن دوافع دينية. ذلك أنّ أبا الحسن الأشعري أخذ هذه النظرية عن سابقه من المعتزلة واعتمدها في دعم اتّجاهه الديني إذ حصر التناهي في المخلوقات والأشياء المحدثّة وترك اللاتناهي لله. لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^١، وورد فيه أيضاً: ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^٢ ولا يتمّ هذا الإحصاء إلّا بما له نهاية. وعادوا الفكرة تلميذه القاضي أبو بكر الباقلاني وأتباعهما من المتكلمين.

١. يس (٣٦): الآية ١٢.

٢. الجن (٧٢): الآية ٢٨.

وكان العرب المسلمون يقولون للأجزاء التي لا تتجزأ الجواهر الفردة والذرات. وقد تسربت فلسفة أرسطو الطبيعية إلى التراث الإسلامي وهي قد أنكرت الذرات فلا غرو أن نجد بين المعتزلة من أنكر وجود الذرات أيضاً. وأبرز هؤلاء إبراهيم النظار. ورُدَّ على النظام بمثل المفارقة التي نوّه بها زينون وذلك أنّ الماشي الذي يقطع مسافة متناهية يقطع ما لا نهاية له لأنّ هذه المسافة تقبل القسمة إلى غير نهاية. ولكنّ النظام تخلّص من هذه الصعوبة بالطرفة ومعناها أنّ الجسم المتحرّك لا يُماس أجزاء المسافة التي يقطعها، بل يصير إلى مكان دون أن يمرّ بالذي قبله.

وفي تاريخ التراث العربي الإسلامي صور متعدّدة لهذه القضية التي كانت تلوح للمفكرين وتشغل عقولهم. فالشيخ الرئيس ابن سينا من أكبر ممثلي الفلسفة المشائية (فلسفة أرسطو وتلاميذه). وقد قالوا إنّ الجسم كمّ متّصل وفرّقوا بين الانقسام بالفعل والانقسام بالقوّة فأجازوا الثانية إلى ما لا نهاية وأنكروا الأولى.

ولمّا تحاور أبو الريحان البيروني وابن سينا جاء في السؤال الرابع الذي سألّه البيروني ابن سينا في الردّ على المعلم الأوّل: «لِمَ استشنع أرسطوطاليس قول القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ؟» وقد شعر البيروني بالصعوبة التي تكمن في القول بالجزء ولكنّه وجد صعوبات أكثر في القول المقابل فأشار إلى أنّ «القول بأنّ الجسم يتجزأ إلى ما لا نهاية أشنع». ثمّ يسأل كيف التخلّص من جرح كلا الموقفين. ويجيب ابن سينا أنّ أرسطو إنّما أراد الانقسام بالقوّة ولكنّ البيروني يُلزمه إذ ذاك بمشكلة أنّ لو انقسمت الأبعاد انقساماً غير متناهٍ لوجب أن يساوي قطر المربّع أحد أضلاعه لأنّ كليهما ينقسم إلى ما لا نهاية. ويبدو من هذا أنّ النظرية تجاوزت الميدان الديني وغدت قضية مطروحة في الفلسفة الطبيعية عند مختلف المفكرين من ممثلي الفلسفة المشائية ومن المستقلّين البارزين أمثال البيروني وهبة الله أبي البركات البغدادي ومن علماء الدين أمثال فخر الدين الرازي. وقد عرض هذا المفكر العلامة فخر الدين في كتابه «المباحث المشرقيّة» مختلف المذاهب في

هذا الشأن مع براهين كلّ فئة على مذهبها بحيث تتجلّى صعوبة كلا الموقفين وحرجهما. وورث العلم والفلسفة هذه المشكلة في العصور الحديثة وتوزّعها الباحثون على اختلاف مذاهبهم فلاسفة وفيزيائيين وكيميائيين. ولا يمكن في هذا العرض السريع جلاء تلك المذاهب. ولكن لا بدّ من الإلماع ببعضها ثمّ تحقيق ما أفضى إليه العلم في هذا الشأن.

يذكر الفيلسوف الإنكليزي برتراند رسل في كتابه *Portraits from memory and other essays* الذي ترجمه أحمد إبراهيم الشريف بعنوان «العقل والمادة» وراجعته الدكتور زكي نجيب محمود مثلاً عجيباً على الاستغراق في الفلسفة وهو لقاءه للفيلسوف اليوغسلافي برانسلاف بترونييفك سنة ١٩١٧ وانهماك هذا الفيلسوف في مشكلة الجزء والذرة منصرفاً عن الأحداث الخطيرة الجارية. يقول رسل: «وكان الصرب في ذلك الوقت قد نجحوا في الانسحاب الكلّي الرائع أمام الغزاة الألمان، وكنت متشوّقاً لأن أعرف القصّة منه لأنّه شاهد عيان، ولكنّه لم يرد إلاّ أن يبسط رأيه في أنّ عدد النقط في المكان محدود وأنّه يمكن تقديره حسب اعتبارات مستمدّة من نظريّات العدد.

فكان هذا الاختلاف في الاهتمام من جانب كلّ منّا مدعاة لحديث على شيء من العجب والغرابة. قلت: (أكنت في الانسحاب العظيم؟) فأجاب: (نعم! ولكن ألا ترى أنّ طريقة حساب عدد النقط في المكان هي...) فأقول: (أكنت ماشياً على قدميك؟) فيقول: (نعم، إنّ عددها لا بدّ أن يكون أوليّاً) فأقول: (ألم تحاول أن تحصل على حصان؟) فيقول: (بدأت على ظهر حصان ولكنّي سقطت من على ظهره، ولا يمكن أن يصعب علينا أن نعرف أيّ عدد أولي هو). وعلى الرغم من كلّ محاولاتي لم أستطع أن أحصل منه على أكثر من هذا القدر عن موضوع تافه (!) كالحرب العالميّة، وأحسست بالإعجاب بقدرته على التناهي بعقله عن حوادث وجوده الجسمي».

أما في العلم الحديث فقد كان الاتصال أول الأمر من صفات الفيزياء الاتباعية التي سادت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. فالمكان متصل والزمان مستقل عنه وهو متصل أيضاً. ولكن العلماء بالتدريج ولا سيما في الكيمياء اضطروا إلى التخلي عن فكرة الاتصال في مجالات تجاربهم وتأملاتهم. غدوا يتصورون المادة تتألف من ذرات ولكن تصوّره كان مبهماً اضطروا إليه اضطراباً بسبب القوانين الكمية؛ لاتحاد العناصر البسيطة بعضهما ببعض كقانون النسب المحدودة لبروست، وقانون النسب المضاعفة لدالتون، وبسبب اعتبارات العالم الإيطالي أفوغادروا لحجوم متساوية من الغازات تحتوي على عدد متساوٍ من الجزيئات وبالتالي من الذرات دون أن يستطيعوا بشكلٍ من الأشكال أن يروا الذرة أو الجزيء ولو بأقوى المجاهر. حتّى إنهم حسبوا بطريق غير مباشرة عدد الجزيئات الحقيقية فيما دعوه بالجزيء الفرامي (سمي هذا العدد عدد أفوغادرو، وهو يساوي ٦,٠٢٣ × ١٠^{٢٣}). وحسبوا أن الذرة لا تنقسم، ثم راعهم أن الذرة التي يدعونها في لغاتهم بالأتوم أي ما لا يتجزأ قد تجزأت، وأن بناءها يشتمل على كهارب تدور حول نوى تتألف من أوليات وأويمات (بروتونات و نوترونات) وكذلك على أجزاء أخرى دقيقة اعتبروها جميعاً نهاية المادة. وكذلك الأمر في الضوء فبعد اعتباره موجياً متصلاً نظر إليه على أنه يتألف من جسيمات دقيقة هي ما دعوه بالفوتون. ورأوا أيضاً أن الطاقة عند تبادل المادة والإشعاع لها إنما يحصل التبادل بصورة منفصلة. ولكن العلماء أنفسهم في الوقت نفسه كانوا مضطرين إلى الحفاظ على فكرة الاتصال لأنهم قرنوا بالأجزاء الدقيقة أمواجاً ذات مقادير رياضية والموج يفيد الاتصال. وكذلك رأوا أن تلك الأجزاء الدقيقة يؤثر بعضها في بعض تأثيراً متصلاً ضمن مساحات في المكان تجاذبية وكهرطيسية وما إلى ذلك. فالاتصال والانفصال بدوا جانبيين متقابلين لحقيقة واحدة. فدعا العلماء هذا الاقتران المتقابل بالتنامية، وليست هذه التنامية إلا شكلاً نظرياً للحيرة التي يحيط العالم بها بدلاً من أن تحيط به.

مثل هذه الحيرة أو التناميّة، نجدها عند بهاء الدين العاملي. لقد كانت فكرة المتّصل والمنفصل تشغل تفكيره؛ إذ يتبدّى أحد الجانبين فيها تلو الآخر. فهو يعقد فقرة في كتاب الكشكول يبرهن فيها على إبطال الجزء فيقول: «مّا سنح بخاطر جامع الكتاب تفرض دائرة مركّبة من الأجزاء وتخرج فيها خطّين مارّين من المركز بين طرفيهما جزء واحد من محيط الدائرة، فهما متقاطعان على المركز، فالانفراج الذي بينهما قبل التقاطع إمّا أن يكون بقدر الجزء أو أكثر أو أقلّ. والكلّ باطل لاستلزام الأوّل كون المتقاطعين متوازيين، والثاني كون المتقاربين في جهة متباعدتين فيها، والثالث الانقسام»^١.

ولكنّه في الكتاب نفسه يذكر لنفسه برهاناً على امتناع اللاتناهي. فقد ورد في إثبات الجزء قوله: «ليس لمثبتي الجزء حجة أقوى من حكاية وضع الكرة على السطح المستوي؛ إذ لو انقسم موضع الملاقاة لوصل من طرفيه إلى مركزها ليحدث مثلث متساوي الساقين ويخرج من ملاقة القاعدة عمود إلى المركز. فالخطوط الثلاثة الخارجة من المركز إلى المحيط متساوية، لأنّها كذلك ويلزم أن يكون أطوال الساقين أكبر من العمود لأنّهما وترا القائمتين وهو وتر الحادّتين»^٢.

وفي الكتاب نفسه أيضاً برهان آخر على امتناع اللاتناهي يسهل الرجوع إليه^٣ ويذكر المؤلّف برهاناً ينسبه إلى السيّد السمرقندي على امتناعه^٤ ويناقشه. وهذا يدلّ فيما يدلّ على أنّ العاملي كان مُدمن الفكر في قضية إثبات الجزء أو نفيه. تارةً يشبّهه وتارةً ينفيه. فهو في هذه الحيرة العلميّة يبدو في صفّ العلماء الحديثين؛ إذ

١. الكشكول ٢: ٦٠، طبعة ١٩٦١.

٢. الكشكول ٢: ١٤٥-١٤٦.

٣. الكشكول ٢: ٥١.

٤. الكشكول ٢: ١٩٧-١٩٨.

كان هؤلاء العلماء يلحّون على التنافر بين هذين الوصفين المقترنين عند دراستهما للظواهر الميكروفيزيائية يلوح فيهما الاتّصال فيخفى الانفصال، أو يلوح الانفصال فيخفى الاتّصال، فكأنّهما وجهان لعملة واحدة لا نراهما معاً. وإنّ قصارانا أن نرى الوجه الواحد تلو الآخر.

وليس معنى كلامنا أنّنا نقبل براهين بهاء الدين العاملي في هذا الشأن. هيهات! ذلك إنّ أساليب البحث والبرهان العلميّين قد تبدّلت تماماً حين تجاوز العلماء مقاييس الظواهر الفيزيائية في السّلم الإنساني وبلغوا فيما دعوه بالميكروفيزياء شفا المادّة والطاقة أي نهاية أطرافهما. ومع ذلك فهم يتساءلون هل الكهرب أي الألكترون وحبّة النور أي الفوتون قابلتان للانقسام أو لا؟ وهم يستشفّون الجواب من أشكال المعادلات الرياضية التي تفيد صيغها كلّاً منهما.

المهمّ هو أن نسجّل قلق عالم كبير مثل بهاء الدين العاملي تجاه هذه القضية. وهو يشبه قلق العلماء المعاصرين وإن كنّا نرى أدلّته وأمثاله قديماً من العلماء في غاية السذاجة. ولكنّه يبدو أحصف موقفاً وأعمق فكراً وأنفذ ذكاءً حين يتردّد بين الجانبين كأنّ كلّاً من الجانبين يتمّم الجانب الآخر على حدّ اصطلاح فلاسفة العلوم المعاصرين. بل إنّ هذا القلق الفلسفي حول الاتّصال والانفصال، حول الانقسام اللامتناهي أو الانقسام المتناهي جعل العاملي يُدخل هذه المشكلة في بعض ألغازه التي كتبها تنشيطاً للتفكير.

وصفوة القول أنّ بهاء الدين العاملي فقيه صوفي نحوي لغوي أديب راوية شاعر مهندس رياضي فلكي. وكأنّما عناه القائل :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحدٍ

نعم، لقد قلّ أن تجتمع هذه الصفات العلميّة والأدبيّة عند الغربيّين، وإن كنّا نجدها أحياناً مجتمعةً ومؤلفةً عند أعلام بارزين في الحضارة العربيّة الإسلاميّة بفضل الإسلام وحثّه على طلب العلم والمعرفة والحكمة. من هؤلاء الأعلام من

نحن في صدد تكريم ذكره . بل فوق ذلك كلّ نجله يمثّل في شخصه التعاون العميق بين العرب والإيرانيين في تجسيد القيم الرفيعة وفي ظلّ سلام العلم والمحبة . إنّ التأمل في مزايا هذا العلم الحميدة وخصاله الفريدة يجعلها تسري في خفاء وبتعاطف عميق إلى المتأمل . ولما كان شاعراً جعلني أتغنّى بهذه الأبيات التي تلخّص حياته وتحّيي ذكره :

شدا كلّ العلوم وفاق فيها	فيا لفتى العلوم العبقريّ
وبالعربيّ نَمَقَّ كلّ نثرٍ	وشعرٍ رائقٍ والفارسيّ
لساناه تعانقتا اتّلاقاً	تقول عناق أم للصبيّ
له الكشكول والمخلاة سارا	مسير النور في الأفق القصيّ
هما كنزان من علمٍ ووعظٍ	وهندسةٍ ومن أدبٍ وضيّ
يزينان التراث على غناه	كما ازدان الغواني بالحليّ
وما الأسماء إن حقّقت إلّا	ثمر تواضع القلب التقيّ
فيا لك عالماً وأديب عصرٍ	وصوفيّاً وذا خلق رضيّ
تناهى الفضل والعرفان فيه	وحبّ الآل مع حبّ النبيّ
وتلك حضارةٌ فاقت سموّاً	حضارةً عالمٍ باغٍ غويّ
حضارة عالمٍ لا خُلق فيها	سعى فيها الشقيّ مع الشقيّ
ليسترقا منازلنا وتُقصي	عن الأقصى وعن حقّ جليّ
إذا صار الشقيّ رئيس قومٍ	تنمّر ممعناً في كلّ غيّ
قوى قد غطرت وطغّت عُتُوّاً	وتاهت في الضلال العُنجهيّ
كأنّ الدهر بعد هداه أمسى	هداه مع الأخسّ مع الدنيّ
لحاها الله من دنيا تمادت	على ساح الوجود العربيّ
سنمشي للعلا قُدماً ونبني	صروح المجد والعيش الهنيّ
وما أحلى التعاون في شعوبٍ	أواصرها من الدين السنيّ

وليس يتمُّ إلا بالتصافي	وَضَمَّ الصَّفَّ وَالشَّمَّ الْأَبْيَّ
أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ أَخَاكَ حَقًّا	لَدَى الْبَأْسَاءِ كَالرَّكْنِ الْقَوِيَّ
إذا أوطاننا ضُمَّتْ عُراها	زَهَتْ بِالْغَارِ وَالزَّهْرِ الْجَنِيِّ
ترى الرايات تخفق في رباها	وتعلو في الغدو وفي العشيَّ
يُشْعُّ النور حلواً من حماها	أليس النور غاية كلِّ حيِّ
وَتُزَكِّي كلَّ مكرمةٍ تراها	فَأَكْرَمَ بِالثَرَى الْعَطَرِ الزَّكِيَّ
أمانٍ للقلوب ترفّ فيها	رَفِيفَ النِّجْمِ فِي اللَّيْلِ الْعَتِيِّ

لعمري أفضل الأعمال علمٌ	يَقْرَبُنَا مِنَ الْمَوْلَى الْعَلِيِّ
وما شخص الفتى إلا خيالٌ	وَيَبْقَى نُورُ قَلْبٍ لَوْدَعِيٍّ

أَتَيْتُ مُنَوَّهاً بسنا بهائي	نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ
ولا يستطيع من يوفي سناء	سَوَى مَنْ كَانَ مِثْلَ الْعَامِلِيِّ
لعلَّ الله يكلؤنا ويضفي	سَلاماً عَادِلاً فِي كُلِّ حَيٍّ
سلام الله والآيات تُهدى	إِلَى مَجْدِ النَّبَوَّةِ وَالْوَلِيِّ
إلهي أنت تعلم ضعف حالي	فَكُنْ لِي مُسَعِداً فِي كُلِّ شَيْءٍ
وما عبد الكريم سوى فقيرٍ	زَكَى بِرِعايَةِ اللَّهِ الْغَنِيِّ
حبيبي كلُّ محبوبٍ لديه	وَعَزِّي بَانْتِسَابِي لِلْوَصِيِّ

حياة بهاء الدين العاملي في العصر العثماني^١

الدكتور وجيه كوثراني

العصر العثماني ، المجتمع والسلطة والعالم في فترة حياة بهاء الدين العاملي :
تتزامن حياة بهاء الدين العاملي مع عصر عثماني في بلاد الشام يغطي تقريباً
النصف الأول من القرن العاشر والثالث الأول من القرن الحادي عشر الهجريين
(٩٥٣ - ١٠٣١ هـ) أي حوالي النصف الثاني من القرن السادس عشر والرابع الأول
من القرن السابع عشر الميلاديين (١٥٤٧ - ١٦٢٢ م).

هذه الحقبة الزمنية تحمل من الأحداث المصيرية ومن المعطيات الاجتماعية
والسياسية الخطيرة ما يجعلها محطة تاريخية كبرى على خط المسيرة التاريخية
للعالم الإسلامي برمته ، ذلك أن هذه المحطة التي نتوقف عندها للنظر والتأمل
والقراءة المتمنعة تقدّم عناوين دالة وإيحائية للمؤرخ والباحث في شؤون الفكر
والاجتماع والسياسة .

والعناوين المقروءة على أبواب هذه المحطة يفترضها توجّهان :

١ - إحياء ذكر عالم وفقه وأديب وشاعر ومفكر توحدت في عقله قطاعات

المعرفة الإنسانية دون تجزيء وتوحدت في شخصيته السلوكية ديار الإسلام بدءاً من بعلبك وجبل عامل مروراً بدمشق ومصر وحلب والقدس واسطنبول. أي أن ثلاث دوائر لغوية - جغرافية أساسية يستدخلها منطق دار الإسلام (هي الدائرة العربية والدائرة التركية والدائرة الإيرانية) انتظمت في ترحاله وسلوكه وهمومه.

٢ - منهج في النظر يطمح في لحظة تاريخية يعاد فيها تشكيل التاريخ الإسلامي عبر حركة انشداده للأصول أن يقرأ قراءة نقدية كيفية ما آل إليه الاجتماع الإسلامي في مرحلة أطلق عليها المؤرخون الغربيون من ناحية «نهضة أوربا» أو «عصر الولادة الجديدة»، وصنّفها بعض المفكرين العرب والمسلمين من ناحية أخرى بمرحلة «انحطاط العرب والمسلمين وتخلّفهم»، وذلك تماشياً مع مفهوم التطورية الذي أنتجه مسار المراحل التاريخية الأوربية. وكان أن تكرّس بفعل شيوع هذا المفهوم وبفعل التكرار المدرسي وتشويه الذاكرة المعاصرة مسلمات أو شبه مسلمات مسيئة للوعي التاريخي لدى المسلم ومعيقة للمشروع الوحدوي الإسلامي.

انطلاقاً من هذين التوجّهين - أعني منهجية بهاء الدين العلمية التوحيدية، ومنهجية القراءة التاريخية النقدية - نستقرئ عناوين المرحلة العثمانية المعاصرة لحياة بهاء الدين. لا عبر عرض تاريخي يستحيل القيام به على كلّ حال في هذا البحث، بل عبر توجّهات عامة في منهج النظر والتحليل نسوقها في صيغة التساؤلات التالية :

١ - كيف كانت أوضاع الدولة العثمانية في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في وقت انتهى فيه تقريباً عصر الفتح ومرحلة الانتصارات الكبرى على أوربا على يد سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) وأسلافه وبدأ فيه عصر التراجع؟ ما السبب الذي أدخل سليمان هذا - بالرغم من قوّته العسكرية الظاهرة -

نفق الامتيازات الأجنبية، هذه الامتيازات التي كانت بوابة الاختراق الغربي للاجتماع الإسلامي واقتصاده وسياسته؟

٢ - وفي هذا الإطار كيف كانت الأوضاع المحليّة في البلاد الشاميّة من حيث المجتمع وطبيعة السلطات المحليّة أو الأهليّة؟ ما هي طبيعة ما سمّي على ألسنة بعض المستشرقين وأتباعهم المحليّين «حركات استقلاليّة» و «أمراء وطنيين» في البلاد، أمثال فخر الدين المعني الثاني الذي زامن حكمه المحليّ حقبة واسعة من تلك الفترة (١٥٩٠ - ١٦٣٥ م / ٩٩٩ - ١٠٤٥ هـ) فنظر إليه البعض «بطلاً قومياً لبنانياً» ونظر إليه البعض الآخر «بطلاً قومياً عربياً».

٣ - وفي هذا الإطار ما كان دور العالم والفقهاء؟ وأين كان موقعه في المجتمع ومن المؤسّسة الحاكمة القائمة على التغلّب والعصبية لا على الوازع الديني؟ هذه التساؤلات تندرج في محاولة لاستكشاف العلاقة التي قامت بين أطراف ثلاثة، هي :

١ - الدولة السلطانيّة.

٢ - المجتمع الإسلامي الأهلي والغرب.

٣ - دور الفقيه والعالم.

١ - الحالة العثمانيّة وأوروبا :

حكم الدولة العثمانيّة في فترة حياة بهاء الدين سبع سلاطين، هم :

- سليمان القانوني ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م.

- سليم الثاني ١٥٦٦ - ١٥٧٥ م.

- مراد الثالث ١٥٧٥ - ١٥٩٥ م.

- محمّد الثالث ١٥٩٥ - ١٦٠٣ م.

- أحمد الأوّل ١٦٠٣ - ١٦١٧ م.

- مصطفى الأول ١٦١٧ - ١٦١٨ م.

- عثمان الثاني ١٦١٨ - ١٦٢٢ م.

.....

٢ - الوضع السياسي والاجتماعي في بلاد الشام :

واجه الحكم العثماني في أوّل عهده في بلاد الشام سلسلة من الثورات الأهلية التي قادها مشايخ الأسر النافذة في المناطق وبعض الولاة الطامعين. كثورة ابن الحنش صاحب البقاع وحماة وصيدا، وثورة ابن طراباي من الأسرة الحارثية في نابلس وعجلون، وثورة جانبردي الغزالي في دمشق. لذا فإنّ أوّل ما شدّد عليه السلطان سليمان هو التنظيم الداخلي للولايات بهدف ضبط أطراف السلطنة البعيدة^١. وجاء التنظيم الإداري في بلاد الشام على الشكل التالي :

قسّمت البلاد إلى ثلاث إيالات هي : إيالة دمشق، وكانت تعرف أحيانا بإيالة الشام أو سوريا لاحقاً. إيالة حلب. إيالة طرابلس.

وقد ضمّت إيالة دمشق عشرة سناجق، هي : نابلس، غزّة، تدمر، صيدا، بيروت، القدس، عجلون، اللجون، الكرك، صفد.

أمّا حلب التي أضحت بفعل الانفتاح على التجارة الغربية من المدن التجارية الكبرى، فقد ربطت كمحطة تجارية بين ثلاث جهات : بين العراق والخليج من جهة بغداد والبصرة، وبين الشاطئ المتوسطي من جهة أنطاكية، وبين الأناضول من جهة أضنة وبيرة جك. وقد ضمّت تسعة سناجق، هي : أنطاكية، أورفة، منبج، المعرة، أضنة، كلس، سرمين، ومضياق وبيرة جك.

أمّا طرابلس فقد ضمّت خمسة سناجق، وهي : حمص، وحماة، وجبله،

١. ليلي الصبّاغ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني : ٤٠.

وسليميّة، واللاذقيّة.

وكان الأساس في هذا التنظيم الإداري هو الوحدة الإقطاعيّة الإنتاجيّة المسماة «مقاطعة» والتي تحدّد طبيعتها وفقاً لكميّة إيراداتها ووفقاً لعدد الخيالة التي تقدّمها للسلطان أثناء حروبه^١.

.....
ويلخّص محمّد كرد علي في «خطط الشام» سمات هذه المرحلة بقوله :
«ويمكن حصر مصائب هذا الدور في أمور ثلاثة : ظلم الوالي ويكون في الغالب عتياً مرتشياً، وظلم الجند في حلّهم وترحالهم، وشقاء الديار بصغار الأمراء من أهلها في الجبال والسهول، وكبار أرباب النفوذ في المدن». ويضيف كرد علي :
«وهذه الطبقة تطوّرت تطوّراً جديداً في عهد العثمانيين فكانت من أكبر الأسباب في فساد البلاد»^٢.

٣ - السلطة ودور العالم والفقهاء :

تننظم الدولة العثمانيّة في سلسلة الدول التي قامت في التاريخ الإسلامي على قاعدة نشوء العصبيّة وفقاً للمفهوم الخلدوني في تفسيره لقيام الدول، وعلى قاعدة «إمارة الاستيلاء» التي نجد تبريراً فقهياً لها لدى الماوردي في «الأحكام السلطانيّة» وعلى أساس إعلان هذه الإمارة القيام بمهمّات الخليفة، فتصبح السلطنة وفقاً لهذا المفهوم مقبولة لدى بعض الفقهاء «كخلافة ضرورة» أو كبديل لها يحتملها الأمر الواقع والحاجة لوحدة الأمة^٣.

١ . المرجع نفسه : ٣٠.

٢ . محمّد كرد علي، خطط الشام ٢ : ٢٣٣.

٣ . محمّد أنيس، الدولة العثمانيّة والشرق العربي : ٧٤.

ومما أعطى لهذا الأمر الواقع أسباب ثباته في وعي جماعة المسلمين الفتوحات الكبرى العثمانية التي كانت قد توجت بفتح القسطنطينية قلعة المواجهة البيزنطية التي امتنعت على المسلمين طيلة قرون من الزمن. فكان ذلك مصدراً لأمل في نهضة إسلامية تطلّع لها المسلمون بعد فترة من التراجع والتفكك على إثر غزوة التتر وهجمات الفرنجة واحتلالهم بيت المقدس وسنوات الحروب الصليبية المديدة^١.
ذاك هو الوجه الإيجابي للدولة العثمانية الذي وقر لهابادئ ذي بدء مناخاً شعبياً إسلامياً في البلاد العربية وتخصيصاً في بلاد الشام اتسم بالقبول أو إسباغ الشرعية.

غير أن الوجه الآخر الذي استجدّ مع انكفائها نحو الفتح الداخلي في دار الإسلام ومع تحوّلها إلى «دولة سوق وجباية» - حسب تعبير ابن خلدون - تتجاذبها عصبية تتحالف وتتناحر، كان يدفع بها أكثر فأكثر للتحوّل إلى سلطة جائرة أو مجموعة سلطات تتفاوت في درجات جورها من سلطان إلى سلطان، ومن والٍ إلى والٍ، ومن أمير إلى أمير، وبالتالي من مكان إلى مكان...

واللافت للنظر هنا أن الدولة العثمانية التي هي استمرار لـ «دولة الملك» في التاريخ الإسلامي ركزت ولا سيما بدءاً من عهد السلطان سليمان القانوني سياسة التضييق على الاجتهاد التي كانت قد بدأت جذورها في العصور العباسية المتأخرة ولا سيما مع الخليفة العباسي القادر (٩٩١ - ١٠٣١ م)^٢ كما أنّها أتقنت أكثر من غيرها من الدول السالفة سياسة احتواء العلماء واستمالتهم في سلم من الرتب والرواتب وفي إطار تنظيم حكومي جعل بعض الباحثين ولا سيما المستشرقين منهم يتحدث عن «مؤسسة دينية» شبيهة بالأكليركية المسيحية.

١. محمد جميل بيهم، العرب والترك : ٨٠.

٢. محمد مهدي شمس الدين، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، العرفان، أعداد ١، ٢، ٣، بيروت ١٩٨٤.

والواقع أنّ الاحتواء السلطاني للعلماء كان جزءاً من وظيفة سياسية هدفها شلّ دور العالم وتحريف مفهوم ولاية الفقيه. فضلاً عمّا تسفر عنه سياسة الاستمالة هذه من تحاسد وتنافس بين العلماء بعيداً عن معيار الجدّ في العلم والاختلاف الممكن في الاجتهاد وضرورات التطوّر في التاريخ^١.

ويصف محمّد كرد علي هذا الواقع بقوله: «بدأت الدولة منذ دور سليمان بالرسميات وأخذت تلقي الشغب بين العلماء وذلك برتب اخترعتها لهم وجرايات أدّرتها عليهم، فزادت لأجل هذه النفقات الضرائب والخراج على الأمّة وكثر التنافس بينهم، وقلّ القوّالون بالحقّ من رجال العلم، وأنشأ معظمهم يدلّسون ويوالسون ويمتدحون السلطان مهما ضلّ وغوى، وسهل بعد ربط العلماء بروابط الرتب والرواتب أن يستصدر السلاطين فتاوى بقتل الأبرياء ممّن تغضب عليهم الدولة»^٢.

وينقل لنا كتاب «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية» لطاشكبري زاده المتوفّى عام ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م والمعاصر للسلطان سليمان، صورة معاصرة عن أوضاع العديد من العلماء الذين حازوا الرتب والرواتب في حوزة السلاطين، ولعلّ ما يورده المؤلّف عن «أبي السعود» شيخ الإسلام أيام سليمان - وهو من أبرز علماء الدولة العثمانية آنذاك - يقدّم صورة لنمط العلاقة التي تتجاذب المال والسلطة والعالم آنذاك. يقول المؤلّف بمناسبة إرسال أبي السعود جزءاً من مخطوطة تفسيره إلى السلطان: «فقابل به السلطان بحسن القبول وأنعم عليه بما أنعم وزاد في وظيفته كلّ يوم خمسمائة درهم...» ويضيف: «وبعد ذلك تيسّر له الختام ورتبه بالكمال والتمام وقد أرسله إلى السلطان ثانياً بعد إتمامه فقابل به السلطان بمزيد لطفه وإنعامه

١. محمّد حسين فضل الله، حركة الاجتهاد أمام قضية التطوّر، العرفان، عدد ٣، ١٩٨٤.

٢. محمّد كرد علي، خطط الشام: ٣٣٤.

وزاد في وظيفته مائة أخرى...» ويعلق المؤلف على شخصية أبي السعود بقوله : «فيه نوع مدهانة واكتراث بمدارة الناس، وفيه الميل الزائد والنعومة إلى أرباب الرياسة والحكومة»^١.

لكن استقلال الحوزة العلميّة الذي يضمنه النصّ الإسلامي المتمثّل بمرجعيّة القرآن والسنة، يبقى رغم بناء المؤسسات الرسميّة السلطانيّة، قائماً عبر حركة التجاذب بين الواقع وبين العودة إلى النصّ لاستقراءه والاسترشاد به^٢. تلك هي الحكمة الدائمة التي تضمن حفظ الدين واستمراريّة الأمة وقيام وحدتها مهما جارت السلطنات والممالك أو تجرّأت.

ولذلك لم يعدم الواقع عبر حركة التجاذب هذه بروز علماء يتولّون قول الحقّ ويدعون لتجنّب السلطان ويهاجمون فقهاءه. ولعلّ هذه الصفحة التاريخيّة التي طمست هي من أبرز صفحات التاريخ الإسلامي التي ينبغي للباحث أن يعيد اكتشافها ويقيم اعتبارها.

ويبرز أماننا من عصر بهاء الدين العاملي موقف لعالم دمشقي هو نجم الدين الغزيّ (٩٧٧ - ١٠٦١ هـ / ١٥٧٠ - ١٦٥١ م) صاحب كتاب الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة وذيله «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر».

فعندما كان عبد الله كيوان يستبدّ بأهل دمشق مستخدماً «حكّام الشريعة» في ذلك، كتب الغزيّ في لطف السمر: «وكان يساعده على ذلك نواب محكمة الباب وأعيان شهودها، وكانوا يبالغون في نصيحته في كتابة التمسّكات، يعلّمونه الحيل والاحتيالات لأنّه كان يكرمهم ويصلهم، ثمّ كانوا يتردّدون إليه في كلّ صبيحة

١. طاشكيري زادة، الشقائق النعمانيّة في علماء الدولة العثمانيّة: ٤٤٤-٤٤٥.

٢. محمّد باقر الصدر، مقدّمات في التفسير الموضوعي للقرآن: ١٩-٢٢.

وينظرون مصالحه ثم انتقل إلى سردارية دمشق فأخذ أكابر أهلها بالحيلة، وعوامهم بالرهبة لسعة جاهه وانقياد حكام الشريعة إليه»^١.

كما أنه كان لنجم الدين الغزي موقف مستقل وناقد من مسألة استصدار ما عرف آنذاك بـ «قوانين نامه»، إذ يؤكد أن «السياسة الشرعية هي أبلغ من السياسة القانونية»^٢ وكان الغزي يفتح بذلك جدلاً حول العلاقة بين السياسة الشرعية والسياسة الوضعية القانونية، وهو الجدل الذي سينفتح لاحقاً بشكل واسع وحاد ضد احتكار السلطات للفتاوى والذي سيتجلى في مرحلة لاحقة (أواخر العهد العثماني) بحركة التجديد التي قام بها كل من السيد جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا، والتي تمحورت بشكل أساسي حول الدعوة إلى الاجتهاد والعودة إلى الأصول. الأمر الذي دفع الدولة العثمانية إلى التشدد في منع الاجتهاد وملاحقة العلماء المستقلين عن المناصب والبعيد عن «علماء المراتب»^٣.

١. نجم الدين الغزي، لطف السمر ٢: ٦١٣.

٢. نجم الدين الغزي، لطف السمر ١: ٣٠٥.

٣. يحكي جمال الدين القاسمي في مذكراته عن «حادثة المجتهدين في دمشق عام ١٨٩٥ م (١٣١٣ هـ) وخلاصتها أن جماعة من علماء دمشق اتفقوا فيما بينهم على اجتماعات أسبوعية تعقد عند أحدهم دورياً ويتم فيها التباحث في «محاضرة لطيفة أو مباحث علمية شريفة». وقد اتفق أن اجتمعوا مرتين وانكشف أمرهم عبر قدوم اثنين من الوجهاء عليهم «ممن يفسدون في الأرض» على حدّ تعبير جمال الدين القاسمي. وكان المجتهدون قد بدأوا بمذاكرة كتاب كشف الغمّة عن الأئمة للشيخ عبد الوهاب الشعراني. وما لبث أن فشا أمر الاجتماع وانتشر ولقبوه «جمعية المجتهدين». وأحيل العلماء إلى مجلس محكمة شرعية على رأسه القاضي وأعضاؤه المفتي والمفتشون. وكانت التهمة الموجهة إلى جماعة العلماء هي تهمة «الاجتهاد». ومن سياق الاستجواب نستنتج أن المفتي كان يتذرّع -لإلصاق التهمة بهم- بقراءتهم لأحد كتب الحديث والتفسير «وبتشنيعهم على الحيل الفقهيّة ويقولهم إنّ الخلافة أصبحت ملكاً عضواً». ويطلب المفتي منهم «ما لكم ولقراءة الحديث، إنه يلزم قراءة الكتب الفقهيّة والحجر على الكتب الحديثيّة والتفسيرية».

وقد كان نجم الدين الغزي الدمشقي المعاصر لبهاء الدين، يدعو إلى تجنّب السلطان ويحدّر من الاقتراب منه. وله في ذلك أشعار وردت في مخطوطة عنوانها «زجر الإخوان عن إتيان السلطان»، منها:

احذر من الملوك والسلطان بحسب القدرة والإمكان
لا يجتني مصاحب السلطان من قربه سوى العصيان^١

ومن يتابع تاريخ جبل عامل في هذا الموضوع يرى كما يرى العلامة السيّد محسن الأمين «أنّ مرجع القضاء والفتوى الحقيقي في جميع أدوار جبل عامل هم العلماء المجتهدون العدول^٢، ولعلّ هذه الحقيقة التاريخية هي التي تفسّر لماذا تعرّض الجبل في العديد من أدواره لحالات الاضطهاد التي كانت تقوم بها السلطات الجائرة لا سيّما تجاه علمائه البارزين، فمن الشهيد الأوّل صاحب اللعة الدمشقيّة إلى الشهيد الثاني صاحب الروضة البهية في شرح اللعة الدمشقيّة يرتسم خطّ في الممارسة الفقهيّة مستقلّ عن الوصاية الرسميّة والاحتواء السلطاني. وفي الحالتين يصدر التحريض والتجنّي والوشاية عند أصحاب المواقع والوظائف وفي سياق التخطيط العلمي الذي يحرزه علماء كبار فيخلفون وراءهم أشباه علماء أو فقهاء

→ ويكشف جمال الدين القاسمي هدف أجهزة السلطان من افتعال هذه الحادثة فيقول: «كان بودّهم أن يقرّ أحدنا بصريح الاجتهاد أو أن يزلّ واحد فيلحقه الحمق منهم والفساد فيبلغوا مآربهم من نفينا من الشام...». والجدير بالذكر أنّ هذه الجماعة من العلماء الدمشقيّين ضمت: «الشيخ عبد الرزاق البيطار، الشيخ سليم سمارة، الشيخ بدر الدين المغربي، الشيخ توفيق الأيوبي، الشيخ أمين السفرجلاني، الشيخ سعيد الفراء، الشيخ مصطفى الحلاق، الشيخ جمال الدين القاسمي».

ولمزيد من التفاصيل راجع: جمال الدين القاسمي (مذكرات) تقديم ظافر القاسمي، دمشق ١٩٦٥، ص ٥١.

١. محمود الشيخ، من مقدّمة «لطف السمر» اعتماداً على مخطوطة للغزي بعنوان «زجر الإخوان عن إتيان السلطان»، الظاهرية، رقم ٣٦، أ. ب.

٢. محسن الأمين، خطط جبل عامل: ١٣٧-١٣٨.

سلطان لا يملكون إلاّ الحقد والحسد ووشاية توغر قلب الوالي أو السلطان. ولا شك أنّ محنة زين الدين بن علي (الشهيد الثاني) (٩١١ - ٩٦٥ هـ) تقدّم في هذا السياق وصفاً تاريخياً ذا شأن وعلاقة بحياة بهاء الدين العاملي وتوجّهاته. إذ نلاحظ أنّ بهاء الدين لم يكن له من العمر أكثر من ثلاثة عشرة سنة عندما اغتيل الشهيد زين الدين وهو في طريقه إلى القسطنطينيّة لمقابلة السلطان الذي سعى في طلبه للتحقيق في وشاية قاضي صيدا^١.

ومع أنّ الشهيد كان قد درّس في بعلبك بإذن سلطاني الفقه الإسلامي على المذاهب الخمسة كما يقول الحرّ العاملي في أمل الآمل، إلاّ أنّ القاضي الواشي يتّهمه بـ «الرجل المبدع والخارج عن المذاهب الأربعة»^٢.

والخلاصة أنّ قتل الشهيد زين الدين اثار في سياق تلك الظروف موجة من الأسى والحزن والحذر في الأوساط العلميّة والشعبيّة العامليّة.

ونجد تعابير هذه الموجة الوجدانيّة في قصيدة لأحد تلامذة الشهيد وهو الشيخ بهاء الدين بن علي بن الحسن العودي العاملي الجزيني يرثي أستاذه فيتساءل عن سبب الأسى الذي يخيم على القوم :

قالوا فجعنا بزين الدين يا رجلُ	هل نالكم بعد الألف عن وطن
ناعٍ نعاه فنار الحزن تشتعلُ	أتى من الروم لا أهلاً بمقدمه
	ويضيف واصفاً حزنه :

والنوح دأبي ودمع العين ينهملُ	فصار حزني أنيسي والبكا سكاني
فوق الصعيد عليه الترب مشتملُ	لهفي له نازح الأوطان منجدلاً

١. الحرّ العاملي، أمل الآمل ١: ٩١.

٢. الحرّ العاملي؛ أمل الآمل ١: ٩٠.

أشكو إلى الله رزءاً ليس يشبهه إلا مصاب الأولى في كربلا قتلوا^١
 كما أننا نلمس ذيول هذه الحادثة في جو الاعتزال والحذر والدعوة إلى الهجرة
 الذي نقرأه في أدبيات ذاك العصر. ومن ذلك شعر للشيخ حسن بن زين الدين
 العاملي (ابن الشهيد الثاني)، أورده بهاء الدين في الكشكول. ومنه :
 وكن أبيعاً عن الإذلال ممتنعاً فالذل لا ترضيه همّة الرجل
 وإن عراك العنا والضم في بلدٍ فانهض إلى غيرها في الأرض وانتقل

.....
 ودارنا هذه من قبل قد حُكمت على حظوظ أهالي الفضل بالخلل
 وكن عن الناس مهما اسطعت معتزلاً فراحت النفس تهوى كل معتزل
 ولو خبرت الوري ألفيت أكثرهم قد استحبوا طريقاً غير معتدل^٢
 ولا شك أن بهاء الدين الفتى وطالب العلم لم يكن ووالده الذي يعنى بتربيته
 ببعيد عن تأثيرات هذا الحدث. ولعل اصطحابه إلى إيران في تلك الظروف جاء
 نتيجة لذلك أو على الأقل جاء متأثراً بمحنة العلماء المستقلين حيال علاقتهم بوضع
 سلطاني يتجه أكثر فأكثر إلى ضبط الحالة العلمية الدينية ويجد بين «العلماء»
 المتعالمين والباحثين عن مواقع السلطة والوظيفة من هو مستعد ليكون وسيلة
 للضبط وعيناً للرقابة.

في إطار هذا الإشكال يثار سؤال : هل كانت الحالة الصفوية متميزة عن الحالة
 العثمانية في علاقتها بالعلماء والفقهاء؟

الواقع أن الصفوية وإن أعلنت التشيع مذهباً رسمياً لها لم تكن لتختلف في
 جوهرها وطبيعتها عن بنية «الملك العضوض» الذي قام في مختلف مراحل التاريخ

١. المصدر نفسه : ١٦٧.

٢. ورد في : بهاء الدين العاملي : الكشكول : ٤٩.

الإسلامي والذي تتعین علاقته بالعالم في خطّ الفقه السلطاني، وهو أمر لا علاقة له بولاية الفقيه التي تتجاوز وتنخطى الوظيفة الرسميّة لدى السلطان أو الشاه. ذلك إنّ الملوك وإن كانوا حكاماً على الناس «فإنّ العلماء هم حكام على الملوك» كما قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام). ولم تكن في الواقع علاقة الشاه بشيخ الإسلام لتختلف من حيث الدور والوظيفة عن علاقة العصبيّة الحاكمة بـ «الصبغة الدينيّة» التي تحدّث عنها ابن خلدون عندما أشار لحاجة العصبيّة للدين «الذي يزيدها قوّة على قوّة» والتي هي في أساس سياسة الملك^١.

هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى لا بدّ من القول أنّه في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانيّة تتراجع عن فتوحاتها من جهة الغرب وتنفتح اقتصاديّاً على التجارة الغربيّة كانت الدولة الصفويّة بدءاً من عهد الشاه عبّاس تنسج علاقات متينة ووطيدة مع الدول الأوروبيّة الطامعة في تقطيع أوصال العالم الإسلامي والسيطرة على مناطق الدولة العثمانيّة القريبة منها^٢.

بهذا يقدّم الوضع التاريخي الإسلامي (العثماني - الصفوي) مفارقة تاريخيّة خطيرة: فالعجز العثماني عن مواجهة أوروبا يوازيه تحالف صفوي - أوروبي موجّه بشكلٍ أساسي ضدّ الدولة العثمانيّة. لذلك يلتبس الصراع الصفوي - العثماني في عهد الشاه عبّاس الأوّل في صيغة إشكال تاريخي لن تفيد منه إلّا دول أوروبا الاستعماريّة نفسها في توسيع سيطرتها على مناطق دار الإسلام سواء من جهة الخليج وإيران أو من جهة المتوسط وتركيا.

وهكذا وفي مثل هذه الأوضاع اللاإسلاميّة التي تتحكّم بسياسات الشاهات والسلاطين في العالم الإسلامي تتعمّق محنة الفقيه والعالم وتزداد أزمة اختياره في

١. ابن خلدون: المقدّمة: ١٥٨.

٢. قارن: بدیع محمد جمعة: الشاه عبّاس الكبير: ٢٧٥ - ٢٧٨.

ظلّ استحكام الجور وترسّخ الانحراف. فخوف المجتهد والعالم من جور الجهاز السلطاني العثماني في بلاد الشام وجبل عامل على وجه خاصّ يوازيه في حال الهجرة إلى إيران خوف من استخدام الشاه له في مناصب من شأنها أن تؤدّي إلى تغطية لسياسة الانحراف أو إلى السكوت على الباطل.

وبالرغم من عمق الأزمة يبرز في ذاك العهد موقف فقيه في النجف يصرّ على عدم الالتحاق بالشاه فيضمن بذلك ازدهار تلك الحوزة العلميّة واستقلالها.

كان ذلك موقف الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي الذي يذكره الشهيد مرتضى المطهري بكثير من الإعجاب والتقدير فيقول فيه :

«سكن في النجف الأشرف، وكان معاصراً للشاه عباس الصفوي الكبير... وكلّما أصرّ الشاه على مجيئه إلى أصفهان لم يرضَ بذلك».

ويضيف :

«إنّ إباء المقدّس الأردبيلي عن الذهاب إلى أصفهان كان السبب في إحياء صورة النجف الأشرف بعنوان مركز علمي آخر للشيعّة بعد أصفهان».

ويربط الشهيد مطهري بين هذا الموقف وسلسلة من المواقف المبدئيّة في الشام وجبل عامل فيقول :

«كما أنّ امتناع الشهيد الثاني وابنه الشيخ حسن صاحب المعالم وسبطه السيّد محمد صاحب المدارك عن الرواح من الشام وجبل عامل إلى أصفهان كان هو السبب في دوام تلك الحوزة هناك وعدم انقراضها، وقد بلغ امتناعهم عن الانتقال عن الشام وجبل عامل إلى درجة أنّهم انصرفوا عن زيارة حضرة الإمام الرضا عليه السلام مع شدّة اشتياقهم إليها مخافة أن يضطّروا إلى الإجابة فيما إذا دعوا من قريب»^١.

١. مرتضى المطهري: الإسلام وإيران : ٣٣٩.

ماذا عن الشيخ بهاء الدين العاملي؟

يرى بعض الباحثين المحدثين في قضية تعيينه في منصب شيخ الإسلام في عهد الشاه عباس مدعاةً لامتناعه والاستدلال على أهميته. والواقع أنَّ أهميّة بهاء الدين العلميّة لا تحتاج إلى تبوُّأ منصب سلطاني للاستدلال عليها. فإنتاجه العلمي الغزير في شتّى ميادين المعرفة الإنسانيّة هو البرهان. وتبقى علاقته بالشاه كعالم وفقيه وأديب موضوعاً مندرجاً في أشكال العلاقة بين الفقيه والسلطان، بين الدين والسياسة، بين العلم والسلطة. والشيخ البهائي لم يكن على مستوى هذا الإشكال فقيهاً مبرّراً لأحكام السلطان أو الشاه، ولم يكن عالماً مسوّغاً لجور السلطة أو لانحرافها ولم يكن ليفتي بسياسات الشاه الداخليّة أو الخارجيّة المنافية لأحكام الدين الإسلامي، بدءاً من طبيعة العلاقات التي أقامها الشاه عباس مع أسبانيا أو بريطانيا أو البابا أو شركة الهند الشرقيّة إلى استخدام وسائل القتل أو السجن لحصر ولاية العهد ومركزه السلطة.

كان بهاء الدين وإن أشارت المراجع إلى تسميته شيخاً للإسلام، بعيداً تماماً عن الاهتمامات السياسيّة المباشرة مستغرقاً وقته بالتحصيل العلمي والبحث والكتابة. وهو إلى ذلك كان زاهداً وعرفانياً. وكان قد فضّل على إقامته في البلاط أو في الدور الفاخرة أن يسوح في البلدان الإسلاميّة بحثاً عن استزادة في المعرفة وإغناء لتجربته العلميّة^١. فساح كما تذكر المصادر فترةً من الزمن كان يضطرّ فيها أحياناً أن يتخفّى بزيّ الدراويش في زوايا المساجد ولا يكشف شخصيّته إلّا لمن اطمأنّ له

١. يُلخّص الحرّ العاملي حالة بهاء الدين مع المناصب بقوله: «رغب في الفقر والسياسة، فترك تلك المناصب ومال لما هو لحاله مناسب، فساح ثلاثين سنة وأوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة». أمل الآمل ١:

كموضع للعلم والثقة. ومن كبار العلماء الذين قابلهم فكانوا موضع ثقته وكان هو بدوره موضع تقديرهم : محمد البكري في مصر ، وأبو اللطف المقدسي في القدس ، والحسن البوريني في دمشق ، وعمر العُرَضي وابنه أبو الوفاء في حلب^١...

ومهما يكن من أمر سياحته الطويلة هذه فإنّها تؤكد في مدلولها النفسي والفلسفي الحياتي وفي مدلولها الوظيفي والسياسي والاجتماعي على أنّ بهاء الدين يملك نفسية العالم الذي لا تحدّه حواجز الإقليميّة والمذهبيّة ولا سواتر السياسة السلطانيّة أو الشاهانيّة. إنّها سياسة العالم المؤمن الذي يجعل من علمه جزءاً من إيمانه ووسيلة هادفة للنفع العامّ. ونجد فلسفته العلميّة هذه منبّهة بين سطور كتاباته. فهو يورد في كتابه الكشكوك جملة من الأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة التي تعبّر عن هذه الفلسفة العلميّة. وهذا بعض من المأثورات التي يوردها تبعاً :

«من كلامهم : إذا رأيت العالم يلزم السلطان فاعلم أنّه لصّ وإيّاك أن تخدع بما يقال أنّه يرد مظلمة أو يدفع عن مظلوم فإنّ هذه خدعة إبليس اتّخذها فخاً والعلماء سلماً. قال بعض الحكماء : إذا أوتيت علماً فلا تطفئ نور العلم بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم. وعن النبي ﷺ أنّه قال : خيانة الرجل في العلم أشدّ من خيانتة في المال. ذكر عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قول النبي ﷺ : النظر إلى وجه العالم عبادة ، فقال : هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرت الآخرة ، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة. وعن النبي ﷺ أنّه قال : العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان ، فإذا خالطوه وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم. وعنه أنّه قال لأصحابه : تعلّموا العلم وتعلّموا له السكينة والحلم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم. وعن عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أنّه قال : مثل عالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر لا هي

١. راجع عرضاً لذلك في : محمد التونجي : بهاء الدين العاملي ، أدبياً ، شاعراً ، عالماً : ٣١-٣٧.

تشرب الماء ولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع»^١.

واضح مدلول هذه النبرة العالية التي تصدر عن تتابع تلك الأقوال المأثورة كما يوردها الشيخ البهائي.

وفي مكان آخر من الكشكول ينقل البهائي من تفسير النيسابوري ما يلي :

«عند تفسير قوله تعالى ﴿أَنْ تَقُولَ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ والآية في سورة الزمر ما لفظه : كان أبو الفتح المنهجي قد برع في الفقه وتقدّم عند العوام وحصل له مالٌ كثير ودخل بغداد وفوّض إليه التدريس بالنظاميّة وأدركه الموت بهمذان ، فلما دنت وفاته قال لأصحابه : اخرجوا ، فخرجوا ، فطفق يلطم وجهه ويقول : يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله ، ويقول : يا أبا الفتح ، ضيّعت العمر في طلب الدنيا وتحصيل الجاه والمال والتردد إلى أبواب السلاطين ، وينشد :

عجبت لأهل العلم كيف تغافلوا . يجرّون ثوب الحرص عند المهالك

يدورون حول الظالمين كأنهم يطوفون حول البيت وقت المناسك

ويردّد الآية حتّى مات (إلى هنا بلفظ النيسابوري) . ويضيف بهاء الدين : «نعوذ بالله من الموت على هذه الحالة ، ونسأله جلّ شأنه أن يمنّ علينا بالتوفيق للخلاص من هذا الوبال»^٢.

هذا الدعاء الذي يسجّله الشيخ بهاء الدين أثناء رحلته إلى مصر وأثناء كتابته الكشكول يترجم الحالة النفسيّة التي رافقت سياحته العلميّة بعيداً عن أجواء سياسة الملوك والأمراء حيث كان يردّد «من شارك السلطان في عزّ الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة»^٣ و «مصاحب السلطان كراكب الأسد يغبط بموضعه وهو أعلم بموقعه»^٤.

١ . بهاء الدين العاملي ؛ الكشكول : ٧٦.

٢ . بهاء الدين العاملي ؛ الكشكول : ٢٥ - ٢٦.

٣ . المصدر نفسه : ٧٨.

٤ . المصدر نفسه : ٤٤.

إذن إنَّ قربه من الملوك - وكما يبدو من إشاراته - لم يكن مدعاة للرضى، بل كان سبباً لقلق وجداني تحرَّكه جذوة إيمانه لدرجة تدفعه إلى الندم على خروجه مع والده من بلاد الشام وجبل عامل. إذ يقول: «لو لم يأتِ والذي من بلاد العرب إلى بلاد العجم ولم يختلط بالملوك لكنت من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم. لكنَّه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتَّصفت بصفاتهم الدنيئة. ثمَّ لم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلَّا القيل والقال والنزاع والجدال. وآل الأمر إلى أن تصدَّى لمعارضتي كلَّ جاهل، وجسَّرَ على مباراتي كلَّ خامل»^١.

ولا يجد الشيخ البهائي حيال انحراف السلطة وفساد المجتمع وغياب المعايير العلميَّة إلَّا قول الحقِّ في زمن رديء، وانتظار الفرج الكبير الذي يدعو إليه الموقف المتفائل في التاريخ. وهذا الموقف هو الموقف الإسلامي الذي يؤمن بحتمية الإصلاح الذي تدعو له فلسفة نهوض المهدي؛ لذا فإنَّ معاناة بهاء الدين للواقع الرديء تعود فتتقلب في قصيدة مدح المهدي تفاؤلاً وأملاً في التغيير المستقبلي وحالة إسلامية في ظلِّ خلافة شرعية:

خليفة ربِّ العالمين وظلّه	على ساكني الغبراء من كلِّ ديارٍ
أغث حوزة الإيمان واعمربوعه	فلم يبقَ منها غير دارس آثارٍ

.....

وأنقذ كتاب الله من يدِ عصبيةٍ	عصوا وتمادوا في عتوٍّ وإصرارٍ
-------------------------------	-------------------------------

.....

وفي الدين قد قاسوا وعاثوا وخبطوا	بآرائهم تخبيط عشواء معسارٍ
وأنعش قلوباً في انتظارك قُرِّحت	وأضجرها الأعداء أيةً إضجارٍ

وخلّص عباد الله من كلّ غاشمٍ وطهر بلاد الله من كلّ كفّارٍ
وعجّل فداك العالمون بأسرهم وبادر على اسم الله من غير إنظارٍ
تجد من جنود الله خير كتائبٍ وأكرم أعوانٍ وأشرف أنصارٍ

خلاصة :

هذا بعض من معاناة الفقيه حيال السلطان أو الشاه أو حيال الأمراء الصغار والمتغلّبين المحليّين. تجاهلٌ في مواجهتهم المباشرة بسبب العجز عن إيجاد البديل، ولكن أيضاً استقلال في الرأي والسلوك، والتزامٌ أمام الله بأن يكون المؤمنون ﴿قَوّامين بالقسط شهداء لله﴾...

كانت الدولة العثمانية أثناء سياحة بهاء الدين في ولاياتها وسناجقها قد تحوّلت - كما أشرنا - إلى دولة جائرة ممعنة في الجباية عبر وسطائها المحليّين من متسلّمين وملتزمين وأمراء، وكانت قد بدأت تتلقّى ضربات أوروبا الاستعمارية ولا تحسن عبر سلاطينها الذين بدأت تنقصهم الكفاءة والجدارة والأهلية، أن ترد بالدرجة التي يتطلّبها مستوى الجهاد من أجل الدفاع عن دار الإسلام. ولكن هذا لم يكن ليبرّر للدولة الصفوية في عهد الشاه عباس أن تتحالف مع بعض القوى الاستعمارية ضدّ الدولة العثمانية. ولعلّ هذه المفارقة التاريخية الخطيرة كانت تزيد من معاناة الفقيه المتلزم والمجتهد حيال الجور الذي يلاحق الفكر الاجتهادي وحيال الخوف على ديار الإسلام، وحيال الخشية من مصاحبة السلطان أو الشاه. من هنا تتأتّى صعوبة الاختيار.

ومهما يكن من حجم هذه المعاناة ووجهتها السياسية آنذاك، فإنّه من الواضح أنّ الخطر الاستعماري الأوروبي لم يكن قد تشكّل آنذاك كمشروع لسيطرة عالميّة

وكجزء من نسق حضاري رأسمالي توسعي ناجز، لذلك اقتضت السياسة العثمانية الإسلامية على ردود الفعل في معارك جزئية ولم يتسنّ للفقه السياسي الإسلامي آنذاك أن يدرك أبعاد هذا النسق الحضاري المادي المدمر الآخذ بالتشكل آنذاك.

لقد شكّلت تلك المرحلة نقطة الصفر في هذا التشكل. وهذا ما يشير إليه الإمام آية الله الخميني (حفظه الله) بقوله: «المستعمرون قبل أكثر من ثلاثة قرون أعدّوا أنفسهم وبدأوا من نقطة الصفر فنالوا ما أرادوا، لنبدأ نحن الآن من الصفر»^١.

وكانت البداية الاستعمارية هي التجزيء والتفتيت ومحاربة كلّ مشروع سياسي وحدوي يضمن للمسلمين بعض القوة أو بعض الاستقلال. وكانت الدولة العثمانية بما لها من رصيد على هذا الصعيد هي الدولة المستهدفة الأولى. ولهذا يقمّ الإمام آية الله الخميني موقفاً فيه من الحسّ التاريخي الدقيق وفيه من الدقّة في التقويم التاريخي ما يدعو لإعادة النظر في التاريخ للدولة العثمانية بعيداً عن النظرة القومية المتعصّبة وبعيداً عن النظرة المذهبية الضيقة، يقول: «عند ظهور الدولة العثمانية كدولة موحّدة سعى المستعمرون في تفتيتها، لقد تحالف الروس والإنكليز وحلفاؤهم وحاربوا العثمانيين ثمّ تقاسموا الغنائم كما تعلمون. ونحن لا ننكر أنّ أكثر حكام الدولة العثمانية كانت تنقصهم الكفاءة والجدارة والأهليّة وبعضهم كان مليئاً بالفساد، وكثير منهم كانوا يحكمون الناس حكماً ملكياً مطلقاً. ومع ذلك كان المستعمرون يخشون أن يتسلّم بعض ذوي الصلاح والأهليّة من الناس وبمعونة الناس منصّة قيادة الدولة العثمانية على وحدتها وقدرتها وقوّتها وثرواتها، فيبدّدوا كلّ آمال الاستعماريين وأحلامهم، لهذا السبب ما لبثت الحرب العالمية الأولى أن انتهت حتّى قسّموا البلاد إلى دويلات كثيرة...»^٢.

١. الإمام الخميني؛ ولاية الفقيه : ٢٠.

٢. الإمام الخميني؛ ولاية الفقيه : ٣٥.

وقبل ذلك كان لآية الله الميرزا حسن الشيرازي، صاحب فتوى تحريم التنباك، موقف ذو دلالة عام ١٩٠٠، فعلى أثر تعرّضه لحادث اعتداء في سامراء حاول القنصل البريطاني أن يستغلّ هذا الحادث ليتدخل في تخريب العلاقة بينه وبين الحكومة العثمانية، ولقد واجه الميرزا القنصل بأنّه «لا يرى حاجة لدسّ أنف بريطانيا في هذا الأمر الذي لا يعنينا لأنّه والحكومة العثمانية على دين واحد وقبله واحدة وقرآن واحد»^١.

وقبل ثلاثة قرون من هذا التاريخ عاصر بهاء الدين العالمي نقطة الصفر في تشكّل المشروع الاستعماري الغربي، وها نحن المسلمون نعي ونذكر الثمن الباهظ الذي يتطلبه استكمال هذا المشروع ونجاحه. إنّه التدمير ومحاولة محو شخصيّة المسلمين.

لقد قام العلماء والفقهاء السابقون بحفظ الدين وتأمين استقلاليّة العلم^٢. ولذلك بقيت الشخصيّة الإسلاميّة كامنة في المجتمع الأهلي الإسلامي عبر النصّ والمرجعيّات والرموز الثقافيّة والعلميّة. ولقد كان بهاء الدين جزءاً من هذه الرموز وابناً لعصره الذي يزخر، ككلّ عصر فيه انعطاف كبير في التاريخ، بالتناقضات الحادّة وبالتباس الحقيقة وغموض الرؤية المستقبلية التاريخية.

وإذا صحّ أنّ ما كان يغيب هذه الرؤية هو غموض التشكّل التاريخي للهيمنة الاستعماريّة الغربيّة على العالم وفقاً لنسق من التجريبيّة والليبراليّة السياسيّة المنفلتة من كلّ قيد أخلاقي أو ديني، فإنّ ما تدعو إليه التجربة التاريخيّة للمعرفة

١. عبد الله الفيّاض؛ الثورة العراقيّة الكبرى : ٨١.

٢. يلخصّ الشهيد مطهري دور بهاء الدين التربوي بقوله : «وحيث لم يكن الشيخ البهائي متخصصاً في الفقه فلم يكن يعدّ من الرتبة الأولى من الفقهاء. إلّا أنّه ربّي تلامذة كثيرين، منهم : المولى صدر الدين الشيرازي، والمولى محمّد تقي المجلسي الأوّل، والمحقّق السبزواري، والفاضل الجواد صاحب كتاب آيات الأحكام». مرتضى المطهري؛ الإسلام وإيران : ٣٤٠.

الإسلاميّة هو التكامل في صياغة الموقف الفقهي السياسي وصياغة المنهج العلمي الإنساني في المعارف الإنسانيّة والعلوم الطبيعيّة.

إنّ معرفتنا لآليّة هذا التشكّل الذي غابت معرفته عن علمائنا وفقهائنا عند بدايته - في نقطة الصفر - تلزمننا بنظرة نقدية للماضي وبنظرة تفحصيّة للمستقبل كي لا تتجاوزنا الأحداث فيعود الغرب الاستعماري ليتجاوز أزمته الحضاريّة الراهنة ويجدّد هيمنته التي بدأت بالتصدّع. إنّ النظرة النقدية للماضي والنظرة الاستطلاعيّة على المستقبل تؤكّدان على ضرورة الوحدة الإسلاميّة المناهضة للاستعمار، سواء في قراءتنا للتاريخ أو في مواجهتنا للمستقبل أو في مقاربتنا للسياسة.

النظريّات الأصوليّة والفقهيّة للشيخ البهائي^١

العلامة آية الله السيّد مهدي الحسيني الروحاني

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين .
أمّا بعد ؛ فنحن واقفون أمام عبقرّيّ من عبقرّيّات العلم ممّن جاد بهم الزمان وقلّ مثله ونظيره مدى الأعصار والقرون ، ألا وهو الإمام العلامة الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجباعي . وهو فقيه محدّث أصوليّ مفسّر فيلسوف عارف زاهد رياضي فلكيّ رجالي أديب شاعر في اللغتين العربيّة والفارسيّة بمعنى أنّه لمس حقيقة الشعر وروحه ، لا بمعنى القدرة على نظم الألفاظ والقوافي فقط ، فيظهر في شعره العواطف الإنسانيّة والدينيّة حيث دخل الدين في عواطفه لا في عقائده فقط .

وبالجملة ، فقد كان ﷺ مجتمع العلوم محقّق مدقّق فيها ، ولعلّ إحاطته بالعلوم المختلفة العقليّة والنقليّة مع تبرزه فيها تعدّد من أظهر خصائص هذا العالم الكبير ، فجعله فذاً في العلماء ، والكتب التي ألّفها في العلوم المختلفة كانت كتب القرون بعده لا كتب عصره فقط لا يستغني العلماء بعده عنها .

قال معاصره السيّد مصطفى التفرشي في كتابه نقد الرجال في شأنه :
 جليل القدر عظيم المنزلة رفيع الشأن كثير الحفظ ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور
 فضله وعلوّ رتبته في كلّ فنون الإسلام ، كمن له فنّ واحد . له كتب نفيسة جيّدة .
 وقال السيّد عزّ الدين الحسين بن حيدر الكركي ، وقد عاشره وتلمذ عليه
 أربعين سنة :

شيخنا الإمام العلامة ، ومولانا الهمام الفهامة ، أفضل المحقّقين وأعلم المدقّقين ،
 خلاصة المجتهدين ، بهاء الملة والحقّ والدين ، كان أفضل أهل زمانه ، بل كان
 متفرداً بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحمّ حوله من أهل زمانه ولا قبله على ما أظنّ .
 وذكر تلميذه الآخر وهو المحدث الفقيه الكبير المولى محمد تقي المجلسي
 الأوّل والد صاحب البحار : كان شيخ الطائفة في زمانه ، جليل القدر ، عظيم الشأن ،
 كثير الحفظ ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلوّ مرتبته أحداً .
 ولو أنّا قد جمعنا كلمات العلماء في حقّه لطال بنا الكلام ، والمقصود ممّا ذكرنا
 أنّه مع علومه المختلفة كان مبرّزاً ومقدّماً فيها .

وقد كلّفني المؤتمر الكريم أن أجعل مقالي في شرح مقام هذا العالم الكبير
 والفقيه الأصولي العظيم من الناحيتين الفقه وأصول الفقه ، كما أنّه يكلّفني البحث
 عن مقام شيخنا الشيخ البهائي في الفقه أن أذكر سيراً إجمالياً في الفقه والحديث
 لدى الشيعة الإماميّة مقدّمةً لبيان موقف شيخنا في هذا المجال حيث عرض للفقه
 أمور متنوّعة .

قد علمنا أنّ الشيعة ثبت عندهم عدم المنع عن كتابة الفقه والحديث اقتداءً
 بالإمام عليّ عليه السلام ، فقد كانت عنده كتب بإملاء رسول الله ﷺ وخطّ عليّ بيده ،
 وكانت تلك الكتب موجودة عند الأئمة من ولده عليه السلام ، وكتب عنه أصحابه وكان
 يحضّ أصحابه على الكتابة عنه ، فمنهم كاتبه عبيد الله بن أبي رافع كتب عنه الفقه
 وخصوصاً إنّ له كتاب مشهور في الديات .

كما إنه كان الأمر بالعكس عند جمهور المسلمين ، فلم يكتبوا الأحاديث في القرن الأول ، استناداً إلى نهى نسب إلى رسول الله ﷺ أنه لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب فليمحه . فلذلك قلت أحاديث رسول الله ﷺ ، ثم قلت أحاديثه الصحيحة عندهم . وهذا ما يقوله ابن هرمة للإمام الشافعي حين يطلب منه أن يحدثه بأحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة ، فيجيبه الإمام الشافعي بأن الأحاديث الصحيحة قليلة ، فهذا أبو بكر لم يصح عنه تسعة أحاديث ، وأما عليّ فمع أنه يحرض الناس على الأخذ عنه لم يصح له حديث كثير ... إلى آخر كلامه .

والظاهر أن هذا الكلام منه ، يشير إلى ما روي أن علياً قال يوماً : من يشتري منكم علماً بدرهم ؟ فقام الحارث الأعور الهمداني واشترى قراطيس بدرهم ورجع إلى عليّ ، فأملى عليه الفرائض والمواريث . فقال عليّ عليه السلام : غلبكم هذا الأعور . فحفظ مسائلها وكان معروفاً بذلك .

ونرى في مصنف عبد الرزاق و مصنف ابن أبي شيبة أنهما يذكران روايته وقوله في الفرائض .

ثم كان عصر ازدهار فقه الشيعة وحديثهم في عصر الإمامين أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليه السلام ، فكتب أصحابهما عنهما الأصول الأربعمئة ، وذكر الجاحظ في رسالته عن بني هاشم في مفاخرتهم لبني عبد شمس فقالوا : ومنا جعفر بن محمد الذي ملأ الأرض فقهاً وحديثاً ، فكثر تدوين الحديث في عصره . وبعدهما جاء دور أصحاب المجموعات الأولية ، وهم : محمد بن أبي عمير ، والحسن بن محبوب ، وصفوان يحيى البزنطي ، وكلهم من أصحاب الإمامين موسى الكاظم وعليّ الرضا عليه السلام ، وأدركوا عصر إمامة محمد الجواد عليه السلام ، فأدرجوا عمدة الأصول الأربعمئة في مجموعاتهم وزادوا فيها ما سمعوها من الإمامين الكاظم والرضا عليه السلام ، وبعد هذه الدورة جاءت دورة أصحاب الكتب الأربعة ألفوها واختاروها من المجموعات الأولية وأضافوا عليها عدّة روايات عن الأئمة المتأخرين ولا سيما

ما روه فيها وفي غيرها عن الإمام المهدي صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ومن عصر الإمام الصادق - بل قبله - كان يسير الفقه والحديث جنباً إلى جنب، أو قل إنهما واحد، وذلك لكثرة الروايات المعتبرة عند الإمامية في الفقه، وكانت كتب الفتاوى تشبه كتب الحديث، ونرى ذلك واضحاً جلياً في الكتب الفتوائية للصدوق مثل كتابي المقنع والهداية للصدوق، وكتابه الحديثي المعروف وهو من لا يحضره الفقيه.

إلى أن ظهر في القرن الخامس الشيخ أبو جعفر الطوسي، ففصل بين العلمين بعد أن كانا مختلطتين وكتب على طريقة سلفه الصالح كتاب النهاية وتجرّد في كتابيه التهذيب والاستبصار لنقل الأحاديث، كما إنّه كتب كتابه البسيط فأكثر من ذكر التفرّيعات، ويشكو في أوّل كتابه هذا عن تقيّد علماء الشيعة بمأثورات خاصّة ويقول حتّى إنّه لو غيّر لفظ بلفظ آخر لتعجّبوا منها، وبذلك أورد الفقه الشيعي الإمامي في دورٍ جديد غير معهود لديهم، وقد أثّرت عظمة الشيخ أبو جعفر الطوسي وكثرة تلاميذه من الكبار والصغار في أن لا يتجرّأوا على مخالفته في فتاواه في مدّة من الزمن.

فظهر ابن إدريس الحلّي رحمه الله صاحب كتاب السرائر، فنافس الشيخ الطوسي في عدّة من فتاواه وقسم الفقهاء بعد الشيخ إلى محصلين وأتباع، ويسمّيه بالمقلّدة، وهذا وإن كان فيه بعض الإغراق إلّا أنّه كان لثورته هذه أثراً جيّداً وذلك لأنّ الفقهاء بعد ابن إدريس وإن لم يتّبّعوا آرائه خصوصاً في رأيه الأصولي الذي يقول بعدم حجّية الخبر الواحد ولكنّه جعلهم مستقلّي الرأي والنظر يكثرون من النظر في الأدلّة، وبذلك كلّهم نضج الفقه - فقه أهل البيت عليه السلام - بما فيه من المأثورات الكثيرة وبما فيه من المسائل المجمع عليها وما هو غير مجمع عليها، فظهر الصحيح من الروايات وغيرها في الأغلب، كما ظهر أيّ مسألة فيها أثر مأثور وأيّها

من الفروع المتفرعة.

وظهر نتيجة كل هذه التحقيقات في ظهور فقيه كبير وهو الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد المشهور بالمحقق الحلي صاحب الشرائع والمختصر النافع وغيرهما؛ إذ قد كان جلّ فتاواه اشتهر في الفقهاء بعده لم يتعدوا عن قوله غالباً، ولكن ذلك بالتحصيل ومتابعة دليل المحقق لا بالتقليد على حسب ما قاله ابن إدريس في أتباع الشيخ الطوسي، وتمّ ذلك على يد ابن أخته وتلميذه العظيم آية الله العلامة الحلي عليه السلام خصوصاً في مسائل المعاملات وتفرعات المسائل.

فظهر بعد ذلك فقهاء كثيرون بين كبير وأكبر وعظيم وأعظم، ولنجعل الشيخ البهائي من أعظم الفقهاء بعد المحقق وقبل ظهور الوحيد البهائي.

وبعد ذلك فقد ورث الشيخ البهائي حصيلة ما تقدّمه من الآثار المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهذه المأثورات أعظم أركان الفقه الشيعي الإمامي بعد القرآن الكريم، فعظم اهتمامه بنقل الكتب الحديثية وقراءتها وتصحيحها، وكما نرى من خطّه عليه السلام في الكتب الحديثية المخطوطة قد كتب في حاشية الكتاب في صفحات عديدة: إلى هنا بلغ مقابله سلّمه الله، وفي ظهر الكتاب قد أجاز للتلميذ سلّمه الله أن يروي عن الكتاب. كل ذلك اهتماماً بشأن الحديث وحفظاً من أن يتطرق فيها ضياع أو تحريف، وبذلك كلّ كان محدثاً كبيراً.

كما أنّ شيخنا العظيم قد ورث كلّ التحقيقات عن الفقهاء وأسلافه الصالحين فنظر فيها بتدقيق عميق - وهذا أيضاً من ميزاته - فأبدى رأيه وفتواه في الخلافات على ما يقتضيه التحقيق.

فكان من أعظم الفقهاء ينقل فتاواه في المسائل الخلافية في الكتب المعدة لذلك، مثل كتاب مفتاح الكرامة، وفي الجواهر ينقل عنه بهذه الوساطة. وله ذوق أدبي لطيف في تفسير الروايات ويتبع في هذه الجهة ابن إدريس، فإنّه بعد ذكر الرواية المستدلّ بها، يشرح ألفاظ الرواية إذا كان فيها غريب من اللغة أو استعمال

مجازي مغفول عنه .

وأكثر ما رأينا من كتبه الفقهيّة إنّما هو في العبادات ، وأمّا غيرها فلم نَر منها إلّا الفرائض ومسألة ذبائح أهل الكتاب ، وكان في ما يكتبه من الكتب والرسائل يميل دائماً إلى الاختصار وحذف فضول الكلام ، وهذا أيضاً من ميزاته رحمه الله .

ما كتبه في الفقه :

فهي على ما رأيت أو صرّح به المترجمون له ، فهي :

١ - الحبل المتين في إحكام أحكام الدين ، وفي الروضات إنّهُ إلى آخر كتاب الطهارة ، ولكن في الذريعة إنّهُ إلى آخر الصلاة في التعقيبات . وعلى أيّ حال ليست بكاملة وجامعة لأبواب الفقه .

٢ - الاثنا عشرية الخمس ، ذكر في كلّ كتاب منها اثنا عشر باباً ، والموجود

منها :

[١ - الاثنا عشرية في الطهارة ٢ - الاثنا عشرية في الصلاة ٣ - الاثنا عشرية في الزكاة والخمس ٤ - الاثنا عشرية في الصوم . وذكر صاحب الروضات أنّ له رسالة في الصوم شرحها في عصره المولى حسين موسى الأردبيلي ساكن أسترآباد ٥ - الاثنا عشرية في الحجّ الثالث غير الاثنا عشرية] .

٣ - رسالة في القصر والتخيير في السفر .

٤ - رسالة في استحباب السورة ووجوبها .

٥ - رسالة في أحكام سجود التلاوة .

٦ - رسالة في القبلة ، ولنا مقال في تشخيص القبلة .

٧ - رسالة في المواريث وفي شرح الفرائض النصيرية للمحقّق نصير الدين

الطوسي .

٨ - رسالة في ذبائح أهل الكتاب .

٩ - الجامع العباسي، فقه فارسي كتبه للشاه عباس الصفوي وسمّاه باسمه، وخرج منه خمسة أبواب إلى آخر الحجّ، وقد عقده عشرين باباً قائمة تلميذه نظام الدين القرشي الساوجي بأمر الشاه عباس، وقد كان هذا الكتاب رائجاً ومرجعاً للناس في إيران إلى زمان قريب من عصرنا حيث إنّ المرجع الكبير آية الله السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي علّق عليه.

وأما أصول الفقه :

فالمشهور من كتبه كتاب زبدة الأصول، فقد كان مورد الاعتناء للمجامع العلميّة بعده، وكان كتابه هذا متناً من متون أصول الفقه يدرّسونه ويدرسونه ويشرحونه ويعلّقون عليه، فقد ذكر العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة تسعاً من الحواشي وستاً وعشرين شرحاً لهذا الكتاب من العلماء العظام المعروفين، مثل المولى محمّد تقي المجلسي، الميرزا أبو القاسم القمي صاحب القوانين، وسلطان العلماء محسّي شرح اللمعة، وغيرهم رضوان الله عليهم. وهذا ينبئنا عن عظمة مقام الشيخ البهائي عندهم في ذاك الفنّ، والعلماء يعرفون أنّ مبحث الترتّب من أكبر المسائل الأصوليّة ولنظر شيخنا البهائي عليه السلام أثر كبير في توضّح المسألة وكمالها حيث كانوا يقولون في مسألة وجوب إزالة النجاسة عن المسجد في وقت الصلاة: إنّ النهي متعلّق بالصلاة في ذاك الوقت فتصير منهياً عنها فهي باطلة. فأورد الشيخ البهائي على ترتّب تلك الثمرة على ذاك الشيء بأنّ بطلان الصلاة لا يتوقّف على تعلّق النهي بها، بل يكفي في البطلان عدم الأمر بها، فصار كلامه مثاراً للردّ والإيراد ووصول هذا البحث إلى هذه المرتبة.

وللشيخ البهائي أيضاً حاشية على شرح العضدي لمختصر الأصول لابن الحاجب، كما أنّ له حواشي الزبدة.

ونتّمّ المقال بذكر سنة وفاة الشيخ البهائي والاختلاف العجيب فيها، فذكروا

أَنَّهُ ﷺ توفّي في الثاني عشر من شوال سنة ألف وإحدى وثلاثين، وذكر لنا بعض أهل الفنّ وعلماء الرجال أَنَّ مرجع هذا القول إلى ما كتبه نظام الدين الساوجي في الجامع العباسي أَنَّ وفاة الشيخ البهائي في إحدى وثلاثين بعد الألف، فاشتهر هذا بين الناس، وأمّا القول الثاني وهو الأصحّ فيذكره أكثر المشايخ وإن لم يشتهر، فنذكره :

١ - المولى الجليل محمد تقي المجلسي الأوّل في شرحه لـ من لا يحضره الفقيه في الجزء الرابع عشر ص ٤٠٥ وهو تلميذه.

٢ - إسكندر بيك في تاريخ عالم آراي عباسي، يذكر الوقائع في عصر الشاه عباس يوماً فيوماً وشهراً فشهرًا وسنةً فسنة، فيذكرها في ألف وثلاثين، وهو مؤرّخ الدولة الرسمي.

٣ - يذكر ذلك السيّد حسين بن السيّد حيدر الكركي، وقد لازمه مدّة أربعين ... وقد كان في الحجّ عند وفاة الشيخ وسمع بوفاة الشيخ في مكّة.

٤ - تلميذه الآخر المولى مظفر، ولعلّه مظفر الدين علي الذي كتب رسالة خاصّة في ترجمة الشيخ. وعلى أيّ حال يذكر عن المولى مظفر في كتابه التنبيهات ما حاصله أَنَّهُ كان من مستخرجات أهل النجوم أن كبيران من أكابر أهل إيران يموتان في سنة ألف وثلاثين فصحّ ذلك بموت الشيخ البهائي والشيخ محمد بن الحسن صاحب المعالم. ومن المسلّم أَنَّ وفاة الشيخ محمد كان في سنة ألف وثلاثين.

٦ - إنّ صاحب الوسائل الشيخ محمد بن الحسن الحرّ بعدما يذكر وفاة الشيخ في سنة ألف وإحدى وثلاثين ويستدرك بقوله ما حاصله إنّ مشائخنا أو المشايخ يذكرون وفاته في سنة ألف وثلاثين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله ربّ العالمين.

في ٦ شوال سنة ١٤٠٦ ق. هـ.

بهاء الدين العاملي مؤلفاً مجدداً^١

الدكتور الشيخ جعفر المهاجر

عاش الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجباعي العاملي، الشهير ببهاء الدين العاملي، في إيران منذ السنة ٩٦٧ هـ / ١٥٥٩ م، بعد أن هاجر إليها من بعلبك بصحبة والده، في إطار الهجرة العاملية الكبرى، التي تلت ونتجت عن قتل الشيخ زين الدين بن علي، الشهيد الثاني سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٨ م، وهو توفي فيها سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م كما نرجح، أي أنه قضى في إيران عامة عمره. لم يغادرها إلا لفترة قصيرة نسبياً، قضاها متجولاً في الحجاز فالقدس فمصر فالشام، فالعراق على الأرجح، عائداً منها إلى إيران. وهي رحلة تحيط بها الأوهام، ويغالي بطولها عامة كتاب سيرته، سماها هو (سفر الحجاز) لأنه بدأها بالحج إلى بيت الله الحرام. والحقيقة أنه بداها بعيد شهر رمضان سنة ٩٩٢ هـ / ١٤٨٧ م، وعاد منها في السنة التالية. ولم تطل أكثر من سنة وأشهرًا. ولسنا نعرف بالتحديد من الذي اخترع حكاية الرحلة التي طالت ثلاثين سنة، ولماذا انتشرت هذا الانتشار الذريع بين نقلة سيرته، مع أنها هشة لا تتحمل نقداً. ولعلّ نقلة الأخبار في الماضي هم مثل زملائهم الصحفيين اليوم، يغريهم الخبر المنطوي على الإثارة والمبالغة، أمّا الخبر

العادي فلا يحرك همّتهم مهما كان صادقاً. وقد أرخ بهاء الدين بنفسه بداية رحلته ونهايتها بشكل لا يدع مجالاً للشك. وليس من خطّتي هنا تحقيق ذلك. ولكنني رأيت أن لا بدّ من التنبيه على هذا الوهم، خصوصاً وأنّ له علاقة ببعض ما سأعني به فيما يلي: هذا ولم يصحّ لديّ أنّه غادر إيران بعد رحلته هذه إلّا في زيارة سريعة للعبّات المقدّسة في إيران سنة ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م حيث ألف، أو أتمّ تأليف كتابه الحديقة الهلالية.

عندما دخل إيران صبيّاً، كان هذا البلد العريق، ما يزال يجتاز صراطه انطلاقاً من الشعوب باتجاه الأمة. من التشتّت الأقوامي المقنّع بقناع المذاهب، إلى الاندماج التامّ الشامل، تحت راية عقيدة جامعة، تجاوزت كلّ عوامل التشتّت الجاهزة. والحقّ أنّ تلك النهضة قد نجحت، فيما بعد، في أن تسبك أمة واحدة، من خليط غير متجانس من العناصر البشريّة، فيهم الفارسي والعربي والتركي والأكراد والتركماني والبلوج والمغول، وكان نجاحها تامّاً مدهشاً، يشهد له أنّ الأمة الإيرانية قد احتفظت بهذه الوحدة مدّة خمسة قرون كأمة وما تزال. والجدير بالملاحظة - بعد - أنّه خلال تلك القرون لم تكن الوحدة موضع جدل أبداً. ولقد قدّر لبهاء الدين أن يعيش ليدرك زمن استقرار هذه الوحدة، بل ليصبح هو، بين ثلاثة من كبار الفقهاء، أحد رموزها. كان ثاني اثنين من الفقهاء الذين هاجروا أصلاً من جبل عامل وجواره، صاروا رمزاً للوحدة الجديدة.

أمّا الأوّل، فهو عليّ بن الحسين بن عبد العالي الكركي، المتوفّى سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م، والشهير بالمحقّق الثاني.

وأمّا الثالث، فهو محمّد باقر المجلسي، الشهير بالمجلسي الثاني (توفّي ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م).

ولكلّ من هؤلاء الثلاثة شخصيّة ودوره وظروفه التي تميّزه عن الآخر. ولكنّهم جميعاً شخصيّات معروفة في طول إيران وعرضها، بحيث يصعب أن تجد إيرانيّاً لا

يعرفهم أو يعرف عنهم. ولا ريب أن بهاء الدين يبرز صاحبيه في هذا الميدان، فهو شخصية قد تكاملت لها صفة الشعبية، بحيث يمكن القول بصدق أن الشخصية الشعبية الأولى في إيران منذ أن كان حتى الآن، يكفي أن يذكر اسمه هناك حتى تستجلب له الرحمات والدعاء بالرضوان. بل يكفي أن تنتسب إلى جبل عامل، مثلاً، أو تأتي على ذكر هذا الجبل بأي شكل، حتى يحضر ذكر بهاء الدين محاطاً بالاجلال والتقدير.

ومن ذكرياتي التي لا تنسى، إني كنت قد وصلت ورفاق لي، في ساعة متأخرة من الليل، إلى بلدة في شمال إيران، وتوقفنا عند مسجد البلد لأجل الصلاة، فوجدناه مغلقاً. واستوقفنا أحد المارة وعرفناه بأنفسنا، طالبين منه أن يرشدنا إلى وسيلة تمكّننا من دخول المسجد وقد كان الطقس بارداً جداً، وتركنا الرجل لبرهة، ثم عاد ومعه القيم على المسجد الذي رحّب بنا أجمل ترحيب، وفتح لنا باب المسجد، محاولاً أن يظهر احتفائه بنا بكل وسيلة. ثم تتالى وصول الناس يلحّون علينا أن نقبل ضيافتهم وكان ذلك بالنسبة لنا أمراً يدعو إلى التساؤل. ولم نكتشف السرّ إلا عندما سمعنا أحد الحضور يخاطب قادماً جديداً، جاء يسأل عن هويّة القادمين بقوله: إنهم من بلاد الشيخ بهاء الدين.

كان لهذه الحادثة الفضل في أن أنارت لي جانباً من شخصية بهاء الدين، أتيح لي أن أتبعه من بعد. وعدت إلى المادّة التي اجتمعت لديّ عنه، لأعيد تصنيفها مضيفاً عنواناً جديداً، يتّصل بما سنبدأ بمعالجته توّاً.

لدينا مرويّات تدلّ دلالة قاطعة على أن شهرة بهاء الدين قد تجاوزت إيران أثناء حياته، وسبقته إلى مصر والشام على الأقلّ، قبل أن يقوم بزيارتهما في رحلته التي سبقت الإشارة إليها. والأرجح أنّه كان أشهر إنسان عاش في مشرق العالم الإسلامي، في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي. ومن السهولة بمكان أن نربط بين شهرته حيّاً، وبين صيرورته شخصية شعبية بالمشابة التي أشرنا

إليها. ولكن علينا أن نلاحظ، انطلاقاً من تلك المرويات نفسها، أن شهرته قد امتازت بلون خاص، كأنها لا تنتمي إلى ذلك الزمان ورجاله، عماده حبّ الناس وتقديرهم لهم أينما حلّ. كان شيخ إسلام الدولة الصفوية يطوّف أرجاء منافسته اللدود، الدولة العثمانية، متنكراً تنكراً تاماً، شمل الهيئة والاسم والمذهب، وقد كُشف تنكّره في أكثر من مناسبة، بل وعُرف على التحقيق، والعجيب أنه ما أن كان ذلك يحدث، حتّى تسقط القيود والتحفظات، المعتادة في مثل تلك الحال، ويسود جوّ من الألفة والمودة الخالصة، بين أناس لم يلتقوا من قبل.

تلك المرويات تساعد الباحث اليوم، ليس فقط على تصوّر المكانة والشهرة اللتين تمتّع بهما بهاء الدين، بل أيضاً على استشفاف معالم شخصيته، كما رسّخت في نفوس معاصريه، مرافقةً لشهرته وأهله لا اختراق حدود نادراً ما اخترقت، خصوصاً في ذلك الزمان الصعب، الذي اتّسم بتعصّب مذهبي حادّ قاطع مغلق، نشب كصدى لسياسة الدولتين العثمانية والصفوية، وما دار بينهما من صراع، كان التمدّج أحد أبرز أدواته.

إنّ تفاعل الشخصية مع ميدانها الحيوي، هو مركّب، تشكّل عناصر الشخصية الموضوعية أحد أهمّ عنصريه. وفي سبيل إحضار العنصر الأوّل، أي عناصر الشخصية الموضوعية، لست أجد وسيلة أسهل وأوفى من رواية هذه الحكاية التي ينقلها التنكابني في قصص العلماء يقول ما ترجمته ببعض تصرّف :

نمى إلى الشاه عباس الكبير، أعظم ملوك الدولة الصفوية، أنّ شيخ الإسلام، أي بهاء الدين نفسه، كثيراً ما يجوس خلال أحياء الفقراء، ويدخل أكواخهم، ويجالسهم، فاستحسن أن يلفته بلباقة إلى أنّ هذه الزيارات لا تتناسب مع مكانة شيخ الإسلام، فقال له يوماً : «لقد سمعت أنّ أحد كبار العلماء يكون مع الفقراء والأراذل في أكواخهم، وهذا أمر غير لائق» فأجابه الشيخ : «هذا أمر غير صحيح، فأنا كثيراً ما أكون في تلك الأماكن ولم يحدث أن رأيت أحداً من كبار العلماء هناك».

وسكت الشاه الكبير مغلوباً على أمره.

هو ذا بهاء الدين، رضوان الله تعالى عليه. نموذج بديع للبساطة والعظمة، انساب حرّاً في الفكر والسلوك، دون قيود، مترفعاً عن الأصنام التي خضع لها الناس في زمانه وفي كلّ زمان. وإنسان كهذا حريٌّ بأن يكسب حبّ الناس وتقديرهم، حبّاً يجتاز الحدود، ويبقى على الزمان. ثمّ هو حريٌّ بأن يجعل من صاحبه رمزاً لأُمَّة، استراحت بعد عذاب طويل، إلى النظام الفكري الذي أبدع فيه هو، وسخر له كلّ ما كتب. إنّه البطل معبراً في إبداعه ومسلكيّاته، عن نمط الثقافة السائدة، الذي اهتدت تلك الشعوب عبره إلى الوحدة والاستقرار. وحين يصادف البطل فترته، فهو أحد نموذجين: فإمّا أن يقود عمليّة تحوّل، يضع بها الناس وأهداف حياتهم على بداية منعطف جديد، وهذا هو النموذج الأصعب. وإمّا أن يكون بطل المرحلة التالية، أي عنصر إقرار وتثبيت للتحوّل الذي تمّ فعلاً، فكأنّه يقول للناس: «خيراً فعلتم! وأنا خير مثال» وواضح أنّ بهاء الدين من النموذج الثاني.

تعزيزاً لهذه الملاحظة، التي عالجناها بسرعة، علينا أن نضيف، أنّ لبهاء الدين شخصيّة أخرى، غير تلك الموضوعيّة، التي نلتمسها في آثاره وفي كتب السير والتاريخ، أعني بها شخصيّة الشعبيّة، الأسطوريّة، المحفوظة في النقولات الشفهية، المتداولة في إيران وبعض لبنان. وهي شيء مختلف تماماً، يبدو فيها بطلاً حقيقيّاً، ومحارباً لا يُهزم في سبيل الخير العام والعدالة. لقد أُتيح لي أن أُسجّل ما وصل إليّ من هذه الحكايات. والتحليل الأوّلي لها يُظهر الشيخ بهاء الدين رمزاً للمنتمي والخير، والطرف الثاني هو دائماً الآخر والشرير، ودائماً، حسب تلك الحكايات، ينتصر المنتمي والخير، بشخص الشيخ، جامع أشتات كلّ العلوم، خصوصاً السريّة منها، وجامع الفضائل أيضاً. ولا شك أنّ الجمهور، منقّ تلك الحكايات، أراد أن يقول شيئاً، عبر إدخاله الأسطورة في سيرة بهاء الدين. واكتشاف ذلك أمر جدير بالجهد. لأنّه يطلّ بنا على الشخصية في حالة تفاعلها مع

جمهورها. وهو جانب لا سبيل إلى التعامل معه عبر النصوص الموضوعية. ولكن من المؤكد، أن الجمهور لم يبن تلك الشخصية الأسطورية عبثاً. وإنما لأن الروح الجمعية قد أدركت ما لم يدركه الباحثون حتى الآن. رأت جانب البطولة والرمزية التاريخية في الرجل، فنسجت له شخصية أخرى، تتصل بالروح الموضوعية اتصال الدوحة بالجذور. وقالت لنا بلغتها الرمزية الخاصة، مثلما تفعل الأحلام، حسب فرويد، كيف تفاعلت أهواء الجمهور وآماله مع بطلها. أمّا ماذا قالت بالضبط، فذلك موضوع آخر يستحق معالجة خاصة.



كانت تلك مقدمة لا بدّ منها لولوج رحاب بهاء الدين. ألجأ إليها ضرورة تصحيح أوهام تتعلق بسيرته، ثم ضرورة الربط بين الشخصية في مختلف تجلياتها، وبين النظام الفكري لصاحبها. وهما، كما نعرف، وجهان لعملية واحدة.

المعروف أن بهاء الدين قد ترك عدداً كبيراً من الآثار، يبلغ بها بعض كتّاب سيرته ما يقرب من تسعين مؤلفاً، بين كتاب كبير ورسالة صغيرة وقصيدة ولغز. وإذا كان حسابان رسالة صغيرة مؤلفاً مستقلاً أمراً مبرّراً، فإن مثل هذا الحساب يفقد كلّ مبرراته بالنسبة لعمل وضع ليكون مقدمة أو جزءاً من كتاب. مثل الوجيزة في علم الدراية، التي هي مقدمة كتابه المعروف الجبل المتين، أو الرسالة المشهورة باسم الفرائض البهائية وهي من أبواب الكتاب نفسه. وكذلك فلا مبرر لإفراد قصيدته وسيلة الفوز والأمان حين نذكر ديوانه، لمجرّد أنّها حظيت باهتمام خاص، ووُضعت لها الشروح الضافية.

في اعتقادي أن وضع ثبت نهائي لآثار بهاء الدين، وبالتالي تركيب صورة شاملة لعالمه الفكري، هو أمر لا يزال مبكراً جداً. يجب أن يسبقه تحقيق دقيق لكلّ مؤلف تحقيقاً يتضمّن بالطبع صحّة النسبة إليه. لقد أصاب الرجل شهرة كبيرة جداً، وحظي بعناية أقلّ بكثير. وفي غياب الحد الأدنى من الرقابة العلمية، أضحى الاسم الكبير ثروة سائبة، تغري بغاة الارتزاق من أيّ سبيل.

لقد ثبت لديّ بشكلٍ قاطع، أنّ ثلاثة من الكتب المفروضة المتداولة، المنشورة منسوبةً إليه، هي بالتأكيد منحولة عليه. منها هذا المعروف باسم المخلاة. من المؤكّد أنّه ترك كتاباً بهذا الاسم، والشهادات على ذلك مستفيضة، لكنّ هذا المطبوع المتداول يخلو من بصمات بهاء الدين المميّزة، التي لا يمكن أن تخطأها العين الخبيرة. هذا المخلاة هو، من الوجهة المعرفيّة، كتاب حيادي، لا طعم خاصّ له، يمكن لأيّ إنسان، يحمل الحدّ الأدنى من الكفاءة، أن يجمعه من هنا وهناك دون كبير جهد. إنّهُ مجموع ساذج، لا ذات له. حتّى ياء المتكلّم، عندما ترد في سياقه، لا تشير إلى أيّ مصدر ممّا نتوقع أن يأخذ بهاء الدين منه، ولم يورد أيّ طريق من طرق الحديث التي نعرف أنّهُ يعتمدُها، على كثرة ما في المجموع من حديث، وكذلك لم يذكر أيّ إنسان ممّن كان بهاء الدين اتّصل أو التقى بهم. الخلاصة، إنّهُ يتنافر تماماً مع كلّ ما نعرفه عن بهاء الدين إنساناً، وعلاقات، وانتماءً، وفكراً. ممّا يترك الباحث أمام أحد خيارين: فإنّما أن نتخلّى عن كلّ ما نعرفه من تلك الشؤون، وإنّما أن ننكر نسبةً لا سند لها. لذلك فإنّني أجزم أنّ اسم المجموع وجامعه، أو اسم جامعه على الأقلّ، قد ألصق إلصاقاً، لغايات تجاريّة بحتة على الأرجح.

من تلك الكتب المنحولة رسالة في تحقيق الكزّ طُبعت عدّة مرّات في إيران، في مكتبتنا منها طبعة حجرية صدرت سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م، والحقيقة أنّها من تأليف الوحيد البهبهاني، محمّد باقر بن محمّد أكمل المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م. هذا مع الإشارة إلى أنّ بهاء الدين قد ترك رسالة كبيرة، حول الموضوع نفسه، وإنّ بمنهج مختلف.

أمّا النحل الذي يصل إلى حدّ الافتراء، فهو تحميل الشيخ وزر رسالة تعرف بدرّالة في وحدة الوجود، وهي رسالة كبيرة، أو كتاب صغير قصد مؤلّفها تقديم فكرة وحدة الوجود بشكل مقبول، في أوساط أهل الشريعة والحديث. وقد طبعت في مصر منسوبة إليه، طبعة لست أعرف لها ثانياً. ثمّ نُسبت إليه في عامّة الفهارس

التي وُضعت لآثاره. وبنى عليها أحد المؤلفين نتائج طويلة عريضة. والغريب أنّ هذه السلسلة من الأخطاء قد تمت، دون أن تلقى اعتراضاً من أحد، رغم أنّ عناصر الشكّ في صحّة هذا الافتراء، لا أقلّ من الشكّ، متوفّرة، بحيث تغري الباحث بالمناقشة. من ذلك فقدان الانسجام، بل التنافر، بين الخطّ الفكري لبهاء الدين، وبين ما تقوله الرسالة. فضلاً عن أنّه لم يُنسب إليه عمل كهذا في أيّ مصدر سابق على تاريخ نشر الرسالة. وقد أُتيح لي أن أزور مكتبة عارف أفندي في استانبول، حيث اطّلت على النسخة الخطيّة، التي أخذ عنها الناشر، فوجدت أنّ اسم المؤلف الحقيقي هو محيي الدين بن بهاء الدين، المتوفّى سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م، مثبتاً بشكل واضح جليّ، لا لبس فيه ولا إبهام. والظاهر أنّ الناشر، وقد رأى التشابه بين اللقبين، أو بين اللقب والاسم، وجد الفرصة سانحة لضربة تجارية مجانيّة، إذ يزّين نشرته باسم رجل في شهرة العاملي، بدلاً عن تركي مغمور لا يعرفه أحد. ثمّ جاء من بعده من نقل دون تدقيق، فصار النحل مسلّمة لا نقاش فيها بسبب الاستفاضة، ولم يبقَ إلّا تقديم دراسات عن بهاء الدين، تعتمد هذه المادّة (الجديدة)، الأمر الذي تولّاه باحث عراقي، ضمن دراسة واسعة للصلة بين التشييع والتصوّف، وهي دراسة أصابت شهرة في الدوائر الغربيّة، المعنيّة بالدراسات الإسلاميّة. وهكذا باتت الحكاية مثل امرئ ضلّ الطريق: كلّما تقدّم أكثر، كلّما صار أكثر بعداً عن الجادة الصواب، وكلّ خطوة إلى الأمام، هي بمقياس الهدف الصحيح، خطوة إلى الوراء.

نسأله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت، وأن يجعلنا ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

أمّا كتاب أسرار البلاغة الذي طبع في مصر سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م منسوباً إليه أيضاً، فهو ونسبته معاً أهون من أن تقف عندهما.

إذ تغادر ذلك الجانب النقدي السلبي، فإنما الغاية والقصد أن نصل إلى الجانب الآخر الإيجابي، الذي أشار إليه عنوان البحث، أعني بهاء الدين مجدداً.

وإنني أزعم منذ البدء، أن الرجل لم ينسج في كل ما كتب على منوال غيره، بل كان دائماً يسلك الطريق الصعب إلى غايته، فيعبد سبيله الخاص. ليس طلباً للوحشة والغربة، بل أنساً بالمعرفة، ورغبة في إذاعتها وإشاعتها، أوسع ما تكون، وأيسر ما تكون. والتجديد عنده هو دائماً وأبداً تجديد منهجي، أي إنه يتناول المنهج، إذن فهو عمل تشكيلي، يعمد إلى المادة المعرفية فيفتتها، ثم يعيد تركيبها، فإذا هي شيء جديد. وإننا لن ندرك قيمة مساهمته هذه، إلا إذا قسناها إلى عصرها. ففي ذلك العصر كان المؤلفون والمدرسون يتبارون في تغيير الكلام وإثماضه، بحيث إنه كلما كان بعيداً عن الفهم، عصياً على السامع، كلما دلّ على ارتفاع مكانة قائله، أمّا الكلام السهل البين، فقد كان شيئاً مهيناً، متروكاً للسوقة. ولعلّه من المناسب هنا أن نذكر الإخوة المستعنين بما وصفنا به شخصية بهاء الدين الحرّة، ذات البعد الإنساني الشامل، لنضيفه - أي الوصف إلى نقدنا لمنهجه - فيتكامل أماننا وجهها العملة، أعني جانباً السلوك والفكر، تصديق لما سبق، حيث قلنا إنه مزيج بديع من البساطة والعظمة.

ولن نختم هذه الفقرة، دون الإشارة إلى أننا في نقدنا لنتاج بهاء الدين، إنما ركّزنا على الملمح الأساسي، وإلا فإنّ للرجل ابتكارات حيثما وضع يده. ولكن ماذا نفعل، والميدان قصير، والحصان قدير، والوقت ثلاثون دقيقة، أي ألف وثمانمائة ثانية عدداً، عليها رقيبٌ عتيد.

أعتقد أن أجل ما كتب بهاء الدين، هو كتاب غير معروف لدى قرائه بالعربية، لسبب بسيط هو أنه كتبه بالفارسية، ولم يُترجم إلى العربية، أعني كتابه الشهير جامع عباسي أي الجامع العباسي منسوباً إلى الشاه عباس الكبير، وإنني أعتمد في تقييمي للكتاب، مفهوماً أفقياً انتشارياً للثقافة، إذن فهو تقييم وظيفي، يأخذ في الاعتبار وظيفة العمل الفكري.

و جامع عتاسي هو كتاب فقهي جامع ميسر. جامع، من حيث إنه استوعب كلّ المادّة التي نجدها عادة في الكتب الفقهيّة المتوسّطة، بل إنه خرج على التبويب التقليدي للكتاب الفقهي، من حيث أضاف مادّة واسعة تتعلّق ببعض الأعمال المندوبة، خصوصاً زيارة مرافد الأئمّة عليهم السلام، ومولد رسول الله صلوات الله عليه وآله، فضلاً عن مناسك الحجّ، التي تفرد عادةً بكتب مستقلة. وميسر، من حيث إنه كُتب بلغة سهلة جداً، تكاد لا تستعصي على أيّ قارئ. وفي سبيل ذلك وضع تراكيب جديدة، كسرت اللغة الفقهيّة التقليديّة.

إنّ القيمة الكبرى لـ جامع عتاسي هي أنّه أوّل كتاب نزل بالمعرفه الفقهيّة من أبراجها إلى مستوى الجمهور، وذلك بسبب خصوصيّة الآفتي الذكر، ثمّ بسبب خصوصيّة المرحلة التاريخيّة، والجوّ النفسي الاجتماعي العام الذي اتّسمت به، ممّا سنشير إليه توّاً، وبذلك أتيح لهذا الكتاب أن يحقق إنجازاً هائلاً على المستوى المعرفي، وعلى المستوى الحضاري، في آن واحد معاً. أمّا على المستوى المعرفي، فواضح. وأمّا على المستوى الحضاري، فهو أنّه أتاح للتوجيه الفقهي الاتّصال مباشرةً بالحوافز السلوكيّة لأكبر عدد ممكن من الجمهور، فساهم في نسق منظومة العلاقات النفسيّة الاجتماعيّة، ومن السهل أن ندرك تأثير ذلك على الاتّجاهات السياسيّة والاجتماعيّة خصوصاً، واضعين في الحسبان، أنّ كلّ ذلك قد حصل في الوقت الذي كانت فيه إيران تجتاز مرحلتها الانتقاليّة، من الأقوام، مقنّعة بقناع المذاهب، إلى الأُمّة. فجاء جامع عتاسي ليهب الصياغة الناشطة دفعة إضافية ما كان عنها بديل.

أعتقد أنّ هذا الكتاب، هو أحد أعظم الكتب تأثيراً في تاريخ الشعوب الإسلاميّة.

أما كتاب الفوائد الصمدية فالتجديد المنهجي فيه أبين. فهو كتاب في النحو، وضعه لشقيقه الأصغر عبد الصمد، الذي توفّي في مقتبل العمر. وإنّني أريد أن أبوح

لكم بأمر، أرجو أن يكون موضع تفهّمكم، فلا تظنّوا بي الظنون، فأنا والله الحمد في صحّة نفسيّة جيّدة. وهو أنّني ما أخذت هذا الكتاب بين يديّ، إلّا وأكاد أشعر بأنّ له قلباً ينبض، فكأنّ مؤلّفه، رحمت الله تعالى عليه، وهو الذي وسع الناس جميعاً حبّاً، قد أفرغ فيه قلبه الكبير. وأخال أنّه ما كتبه إلّا إشفافاً على أخيه من كتب النحو الجافّة المعقّدة، التي كان عليه أن يدرسها. ولسنا ندري حقّاً، هل أتاح الزمان لعبد الصمد أن يفيد من عطف أخيه، أم أنّ ملك الموت سبق؟ ولكنّا نعلم بالتأكيد أنّ عشرات الألوف، بل مئات الألوف، من مثل عبد الصمد، قد درجوا إلى العلم عبر هذا الكتاب، بعد أن انتشر وذاع، وما يزال يقدّم الفوائد الصمديّة المدّة التي نجدها عادةً في كتب النحو المختصرة، لكنّها موزّعة توزيعاً مبتكراً. إذ ركبّه من خمس حدائق: أي أبواب ونلفت النظر هنا إلى ما في هذه الاستعارة من دلالة، وصلتها بالمنهج من جهة، وبما أحاط تأليف الكتاب من جوّ حميم، من الجهة الأخرى، فكأنّ المؤلّف كان يقوم بعمل تزييني.

قسّم المؤلّف مادّة كتابه إلى أربعة أقسام، خلا المقدّمة: الاسم، الفعل، الجمل، الحروف. فخصّ الاسم ببابٍ مستقلّ، فدرسه في مواضعه المختلفة: مبنياً ومعرباً، نكرةً ومعرفةً وأنواع المعارف، ومثنّىً وجمعاً... إلى آخره. ثمّ انتقل إلى الأفعال، فدرس أنواعها، الماضي والمضارع والأمر، والمبني والمعرب، واللازم والمتعدّي وما إلى ذلك. وفي الحديقة الرابعة الجمل وما يتبعها، اسميّة وفعلية، التي لها محلّ من الإعراب والتي لا محلّ لها. وختم في الحديقة الخامسة بالمفردات، أي الحروف ذات المعاني، فأثبتها منسوقة على الألفباء، ملحقاً كلّ حرف ببيان مختصر بمعناه ووظيفته.

لن أقول شيئاً في نقد هذا المنهج: فأنا أعلم وتعلمون، بأنّ تيسير النحو، كان وما يزال مشكلة تربويّة عصيّة، ولكنني أراه، كواضعه، يجمع بين البساطة والإبداع، إلى درجة أنّ المرء يتساءل: لماذا لم يفكر أحد بمثل هذا قبل بهاء الدين.

نعم، بعد أربعة قرون من حياة الفوائد الصمدية خرج على الناس أستاذ في جامعة مصرية بمشروع لتيسير النحو، ضمّنه كتاباً يحمل اسم لغة الإعراب. هذا المشروع هو تماماً منهج العاملي في الفوائد الصمدية، لم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة، قدّمه على أنّه من ابتكاره هو، لم يسبقه إليه سابق.

ولن أعلّق على هذا الفعل بشيء، تاركاً لكلّ منكم أن يعلّق بما يشاء. ولكنني أذكركم بما قلته قبل قليل، من أنّ بهاء الدين ثروة سائبة.

وإنّا حتماً لن نستطيع أن نستمرّ في تتبّعنا لمنهجية الشيخ التجديدية في كلّ كتاب من كتبه. ولذلك فإنّنا سنكتفي بالإشارة إلى أمرين جليين، يتّصلان بخطّتنا في هذا البحث، من جهة، كما يتّصلان بمنهجية الشيخ فقيهاً. هذان الأمران هما عنصران أساسيان، ما يزالان مفقودين عندنا حتّى اليوم. أي إنّنا سنكتشف فيما يلي، أين يتقدّمنا بهاء الدين.

الأمر الأول :

فمن مشروعات المنهجية الجليّة، عمله على نسق النصوص التي يرجع إليها المجتهد في استنباط الحكم الشرعي، من قرآن وحديث، نسقاً موضوعياً. ابتداءً من الفرع الفقهي حسب موقعه من الكتاب الفقهي، وانتهاءً إلى الفرع نفسه، ولكنّه يبدأ به بشكل فتوى، لينتهي منه وقد أصبح محصّلة عمل اجتهادي متكامل. أي نموذجياً، مروراً بالآلية التالية :

١ - الفرع الفقهي.

٢ - نصوص من قرآن وحديث مستوفاة، بحيث لا يشذّ عنه نصّ ذو علاقة بالمسألة.

٣ - نقد الحديث من حيث سنده.

٤ - مناقشة الدلالات بيانيّاً واجتهاديّاً وفقاهتيّاً.

٥ - العودة إلى الفرع الفقهي.

من كلّ هذا نعرف أنّ مشروعه كان أكبر بكثير من مجرد عمل فهرسي، وإن تكن الفهرسة جزءاً أساسياً منه، الغاية من منهجة كامل العملية الاجتهادية يتداخل فيها علوم القرآن والحديث والرجال واللغة والأصول والقواعد الفقهية، بشكل تراتبي، بحيث تتآزر جميع المحصّلات العلمية لتنتج الحكم الشرعي.

قيمة هذا المنهج، أنّه يوفّر جهوداً كبيرة، تضع إذ يضطرّ كلّ فقيه، إلى العودة إلى المصادر الواسعة، غير المفهرسة غالباً، لآيات الأحكام والحديث ورجاله وما إلى ذلك.

وقد حقّق هذا المشروع منهجياً، وعلى مستويين مختلفين، في كتابيه الحبل المتين وشرق الشمس. ولكننا نلاحظ أنّ هذا الاتجاه المنهجي لم يستمرّ من بعد الشيخ، لأسباب ليس هنا محلّ بحثها. كما أنّنا نلاحظ أيضاً، أنّ الأسباب التي نتصوّر أنّها دعت الشيخ للقيام بمشروعه هذا ما تزال قائمة، بحيث إنّ الفقيه اليوم، ما يزال يعاني الكثير من تشابك وتداخل المصادر، وفقدان المنهجية في وضعها.

أما الأمر الثاني، فهو تداخل العقلية العلمية والتفكير الفقهي عنده، وتداول التأثير بينهما.

فمن المعلوم أنّ الشيخ شارك في علوم عصره، من فلك وهندسة وحساب وطبّ، وكانت مشاركته في بعضها متقدّمة. وقد تحدّث بعض من سبقني في هذه الندوة حول الموضوع، ممّا يجعل أكثر من التذكير به تكراراً غير مفيد. إنّما أودّ أن أضيف إلى ذلك، الوقوف عند جانب تأثير معرفته العلمية في آرائه كفقهاء. كما أنّ من الممكن أن ننظر إلى الموضوع من الزاوية الأخرى، فنتحدّث عن تأثير مشاركته الفقهية في أعماله كعالم، لولا ضيق فسحة الوقت من جهة، وثقنا بأنّ هناك من هو أحقّ ممّا بمعالجة هذا الموضوع، بين مؤرّخي العلوم في الحضارة الإسلامية.

في سبيل تقديم مثال على تأثير نضجه العلمي على آرائه كفقهاء، سأكتفي على سبيل المثال والنموذج، بأن أنقل إليكم النصّ التالي، الذي فنّد فيه رأي من يمنع

جواز التعويل على علماء الهيئة في تحديد موضوعات شرعية، مقتبساً من كتابه
المجلد المتين الصفحة ١٩٤ - ٩٥ ط. إيران ١٣١٩، مع التأكيد على أنه مجرد مثال
له ما لا يحصى من النظائر.

يقول :

«وأما قولك :، إنَّ شيئاً من كلامهم - أي علماء الهيئة - لا يفيد علماً ولا ظناً،
فبعيد عن جادة الإنصاف جداً. وكيف لا يفيد شيء من كلامهم علماً ولا ظناً، وقد
ثبت أكثره بالدلائل الهندسية؟».

«وأما قولك : إنَّه لا وثوق لك بإسلامهم، فضلاً عن عدالتهم (...) فكلام عارٍ عن
حلية السداد. إذ اليقين غير شرط. ورجوع الفقهاء فيما يحتاجون إليه من كلِّ فنٍّ
إلى علماء ذلك الفنِّ، وتعويلهم على قواعدهم - إذا لم تكن مخالفة لقوانين الشرع -
شائع، ذائع، معروف فيما بينهم، كرجوعهم في مسائل النحو إلى النحاة، وفي
مسائل اللغة إلى اللغويين، وفي مسائل الطبِّ إلى الأطباء، وفي مسائل المساحة
والجبر والمقابلة والخطأين وما شاكلها إلى أهل الحساب؛ من غير بحثهم في
عدالتهم وفسقهم. بل يأخذون عنهم تلك المسائل مسلّمة، ويعملون بها من دون نظر
في دلائلهم والتي أدّتهم إليها، لحصول الظنِّ الغالب بأنَّ الجَمَّ الغفير من الحدّاق في
صناعة من الصناعات، إذا اتّفقت كلمتهم على شيء ممّا يتعلّق بتلك الصناعة، فهو
أبعد عن الخطأ».

للمرّة الثانية أقول لكم، هو ذا بهاء الدين، روحٌ عذبة، وعقلٌ نهجي. وها هو هنا
صديق للمعرفة ليس عنده أيّة مشكلة معها. امرؤٌ عرف شيئاً من الحقائق التي
أودعها الله تعالى فيما خلق، وعرف شريعته المنزلة على سيّد من خلق، وها هو
مأخوذاً بالعجب، كيف يجروء امرؤ على الفصل بين شريعته المحقّقة وشريعته
المنزلة، وكلّ من عند الله. إنَّ بهاء الدين في موقفه هذا ما يزال متقدّماً علينا حتّى
الآن بما لا يُقاس.

قراءة ثانية في ديوان الشيخ البهائي^١

الدكتور محمد التونسي

حين أهديت كتابي الجديد عن العاملي وديوانه إلى الدكتور رئيس جامعة حلب، سألني: وهل تفهم علمه ورياضياته حتى تكتب عنه، وأنت الأديب؟ لكنه حين قلب الكتاب وقرأ بعض شعره بإمعان، عجب أن رأى العاملي؛ عالم الرياضيات، ذا شعر رصين!

فما يعرفه العلماء عن الشيخ البهائي غير ما يعرفه الأدباء، وهو غير ما يعرفه أهل الزهد والحكمة، وغير ما يقدره أهل النقد والبلاغة والتاريخ؛ لأنّ البهائي واسع الأفق والمعرفة، فاق عصره وتخطى أقرانه بمؤلفات دلت على حصافة هذا الرجل النادر.

فكثير من العلماء في عصره قالوا شعراً بدافع ضرورة استكمال آداب الثقافة، لكنّ روح العلم لديهم كانت تطفئ على شاعريتهم، وهذا أمر طبيعي، تماماً كالشاعر الذي يؤلف في بعض العلوم، لكنّ الشيخ البهائي كان أوفر حظاً من الشعراء العلماء ومن العلماء الشعراء. فأنت حين تقرأ علمه لا تظنّ به شاعراً، وأنت

١. مجلة الثقافة الإسلامية، العدد الخامس ١٤٠٦ هـ، ص ١٤٤-١٥٤.

إذا قرأت بعد ذلك شعره تنسى أنّه عالم، لأنّ القدرة التي هيّاها الله تعالى له مكنته من أن يوسع كلّ فنّ حقّه، ويولي كلّ موضوع استحقاقه. ومع ذلك فإنّه كان يقول الشعر حبّاً في قول الشعر، ورغبةً في التعبير عن وجدانه ومشاعره وليس هوىً في نظم، وسعيّاً وراء كسب. وهو نفسه يقول:

فَرُمْتُ شَيْئاً مُشْغِلاً لِبَالِي عَمَّا أَقَاسِيهِ مِنَ الْبَلْبَالِ
فلم أجد أبهى من الأشعارِ وليس نظمُ الشعر من شعاري
ولقد أحببت البهائي حبّاً خالصاً لوجه الله، وأوليته اهتماماً كبيراً في دراستي وفي تدريسي لمادّة الأدب في العصر العثماني. وإِنِّي أدّرّسه ناثراً، ناقداً، ذوّاقاً، في كشكوله ومخلاته، وأدّرّسه شاعراً بارعاً في قصائده ومقطّعاته ورباعيّاته. وسأحاول في هذه العُجالة أن أطوف بين رحاب ديوانه اقتطف من شعره الرطب الداني، والناضج الحلو الحاني، مقدّراً فيه عذب القول، وبراعة الطول، وتوزّع الجول.

لم يكن ديوانه قليل الكمّ؛ فقد ضمّ سبعمئة بيت، وهو عدد كافٍ ليكون ديواناً جامعاً لإنسان مثقّف. كان فيه ذا نفس طويل أحياناً تبلغ بعض قصائده مئة بيت (وهي طرديّته في وصف هراة وطبيعتها). ناهيك عن عدد حسن من القطع القصيرة التي لم تحتاج معانيها إلى الإطالة. كما إنّ نظم ثلاثين رباعيّة في فنون القول، وأغلبها في الحكمة والموعظة.

ولم يكن - كذلك - ديوانه قليل الكيف، فلقد ارتقى مستوى شعر الشيخ البهائي، وامتاز بجيّدات جيّدات فاق بهنّ شعراء القرن الحادي عشر. ونظم في أبرز فنون الشعر كالمدح الديني، والمدح الشخصي، والحكمة والموعظة، والعتاب والوصف والغزل.

ونحن لا نشكّ في أنّ كثيراً من شعره قد ضاع، وهذه مصيبة الشعراء العلماء؛ لأنّنا نرى الدارسين يهتمّون بعلومهم، ولا يعمدون إلى جمع أشعارهم، ولأنّ هذه

الفئة المثقفة لم تجمع شعرها بنفسها، أو إنّها لم تحتفظ بما نظمت كما تحتفظ بما ألّفت. ودليلنا على ضياع كثير من شعره أنّ ديوانه الذي جمعه له محمّد رضا الحرّ ضاع، فاضطررنا إلى التقاط قصائده من كتبه ومن كتب التراجم التي نوّهت به. ولا شكّ أنّ أفضل (وأصحّ) ما وصل إلينا من شعره ذلك الذي دوّنه بقلمه في بعض كتبه.

ولاحظنا أنّ العاملي نظم في أغلب فنون الشعر التقليديّة، وأنّه أجاد في كثير منها إذا ما قسناها بما قاله المعاصرون. على أنّه مال إلى بعض الأغراض أكثر من غيرها. ولا شكّ أنّ شعره الديني يناسب مقامه الرفيع، وهو الشيخ سليل أسرة العلم، وريب جبلٍ عُرف باتّجاه أغلب رجاله إلى الرصانة والحصافة، وصديق علماء وسادة في أصفهان لم يعرف عنهم تحزّب أو تطرّف أو انزلاق.

وهكذا، يا سادتي، طغى شعره الديني على أغراضه الأخرى كمّاً وكيفاً، شكلاً وقالباً. فهو فيه تقليدي تماماً، طويل النفس، متين التعبير، ينتقي أفضل المعاني ويصّبّها بأحسن قالب. وقد تمثّل شعره الديني في المديح الديني، ولثم عتبات الحجاز بعد أن كحلّ عينيه بمرأى تلك الديار المقدّسة. وممّا قال :

يا قومُ بمكةٍ أنا ذا ضيف ذي زمزم، ذي منى، وهذا الخيف
كم أعركُم مقلتي لأستيقن هل في اليقظة ما أراه، أو ذا طيف؟

وتنبع روحه الصوفيّة في مدى عشقه للنبي وآله، فنراه يتذكّر مولانا الرومي ومثنويّه ونايه الرمزي، ويحضّ على اغتنام الفرص للعبادة. وهو في قصائده يتمثّل نديماً يخاطبه، ويستخدم رموزاً معبّرة عن حبّه الصادق هذا. وعشقه الزائد للنبيّ هداه إلى رؤيته في المنام، أسوةً بعشّاق رسولنا الكريم، أولئك الذين ينامون على حبّه، ويستيقظون على حبّه. قال :

وليلةٍ كان بها طالعي في ذروة السعد وأوج الكمال
فيا لها من ليلةٍ نلتُ في ظلامها ما لم يكن في خيال
سُقيتُ في ظلماتها خمرَةً صافيةً صرفاً طهوراً حلال

والذي يحبّ النبيّ يحبّ آله الأكرمين، ومن يمدحه يمدحهم، فراح كغيره يهتبل
الفرص ليعبّر عن حبّه لهم وشوقه الفيّاض إلى خدمتهم. وقد شغل فكره في المهدي
المنتظر، فنظم قصيدته الشهيرة «الفوز والأمني في مدح صاحب الزمان» في سبعة
وستين بيتاً، كما ذكره في سبع عشرة رباعيّة. وتنضح أشعاره هذه بتقبيل العتبات
المقدّسة، والشوق العارم، والعواطف الجائشة، والدموع، والذلّ، والبلوى :

أأضرع للبلوى وأغضي على القذى وأرضى بما يرضى به كلُّ خَوَارٍ؟
وافرحُ من دهري بلذة ساعة وأقنع من عيشي بقرصٍ وأطمارٍ
إذن لا وري زندي ولا عَزَّ جانبي ولا بزغت في قمّة المجد أقماري
وكيف لا ينضوي تحت لوائهم، وهم عمد العلم، والوسطاء الطيّبون للعفو
والمغفرة؟ ويبلغ شوقه أعظم مراحل حين يمثل أمام مشهد الإمام الرضا في
طوس، فينكشف عنه الهيام حيال هذا المقام، وترتجف فرائضه وتهن قواه :

إن جئتُ أقصُّ قصّة الشوق إليك إن جئتُ إلى طوسٍ فبالله عليك
قَبْلَ عَنِّي ضريح مولاي وقل قد مات بهائيك بالشوق إليك
ولا بدّ لرجل الدين العالم، المثقّف المتعلّم، العارف المعلّم، السائح الجوّال، من
حصيلة ضخمة من التجارب. فهو لا يتوقّف عن إسداء النصّح ناثراً وشاعراً. وهو
في نصائحه الشعرية لا يميل إلى الإطالة، لكنّه لا يقولها في عجالة. وهي لسان
حال المؤمن الحكيم، الذي يرحّب بالموت ويزهد في ملذّات الدنيا الزائلة :

يا ربّ إنّني مذنبٌ خاطي مقصّرٌ في صالحات القرب
وليس لي من عملٍ صالح أرجوه في الحشر لدفع الكرب
غير اعتقادي حبّ خير الوري وآله والمرء مع من أحبّ
لكنّه في نصائحه لم يكن تقليديّاً دائماً، ولم ينسَ نفسه أنّه معلّم، وأنّ على
المعلّم أن يكون متواضعاً، ويعترف بما يعرف وبما لا يعرف، فهذا هو ذا يحضّ
المعلّمين على التحلّي بالروح العلميّة الصريحة، بمواعظ لم تخطر على بال :

مرادك أن ترى في كل يوم وبين يديك قوم أي قوم
إذا ما قلت أصغوا للمقال وإن حدثت بالأمر المحال
فليس لهم جميعاً من بضاعة سوى سمعاً لمولانا وطاعة
وعبت أئمة قالوا بذاكا وفي تجهيلهم فغرت فاكا
لئن لم ترتدع عن ذي الظلامة فبئس الحال حالك في القيامة

أما الذين يكتزون الكتب ولا يقرأونها، أو يجمعونها ليتفاحوا بشرحها، وهم
لاهون عن العبادة وذكر الله، فالتقريع يلزمهم :

بهذا النحو صرفُ العمر جهلُ فقم واجهد فما في الوقت مهلُ
ودع عنك الشروح مع الحواشي فهنّ على البصائر كالغواشي
وينزل الشيخ البهائي إلى المجتمع فيلقى وباء الرشا قد ملأ الحشا، وأنها تغرست
بين أفراد الشعب بعد أن كانت من خصائص الأُمراء الباشوات الذين كانوا يمتصّون
دماء الشعب. فماذا جرى اليوم للشعب؟ وكم كان يؤلمه أن يرى قضايا الشعب لا
تحلّ إلا إذا حلت أكياس الدراهم؟

وأكرم من يدقّ الباب شخصُ ثقیل الحمل مشغول اليدين
ينوء إذا مشى حنقاً ونفخاً وينطح بابه بالركبتين
وأكرم شافعٍ يمشي عليه أبو المنقوش فوق الصفحتين

والغرض الآخر الذي توقّف عنده كثيراً في شعره، وهو في الوقت ذاته يدلّ على
رجاحة عقل وتقدير شعره في والده. فقد خصّ العاملي والده بعدد من القصائد حيّاً
مديحاً، وميتاً رثاءً. فقد كان يحبّ والده كثيراً، وكثيراً ما كان يرسل إليه قصائد الودّ
والشوق والاحترام. وكانت أغلب قصائده فيه رسائل كان يبعث بها إليه، لأنّ
الاثنتين كانا في أسفار متواصلة. حتّى إنّه حين توقّى أبوه لم يكن العاملي إلى
جانبه، فرثاه بعاطفة وجدائيّة حرّى، فقال :

بقزوين جسمي وروحي ثَوْتُ بأرض الهـِـرة وسكَّانها
فهذا تغرَّب عن أهله وتلك أقامت بأوطانها

ولم نَرَ الشاعر العاملي مدح غير والده وغير بعض الأصدقاء والعلماء حباً منه وتقديراً، لا تكسباً ودنانير. وكيف يمدح تكسباً وترلفاً، وهو الذي عاف بهرجة الدنيا، وحضَّ على ترك ملذَّاتها؟ وحضَّ على المعروف وعمل به؟ ونظر العاملي إلى الطبيعة الخضراء، فمجَّد الخالق في ما خلق، وتوقَّف عند هـِـرة إحدى أخصب مدن الدنيا، وأولاها بمعلقة من مئة بيت، تغنَّى فيها بوصفها وثمارها وأخيارها. وكيف لا يعجب بهـِـرة وقد كانت قبلة الأنظار؟ وهذا البارع الزوزني قبله يقول فيها:

هـِـرة أردت مُقامي بها لشتى فضائلها الوافرة
نسيم الشمال وأعنانها وأعين غزلانها الساحرة
فليس غريباً أن يعجب العاملي بطبيعتها، ومما قاله في ثمارها:

ثمارها في غاية اللطافة لا ضررُ فيها ولا مخافة
تخال في أغصانها الدواني أشربة الحسن بلا أوان

كما أنَّ أسفاره العديدة ملأت أبصاره بمغاني الطبيعة. فهو حين قدِم مصر ولقي السيّد البكري قال فيها:

قد أخجل المسك نسيمُ لها وزهرها قد أرخصَ الغالية
دقيقة أصنافُ أوصافها وما لها في حسنِها ثانية

أمّا في مجال الغزل والخمرة فقد كان العرف في العصر الإسلاميّة المتأخّرة أنَّ من لا يتغرَّل ولا يصف خال المحبوب، ولا يذكر النشوة والطيوب ليس بشاعر. حتّى غدا حديث الغزل داءً عضالاً لا مندوحة عن خوض معمراته وإن كان الشاعر وقوراً، مفكراً في العواقب، شيخاً شائباً. وكثيراً ما كنت ألقى في دمية القصر وفي

غيرها من المجموعات الشعرية في العصر الإسلامية قول المؤلف : « وللشيخ والدي » أو قوله : « ولشيخ الإسلام هذا الخال ».

ولعلّ أدهى ما عرف به هذا العصر تغزّلهم بالغلّمان . صحيح أنّ بعضهم كان يتغزّل عن تجربة سامحه الله ! لكنّ الغالبية كانت أسمى من أن تزلّ قدمها قيد أنملة في مسالك المهالك . إلّا أنّ براعة الشاعر كانت تحتمّ عليه أن يشعرنا بصدق عاطفته ، وإن كان من النّسّاك الطاهرين . وشيخنا البهائي كان من هذه الفئة الشاعرة الطاهرة . فنحن لا نصّدقه قطعاً في حديثه مع نديمه ! إذ يقول :

يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوس من هاتيك
هاتها هاتها مشعشةً أفست نُسك ذي التقى النسيك
ولن نصّدقه كذلك إذ يقول :

ومائسة الأعطاف تستر وجهها بمعصمها ، لله كم هتكت سترا
أرادت لتخفي فتنةً من جمالها بمعصمها ، فاستأنفت فتنةً أخرى
أقول : لن نصّدقه لأنّا نعلم استقامته ونبله ونسكه ، لكنّا نقدر فيه شاعريته الرائقة ، ونعلم صفاء نفسه الصادقة . وما قاله في هذا الميدان كان مجازاةً للعصر . ونحن إذا كنّا واثقين من أنّه لم يجرب الغزل المشبوه فإنّا أكثر ثقةً من عدم شربه للخمرة . والخمرة في أغلب الأحيان عند شيخنا الوقور رمز يتّخذها الشاعر مركبة يطوي بها المعاني ، وتوطئة يوضح بها الأمانى . ولعلّ قارئ ديوان العاملي يلاحظ أنّه يستخدم الخمرة والغناء بعض آلات العزف والنديم والكؤوس في مقام المدائح النبوية وذكر العتبات القدسية ، وذلك لقصد التعبير عن النشوة الحلال التي تسكره بها المشاهد المقدّسة والذكريات الغالية . فاسمعه يتحدّث عن الليلة التي رأى فيها النبي ﷺ في المنام :

سُقيت في ظلّها خمرهً صافيةً صرفاً طهوراً

واسمع منه مطلع إحدى سانحاته الحجازية وهو يذكر النديم والكأس :

يا نديمي ضاع عمري وانقضى قم لإدراكِ زمانٍ قد مضى
واغسل الأدناس عني بالمدام واملأ الأقداح منها يا غلام
واسقني كأساً فقد لاح الصباح والثريا غربت والديك صاح
هايتها من غير مهلٍ يا نديم خمرة يحيا بها العظم الرميم

أحسب أن من يسمع هذه الأبيات ولا يعرف الشيخ البهائي حق المعرفة يقول : إن الشاعر خمريّ النزوات، نوّاسي الحيات. لكنّه حين يطّلع على حياته وأخلاقه وموضوعاته، وعلى مؤلفاته وعلومه، يوقن برمزية خمريّاته، وصفاء سريره. بل إنّه حين أراد تضمين عجز بيت للشاعر الجامي، نظم قصّة شعريّة سكب فيها براعته الفنيّة، حتّى ليخيّل إلى قارئها أنّها واقعيّة تماماً لوضوحها ودقّة وصفها، وجاذبيّة حوارها. وهو في تضمينه هذا شبيه بالشاعر مسكين الدارمي في قطعته « ذات الخمار الأسود »، فلا هو عشق تلك الجارية ولا هو رآها ومع ذلك فقد اشتهرت القصيدتان فنيّاً ورقّةً مع مسيرة الأيّام.

ومن البديهي، لمن ترفّع عمّا أسف به شعراء العصر من معانٍ وأغراض أن يترفّع عن استخدام أشكالهم الشعريّة من مواليا وقوما وأزجال... فقد كان العاملي أحد الشعراء العلماء الذين طبعوا أسلوبهم بطابع العلاج الفكري والانتقاء اللغوي، وحرص على منهج القصيدة العربي الأصيل، ولا تعدّ رباعيّاته من الأشكال الشعريّة الجديدة، لأنّ الرباعي من ابتكار العروض الفارسي، الذي سكبت فيه المواعظ والآراء في الحياة والحكمة.

لكنّه لم يستطع أن ينجو من بعض داء العصر الذي هو الصنعة. فقد استخدم التضمين كثيراً واقتبس عدداً من الآيات الكريمة وصبّها في شعره. وأكثر من حديث النحو ودروسه في الشعر، والذي يدعى في باب البديع بالتوجيه، كقوله :

والصدعُ واوٍ ليس واو العطفِ والثدي رمّانٌ عزيزُ القطفِ

وكقوله :

فمن قلّة التمييز حالي سيءٌ وفعلِي معتلٌ وهميٌ مُمتدٌ

وهذا كلّ من باب الثقافة الدينيّة والعلميّة للشاعر. ثمّ هناك الألغاز والتلاعب بالأحرف الهجائيّة والطّي والنشر، ممّا ندعوه بالشعر الترفيهي.

على أنّه برع بعرض عظاته عن طريق القصص الشعري والحوار الحركي، ليقينه بجدوى الفائدة وتأثير العظة عن هذا الطريق. وكنا أشرنا إلى القصّة الشعريّة التي كان أساسها تضمين شطرة للجامي. كما أنّه أراد أن يعلم الناس استئصال جذور الشرّ من النفوس، فابتدع قصّة فتى كردي هان عليه أن يقتل أمّه بعد أن تدنّست بوبيل السبل، ليعلي كلمة الشرف، فقال قصيدة كبيرة كانت من سانحات سفره إلى الحجاز، ومنها :

كانَ في الأكراد شخصٌ ذو سداد أمّه ذات اشتهار بالفساد
لم تخيّب من نوالٍ راغبا لم تنفّر عن وصالٍ طالبا
جاءها بعضُ الليالي ذو أمل فاعتراه الابن في ذاك العمل
شقّ بالسكّين فوراً صدرها في مُحاق الموت أخفى بدرها

وبعد، هذا هو الشيخ البهائي شاعراً سامي الأفكار، رفيع الاعتبار، عَقّاً لم يسف، مترفعاً عن كلّ ما يشين. ولا أقول إنّهُ فاق بشعره علمه، إلّا أنّي بدراستي لشعره العربي هذا أحاول أن أبين أهميّة هذا الإنسان العلم، وضرورة دراسته من كلّ جنبات معارفه، إظهاراً لعبقرية رجل مسلم، كان إحدى لبنات التقدّم الإسلامي الحرّ، وواحداً من العبقریات الفدّة على مسيرة الدهور.

بهاء الدين العالمي العالم الموسوعي العربي^١

الدكتور حسن محمود أبو عليوي

لم يكن البهاء العالمي نكرةً يصحّ معها اكتشاف شخصيّته العلميّة والأدبيّة، وإنّما كان علماً من أعلام الإسلام، أديباً شاعراً ومؤلفاً متنوّع المواهب، علامة عصره، بهاء الملة والحقّ والدين. كان رئيساً بدار السلطنة في أصفهان، وشيخ الإسلام فيها وله منزلة عظيمة عند سلطانها الشاه عبّاس الصفوي، وله صنف الجامع العباسي. ولكنّ البهاء العالمي مع هذه الشهرة الواسعة، وذلك الفضل المنتشر لم يخصّص بدراسة أكاديميّة جامعة تنصفه وتظهر مكانته في العلوم والآداب والفقه، فلم يأخذ حقّه من التقدير العلمي، ولم ننظّم له ذكرى مئويّة برغم مرور ثلاثمائة وخمسين سنة ونيّف على وفاته، كما أخذ غيره من علماء العربيّة وأدبائها الذين كانوا دونه علماً وأدباً وحسباً، وإنّنا نزوّ السبب في ذلك إلى اختلاف النزعة في المعتقد الديني واشتداد التعصّب المذهبي وخاصّة في الحقبتيّن المملوكيّة والعثمانيّة. إنّ تكريم العلماء والأدباء والفضلاء أمانة في أعناق الأُمّة، فالتقصير في ذلك تنكّر لمجدٍ غابر، وضياحٍ لجزء هامّ من تراثنا وماضيّنَا الحافل بالأُمجاد.

لذلك نرى من الواجب علينا نحن المثقفين في عصرٍ ضاعت فيه القيم، أن نجدّد العزم على إحياء تراث أمتنا وإبراز الصفحات المشرقة من تاريخها، وإظهار الشخصيات العلميّة والأدبيّة البارزة، وإزالة الغبار المتراكم عنها بإثارة الانتباه إلى مكانتها وأهميّتها أمام الأجيال الحاضرة لتبقى عمليّة التواصل مستمرة، ولكي نقدّي بالسلف الصالح ويكون حاضرنا وقيّاً لماضيها.

فمن هو البهاء العاملي؟

نسبه ومولده ووفاته :

هو محمّد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمّد الجبعي العاملي الحارثي الهمداني^١، لُقّب ببهاء الدين، وهو المعروف بالبهاء العاملي وأشهر من أُطلق عليه لقب العاملي^٢. نسبةً إلى جبل عامل في جنوب لبنان، وهو الحارثي نسبةً إلى الحارث الهمداني صاحب الإمام عليّ بن أبي طالب^٣.

١. الهمداني نسبةً إلى همدان القبيلة العربيّة المشهورة، وهم حيّ من اليمن وهمذان - بالذال المعجمة وفتح الميم - مدينة إيرانيّة، وقد وردت نسبته الهمداني عند خير الدين الزركلي في الأعلام ٦: ١٠٢ دار العلم للملايين ط ٥ بيروت ١٩٨٠، والهمداني عند السيّد محسن الأمين، دار التعارف ط ١، بيروت ١٩٨٣. وعند بطرس البستاني في دائرة معارف البستاني ١١: ٤٦٢.

٢. ورد في كتب الأعلام عدد من الرجال باسم «بهاء الدين العاملي» وقع فيهم بعض المؤرّخين بخطأ منهم: بهاء الدين العاملي الشهيدي - وبهاء الدين العاملي نزيل مدرّس - وبهاء الدين العاملي النباطي. الدكتور محمّد التونجي، بهاء الدين العاملي أديباً، شاعراً، عالماً ص ١٢، منشورات المستشاريّة الشافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، دمشق ١٩٨٥.

٣. وهو الذي قال له أمير المؤمنين عليّ شعراً، منه:

يا حارِ همدانَ مَنْ يَمْثُ يَزَنِي من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبِلَا

يا حار: ترخيم يا حارث. وقبيلة همدان كانت مخلصة في ولائها للإمام عليّ ورجالها صبروا معه في صفّين،

ولد بهاء الدين في بعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، حيث أقام والده مدة من الزمن، وكان يتردد على مدرستها النورية ويأخذ عن كبار شيوخها ومنهم الشهيد الثاني الشيخ زين الدين^١. ثم انتقل به والده وهو حدث من البلاد العاملية إلى بلاد العجم، ووالده الشيخ حسين بن عبد الصمد من كبار العلماء، ففي مدينة (هراة) الفارسية قلّده السلطان طهماز الصفوي مشيخة الإسلام، كما فوّض إليه أمر التدريس بعد أستاذه المحقق الكركي^٢.

وكانت وفاته في الثاني عشر من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين وألف بأصفهان، ونقل قبل دفنه إلى مشهد (طوس) حيث دفن في داره القريبة من الحضرة الرضوية (مرقد الإمام الرضا) عملاً بوصيته^٣.

→ فقال فيهم الإمام :

لَهْمْدَانِ أَخْلَاقٌ وَدِينٌ يَزِينُهَا وَيَأْسُ إِذَا لَاقُوا وَحُسْنُ كَلَامٍ
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّاباً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهْمْدَانِ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ

محسن الأمين، أعيان الشيعة ٩ : ٢٣٤؛ ابن معصوم، سلافة العصر : ٢٨٩.

١. ابن معصوم، سلافة العصر : ٢٩٠، وقد أخطأ أبو المعالي الطالوي إذ ذكر أنّ ولادته كانت في «أمل» بمنطقة قزوین، فالذي ولد فيها أخوه الأصغر أبو تراب. وقد وقع في هذا الوهم أيضاً قدری حافظ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي) فاعتقد أنّه ولد في أمل ببلاد فارس.

٢. المحقق الكركي عاملي الأصل وكبير من أئمة المذهب الجعفري، وصاحب تصانيف كثيرة في الفقه، وتولّى الإفتاء زمن طهماسب الصفوي، وتوفي سنة ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م.

محمد كاظم مكّي، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل : ٩٧، دار الأندلس ط ٢ بيروت ١٩٨٢.

٣. اختلف في سنة وفاته، فقد ذكر كلّ من تلميذه : السيّد حسين بن السيّد حيدر الحسيني الكركي العاملي، والعلامة المجلسي الأوّل، أنّ الوفاة كانت سنة ١٠٣٠ هـ، وزاد المجلسي قائلاً: تشرفت بالصلاة عليه في جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً.

محسن الأمين، أعيان الشيعة ٩ : ٢٣٤؛ الأميني، الغدير ١١ : ٢٨١.

وانفرد الحر العاملي بأن جعل سنة وفاته ١٠٣٥ هـ - أمل الأمل ١ : ١٥٨.

وهكذا أمضى البهاء العاملي عمره الذي قارب الثمانين سنة بين التحصيل والتأليف والوعظ والإرشاد والتدريس والسياحة، فترك موته فراغاً كبيراً في البلاد الإسلامية.

وقد رثاه تلميذه السيّد حسين نور الدين الموسوي بقصيدة جاء فيها :

شيخ الأنام بهاء الدين لا برحتُ سحائبُ العفو يُنشيها له الباري
فاق الكرامَ ولم تبرح سجيتهُ إطعام ذي سغبٍ مع كسوة العاري^١

شيوخه وتلامذته :

تتلمذ البهاء العاملي على مجموعة من العلماء والشيوخ البارزين في عصره، فأخذ عن اعلام إيران ومصر والشام، وفي طليعة هؤلاء والده زعيم مشيخة الإسلام في هراة الحسين بن عبد الصمد، فقد قرأ عليه سماعاً وإجازةً مدخلاً لسائر العلوم العقلية والنقلية وخاصة كتب الحديث والتفسير والفقه، كما قرأ في إيران على جماعة من الجهابذة في العلم والفقه والأدب كالمولى عبد الله اليزدي المتوفى ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م، والشيخ عبد العالي الكركي المتوفى ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م وهو ابن المحقق الكركي، والشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطيف المقدسي الشافعي وقد ذكره في رحلاته، والأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري الذي اجتمع به في مصر وحضر دروسه في الأزهر^٢. إلى جانب الكثير من أصحاب الاختصاص في الفقه والأدب والرياضيات الذين اجتمع بهم البهائي وقرأ عليهم ونال إجازاتهم. وللبهائي تلامذة كثيرون نهلوا من منهله العذب وأخذوا عنه حتى باتوا من أعلام عصرهم في

١. الخوانساري، روضات الجنّات: ٦٠٥؛ علي مروّة، تاريخ جباع: ١٥٤.

٢. الأميني، الغدير ١١: ٢٥٣؛ الدكتور محمد التونجي، بهاء الدين العاملي: ١٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة

العلم والمعرفة وقد ذكر منهم الأميني في الغدير العشرات، ومن أبرز هؤلاء :

١ - الشيخ إبراهيم بن إبراهيم العاملي البازوري نزيل المشهد المقدّس .

٢ - السيّد حسن بن السيّد حيدر الكرّكي .

٣ - الشيخ جواد بن سعد الله البغدادي الكاظمي المعروف بالفاضل الجواد الكاظمي شارح الزبدة لشيخه البهائي .

٤ - السيّد ماجد البحراني .

٥ - ملّا محسن الفيض الكاشاني كما يبدو من كتابه الوافي وهو من كبار الفلاسفة المعروفين .

٦ - العلّامة محمّد تقي المجلسي الأوّل .

٧ - الشيخ محمّد بن علي التبنيني العاملي .

٨ - المولى مظفر الدين علي الذي كتب رسالة في أحوال شيخه البهائي .

ومن تلامذته :

٩ - سلطان العلماء السيّد حسين الحسيني المرعشي صاحب الحواشي على

الروضة و المعالم وزير الشاه عبّاس الصفوي وله منه إجازة^١.

نبذة من حياته وأسفاره :

لعلّ من أبرز أسباب رحيل الشيخ حسين بن عبد الصمد مع ولده البهاء، الجور العثماني الذي جثم بكلّك له على بلاد الشام، وعلى صدور العاملين بشكلٍ خاصّ نظراً لاختلاف المذهب واشتداد التعصّب الأعمى، وهذا ما يفسّر هجرة الكثير من العلماء العاملين إلى الديار المقدّسة في إيران، أو الانتقال إلى الشام ومصر، فمنذ دخول العثمانيين وسيطرتهم نزع عدد كبير من رجال الدين الشيعة واستقروا في

١ . الأميني، الغدير ١١ : ٢٥٤؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة ٩ : ٢٤٤.

العراق وإيران مجاورين العتبات الشريفة ومقامات الأئمة سعيًا لطلب العلم بعيداً عن الضغط والإكراه^١.

وبعد أن حلّ مع أهله في إيران وتثقف على أيدي نخبة من العلماء والفضلاء، أحرز شهرة واسعة في المعرفة، فتولّى مشيخة الإسلام في أصفهان وتضلّع بالعلوم والآداب وتمكّن من اللغة الفارسيّة وكتب بها ونظم وأجاد.

وكان ميّالاً إلى تحصيل العلم، راغباً في العزلة، طموحاً محبباً للسفر والمغامرة في سبيل العلم والتقرّب إلى الله. فبعد وفاة أبيه رغب في السياحة والتجوال فترك المناصب العالية ومال لما هو لحاله مناسب كما صرّح بذلك. واتّجه لحجّ بيت الله وزيارة النبي ﷺ، وطوّف في البلاد ما يقرب من ثلاثين عاماً فزار مصر، وفلسطين والشام والحجاز، ثمّ عاد إلى أصفهان، وقد اجتمع خلال رحلاته بكثير من العلماء وحضر مناقشات عديدة في مجالس العلم والأدب، فاستفاد كثيراً من ذوي الفضل والعلم وهذا ما أشار إليه الحرّ العاملي: «واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أرباب الفضل والحال، ونال من فيض صحبتهم ما تعدّر على غيره واستحال»^٢، أتى مصر بزيّ الدراويش واجتمع بأهل الفضل فيها. وقد لقي الأستاذ محمّد بن أبي الحسن البكري. وقد بالغ هذا الأخير في تعظيمه، فقال له البهائي مرّة: «أنا درويش فقير، فكيف تعظمني هذا التعظيم؟ فأجابه: شممت فيك رائحة العلم والفضل»^٣.

١. فعلى سبيل المثال: قُتل الشيخ محمّد بن مكّي الجزيني بوشاية سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م، واتّهم بأنّه خارج عن المذاهب الأربعة، وهو من كبار علماء الشيعة، فعُرف بالشهيد الأوّل، لأنّه أوّل من قتل في سبيل المذهب.

وفي سنة ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م قُتل الشيخ زين الدين بن نور الدين العاملي الجبعي وبوشاية كاذبة بعد سجنه أربعين يوماً في طريق الأناضول، وبقيت جسّته ثلاثة أيّام في العراء، وعُرف بالشهيد الثاني.

٢. محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل ١: ١٥٨.

٣. يوسف سرّكيس، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة: ١٢٦٢؛ علي مرّوة، تاريخ جباع: ١٢٩. وقد أكّد هذا الخبر الشيخ عمر العُرّضي في كتاب «معادن الجواهر»: محمّد التونجي، بهاء الدين العاملي: ٣٣.

وامتدح الأستاذ بقصيدة مشهورة مطلعها :

يا مصر سقياً لك من جنة قطوفها يانعة دانية

أقام في مصر فترة من الزمن حيث أَلَف كتابه الكشكول، وتعرّف على علماء الأزهر وفي طليعتهم محمّد البكري، ثم انتقل البهائي إلى القدس في فلسطين فتجنّب فيها الناس، ولبس لباس السائحين، ومع اعتزاله في بيت المقدس مؤثراً الوحدة فإنّه كان يجيب عن الأسئلة الموجهة إليه، وما يُطلب إليه من إفادة وتدرّيس، واجتمع إليه بعض علماء القدس ومنهم الرضيّ بن أبي اللطف المقدسي الذي سأله مسائل عديدة، أجاب عليها بإجابات محكمة كما روى المحبّي في خلاصة الأثر. حكى الرضيّ المقدسي قال : «ورد علينا من مصر رجلٌ من مهابته محترم، فنزل بيت المقدس بفناء الحرم، عليه سيماء الصلاح، وقد اتّسم بلباس السيّاح، وقد تجنّب الناس وأنس بالوحشة دون الإيناس. وكان يألّف من الحرم فناء المسجد الأقصى، فأُلقي في روعي أنّه من كبار العلماء الأعظم، وأجلّة أفاضل الأعاجم. فما زلت لخاطره أتقرّب، ولما لا يرضيه أتجنّب، فإذا هو ممّن يُرحل إليه للأخذ عنه، وتُشدّ له الرحال للرواية عنه»^١.

وغادر القدس إلى دمشق حيث نزل في حيّ الخراب، واجتمع فيها بالحافظ الحسين الكربلائي القزويني نزّيل دمشق الذي استنشده شيئاً من شعره، كما ألحّ على مضيّفه أن يسهّل له الاجتماع بالحسن البوريني فأحضره له ذاك التاجر بدعوة وتأتّق في الضيافة، ولما حضر البوريني لم يعره انتباهه، ولم يلتفت إليه منصرفاً إلى الأحاديث والقصص.

١. محمّد التونجي، بهاء الدين العاملي : ٣٤. وزاد السيّد محسن الأمين على ما ذكره الأستاذ التونجي قائلًا :

يسمى بهاء الدين محمّد الهندي الحارثي، فسألته عند ذلك القراءة عليه في بعض العلوم، فقال : بشرط أن يكون ذلك مكتوماً، وقرأت عليه شيئاً من الهيئة والهندسة، ثم سار إلى الشام قاصداً بلاد العجم، وقد خفي عني أمره واستعجم. محسن الأمين، أعيان الشيعة ٩ : ٢٤١.

ولمّا بدأ البهائي بالكلام مورداً مسائل عويصة، مبدياً براعته في تحليلها بأسلوب بهر أسماع الحضور، نهض البوريني واقفاً وقال: إن كان ولا بدّ فأنت البهائي الحارثي؛ إذ لا أجد في هذه المثابة إلّاك^١.

وفي اليوم التالي توجه إلى حلب متنكراً بصورة درويش، وحضر حلقة الشيخ عمر العُرضي الذي ربطته معه فيما بعد علاقات وصداقة، فأعجبت به أشدّ الإعجاب، وأقام معه مناظرة حول مسائل جذريّة في الإسلام.

وحين علم علماء جبل عامل وأهله بلبنان أنّ البهائي العاملي حلّ ببلاد الشام، توافدوا عليه جماعات، يبدون سعادتهم بقدومه وبرؤيتهم له، فخشي ظهور أمره وخرج من حلب، وقد اعتاد أن يطوف متنكراً في البلاد التي يقصدها، وختم تطوافه بالعودة إلى أصفهان حيث أقام البقيّة الباقية من حياته.

ثمّ اتّصل بالشاه عبّاس الصفوي من جديد، فأكرمه وأعلى مقامه وعهد إليه بمشيخة الإسلام في إيران. فعزّت به دولة العجم، واستنارت برأيه، وكان سلطانها لا يفارقه سفيراً أو حضراً، وتبسّمت له الأيّام في مصاحبة هذا السلطان، فقدّم له مخصّصات ماليّة كبيرة - توزّع حسب رأيه ومشورته على الفقراء والمحتاجين - فبسط يده، وفتح أبوابه لكلّ محتاج، فكانت داره في أصفهان ملجأ الأيتام والأرامل، «فكم من مهدٍ بها وُضع، وكم طفلٍ بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكراً وعشياً»^٢.

وبعد سياحته الكبرى التي أخذت من حياته أكثر من ثلثها في طول البلاد وعرضها، بدأ مرحلة التأليف الغزير والإنتاج، كما أنّه ألّف في تطوافه عدّة بحوث

١. البستاني، دائرة المعارف ١١: ٤٦٣؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة ٩: ٢٤١.

٢. ابن معصوم، سلافة العصر: ٢٩٠؛ عبد المجيد الحرّ، معالم الأدب العاملي: ٢٨٠، دار الآفاق الجديدة، ط ١، بيروت ١٩٨٢.

وكتب ورسائل، وإلا كيف تسنّى له أن يؤلف ثمانية وثمانين مؤلفاً بين كتاب وبحث ورسالة؟ وهذه تتطلب وقتاً طويلاً، وفي هذه الأثناء يتردّد عليه طالبوا الاختصاص في الفقه والأدب والرياضيات، يغرفون من بحر معارفه، التي تشهد له بالذكاء وعلو الهمة وغزارة الفضل، وقد قارب عدد طلابه البارعين الأعلام، المائة^١.

كان بهاء الدين العاملي مصلحاً من كبار المصلحين الذين بعثوا إلى أمة وليس إلى مذهب، ومن المؤسف حقّاً أن يمرّ البهاء في البلاد العربيّة الإسلاميّة في رحلته التي استغرقت ثلاثين سنة متخفياً في أثواب (الدراویش) حتّى ينجو بنفسه وعلمه من حكم القتل الذي فرضه المتعصبون والمتمزّتون.

آثاره ومؤلفاته :

اشتهر عن البهاء العاملي أنّه مؤلف موسوعي، فشكّلت مؤلفاته في عصره موسوعة علميّة وأدبيّة تناولت مختلف ضروب المعرفة، فهو عبقرٍ قد ترك ثروة فكريّة وأدبيّة استفاد منها الشرق والغرب، ونهلت منها الأجيال ينابيع المعرفة في عصرٍ مضطرب قلق من الحياة العربيّة والإسلاميّة في ظلّ التسلّط العثماني وحملة التتريك وما تعرّضت له الثقافة العربيّة من أخطار.

ألّف الكتب في العربيّة والفارسيّة والتركيّة، فقد كان سفير السلطان الفارسي الشاه عبّاس الصفوي إلى السلطان العثماني مراد بن سليم، وتبحّر في العلوم الطبيعّيّة والرياضيّة والطبيّة والفلسفيّة والفلكيّة، وألّف في الأدب شعراً ونثراً حتّى غدا «جامعة نقالة» إذا جاز التعبير. شغل العلماء والمؤلفين والدارسين حتّى بعد رحيله بقرون، فقامت حول مؤلفاته حركة فكريّة شاملة من شروحات وتعليقات متنوّعة وترجمة إلى اللغات الأجنبيّة، فعلى سبيل المثال نذكر أنّ كتابه الشهير خلاصة

الحساب والهندسة نقله للألمانية الأستاذ نيسلمان (Nesselman) في برلين سنة ١٨٤٣ م، وطبع هناك^١، وترجم هذا الكتاب إلى لغات شرقية عديدة كالفارسية، كما ترجم إلى الفرنسية سنة ١٨٦٤ م نظراً لفائدته وأهميته^٢. من هنا نستنتج أن الشروح على مؤلفاته أكثر من كتبه، والحواشي على مصنفاته أضعاف ما ألف وصنف. ونظراً لشخصيته العلمية الفريدة، وسعة معارفه، فقد نُسب إليه عجائب وغرائب ومعجزات وأساطير تعبر تعبيراً قوياً عن أثره العلمي، ونفوذه البالغ وسيطرته على أفكار الناس، ومما يروى عنه أنه وضع عدّة تصاميم هندسية لمعاهد ومعابد فارسية تعدّ من الأبنية الشهيرة التي أنشأها الشاه عباس، وهي مباني ضخمة لا يزال جملة منها قائماً، ومنها عمارة المشهد العلوي في النجف^٣. كما توصّل إلى اكتشاف بعض قوانين الانعكاسات الصوتية (الصدى)، وطبقها في بعض مساجد أصفهان. ووضع قوانين ضغط الماء وتساوي سطوحه، وقواعد للأشكال الهندسية المسطحة والمجسّمة.

وقيل: إنه أبدع في صنع شمعة أوقدها في أتون حمّام بأصفهان تكفي لتدفئة حمّام بكامله مدّة استمرّت ثلاثة قرون وتزيد وظلّت حتّى هدمها الإنكليز لاكتشاف أسرار اختراعها. وينسب إليه أنه صنع ساعة دائمة الحركة دون أيّ حاجة إلى من يحرّكها^٤.

ويبدو لنا أن نبوغ البهائي العلمي وتفوّقه، واتّساع ثقافته التي اشتهرت في العالم الإسلامي آنذاك، كان العامل الأساسي الذي أدّى إلى نسج الأساطير حول شخصيته

١. يوسف سركيس، معجم المطبوعات: ١٣٦٣؛ كاظم مكّي، الحركة الفكرية والأدبية: ١٠١.

٢. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٣: ٣٥٣.

٣. محمد التونجي، بهاء الدين العاملي: ٦١.

٤. علي مروّة، تاريخ جباع: ١٣٥.

العلميّة، ونسبة الغرائب إليه، وخلق هالة رائعة حوله.

وقد لاحظ عدد من النقاد أنّ الروح العلميّة التي امتاز بها طغت على مؤلّفاته جميعاً، فقد كتب في الرياضيات والفلك والجبر والمقابلة والهندسة والطب في مؤلّفات خاصّة من خلال كتبه الأدبيّة، حتّى إنّنا نجد أفكاره الرياضيّة تتسرّب إلى شعره الديني باستعماله المصطلحات الحسابيّة كالجذر، كما في قصيدته الشهيرة التي مدح فيها المهدي المنتظر وعنوانها (الفوز والأمان):

إمام هدىّ لا ذَ الزمان بظله وألقى عليه الدهر مقودَ خوارٍ
ومقتدرٍ لو كلّف الصُّمُّ نطقها بأجذارها فاهت إليه بأجذارٍ^١

للبهائي مؤلّفات وكتب قيّمة حظيت باهتمام العلماء والدارسين وظلّت تدرّس في جامعات النجف وإيران وأوروبا عدّة قرون من الزمن، وخاصّة كتبه في الرياضيات والحساب والهيئة والفلك، فهي من المراجع الهامّة التي أخذ عنها طلاب المعرفة واستند إليها العلماء والباحثون، وقد كان خصب الإنتاج فترك أكثر من ثمانين مؤلّفاً بين كتاب مطبوع ورسالة مخطوطة موجزة وطويلة، وما زال الكثير من مؤلّفاته مخطوطاً، ونظراً لغزارتها وتنوّعها يمكن تصنيفها تحت عناوين ثلاثة رئيسة هي: الكتب الدينيّة، الكتب الأدبيّة واللغويّة، والكتب العلميّة. وسنذكر البعض منها في هذه العجالة، لأنّ طبيعة الدراسة وإيجازها الشديد لا يسمح بذكرها جميعاً.

فمن مؤلّفاته الدينيّة نذكر على سبيل المثال :

- ١ - الزبدة في أصول الفقه، شرحها المحقّق جواد الكاظمي، وهي مختصرة جامعة طبعت في مصر سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م باسم زبدة الأصول.

١. محمّد التونجي، بهاء الدين العاملي : ٦١. الصّم: اصطلاح في علم الحساب، فهو أعداد لا جذر لها، والجذر الذي يُضرب بنفسه.

٢ - الجامع العباسي، ألفه للشاه عباس الصفوي، وهو في فقه الإمامية، كتبه باللغة الفارسية، ورتبه على عشرين باباً.

٣ - الحبل المتين في مزايا القرآن المبين، جمع فيه الأخبار والأحاديث الصحاح والحسان والموثق.

٤ - الرسالة الاثنا عشرية في الصلاة.

٥ - هداية الأمة إلى أحكام الأئمة.

٦ - عدد من الرسائل في القبلة، الزكاة، الصوم، الحج، المواريث، وفي ذبائح أهل الكتاب.

المؤلفات العلمية :

١ - بحر الحساب، كتاب كبير لخصه فيما بعد.

٢ - خلاصة الحساب، تلخيص لكتابه السابق، اشتهر أكثر منه، وكان يدرّس في بعض الجامعات، ونال شهرة كبيرة، وهو مرتّب على مقدّمة وعشرة أبواب وخاتمة. طبع الكتاب في إيران والهند واستانبول ومصر، وقد حظي بشروح العلماء وتعليقاتهم.

٣ - تشرح الأفلاك في الهيئة مع حواشيه، طبع في إيران والهند عدّة مرّات. ذكر العلامة آغا بزرك في الذريعة إلى تصانيف الشيعة اثنا عشر شرحاً وتعليقاً عليه لجملة من العلماء، وهو مرتّب على مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة.

٤ - الصفيحة في الأسطرلاب، باللغة العربية ولها شروح عديدة.

٥ - رسالة في أن أنوار الكواكب مستفادة من الشمس.

المؤلفات الأدبية واللغوية :

١ - المخلاة، ألفه في عنفوان شبابه، متنوّع فيه ما تشتهي الأنفس من تفسير وتأويل وحكم ومواعظ وأشعار، طبع في مصر وإيران.

٢ - الكشكول، معناه وعاء الفقير أو جرابه، من أشهر كتب البهائي، كبير يقع في

ثلاثة أجزاء، مؤلف موسوعي يحتوي على فصول علمية في الهندسة والفلسفة والأدب والشعر والتاريخ، غزير المادة، يشتمل على كلّ طريف من ألوان الثقافة والمعرفة، ألفه في مصر، وهو مثال لآداب العرب في القرن العاشر الهجري، طبع في مصر وإيران ولبنان.

٣ - أسرار البلاغة، كتيب صغير يقع في ثلاثين صفحة، يشتمل على مباحث في النثر ومعانيه والبلاغة والفصاحة والإيجاز، طبع في مصر سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م.
٤ - توضيح المقاصد فيما اتفق له في أيام السنة، وفي وقائع الأيام، ذكر فيه وفيات بعض العلماء، مع شرح للقصيدة الذهبية، وهي بائنة للسيد الحميري في مدح آل البيت، طبع في مصر سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م، كما طبع في إيران سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م.

٥ - ديوان شعر بالعربية والفارسية^١، جمعه محمد رضا الحرّ ابن الأديب محمد بن الحسن المشهور بالحرّ العاملي صاحب أمل الآمل فصار ديواناً لطيفاً، ولكن الأستاذ محمد التونجي يذكر أنّ ديوانه مفقود، وقد جمعه بمؤلف وشرح أشعاره وضبطها وقدمه في القسم الثاني من كتابه بهاء الدين العاملي - أديباً، شاعراً، عالماً، فقام بجهود مشكورة في هذا الكتاب وقد جمع شعره العربي فقط، وتمّ طبع الكتاب برعاية المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق، التي تسعى

١. من شعره الفارسي (نان و حلوى) أي خبز وحلوى، وهو نظم في التصوّف. (شير وشكر) أي لبن وسكر، نظم في التصوّف أيضاً. خير الدين الزركلي، الأعلام ٦: ١٠٢. ولمعرفة مؤلفات البهائي العاملي وتصانيفه المطبوعة والمخطوطة بكاملها يمكن الرجوع إلى المراجع التالية :

محمد التونجي، بهاء الدين العاملي أديباً شاعراً عالماً؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة ٩: ٢٤٤؛ علي مروة، تاريخ جباع: ١٣٧ وما بعدها؛ يوسف سرّكيس، معجم المطبوعات: ١٣٦٣؛ حاجي خليفة، كشف الظنون؛ أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ الشيخ عبد الحسين الأميني، الفدير في الكتاب والسنة والأدب ١١: ٢٦٢ وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، الأعلام ٦: ١٠٢.

مشكورة بتنظيم مؤتمرات وندوات حول شخصيات إسلامية مرموقة، وكان آخرها الندوة التي عقدتها بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة العالم والشاعر الكبير الشريف الرضي سنة ١٩٨٥ م. ولعل أشهر مؤلفات بهاء العاملي هي : خلاصة الحساب ، تشريح الأفلاك ، الكشكوك والمخلاة ، ونذكر هنا شيئاً من سوانحه نقلاً عن الكشكوك إثباتاً للفائدة :

من أعزّ نفسه أذلّ فلسه .

من كان عبداً للحقّ فهو حرّ .

لولا السيف كثر الحيف .

لو صوّر الصدق لكان أسداً ، ولو صوّر الكذب لكان ثعلباً .

من شارك السلطان في عزّ الدنيا ، شاركه في ذلّ الآخرة .

الفقر يخرس الفطن عن حجّته .

المرض حبس البدن ، والهّمّ حبس الروح .

الحرّ عبد إذا طمع ، والعبد حرّ إذا قنع ...

شاعريّة البهائي :

البهاء العاملي شاعر ارتقى بشعره فوق مستوى شعراء عصره ، وهو أحد العلماء الشعراء الذين برزوا في النصف الثاني من القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر ، وقد نظم في معظم فنون الشعر كالمديح والغزل والثناء والوصف والعتاب . ولكنه اشتهر بشعره الديني الذي اشتمل على النصح والوعظ ، ومدح النبي وآل بيته . وقد نظم القصائد الطويلة والمقطوعات الصغيرة وباللسانين العربي والفارسي ، وقد جمع شعره العربي كما مرّ بنا . ومن أشهر قصائده ، قصيدة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان ، قالها في المهدي المنتظر ، وقامت حولها شروح وحواشي ، أشهرها شرح

الشيخ أحمد بن علي الميني الدمشقي^١، وطبعت مع شرحها في آخر الكشكود ومطلعا :

سرى البرق من نجدٍ فجَدَّدَ تذكاري عهداً بخزوى والعُذيب وذو قارٍ
وهيَّجَ من أشواقنا كلَّ كامنٍ وأجَّجَ في أحشائنا لاعج النَّارِ
ثمَّ ينتقل بعد ذلك لمدح الإمام المنتظر، فهو حجة الله، بكفه مقاليد الزمان، وقد خصّه الباري بالمجد :

أيا حجة الله الذي ليس جارياً بغير الذي يرضاه سابقُ أقدارٍ
ويا مَنْ مقاليدُ الزمان بكفه وناهيك من مجدٍ به خصّه الباري
والقصيدة طويلة تقع في سبعة وستين بيتاً، وتشتمل على مواقف وحالات نفسية مختلفة، فتدور معانيها حول اشتياقه للأماكن المقدسة ومكانة الإمام المنتظر ومعجزاته، ويفتخر بمكانته العلمية، ويظهر عاطفة جياشة نحو صاحب العصر والزمان، وفي ميدان الرثاء نراه صادقاً، يذوب أسى ولوعة لفقد والده فيطلق لعاطفته العنان، ويرثيه بقصيدة تعدّ من عيون الشعر، وقد توفي والده في المصلّى من قرى البحرين سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية، افتتحها بالوقوف على الأطلال، ثم وصف حالته النفسية، وأشاد بأبيه ومكانته، وقد جاء فيها :

يا حبذا أزمَنُ في ظلِّهم سلفُ ما كان أقصرها عُمرًا وأحلاها

١. الشيخ أحمد الميني، نسبة إلى منين قرية حول دمشق، ولد سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م. تتلمذ على عبد الغني النابلسي وغيره، درس في العادلية الكبرى، وبالجامع الأموي طيلة حياته، توفي بدمشق سنة ١١٧٢ هـ / ١٧٥٨ م.

محمد التونسي، بهاء الدين العاملي : ٨٠.

٢. محسن الأمين، أعيان الشيعة ٩ : ٢٤٥. خزوى : موضع في الدهناء في شبه الجزيرة العربية. العذيب : اسم ماء بين الكوفة وواسط.

محمد التونسي، بهاء الدين العاملي : ١٠٢ وما بعدها. وقد ورد في كل من المرجعين ثلاثة وستين بيتاً منها.

يا سادة هجروا واستوطنوا هجراً
 وخرّ من شامخات العلم أرفعها
 واهأ لقلب المعنى بعدكم واهأ
 وانهذ من باذخات الحلم أرساهأ

كما تناول موضوعات مختلفة كوصف الطبيعة والغزل والخمرة والموعظة والحكمة، وقد جدّد في الأسلوب والشكل أكثر من تجديده في الموضوعات، فتعدّدت القوافي في مقطوعاته وتأثّر بالرباعيّات الفارسيّة والموشّحات الأندلسيّة^١. وقد طغت شهرته العلميّة على إنتاجه الأدبي والشعري. وهو في مجمل حياته مثال اللبباني النابغة المتحفّز للإبداع والذي يسجّل خارج بلده كثيراً من الانتصارات، فقد قدّم للعالمين الإسلامي والأوروبي تراثاً علمياً غزيراً نهل منه الدارسون. فكما أنّ حسن كامل الصّبّاح ترك للإنسانيّة تراثاً خالداً وأسهم في تقدّمها، فالبهاء العاملي أغنى المكتبة العربيّة والفارسيّة بمؤلّفاته القيّمة في الفلك والفقه والرياضيّات والأدب، في عصر مضطرب تسوده الفوضى، ويزخر بالتعصّب وانعدام القيم، حيث يقتل الإنسان بسبب أيّ وشاية.

رحم الله بهاء الدين العاملي، فقد كان (دائرة معارف) ومن كبار المصلحين الذين بعثوا إلى أمة وليس إلى مذهب.

١. محمد كاظم مكّي، الحركة الفكرية والأدبية: ١٠٩؛ محمد التونسي، بهاء الدين العاملي: ٩٢.

ومن المراجع التي ذكرت البهاء العاملي ولم ترد في هوامش البحث:

خلاصة الأثر للمحبّي؛ بحار الأنوار للمجلسي؛ لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحراني؛ مستدركات الوسائل للنوري؛ رياض العلماء للأفندي؛ بهاء الدين العاملي لعبد الله بري؛ دراسة صغيرة صادرة عن العرفان سنة ١٩٥٩؛ تاريخ الأدب العربي بروكلمان ٢: ٥٤٦؛ نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس للعبّاس بن علي الموسوي، مجلّدان طبع مصر ١٢٩٣ هـ؛ فلاسفة الشيعة، الشيخ عبد الله نعمة؛ الكشكول، بهاء الدين العاملي.

معرفة الله في التراث العقلي الإسلامي ، البهائي أنموذجاً^١

الدكتور أحد فرامرز قراملكي والدكتور مصطفى زين^٢

في ضرورة معرفة الله وتمهيد البحث عنه :

إحدى أهمّ المسائل في حياة الإنسان ، مسألة معرفة الله التي شغلت فكر المتكلمين والفلاسفة على طول الزمن . ومن دسائس الماديين والملحدين القول بأنّ البحث عمّا وراء المادّة بحثٌ لا صلة له بالحياة ، وليس من الموضوعات التي تقع في إطار الحياة التي يحياها الإنسان في مراحل عمره المختلفة . فالحديث عنه وعن موجودات عليا مجرّدة عن المادّة وأحكامها ، كالملائكة والعقول والنفوس وفوقها ، مبدعها ومبدع جميع العوالم ، مادّيها و مجرّدها ، لا ينفع في الحياة ولو أثبت بألف دليل . فصرف الوقت على هذه المباحث يعوّق الشاب عن القيام بوظائفه اللازمة . وفي مقابلهم أناس ذوو بصيرة وعلم ، عرفوا أنّ للدين دوراً قوياً وتأثيراً عظيماً في تكامل العلوم ، كما أنّه ضمان للأخلاق وخير دعامة لها ، بل ضمان لتنفيذ القوانين الصالحة ، والحصن الحصين في متقلّبات الأحوال . من جهة أخرى بناء

١ . مجلّة (نصوص معاصرة) ، بيروت ، السنة الثالثة ، العدد العاشر ، ١٤٢٨ هـ / ربيع ٢٠٠٧ م ، ص ٢٦٩ - ٢٧٨ .

٢ . أمّا الدكتور قراملكي فهو من أبرز من كتب في علم الكلام الجديد ، وهو أستاذ جامعي ومسؤول قسم الأبحاث والدراسات ومدير قسم الأخلاق الإلهية بجامعة طهران . وأمّا الدكتور مصطفى زين فهو أستاذ بجامعة طهران .

على قاعدة «دفع الضرر المحتمل» هناك عامل روحي يحقّزنا نحو البحث عن هذه الأمور الخارجة عن إطار المادّة والمادّيات، وهو أنّ هناك مجموعة كبيرة من رجالات الإصلاح والأخلاق الذين فدوا أنفسهم في طريق إصلاح المجتمع وتهذيبه، وراحوا ضحيّة رقيّه، توالوا على مدى القرون والأعصار ودعوا المجتمعات البشريّة إلى الاعتقاد بالله سبحانه وصفاته الكماليّة. ولم يكن هؤلاء متّهمين بالكذب والإختلاق، بل كانت علائم الصدق لائحةً من خلال حياتهم وأفعالهم وأذكارهم. عند ذلك يدفع العقل الإنسان المفكّر إلى البحث عن صحّة مقالتهم دفعاً للضرر المحتمل أو المظنون الذي تورّثه مقالة هؤلاء. وهذا ما اعتمد عليه علماء الكلام في إثبات لزوم البحث عن معرفة الله سبحانه؛ فأوجبوه دفعاً لذاك الضرر المحتمل أو المظنون. كما أنّ العقل يستقلّ بلزوم شكر المنعم، ولا يتحقّق الشكر إلّا بمعرفته.

إذن، بدلالة الأوجه الثلاثة : دور الدين في الحياة، دفع الضرر المحتمل، وشكر المنعم، تبين ضرورة في بحث معرفة الله وكيفيّة حصولها. فيكون لها دور أساسي في مسألة التكليف؛ لأنّ التكليف متوقّف على معرفة المكلف. وبعبارة أخرى، أنّ القيام بالتكليف منوط بمعرفة الله على حسب الوسع والطاقة البشريّة. والدالّ على أهميّة هذا الأمر أنّ بحث معرفة الله التفت إليه من قديم الأيّام، ويمكن الإشارة إلى بدايته بشكل منظم منذ العهد اليوناني القديم، وعلى رغم وجود مباحث مهمّة في خصوص معرفة الله عند «كزنزفانوس» وأيضاً عند السفسطائيين ما قبل أرسطو إلّا أنّهم يعتبرون أفلاطون بداية المباحث الإلهيّة في هذا المضمار. يقول أفلاطون : «من الغلط أن نتصوّر أنّ الصفات التي نعرفها يمكن أن نطلقها على مالك عالم الوجود»^١.

١. أفلاطون : رسالة اينيوميس، ص ٣١٢؛ وانظر له أيضاً : رسالة تيمانوسف، ج ٢٨، ص ٣-٥.

لقد كان أفلاطون رائداً، ليأتي بعده أفلوطين وديونوسيوس والكثير من العلماء الآخرين الذين اتخذوا هذا الطريق المشهور بالإلهيات السلبية المبنية على التنزيه. وبشكلٍ عام إتخذ الفلاسفة طرقاً مختلفة، لحلّ معضلة معرفتنا بالله تعالى، وأغلبها يمكن تضمينه في أربعة :

١. عدم إمكان معرفة الله إطلاقاً.

٢. المعرفة بالله عن طريق السلب والتنزيه، أو الإلهيات السلبية، «VIA Negative».

٣. المعرفة بالله عن طريق الإيجاب والتشبيه، أو الإلهيات الإيجابية، «VIA Positive».

٤. الجمع بين التشبيه والتنزيه.

ما المراد بـ«معرفة الله» عند البهائي؟

جعل الشيخ بهائي «معرفة الله» من أسس كلامياته، وله في ذلك نظرات إبداعية وراقية كانت إلى حدّ كبير باباً لحلّ معضلات صعبة؛ فمن الأساليب المميّزة له، إقدامه على تحليل متعلّق المسألة -أي معرفة بالله- من حيث المفهوم، قبل بيانه وجوابه على المسألة عينها. وأخذ موقف أو رأي من إمكانيّتها، فما هو المراد من معرفة الله إذا كنّا مكلفين عقلياً بها؟

هنا نجد الشيخ في كتابه الأربعون، يشير إلى أنّ المراد من معرفة الله تعالى الإطّلاع على نعوته وصفاته الجلالية بقدر الطاقة البشرية^١. في هذه الجملة نقطتان مهمّتان :

الأولى : قوله بالتفصيل في مسألة إمكانيّة المعرفة بالله، إنّ حقيقة الذات الإلهيّة

١. البهائي: الأربعون، ٢٠، ح ٢.

غير قابلة للمعرفة. أمّا صفات الله فمعرفتها ممكنة بحسب الطاقة البشريّة. وهذا الكلام موجود في آثار السابقين، وقد بحثه الملا صدرا في كتابه المظاهر الإلهيّة. يضيف الشيخ البهائي بقوله «وأما الإطّلاع على حقيقة الذات المقدّسة، فممّا لا مطمع فيه للملائكة المقرّبين والأنبياء والمرسلين فضلاً عن غيرهم، وكفى في ذلك قول سيّد البشر: (ما عرفناك حقّ معرفتك)، وفي الحديث: (إنّ الله إحتجب عن العقول كما إحتجب عن الأبصار، وأنّ الملاء الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم). فلا تلتفت إلى من يزعم أنّه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدّسة بل أحتّ التراب في فيه، فقد ضلّ وغوى وكذب وافترى، فإنّ الأمر أرفع وأظهر من أن يتلوّث بخواطر البشر، وكلّما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، وأقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغ من التدقيق»^١.

الثانية: في بيان الشيخ البهائي اشارة إلى إمكانيّة معرفة أوصاف الباري تعالى على قدر الطاقة البشريّة. وهذا الكلام موضع تأمل من زاوية علم المعرفة؛ فما هو مراده من قدر الطاقة البشريّة؟ هل إستعماله لهذا المفهوم بالمعنى نفسه الذي إستعمله الحكماء في تعريف الفلسفة؟ هل المراد منه المحدوديّة الكميّة أو الكيفيّة أو معنى آخر؟ يلزمنا هنا التنبّه إلى أنّ البعد عن التشبيه والمقايسة هو أساس معرفة صفات الله؛ لأنّ الإنسان الساكن بين جدران الزمان والمكان إعتاد أن يتعرّف على الأشياء مقيدة بالزمان والمكان، موصوفة بالتحيز والتجسّم، متّسمة بالكيف والكم، إلى غير ذلك من لوازم المادّة ومواصفات الجسماني، ويحضرنا هنا قول العلامة الطباطبائي: «إنّ مزاولة الإنسان للحسّ والمحسوس مدى حياته وإنكبابه على المادّة وإخلاده إلى الأرض، عوّده على تمثيل كل ما يتعلّقه بصورة الأمر الحسيّ حتى فيما لا طريق للحس والخيال إلى حقيقته كالكليّات والحقائق المنزّهة عن المادّة. ويؤيّد

في ذلك أنّ الإنسان إنّما يصل إلى المعقولات والكلّيات من طريق الإحساس والتخيّل فهو أنيس الحس»^١.

لذلك قضت العادة الملازمة للإنسان -أعني أنسه بالمادّة وإعتياده على معرفة كل شيء في الإطار المادي- أن يصوّر لربّه صوراً خياليّة على حسب ما يألّفه من الأمور الماديّة الحسيّة، وقلّما يتفق أن يتوجه الإنسان إلى ساحة العزّة والكبرياء، ونفسه خالية من هذه المحاكاة، وهذه هي عقيدة «التشبيه» وأتباعها يسمّون بالمشبّهة، وهذا ما خالفه بشكل كامل الحكماء الإلهيّون.

وقد وصف الشهرستاني حال الانقسام على ذلك الأساس السابق؛ حيث إفترق الإلهيّون إلى مشبّهة تشبّه ربّها بإنسان له لحم ودم وشعر وعظم وله جوارح وأعضاء حقيقيّة من يد ورجل ورأس وعينين... يجوز عليه الانتقال والمصافحة^٢؛ فهؤلاء تورّطوا في مغبّة التجسيم ومهلكة التشبيه، لكن نجد في مقابلهم طائفة أخرى تحرّزت عن وصمة التشبيه وعار التجسيم؛ فوقعت في أسر التعطيل، فحكمت بتعطيل العقول عن معرفته سبحانه ومعرفة صفاته وأفعاله، قائلّة بأنّه ليس لأحد الحكم على المبدأ الأعلى بشيء من الأحكام، وليس إلى معرفته من سبيل إلّا بقراءة ما ورد في الكتاب والسنة، وهم من ينقل عنهم الشهرستاني: «إنّ النجاة كلّ النجاة في الإعتراف بكلّ ما ورد في الشرع الشريف من دون بحث ونقاش ومن دون جدل وتفتيش؛ فهذا (مالك) عندما سئل عن معنى قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، قال: الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^٣.

١. محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ١٠، ص ٢٧٣.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٤.

٣. المصدر نفسه: ص ٩٣.

لكن هناك طائفة ثالثة ترى أنَّ من الممكن التعرّف على صفاته سبحانه عن طريق التدبّر وترتيب الأقيسة المنطقية وتنظيم الحجج العقلية، في ضوء ما أفاض الله سبحانه على عباده من نعمة العقل والفكر، بشرط أن يكون الباحث محايداً، منحازاً عن أي رأي مسبق، وأن يكون في بحثه ونقاشه مخلصاً للحق غير مبتغ إلا إياه، وحجّتهم في ذلك أن الله سبحانه ما نصّ على أسمائه وصفاته في كتابه وسنّة نبيّه إلا لكي يتدبّر فيها الإنسان بعقله وفكره في حدود الممكن والمستطاع، مجتنباً أفرط المشبهة وتفريط المعطلة؛ فهذا أمر يدعو إليه العقل والكتاب والسنة الصحيحة، كما تحدّث عن ذلك الإمام علي عليه السلام^١.

منهج معرفة الصفات الإلهية :

وبرجعنا لرأي الشيخ البهائي، نراه يصف الإنسان مرآة لأوصاف الله تعالى، ويفسّر (من عرف نفسه فقد عرف ربه) على هذا النسق، مقارباً هنا لرأي الشيخ الصدوق في توحيده، بأنّه لا يدرك ذاته ولا صفاته الذاتية لأنّها عينيها. وهذا ما نطق به كثير من أحاديث الكتاب من أنّه تعالى لا يوصف ولا يدرك بعقل ولا بوهم، فالمدرك منه بحسب العقل والتصور هو العناوين الصادقة عليه ذاتاً أو صفةً، كالشيء والموجود والإله والعالم والحيّ والقادر إلى غير ذلك من أسمائه تعالى، كما تبين في مواضع من الكتاب وأمر العباد بأن يدعوه بها^٢.

ويمكن تلخيص عقيدة البهائي في ذلك بأنّ الأوصاف التي نشاهدها في أنفسنا غالباً ما تكون طرفي النقيض، العلم وفقدانه الجهل، والطرف الأشرف لهذين النقيضين نعتبره كملاً لنا، والشخص الذي يتممّ به نذكره بالخير، ونفس هذا الأمر

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٩.

٢. الشيخ الصدوق: التوحيد، ص ٢٨٧.

نجريه في خصوص الله جلّ وعلا. واللازمة المنطقية لكلام الشيخ هي أنّ أوصاف الباري تعالى ندرکها في مرآة أنفسنا، فما نراه كملاً لنا، ننسبه أيضاً لله تعالى؛ فإذا إدراكاتنا ما هي إلاّ أوهام وصور نخلقها؛ وإلى هذا النمط يشير البهائي إلى حديث الإمام الباقر عليه السلام : «وَهَلْ سَمِيَ عَالِماً قَادِراً إِلَّا أَنَّهُ وَهَبَ الْعِلْمَ لِلْعُلَمَاءِ وَالْقُدْرَةَ لِلْقَادِرِينَ؟! فَكُلٌّ مَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلَكُمْ، مُرَدُّودٌ إِلَيْكُمْ، وَلَعَلَّ النَّمْلَ الصَّغَارَ تَتَوَهَّمُ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى زَبَانِيَّتَيْنِ كَمَا لَهَا». فإنّها تصوّر أنّ عدمها نقص لمن لا يكونان له، وعلى هذا الكلام عبقة نبوية تعطر مشام أرواح أرباب القلوب كما لا يخفى^١.

وهنا يؤكّد الشيخ -بناءً على تمثيل المعصوم- على الدور الفعّال للإنسان في معرفة الأوصاف، لكنّ هذا التأكيد ليس بمعنى أنّ الأوصاف موهومة ومخترعة من قبل الإنسان، بل هو قريب من الدور الفعّال الذي يعطيه «كانط» للذهن البشري لقابلية فهم عالم الوجود. ويبرز وجهة نظر الشيخ أعلاه، أنّ الإنسان مكلف بمعرفة الصفات، ومن المؤكّد أنّ التكليف بما لا يطاق قبيح، وعليه فيكون التكليف في حدّ طاقته.

ويرسم الشيخ البهائي تحقّق معرفة الأوصاف في مرحلتين :

الأولى : التأمّل والنظر في نفسه ومعرفة الأوصاف التي يأنس بها ويألفها.

الثانية : سلب جوانب النقص المنبثقة من كون الإنسان محدوداً، وعلى سبيل المثال : الفرد يدرك علمه وأنه عالم، والعالمة للإنسان بسبب أنّها من أوصاف الإنسان ناقصة، فإذا سلب جوانب النقص منها، أي يصبح العالم الحقيقي وغير القابل للزوال واللامحدود، يمكن عندئذ وصف الباري تعالى بها؛ وهذا المحصول هو تركيب منطقيّ من التشبيه والتنزيه، وعليه فسّر معرفة الله هو معرفة النفس.

وهنا يمكن أن يُسأل: هل أوصاف الله تعالى هي فقط الأوصاف التي يتحلّى بها الإنسان على نحو ناقص؟ ويُجيب الشيخ بأن معرفة الصفات على قدر الطاقة البشرية موافقاً الصدوق، وأنّ الإنسان ليس مكلفاً إلا بمعرفة صفات يستمتع بها فعلياً. ويفضّل أكثر: «أنّ التكليف إنّما يتوقّف على معرفة الله تعالى بحسب وسع الطاقة، وإنّما كُلفوا أن يعرفوه بالصفات التي ألفوها وشاهدوها فيهم، مع سلب النقائص الناشئة عن إنتسابها إليهم، ولما كان الإنسان واجباً بغيره، عالماً، قادراً، مريداً، حياً، متكلماً، سميعاً، بصيراً، كُلف بأن يعتقد تلك الصفات في حقّه تعالى، مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إلى الإنسان بأن يعتقد أنّ الله تعالى واجب لذاته، لا بغيره، عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات، وهكذا سائر الصفات، ولم يكلف بإعتقاد صفة له تعالى لا يوجد فيه مثالها ومناسبتها بوجه، ولو كلف له لما أمكن تعقّله بالحقيقة وهذا أحد معاني قوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)»^١.

وهنا نجد أنّ الشيخ قد أوقف الصفات، وقد أشار إلى ذلك في تفسيره العروة الوثقى ولم يقصد إلى صفات مخترعة، بل نعرفه بصفاته التي وصف بها ذاته، على حسب الوسع والقدرة، ولا نضيف إليها، موافقاً للشيخ المفيد في المقالات^٢، لكنّ البهائي لا يجعل العقل والفكر منتهى الأمل والسبل، بل يشجع على المشاهدة بعيون القلب والتعرّض لنفحات الجود؛ حيث إنّ أهل الأفكار إذا بلغوا فيه الغاية القصوى أدّاهم فكرهم إلى حال المقلّد المصمّم، فإنّ الأمر، أجلّ وأعظم من أن يقف فيه الفكر فما دام الفكر موجوداً فمن المحال أن يطمئنّ العقل ويسكن، وللعقول حدّ تقف عنده من حيث قوّتها في التصرّف الفكري، ولها صفة القبول لما يهبه الله

١. الأربعون، ٢٠، ح ٢.

٢. الشيخ المفيد: أوائل المقالات، ص ١٥٧.

تعالى، فإذا ينبغي للعاقل أن يتعرض لنفحات الجود ولا ينبغي ما سواها في تقييد نظره وكسبه^١.

مراتب المعرفة بالله تعالى :

وفي تحليل آخر، يرى وجود منشئ آخر لمعرفة البشر بالله عبّر معرفة آثاره، ويقرّر عن المحقق الدواني مفهوم المعرفة في هذا المقام وهو أنّ المعرفة العلم بالشيء من قبل آثاره، وكأنّه مأخوذ من العرف بمعنى الرائحة كما يقال : استشمت به المعنى^٢، وقد سعى الشيخ البهائي عن طريق التحليل المفهومي لكلمة المعرفة هنا، تبين الأساس الميتافيزيقي له، ففي اللغة العربية مرادفات كثيرة للفظ «المعرفة» كالعلم، والإدراك، وقد حدث لفظ كثير في التدقيق المفهومي لها؛ أمّا اللفظان الأكثر رواجاً فهما العلم والمعرفة. وهذان اللفظان مترادفان أحياناً ويكونان قسيمين حيناً آخر؛ فابن سينا يعتبر أن إدراك الجزئيات معرفة، وإدراك الكليات علم^٣. أمّا الطوسي -علاوة على ذلك- فيقول : «قد ينسبان (المعرفة والعلم) إلى الإدراك المسبوق بالعدم وإلى الأخير من الإدراكين لشيء واحد، يتخلّل بينهما عدم، وإلى المجرد عن هذين الاعتبارين؛ ولذلك لا يوصف الإله تعالى بالعارف ويوصف بالعالم»^٤. وهنا يصّر الشيخ البهائي على هذا التمايز والتحليل المفهومي للمعرفة على أساس كلام الطوسي المنقول في حواشي مير سيّد شريف الجرجاني على شرح مطالع الأنوار^٥.

١. البهائي : الكشكول، ج ٢، ص ٣٦٦.

٢. المصدر نفسه : ص ٢٤.

٣. ابن سينا : الشفاء، المنطق، ص ٥٨.

٤. الطوسي : شرح الإشارات، ج ١، ص ٢٥.

٥. البهائي : الكشكول، ج ٢، ص ٢٣-٢٤.

ونحاول هنا مقارنة رأي الشيخ بهائي برأي تلميذه الملا صدرا (١٠٥٠ هـ) في كتابه المظاهر الإلهية، وهو من أهم كتبه؛ فمعرفة الرب على ثلاث مراتب:

١. معرفة الذات الإلهية.

٢. معرفة الصفات الربانية.

٣. معرفة الأفعال الصمدانية؛ وهي أضيقتها مجالاً وأرفعها منالاً، وأبعدها عن الفكر والذكر، إذ حقيقة الوجود - جلّ مجده - هوية بسيطة وغير متناهية الشدة في النورية والوجود، وحقيقته عين التشخيص والتعيين، لا مفهوم له ولا مثل ولا مشابه ولا ضد، ولا حد له ولا برهان عليه، بل هو البرهان على كل شيء، ولا أعرف من ذاته ولا شاهد عليه، بل هو الشاهد على الكل ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^١ وهو القائم على كل نفس بما كسبت ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^٢، ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾^٣، وليس للعقل سبيل إلى إدراك ذاته، ولهذا ورد النهي عن الفكر في ذات الله تعالى؛ لقوله ﷻ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته»، ولقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من تفكر في ذات الله الأحد، ومن تفكر في صفاته أرشد»؛ ولذا لا يشتمل القرآن من معرفة الذات - في الأغلب - إلا على تقديسات محضة وتنزيهات صرفة، كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^٤، وكقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^٥، وكقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٦، وكقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

ومن خلال مطالعاتنا لآثار الشيخ بهائي، نجده يبت بشكل قاطع بإستحالة معرفة

١. فصلت: ٥٣.

٢. الأنعام: ١٨.

٣. طه: ١١١.

٤. البقرة: ٢٥٥، القصص: ٧٠.

٥. الصافات: ١٨٠.

الذات الإلهية، وقد صرح بذلك كما مرّ، وقال أيضاً: «إنّ ذاته تعالى من حيث هي، غير معقول للبشر»^١، أمّا معرفة الصفات فالمجال للفكر فيها أفسح، ونطاق النطق فيها أوسع، لأنّها مفهومات عقلية يقع فيها الإشتراك، إلّا أنّها في الأوّل -تعالى- مصداقها ذاته بذاته، وفي غيره ليس كذلك. ولهذا إشتمل القرآن على تفصيلها في كثير من الآيات، كما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾، وفي معرفة الصفات أيضاً غموض شديد؛ لأنّه لا يمكن معرفة بعض الصفات، كالكلام -إلّا لأهل البصائر الشاقبة- وكالسمع والبصر والاستواء على العرش والإبتلاء والمماكرة وغير ذلك، ممّا لا يعرفه إلّا الرّاسخون في العلم^٢.

ويطابق الأنف رأي الشيخ البهائي من خلال تعرّضه لإمكانية معرفة الصفات في أكثر من مكان بأنّ الأوصاف الست التي نصفه بها جلّ وعلا هي على قدر عقولنا القاصرة وأوهامنا الحاضرة، ومجرى عاداتنا من وصف من نمجده بما هو عندنا وفي معتقدنا كمال أعني أشرف طرفي النقيض لدينا^٣، فهو بحر يتّسع أطرافه ولكل أن يخوض فيه ويسبح في غمرته بقدر قوّة سباحته، لكن لا ينال بالإستقصاء؛ لأنّها مرتبطة بالصفات، كالصفات بالذات. وليس في الوجود إلّا ذاته وصفاته وأفعاله التي هي صور أسمائه ومظاهر صفاته. فما كان من صفاته جليّاً في عالم الشهود، فالقرآن مشتمل عليها تصريحاً وتفصيلاً، وما كان خفياً فالقرآن مشتمل عليها تلويحاً وإجمالاً^٤.

ويوجد للشيخ البهائي تقرير للدرج والمراتب المتفاوتة لمعرفة الله تعالى في

١. البهائي: العروة الوثقى، ص ٢٧.

٢. صدر الدين الشيرازي: المظاهر الإلهية، ص ١٥.

٣. الكشكول، ج ٢، ص ٣٠١.

٤. صدر المتألّهين: المظاهر الإلهية، ص ١٨.

كتابه : مفتاح الفلاح و الأربعون : «إنّ تلك المعرفة التي يمكن أن يصل إليها أفهام البشر لها مراتب متخالفة ودرج متفاوتة»^١، ويوافق كلام المحقق الطوسي في مراتب المعرفة، مفصلاً : «إنّ مراتب ذلك متخالفة كمراتب معرفة النار، مثلاً فإن أدناها معرفة من سمع أنّ في الوجود شيئاً يظهر أثره في شيء يجاذبه وأن أخذ منه شيئاً لم ينقض ويسمى ذلك الموجود ناراً، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة. وأعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم أنّ لا بدّ له من مؤثّر؛ فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والإستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع تعالى. وأعلى منها مرتبة من أحسّ بحرارة النار لسبب مجاورتها وشاهد الموجودات بنورها وإنتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة المؤمنين الخلص الذين أطمأنت قلوبهم بالله وتيقّنوا أنّ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كما وصف به نفسه. أعلى منها مرتبة من احترق بالنار بكلّيته وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله تعالى الوصول إليها والوقوف عليها بمَنِّه وكرمه».

نتيجة البحث :

والخلاصة التي يمكننا إستنتاجها، أنّ للشيخ البهائي رأياً في وجوب معرفة الله عقلاً وشرعاً، والتكليف يكون بمعرفة الصفات الإلهيّة على قدر الإمكان، وبما يتناسب مع عقل الإنسان، ونحن لم نكلّف بمعرفة الذات؛ لأنّها مستحيلة أصلاً، كما أنّ للمعرفة مراتب تختلف باختلاف الأدوات والطرق.

الشيخ البهائي في تاريخ علم الفلك في العراق^١

عبّاس العزّاوي

البهاء العاملي :

هو بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبدالصمد العاملي من جبل عامل في سوريا المعروف بـ«البهاء» من علماء الشيعة في إيران، وعده في تراث العرب العلمي من آمل وليس بصواب، ولد في ١٣ ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٧ م في بعلبك. انتقل والده الى إيران وهو صغير، فاشتهر وكانت وفاته في أصفهان في ١٢ شوال سنة ١٠٣١ هـ - ١٦٢٢ م ونقل الى طوس فدفن فيها. نال مكانة مقبولة في إيران واشتهر بالعلم. ومؤلفاته كثيرة. ويهتمنا منها هنا ما يتعلّق بالهيئة والرياضيات وغالبها مدرسيّة راجت كثيراً. وهي متأثرة بالخواجة الطوسي^٢.

ومن مؤلفاته :

١ - رسالة تحقيق جهة القبلة، كتبها باللغة العربية. أولها : أمّا بعد الحمد والصلاة

١ . تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلاميّة والعربيّة في العهود التالية لأيّام العبّاسيّين من سنة

٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م إلى سنة ١٣٣٥ هـ = ١٩١٧ م، عبّاس العزّاوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،

١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م.

٢ . ترجمته في الفوائد الرضوية، ج ٢، ص ٥٢٠-٥٠٢؛ وخلاصة الاثر، ج ٣، ص ٤٤٠؛ وروضات الجنات، ص

٥٣٢؛ ونزهة الجليس، ج ١، ص ٢٤٩؛ وتراث العرب العلمي، ص ٢٤٤.

فيقول : ... وذكر في المقدمة : أن تحقيق جهة القبلية من المهمات الدينية وذكر اختلاف الفقهاء وأوضح أن الآراء لا تخلو من نقص أو خلل ، وبين الوجه الجدير بالقبول ... وذلك بالاستناد الى قواعد الهيئة ، إلا أن هذه الرسالة جاءت بسيطة بالنظر لما اعتمده صاحب قبلة الآفاق الرسالة الفارسية المؤلفة بعد الشيخ البهائي ... ولعلها تنزع الى معارضة الخلخالي المذكور سابقاً ، وموضوعها مختصر في مباحث الفلك ولكنه أدى ما يجب ، وأفاد الفائدة المطلوبة وما كتب بعدها باللغة العربية أو بالفارسية فيه توضيح أكثر وهي مسبقة برسائل أخرى غيرها مرّ بيان بعضها . وعندي مخطوطتها موضحة بأشكال فلكية كتبت في أواخر رجب سنة ١١٧٨ هـ . ونسخة ضمن مجموعة في خزانة الاستاذ كوركيس عواد .

٢ - بحر الحساب ، كتاب كبير في الحساب^١ .

٣ - خلاصة الحساب ، أولها : نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد... قدّمها الى أبي غالب ، السلطان حمزة بهادر خان ، لخصّها من كتابه السابق واشتهر أكثر منه . وهو أجمع كتاب لفنون الحساب وهو مرتب على مقدّمة وعشرة أبواب وخاتمة منه في الموصل نسخة في خزانة النبيّ شيث وأخرى في خزانة يحيى باشا وثالثة في خزانة الدكتور داود الجلبي ضمن مجموعة^٢ وفي خزانة الاستاذ كوركيس عواد نسخة كتبت في مكة المكرمة سنة ١٠٨٩ هـ وعندي نسخة ضمن مجموعة كتبت سنة ١٢٣١ هـ وأخرى ضمن مجموعة كتبت سنة ١٢٣٥ هـ وعليها حاشية لعمر بن أحمد . ويعرف بابن المائي وابن الجلي^٣ . أولها : يا من عجز عن جميع تضاعف نعمه أقلام أفهام العقلاء ... عندي نسختان منه كتبت احداها سنة ١١٢٩ هـ

١ . الذريعة ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

٢ . مخطوطات الموصل ، ص ٢١٢ و ٢٤٢ و ٢٧٤ .

٣ . النسبة الى قرية جل منكوي سنجق ، والجل لفظة مستعملة عندنا وتعني أن هذه القرية يوجد فيها الجل فسُميت بهذا الاسم ، وعرف بالانتساب الى هذه الأسرة جماعة من العلماء .

ومنه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد. وطبع في الهند واستنبول ومصر وترجم الى الألمانية سنة ١٨٤٣م. وعلى هذا الكتاب شروح كثيرة منها :
(١) توضيح خلاصة الحساب (موضح الخلاصة) بالفارسية تأليف محمد امين النجفي وذكر أنه من تلامذة المؤلف وألفه بزمانه. أوله : الحمد لله رب العالمين... عندي مخطوطة.

(٢) نبذة من بيان أقسام الضرب. وهذه مما لم تذكر في الكتب المشهورة من التوشيح والمحاذاة والأصغار. جاء ذلك في أولها؛ وقال كاتبها في آخرها : تم شرح مير شمس محمد الجيلاني على خلاصة الحساب وهو من تلاميذ المصنف ويعرف بـ«امير شمس الدين محمد الكيلاني» من تلامذة الشيخ البهائي. منه نسخة في جامعة طهران^٢.

(٣) ايضاح الحساب ، للشيخ فخر الدين بن محمد علي الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ ١٦٨٤ م أوله : الحمد لله الذي تنزه ذاته من شوائب التعدد والنقصان ومُجّد شأنه عن عوائب التثليث والاتنان... ألفه في اصفهان وأتمه سنة ١٠٨٣ هـ منه نسخة في خزانة بيت الطريحي^٣.

(٤) حل الخلاصة لأهل الرئاسة ، لرمضان افندي ابن أبي هريرة الجزري القادري. أوله : نحمدك يا من اعداد نعمه لا تحصى... تم تأليفه سنة ١٠٩٢ هـ منه نسخة في دار الكتب المصرية^٤ منقولة عن نسخة بخط المؤلف وعندي نسخة بخط سليمان السويدي بتاريخ ٧ جمادي الآخرة سنة ١٢٣٥ هـ وأخرى جاء في آخرها على يد

١. معجم الطبوعات، ص ١٢٦٣.

٢. فهرس جامعة طهران، ج ٣، قسم ٢، ص ٨٣٣؛ وفيه تفصيل مهم للنسخ الموجودة في الجامعة وما هو معروف من شروح خلاصة الحساب.

٣. الفهرس القديم، ج ٥، ص ١٨٠.

٤. الذريعة، ج ٢، ص ٤٩٣ و٤٩٤.

مؤلفها... برقم ٢٣٧.

(٥) شرح جواد بن سعد بن جواد الكاظمي، رتبته على مقدمة وعشرة أبواب أوله بعد البسملة: الحمد لله الواحد العظيم والفرد القديم... منه نسخة كتبت بخط الأستاذ أبي الثناء السيد محمود الألوسي مؤرخة في ١٥ شهر رمضان سنة ١٢٣٧ هـ وجاء على هامشها بلغ مقابلة وتصحيحاً بالتماس كاتبه على يد تلميذه وولده القلبي عبد السلام الشواف مدرس المدرسة القادرية سنة ١٢٦٢ هـ وهو في مجلد ومن كتب السيد عبد الرحمن القادري تملكه سنة ١٢٧٩ هـ، وهو اليوم في الخزانة القادرية في بغداد. وفيها نسخة أخرى كتبت في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦١ هـ ضمن مجموعة ومنه نسخة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد من كتب المرحوم الأستاذ عبد الحليم الحافاني نسخها رمضان بن أبي هبيرة التكريتي في بغداد سنة ١٢٣٥ هـ.

(٦) تحفة الطلاب في حل خلاصة الحساب، لعبد الرحمن بن عبد الله الحلبي المشهور بـ «كاك حلي» ابن محمد بن ابراهيم بن حسن، أولها: الحمد لله الذي لا يحصى عدد نعمه... والمؤلف والد الملا عبد الله وحفيده، الملا محمد الحلبي، توفي نحو سنة ١٣٦٥ هـ. منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد من كتب الأستاذ السيد نعمان خير الدين الألوسي كتبها سنة ١١٨٦ هـ.

(٧) شرح خلاصة الحساب، للطف الله المهندس ابن الأستاذ أحمد المعمار. أوله: الحمد لله الواحد الفرد الصمد...

ونظم خلاصة الحساب: عز الدين محمد الحسني وسماه نظم الحساب وأوله:

الحمد لله القديم الواحد حمداً يشق قلب كل حاسد

وقال الناظم في تاريخ النظم سنة ١١١٨ هـ:

بلطف هادي الوري شرحت نظم الحساب

ومستأرخ قال ما اسم الكتاب قلت له هاك نظم الحساب

وشرح هذا النظم «محسن بن محمد طاهر» في أوائل جمادي الأولى سنة ١١٢٨ هـ، كما صرح بذلك وكان معاصراً للنظام وسمّاه رشح الحساب في شرح نظم الحساب وأوله : الحمد لله الأحد الذي قسم بين عباده ضروب نعمائه ... منه نسخة في خزانة المتحف العراقي ببغداد. وأعتقد أنها النسخة الأصلية . ونظم خلاصة الحساب للشيخ عثمان بن سند وشرحها أيضاً ومن الشرح نسخة لدى الأستاذ الحاج محمد العسافي .

٤ - تشریح الأفلاك ، أوله : ربّنا ما خلقت هذا باطلا ... وهو كتاب مدرسيّ شائع منتشر. عندي جملة نسخ مخطوطة منه إحداها ضمن مجموعة كتبت سنة ١١٠٥ هـ. ومنه نسخة «يتخلّلها أشكال فلكيّة» في الخزانة العامّة في نيويورك^١ وطبع على الحجر في الهند ولعلمائنا اشتغال عليه بالشرح والتعليق. حلّ محلّ الملخص والتذكرة نوعاً وربّما تغلب عليها وعلى الفتحة والزبدة، وعليه حاشية صدرالدين محمد بن الصادق الحسيني سمّاها تفريح الإدراك في توضيح تشریح الأفلاك منها نسخة في خزانة برلين^٢. وعليه شروح منها :

(١) التصريح على التشریح : لامام الدين الرياضي ابن لطف الله ابن الاستاذ أحمد اللاهوري ثم الدهلويّ ألفه سنة ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٥ م. طبع في دهلي سنة ١٣١٢ هـ. (٢) تشریح الادراك ، للسيد عبدالله الفخريّ الموصليّ، وعليه حاشية للشيخ عبدالرحمن السويديّ، وقد سبقت الإشارة اليهما ومن الشرح والحاشية نسخة في خزانة الأوقاف العامّة في بغداد بين كتب السيّد نعمان خير الدين الالوسي .

٥ - الصحيفة في الاسطراب ، باللغة العربيّة . أولها : ارتفعت درجات جبروتك عن احاطة افهامنا ... منها نسخة نقلت من خط مؤلفها في خزانة المتحف العراقي

١ . جولة في دور الكتب الأميركية ، ص ٨٨ .

٢ . فهرس خزانة برلين ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .

في بغداد وهي في ست صفحات، وعندى نسخة كتبت في اصفهان سنة ١١٠٦ هـ ضمن مجموعة، وعليها من الشروح :

(١) سوانح القريحة في شرح الصحيفة، للسيد عبدالله الفخري المذكور ومنها نسختان في خزانة الأوقاف العامة ببغداد إحداها بخط الأستاذ أبي الثناء الآلوسي.

(٢) رسالة في كيفية العمل بالصحيفة : له. في الخزانة المذكورة.

(٣) نقش الصحيفة في شرح الصحيفة، تأليف أحمد بن محمد بن خضر البغدادى وسبقت الإشارة إليها.

٦- رسالة فارسية في الأسطراب : مختصرة من (بيست باب) للخواجه الطوسي عندى مخطوطتها ضمن مجموعة كتبت سنة ١١٠٧ هـ. أولها : باب أول در بيان حدّ اسطراب والقباب... ونقلها الداغستانيّ الدمشقي الى العربية ولم يصرح بالنقل كما أنّ البهاء لم يذكر اختصاره من الخواجه.

٧- التحفة الحاتمية، رسالة، كتبها الرسالة لاعتماد الدولة ميرزا حاتم بك الأردوبادي وزير الشاه عباس الأول المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ. وتشتمل على سبعين باباً. أولها : وبعد چون درين وقت... منها نسخة في خزانة مجلس الأمة الايرانى وطبعت في ايران سنة ١٣١٦ هـ.

٨- رسالة في نسبة أعظم الجبال الى قطر الأرض.

٩- رسالة في أنّ أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس.

١٠- رسالة في حل اشكال عطارده والقمر.

١١- حواش على الزبدة، للخواجه الطوسي.

١٢- حواش على تشريح الأفلاك.

١٣- حواش على التذكرة، للخواجه الطوسي.

ذكرنا مؤلفاته وما جرى عليها من شروح وتعليقات لنعلم درجة صلته بعلمائنا فلم نر من اكتسب مكانته في الأوساط العلمية في أقطار عديدة.

بهاء الدين العاملي في تراث العرب العلمي^١

قدري حافظ طوقان

بهاء الدين العاملي^٢:

على الرغم ممّا كانت عليه بعض الدول العربيّة والإسلاميّة في مختلف الأقطار من الضعف. وعلى الرغم ممّا أصابها من الانحلال، وما حلّ بها من المصائب، وما أحاطها من المتاعب التي تحول دون تقدّم العلوم ودون ازدهار الفنون. أقول: على الرغم من كلّ ذلك، فقد ظهر في بعض الحواضر من وجه بعضاً من عنايته إلى العلوم وتشجيع المشتغلين بها.

ومن هؤلاء الذين ظهوروا في القرن السادس عشر للميلاد، وبرزوا في العلوم الرياضيّة «بها؟ الدين محمّد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي» ولد سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٧ م.

أحضره والده إلى العجم حيث أخذ العلم عن كبار علماء زمانه. وقد آثر حياة

١. تراث العرب العلمي (الرياضيات والفلكيات)، الطبعة الثانية، ١٤٨٢ هـ / ١٩٦٣ م، ص ٤٧٤ - ٤٨٢.

٢. أنظر ترجمته ومصادرها في «بروكلمن» G. A. L. GH, 414. SH, 565: الأعلام للزركلي ٦: ٣٣٤؛ خلاصة

الأثر للمحبّي ٣: ٤٤٠.

الفاقة والفقر على حياة الغنى والترف، يدلنا على ذلك المناصب التي عرضها عليه أولوا الأمر.

ولعل أكثر ما امتاز به العاملي، رغبته الشديدة في السياحة وزيارة الأقطار المختلفة، وقد بقي في سياحاته ثلاثين سنة، زار خلالها مصر والجزيرة العربية وسوريا والحجاز، حيث أدى فريضة الحج وبعد ذلك عاد إلى إصفهان. ويقال: إنه عندما علم الشاه عباس حاكم الدولة الصفوية بعودة العاملي إلى إصفهان، ذهب بنفسه إليها، وأحاطه بالإكرام والتجلة، وعرض عليه منصب رئاسة العلماء. ومع أنه لم يقبل هذا المنصب، فقد بقي صاحب المقام الأول عند الشاه، إلى أن وافاه أجله في إصفهان سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م. ودفن في طوس بجوار الإمام الرضا. واشتهر صاحب الترجمة بما تركه من الآثا في التفسير والآداب، فله فيها تآليف قيمة.

أمّا آثاره في الرياضيات والفلك، فقد بقيت زمناً طويلاً، مرجعاً لكثيرين من علماء المشرق، كما أنّها كانت منبعاً يستقي منه طلاب المدارس والجامعات. ومن أشهر مؤلفاته:

رسالة الهلائية؛

كتاب تشريح الأفلاك؛

الرسالة الاسطرلائية؛

كتاب خلاصة الحساب^١، وقد اشتهر هذا الكتاب الأخير كثيراً، وانتشر انتشاراً واسعاً في الأقطار بين العلماء والطلاب، ولا يزال مستعملاً إلى الآن في مدارس بعض المدن الإيرانية، وقد تمكّننا من الحصول على نسخة من هذا الكتاب نقلناها

١. أنظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة لأغا بزرك الطهراني ٧: ٢٢٤، حيث فصّل الكلام على الكتاب ونسخه المخطوطة وطبعاته العديدة.

عن مخطوطة عثرنا عليها في المكتبة الخالديّة بالقدس. يقول عنه صاحب كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :

« خلاصة في الحساب لبهاء الدين محمّد بن حسين، وهو من علماء الدولة الصفويّة... وهو على مقدّمة، وعشرة أبواب ».

ونجد في الخلاصة أنّ المؤلّف استعمل الأرقام الهنديّة التي نستعملها نحن اليوم، إلّا أنّه استعمل للصفر الشكل (٥) وللخمسة شكلٌ يخالف الشكل الذي نعرفه، ولهذا الكتاب مقدّمة تبدأ هكذا: «نحمدك يا مَنْ لا يحيط بجميع نعمه عدد، ولا ينتهي تضاعف قسمه إلى أمد...».

أمّا أبوابه فعشرة : الباب الأوّل في حساب الصحاح. وهو على ستّة فصول : الفصل الأوّل في الجمع، الثاني في التصنيف، الثالث في التفريق - أي الطرح - . الرابع في الضرب، الخامس في القسمة، السادس في استخراج الجذر.

الباب الثاني في الكسور، وهو يحتوي على مقدّمات ثلاثة، وفصول ستّة. فالمقدّمات تتناول الكسور، وأصولها الأوّليّة، ومعنى مخرج الكسر، وكيفيّة إيجاد مخارج عدّة كسور - أي كيفيّة إيجاد المضاعف المشترك الأصغر لمقامات عدّة كسور - وتتناول أيضاً التجنيس والرفع، والمعنى المقصود من التجنيس : «جعل الصحيح كسوراً من جنس كسر معيّن، والعمل فيه إذا كان مع الصحيح كسران، تضرب الصحيح في مخرج الكسر وتزيد عليه صورة الكسر». ومعنى الرفع : «جعل الكسر صحيحاً، فإذا كان معنا كسر عدده أكثر من مخرجه، قسمناه على مخرجه، فالخارج صحيح، والباقي كسر من ذلك المخرج».

ويأتي عند شرح كلّ هذه البحوث بأمثلة تزيل من غموض الموضوع، وتزيد في وضوحه.

أمّا الفصول الستّة فتبحث في جمع الكسور وتضعيفها وتنصيفها، وتفريقها، وضربها، وقسمتها، واستخراج جذورها، ثمّ تحويل الكسر من مخرج إلى مخرج.

ويجد القارئ في الباب الثالث والرابع والخامس بحثاً في استخراج المجهولات. وقد استعمل المؤلف ثلاث طرق :
إحداها : طريقة الأربعة المتناسبة، وهذه الطريقة يعرفها كل من له إلمام بالرياضيات الابتدائية.

والطريقة الثانية : بحساب الخطأين، وهذه الطريقة غير مستعملة في الكتب الحديثة، مع أنها كانت شائعة الاستعمال عند العرب في القرون الوسطى.^١
والطريقة الثالثة : وهي الموجودة في الباب الخامس : «في استخراج المجهولات بالعمل بالعكس، وقد يسمّى بالتحليل والتعكس. وهو العمل بعكس ما أعطاه السائل : فإن ضعف فنصف، وإن زاد فأنقص، أو ضرب فاقسم، أو جذر فربع، أو عكس فاعكس، مبتدأً من آخر السؤال ليخرج الجواب». وقد أوضحناها في فصل الحساب من هذا الكتاب.

١. في هذه الطريقة شيء من الطرافة، وقد أوضحناها في فصل الحساب، ونأتي هنا على مثال ورد في كتاب العالمي : «ولو قيل أي عدد زيد عليه ربعة، وعلى الحاصل ثلاثة أخماسه، ونقص من المجتمع خمسة دراهم، عادل الأول ...».

$$\text{أي أن } س + \frac{1}{4}س + \frac{3}{5}(\frac{1}{4}س + س) - 5 = 0$$

$$\text{أو } \frac{5}{4}س + \frac{3}{4}س - 5 = 0$$

وقد حلّه العالمي على طريقة الخطأين كما يلي :

«... فلو فرضته (أي فرضت المجهول) أربعة، أخطأت بواحد أو ثمانية، فثلاثة زائدة، وخارج قسمة مجموع المحفوظين على مجموع الخطأين خمسة وهو المطلوب ...».

أي أن المفروض الأول ٤ فالخطأ الأول ١ ناقص

والمفروض الثاني ٨ فالخطأ الثاني ٣ زائد

إذن المحفوظ الأول هو $3 \times 4 = 12$ زائد والمحفوظ الثاني $1 \times 8 = 8$ ناقص والفرق بينهما هو ٢٠ والفرق بين الخطأين هو ٤.

وعلى هذا فالجواب $\frac{20}{4} = 5$. راجع فصل الحساب من هذا الكتاب.

ويحتوي الباب السادس على مقدّمة، وثلاثة فصول :

فالمقدّمة في المساحة، وفي بعض تعريفات أوليّة عن السطوح والأجسام. والفصل الأوّل في مساحة السطوح المستقيمة الأضلاع، كالمثلث والمربّع والمستطيل والمعين، والأشكال الرباعيّة والمسدّس والمثمن، والأشكال المستقيمة الأضلاع الأخرى.

والفصل الثاني والثالث في الطرق لإيجاد مساحة الدائرة، والسطوح المنحنية الأخرى؛ كالأسطوانة، والمخروط التامّ، والمخروط الناقص، والكرة.

والباب السابع في ثلاثة فصول، تبحث: «في ما يتبع المساحات من وزن الأرض، لإجراء القنوات، ومعرفة ارتفاع المرتفعات، وعرض الأنهار، وأعماق الآبار».

ولهذه الأعمال والطرق براهين، يقول عنها إنّهُ أوضحها وبيّنها في كتابه الكبير المسمّى بـ (جبر الحساب). وأنّ بعضاً منها مبتكر وطريف لم يُسبق إليه، أورده في تعليقاته على فارسيّة الاسطرلاب.

ويستعمل بهاء الدين طرقاً أخرى غير التي مرّ ذكرها لاستخراج المجهولات، وهنا يدخل إلى موضوع الجبر والمقابلة.

وهذا ما نجده في الباب الثامن، الذي يتكوّن من فصلين: أحدهما في معنى المجهول - أي س - والمال - أي س^٢ - والكعب - أي س^٣ - ومال المال - أي س^٤ - ومال الكعب - أي س^٥ - وكعب كعب - أي س^٦ - وهكذا، وجزء الشيء (١) - وجزء المال (١) - وجزء الكعب (١) ... إلخ، وفي كيفيّة ضرب هذه بعضها في بعض، وقسمتها بعضها على بعض^س.

والفصل الثاني في المسائل الجبريّة الستّ، وهي عبارة عن أوضاع مختلفة للمعادلات، وكيفيّة إيجاد المجهول منها - أي حلّها - وقد سبق وأتينا على شيء من هذا في فصل الجبر من هذا الكتاب.

ويجدر بنا أن لا نترك هذا الباب دون الإشارة إلى تعريف العاملي لكلمتي «جبر» و «مقابلة». ففي تفسير هاتين الكلمتين يقول: إنه عند حلّ مسألة من المسائل بطريقة الجبر والمقابلة، نفرض المجهول شيئاً - أي س بالمعنى الجبري الحديث - ... وتستعمل ما يتضمّنه السؤال، سالكاً على ذلك المنوال لينتهي إلى المعادلة، والطرف ذو الاستثناء يكمل ويزاد مثل ذلك على الآخر وهو الجبر. والأجناس المتجانسة المتساوية في الطرفين تسقط منها، وهو المقابلة ثم المعادلة»^١.

ويقول سمث في كتابه تاريخ الرياضيات في ص ٣٨٨ من الجزء الثاني، عن هذا التفسير أنه أوضح تفسير لكلمتي: «جبر ومقابلة».

وقد لا يكون في بحوث الأبواب والفصول التي مرّت شيء مبتكر أو جديد، فقد سبقه إليها كثيرون من علماء العرب والمسلمين، فهو لم يكن في ذلك إلاّ آخذاً أو ناقلاً على الرغم من وجود بعض طرق لم يسبق إليها.

ومن الحقّ أن نذكر أنه قدّم هذه البحوث والموضوعات، في طرق واضحة جليّة، يسهل فهمها وتناولها.

وهذه هي مزيّة بهاء الدين على غيره. فقد استطاع أن يضع بحوث الحساب، والمساحة، والجبر التي يرى فيها أكثر الناس غموضاً وصعوبة في قالب سهل جذاب، وفي أسلوب سلس بدّد شيئاً من غموض الموضوع، وأزال شيئاً من صعوبته.

ونأتي الآن إلى الباب التاسع فنجد فيه كما يقول المؤلف «قواعد شريفة، وفوائد

١. إذا كان لدينا المعادلة: $ب س + ٢ ج = س + ٢ ب س - ج$

فبالجبر تصبح $ب س + ٢ ج - ج = س + ٢ ب س$

وبالمقابلة تصبح $٣ ج = س + ٢$

لطيفة، لا بدّ للحاسب منها ولا غناء له عنها»، وقد اقتصر في هذا الباب على اثنتي عشرة قاعدة وفائدة^١، ويدّعي أنّها كلّها من مبتكراته، وأنّه لم يسبقه أحد إليها. ولكن على ما أرجّح أنّ في ادّعائه هذا بعض المبالغة، إذ أكثر هذه القواعد كانت معروفة عند الذين سبقوه، وهو لم يكن في وضعها كلّها مبتكراً. فقد تكون الطرق التي أتى بها مغايرة لطرق من تقدّمه من العلماء العرب والمسلمين، ولكنه مبتكر في بعضها، وقد استعمل لها طرقاً طريفة فيها بعض الإبداع، وفيها شيء من المهارة والمقدرة، تدلّان على عمق في التفكير.

وبعد ذكر هذه القواعد وكيفية تطبيقها يأتي إلى «مسائل متفرقة بطرق

١. نأتي على بعض هذه القواعد والفوائد للراغبين في الرياضيات :

(أ) «جمع المربعات المتوالية تزيد واحداً على ضعف العدد الأخير، تضرب ثلث المجتمع في مجموع تلك الأعداد. أي أنّك إذا أردت أن تعرف مجموع مربعات جملة أعداد متوالية، فزد واحداً على ضعف العدد الأخير، ثم اضرب هذا الناتج في مجموع الأعداد. مثال ذلك :

لايجاد حاصل جمع مربع كلّ من ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ نجري العملية هكذا :

$$2 \times 6 + 1 = 13 \text{ ومجموع الأعداد يساوي } 21$$

وعلى هذا فحاصل جمع المربعات يساوي $\frac{1}{3} \times 13 \times 21 = 91$

وإذا أردت التحقق من ذلك، فأوجد مربع كلّ من هذه الأعداد ثم اجمعها».

(ب) وله قاعدة أخرى لإيجاد مجموع مكعبات جملة أعداد متوالية، وهي :

«جمع المكعبات المتوالية، ربع مجموع تلك الأعداد من الواحد».

أي أنّك إذا أردت أن تعرف حاصل جمع مكعبات جملة أعداد متوالية، فربع مجموع تلك الأعداد.

مثال ذلك :

لايجاد مجموع مكعبات كلّ من ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ تجمع الأعداد وتربع الحاصل

$$21 \times 21 = 441 \text{ وهو الجواب}$$

وإذا أردت التحقق من ذلك، فأوجد مكعب كلّ من هذه الأعداد واجمعها.

مختلفة»^١، فيضعها في باب خاص هو الباب العاشر، ويقول: إنَّ القصد من هذا الباب «شحذ ذهن الطالب وتمرينه على استخراج المطلوب». ونراه يستعمل في حلول بعض هذه المسائل طرقاً جبريّة، وفي بعضها الآخر طرقاً حسابيّة، يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه ويقوّي فيه ملكة التفكير. ونحن الآن أمام «الخاتمة» التي يستهلّها المؤلّف بقوله:

«وقد وقع للحكماء الراسخين في هذا الفنّ مسائل، صرفوا في حلّها أفكارهم

١. من هذه المسائل:

- (أ) «عدد ضعف وزيد عليه واحد، وضرب الحاصل في ثلاثة وزيد عليه اثنان، وضرب المبلغ في أربعة وزيد عليه ثلاثة، بلغ خمسة وتسعين، فما العدد؟».
- (ب) «سمكة ثلثها في الطين وربعا في الماء، والخارج منها ثلاثة أشبار، كما أشبارها؟».
- (ج) «رجلان حضرا بيع دابة؛ فقال أحدهما للآخر: إن أعطيتني ثلث ما معك على ما معي، تمّ لي ثمنها. وقال الآخر: إن أعطيتني ربع ما معك على ما معي تمّ لي ثمنها. فكم مع كلّ واحد منهما، وكم الثمن؟».
- (د) «قيل لشخص: كم مضى من الليل؟ فقال: ثلث ما مضى يساوي ربع ما بقي، فكم مضى، وكم بقي؟».
- (هـ) «رمح مركوزة في حوض، والخارج عن الماء منه خمسة أذرع، فمال مع ثبات طرفه حتّى لاقى رأسه سطح الماء، وكان البعد بين مطلعته في الماء وموضع ملاقة رأسه له، عشرة أذرع. كم طول الرمح؟».
- وقد استعمل بهاء الدين في حلّ المسألة نظريّة فيثاغورس.

وإذا وضعنا حلّه بالرموز، فهو على الصورة الآتية:

$$س + ١٠٠ = ٢٥ + س^٢$$

$$س^٢ + ١٠ + س = ٢٥ + س^٢$$

$$أي أن ١٠ = س$$

$$س = ٧,٥ وهو القدر الغائب في الماء.$$

وعلى هذا فالرمح ١٢,٥ ذراعاً.

ومن هنا يرى القارئ أنّ هذه المسائل، لا تختلف عن المسائل الموجودة في أحدث الكتب الجبريّة والحسابيّة، بل إنّ طرق حلّها في كتاب الخلاصة، تفوق صعوبة ومهارة عن الطرق التي نستعملها الآن.

ووجهوا في استخراجها أنظارهم، وتوصلوا إلى كشف نقابها بكل حيلة، وتوصلوا إلى رفع حجابها بكل وسيلة، فما استطاعوا إليها سبيلاً، وما وجدوا عليها مرشداً أو دليلاً، فهي باقية على عدم الانحلال من قديم الزمان، مستعصية على سائر الأذهان، إلى هذا الآن».

ولقد أورد سبعا من هذه المسائل التي أعجزت الرياضيين، وأنهكت قوى المحاسبين، أتى بها على سبيل المثال^١.

ثم يخرج بعد ذكرها إلى مدح رسالته هذه - وقد سماها «بالجوهرة العزيزة» - بقوله: «إن فيها من نفائس عرائس قوانين الحساب، ما لم يجتمع إلى الآن في رسالة ولا كتاب».

ويقول عنها أيضاً: «على القارئ أن يعرف قيمتها، ويعطيها حقها من الإنصاف والتقدير، وأن يحول بينها وبين من لا يعرف مزاياها، وأن لا يرفها إلا إلى حريص، لأن كثيراً من مطالبها حري بالصيانة والكتمان، حقيق بالاستتارة عن أكثر هذا الزمان، فاحفظ وصيتي إليك فالله حفيظ عليك».

١. تأتي على المسائل السبع التي أوردها بهاء الدين في كتابه، فقد يرغب بعض الذين يعنون بالرياضيات الوقوف عليها وهي كما يلي:

الأول: عشرة مقسومة قسمين، إذا زيد على كل جذره، وضرب المجتمع في المجتمع حصل عدد مفروض.

الثانية: مجذور، إن زدنا عليه عشرة، كان للمجتمع جذر أو نقصناها منه، كان للباقي جذر.

الثالثة: أقر لزيد بعشرة إلا جذر ما لعمر، ولعمر بخمسة إلا جذر ما لزيد.

الرابعة: عدد مكعب قسم بقسمين مكعبين - أي أن مجموع مكعبين لا يكون مكعباً -.

الخامسة: عشرة مقسومة بقسمين، إذا قسمنا كلا منهما على الآخر، وجمعنا الخارجين، كان المجتمع مساوياً لأحد قسمي العشرة.

السادسة: ثلاثة مربعات متناسبة، مجموعها مربع.

السابعة: مجذور، إذا زيد عليه جذره ودرهمان، أو نقص منه جذر ودرهمان، كان المجتمع أو الباقي جذراً.

وليس في مدح بهاء الدين لرسالته أيّ عجب، فقد كانت العادة عند مؤلّفي زمانه، والذين سبقوه أن يمتدحوا رسائلهم ومؤلفاتهم، وأن يسرفوا في ذلك. ونظرة إلى كتب الأقدمين في اللغة والأدب والتاريخ وبقية العلوم، تؤيد ما ذهبنا إليه.

ولكتاب الخلاصة شروح عديدة؛ عرفنا منها شرحاً لشخص اسمه «رمضان»، ولم يكن هذا الشرح معتبراً عند العلماء، بل يكن له مزية أو صفة خاصة، وقد ظهر في زمن السلطان محمد خان بن السلطان إبراهيم.

ويوجد أيضاً شرح لعبد الرحيم بن أبي بكر المرعشلي، أحد علماء الدولة العثمانية، ويمتاز شرحه على غيره بالأمثلة المتعددة التي توضح كثيراً من المبادئ الصعبة والقوانين العويصة، وفي هذا الشرح يتجلّى للقارئ سعة اطلاع الشارح، ووقوفه على الرياضيات التي كانت معروفة، وهذا هو الذي ميّزه على غيره من الشروح، وجعله منهلاً لكثيرين من العلماء.

وطبع كتاب الخلاصة في كلكتا في سنة ١٨١٢ م، وفي برلين سنة ١٨٤٣ م. وقد ترجمه إلى الفرنسية الأستار (Marre) في سنة ١٨٦٤ ميلادية.

ويظهر أنّ بهاء الدين بدأ في تأليف كتاب اسمه (جبر الحساب)، ومات قبل الفراغ منه، وفيه تفصيل لبراهين كثير من النظريات الهندسية، وقوانين المساحات، والحجوم، وعدد من المبادئ الحسابية، وأدخل فيه أيضاً طرقاً جديدة لحلّ مسائل مختلفة صعبة، تشدّ ذهنه وتمرّنه على حلّ الأعمال المعقّدة الملتوية.

منزل الشيخ بهاء الدين العاملي في قرية إيعات^١

الدكتور خضر محمد نبها^٢

دعوة إلى جعله متحفاً وطنياً :

منذ طفولتي كنت أمرّ قرب جدران خربة مهجورة في قريتي إيعات^٣، ولم أكن أعلم حينها أنه بين هذه الجدران أقام أحد أعظم الشخصيات التي أنجبتها الإنسانية، والذي قال فيه المحبّ الحنفي: «كان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم... وما أظنّ الزمان سمح ولا جاد بنده»، عنيت به محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي الحارثي الهمداني الجباعي المشهور بـ «بهاء الدين العاملي» (٩٥٣ - ١٠٣٠ هـ)، ويشتهر بين الناطقين بالفارسية بـ «بهائي»، وبين الناطقين بالعربية بـ «بهاء الدين»^٤.

١. مجلّة رسالة النجف، معهد الرسول الأكرم، العدد الرابع، محرّم ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ١٦ و ١٧.

٢. باحث متخصص في الدراسات الإسلامية.

٣. قرية إيعات تقع شمال غرب مدينة بعلبك، وعلى بعد خمسة كيلومترات منها.

٤. الشيخ جعفر المهاجر: ستّة فقهاء أبطال، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٤، ص ١٨٩.

أصله من جبّاع من جبل عامل، والتي تعرف أيضاً بـ «جُبّع» أو «جبّاع الحلاوة»، تمييزاً لها عن قرية أخرى في «الشوف» من لبنان تحمل الاسم نفسه^١. والده الشيخ حسين عبد الصمد، ولد سنة ٩١٨ هـ، أي قبل الفتح العثماني لـ «الشام» بأربع سنوات^٢، تتلمذ على يد الشهيد الثاني^٣، وفي سنة ٩٢٥ هـ / ١٥٤٥ م، ارتحل الشيخ حسين مع أستاذه الشهيد إلى إسلامبول، إلى أن استقرّ معه سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م في مدينة بعلبك، وفي هذه السنة رزق بأول ابنه بهاء الدين^٤.

ومن المرجّح أن تكون ولادة بهاء الدين في قرية «إيعات»؛ لأنّ المصادر المعتمدة تجمع على أنّه كان في مدينة بعلبك، وأنّ والده أقام فيها، ومما لا يخفى على القارئ أنّ اسم بعلبك كان يطلق دائماً على ما هو أوسع بكثير من المدينة نفسها، ليشمل المنطقة كلّها.

ويؤيّد ما سبق رواية شفهيّة ما تزال حيّة متداولة حتّى اليوم تقول أنّ بهاء الدين ولد في قرية إيعات، والذي يدعو للاهتمام بهذه الرواية هو أنّ بعلبك المدينة كانت حتّى ذلك الحين حنبلية المذهب، ويشكّل الشيعة فيها أقلّيّة، في حين أنّهم كانوا هم الأكثرية المسيطرة في أرباض المدينة والقرى المجاورة.

١. المصدر نفسه.

٢. توفي سنة ٩٨٤ هـ، صَفّ عدّة كتب، راجع الشيخ جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، دار الأضواء، لبنان سنة ٢٠٠٠ م، ١٠: ٨٨.

٣. هو زين الدين بن علي العاملي (ت ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨ م)، درس الفقه على المذاهب الخمسة في المدرسة النورية في بعلبك، راجع تفصيل سيرته وعمله، الشيخ جعفر المهاجر: ستّة فقهاء أبطال، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٤، ص ١٨٦.

٤. صَفّ بهاء الدين ما يزيد على سبعين كتاباً ورسالة في الفقه والرياضيات والفلك والرجال والتفسير، راجع الشيخ جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، دار الأضواء، لبنان سنة ٢٠٠٠ م، ١١: ٢٦٤ و ٢٦٥.

وتعرف قرية «إيعات» بأنّها منذ ذلك الزمان مسكن عائلة تنتسب إلى همدان، القبيلة الشهيرة التي يعود إليها الفضل في نشر التشييع في بلاد الشام، والتي ظلّت عائلة بهاء الدين تفتخر بالانتساب إليها، فلعلّ الشيخ حسيناً آثر السكنى بين أقاربه وأبناء مذهبه حين ولد ابنه بهاء الدين.

ونجد من واجبنا اليوم أن نلفت نظر الغيارى، وخصوصاً المعنيتين بالشأن الثقافي إلى ضرورة ترميم هذا المنزل، وجعله مزاراً يضمّ التراث العلمي العامّ للشيخ حسين بن عبد الصمد وابنه العظيم بهاء الدين العاملي، وبذلك نقوم بعمل إحيائي بحقّ الرجل الذي يعتبر بحقّ أحد أعظم الرجال الذين احتضنتهم بعلبك ومنطقتها.

معنى الكشكول وسابقتها^١

السيد عبد الستار الحسني

الكَشْكُولُ : كلمة فارسيّة استُعِمِلَتْ منذ القرن العاشر الهجري بمعنى الكتاب الذي لا تنتظمه (وحدة موضوع)، بل ينتقل فيه جامعُه من فنٍّ إلى فنٍّ؛ فمن تفسير آيةٍ إلى شرح روايةٍ، ومن مسائل علميّة إلى طرائف أدبيّة أو حوادث تاريخيّة أو نواذر ومستطرفاتٍ ومفاكهاتٍ ومطايبات. وقد وقفتُ في مجلّة (المرشد) البغداديّة - التي كان السيّد الشهرستاني رحمته يحزّرُ أكثر بحوثها العلميّة، أقول : وقفتُ - على تعريف أصل هذه الكلمة، ولطرافة الموضوع أنقل إلى القارئ الكريم ما جاء في المجلّة المذكورة ليُشاركني في الاستمتاع والفائدة.

جاء في العدد الأوّل من السنة الأولى جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ / كانون الأوّل ١٩٢٥ م من مجلّة (المرشد) ص ٢٩ تحت عنوان (كشكول المرشد) ما نصّه :

كشكول كلمة فارسيّة الأصل كما في كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربيّة .

وهو مركّب من (كش) بمعنى حمل ، و (كُول) بمعنى الكِفّ . أي حَمْلُ الكِفّ .

١ . السيّد هبة الدين الشهرستاني ، السيّد عبد الستار الحسني، ص ١٥٣ و ١٥٤ : ٥٣٢ و ٥٣٣ . مؤسسة تراث الشيعة = مؤسسه كتاب شناسى شيعه ، ١٤٢٩ هـ / ١٣٨٧ ش ، قم .

وأصل الكشكول عُرفاً : اسمٌ لظرفٍ خشبيٍّ - والمعروف أنه يصنع من بعض الجلود - مربوطٌ بسلسلةٍ يحمله على أكتافهم المتسولون المتجولون؛ يجمعون فيه مأكولات متنوعة من ألوان محصولاتهم.

والكشكول في عرف أهل العلم اسمٌ لكتابٍ يجمع ما لذ وطاب من الفوائد الأدبية والشذرات الاجتماعية والسوانح الفكرية والقواعد العلمية ولطيف الأشعار ونوادر الآثار، كل ذلك من غير ترتيبٍ ولا تبويب.

وأول من سَمَّى أمثال هذه المجاميع بالكشكول هو الشيخ العلامة فيلسوف المسلمين بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ؛ فإنه جمع من نتائج أسفاره وقطرات يراعه ونوادر مسموعاته، كتاباً مشهوراً سَمَّاه الكشكول تشبيهاً له بكشكول الدراويش المتسولين المتجولين، فكتابه هذا أول فردٍ من نوعه.

قلت: وقد قفا أثره جماعةٌ من الأعلام في هذه التسمية لبعض كتبهم، منهم العلامة الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني صاحب الحقائق الناضرة وكتابه الكشكول مطبوعٌ في عدة أجزاء، واسمه أنيس المسافر وجليس الحاضر.

كما يسمّى به جماعةٌ من الرجال، وفي النجف الأشرف أسرةٌ عربيةٌ أصيلة يقال لهم: (آل كشكول) من (آل بو حسان) كان منهم العلامة الشيخ موسى آل كشكول النجفي، ومنهم الأستاذ الوجيه الحاج أبو زيدان، وولده الأستاذ الفاضل أبو إسراء قحطان آل كشكول، وإخوانه الأجلاء، وهم بيت دينٍ ووجاهةٍ، وفقهم الله تعالى لمراضيه.

الشيخ عزّ الدين حسين بن عبد الصمد العاملي

(٩١٨-٩٨٤هـ)

والد

الشيخ بهاء الدين العاملي

إجازة للشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي عليه السلام^١

الشهيد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوضح للأنام سُبُلَ الإكرام، وجعل الرواية ذريعة إلى درك الأحكام.

وأفضل الصلاة وأتمُّ السلام على سيّدنا محمدٍ الداعي إلى دار السلام، وعلى آله الكرام أعلام الأنام، وأصحابه العظام.

وبعد، فإنَّ العبدَ الضعيفَ المفتقرَ إلى عفوِ الله تعالى زَيْنَ الدينِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ جمالِ الدينِ بنِ تقيِّ الدينِ صالحِ بنِ مشرفِ العاملي (أَوْزَعَهُ اللهُ تعالى شُكْرَ نِعْمَتِهِ، وَتَوَلَّاهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ) يقول :

إنَّه قد تطابَّقَ شاهدُ العقل - وهو الذي لا يُيَدَّلُ - وشاهدُ الشرع - وهو المزكِّي المعدَّل - علي أنَّ أَرْجَحَ المطالبِ، وأَرْبَحَ المكاسبِ، وأنَجَحَ المآربِ هو العلمُ الذي

١. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٢ - ١١٤١، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ١٣٧٩ ش، تحقيق: مركز

الأبحاث والدراسات الإسلامية، المشرف على التحقيق: رضا المختاري، قم.

وأشار الشيخ آقا بزرگ الطهراني رحمته الله إلى هذه الإجازة في الذريعة، ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٤، الرقم ١٠٠٢.

يَمْتَنَرُ الْإِنْسَانُ بِهِ عَنْ ذَوِي الْجَهَالَاتِ وَيُضَاهِي بِهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، وَيَسْتَحِقُّ بِهِ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ؛ وَأَنْ أَشْرَفَ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْكَمَالِ، وَمَعْرِفَةُ سَفَرَاتِهِ، وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنْ تَفْصِيلِ الْأَحْوَالِ - وَهُوَ الْمَعْبُورُ عَنْهُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ - عَلَيَّ قَانُونِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَشَرْعِهِ الْقَوِيمِ الْمَأْخُوذِ عَنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعِزَّتِهِ الْأَكْرَمِينَ (صلواتُ الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ، وَهِيَ الْعُلُومُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهَا حِكْمَةُ الْمَالِكِ الْجَلِيلِ، وَأَمِنْ أَنْ يَعْتَرِيهَا تَغْيِيرٌ أَوْ تَبْدِيلٌ.

وقد نصب الله (سبحانه وتعالى) عليها دليلاً لا يُعَدَّلُ عَنْهُ، وَبَاباً لَا تُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ وَكَانَ مِنْ أَهْمِّهِ - عَلَى مَا أُرْسِدَ إِلَيْهِ هُوَ - الْإِخْبَارُ عَنْ سُفَرَاتِهِ حَسَبَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ، وَكَانَ السَّلَفُ (رضوانُ الله تعالى عليهم) هَمُّهُمْ أَبَدًا رِعَايَةُ الْأَخْبَارِ بِالْهَمِّ الْعَالِيَةِ، وَالْفِطْنِ الصَّافِيَةِ، تَارَةً بِالْحِفْظِ لِمَا يَرُودُ مِنْهُ، وَالْفَرَقِ بَيْنَ مَا يَقْبَلُونَهُ وَيَرْذُلُونَهُ، وَأُخْرَى بِالتَّصْنِيفِ وَالْإِقْرَاءِ وَالرَّوَايَةِ، عَلَيَّ أَكْمَلِ وُجُوهِ الرِّعَايَةِ.

ثُمَّ دُرِسَتْ عَوَائِدُ التَّوْفِيقِ، وَطُمِسَتْ فَوَائِدُ التَّحْقِيقِ، وَذَهَبَتْ مَعَالِمُ الشَّرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي أَكْثَرِ الْجِهَاتِ، وَصَارَتْ الْأَحْكَامُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ فِي حَيْزِ الشَّتَابِ، وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَمَا تَرَاهُ، يَرُوي إِنْسَانُ هَذَا الزَّمَانِ مَا لَا يَحَقُّقُ مَعْنَاهُ، وَلَا يَعْرِفُ مَنْ رَوَاهُ.

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَوْنِ إِلَى الصِّفَا أَنَيْسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ^١ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَبْعَثْ لَهُذَا التَّضْيِيعَ؛ وَلَا خَلَقَهُمْ لِلْإِنْهَامَاكِ فِي هَذَا الْجَهْلِ الْفُظْجِ، فَـ(((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ))) وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَأَمَّا نَحْنُ فَفَضِيلَتُنَا الْإِعْتِرَافُ بِالتَّقْصِيرِ، وَنَسْبَتُنَا إِلَى تِلْكَ الْمَفَاخِرِ نَسْبَةُ الْحَقِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ؛ لَكِنْ لِكُلِّ جَهْدِهِ بِحَسَبِ زَمَانِهِ، وَقُوَّةِ جَنَانِهِ.

١. البيت من الطويل، وهو لعمر بن الحارث أو للحارث الجرهني، أنظر «لسان العرب» ج ١٣، ص ١٠٩.

ثُمَّ إِنَّ الْأَخَّ فِي اللَّهِ الْمُصْطَفَى فِي الْأُخُوَّةِ الْمُخْتَارَ فِي الدِّينِ، وَالْمُتَرَقِّيَّ عَنْ حُضِيضِ التَّقْلِيدِ إِلَى أَوْجِ الْيَقِينِ، الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْعَالِمَ الْأَوْحَدَ، ذَا النَّفْسِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ، وَالْهَمَّةِ الْبَاهِرَةِ الْعَلِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِ الزَّاهِرَةِ الْإِنْسِيَّةِ، عَضُدَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، عَزَّ الدُّنْيَا وَالدِّينَ حُسَيْنَ ابْنِ الشَّيْخِ الصَّالِحِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ الْمُتَقِينَ الْمُتَفَنِّينَ، خِلَاصَةَ الْأَخْيَارِ، الشَّيْخَ عَبْدِ الصَّمَدِ ابْنَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الشَّهِيرِ بِالْجَبْعِيِّ الْحَارِثِيِّ الْهَمْدَانِيِّ (أَسْعَدَ اللَّهُ جَدَّهُ، وَجَدَّدَ سَعْدَهُ، وَكَبَّتْ عَدُوُّهُ وَضِدَّهُ، وَوَفَّقَهُ لِلْعُرُوجِ عَلَى مَعَارِجِ الْعَامِلِينَ، وَسَلَّوْكَ مَسَالِكِ الْمُتَّقِينَ) مِمَّنْ أَنْقَطَعَ بِكَلِمَتِهِ إِلَى طَلَبِ الْمَعَالِي، وَوَصَلَ يَقْظَةَ الْأَيَّامِ بِأَحْيَاءِ اللَّيَالِي، حَتَّى أَحْرَزَ السَّبْقَ فِي مَجَارِي مَيْدَانِهِ، وَحَصَلَ بِفَضْلِهِ السَّبْقَ عَلَى سَائِرِ أَتْرَابِهِ وَأَقْرَانِهِ، وَصَرَفَ بُرْهَةً جَمِيلَةً مِنْ زَمَانِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْعِلْمِ، وَحَصَلَ مِنْهُ عَلَى أَكْمَلِ نَصِيبٍ وَأَوْفَرِ سَهْمٍ.

فَقَرَأَ عَلَى هَذَا الضَّعِيفِ، وَسَمِعَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِي الْفِقْهِ، وَالْأُصُولَيْنِ، وَالْمَنْطِقِ، وَغَيْرِهَا.

فَمِمَّا قَرَأَهُ مِنْ كُتُبِ أُصُولِ الْفِقْهِ مَبَادِئُ الْوُصُولِ وَتَهْذِيبُ الْأُصُولِ مِنْ مُصَنَّفَاتِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى جَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ الْمُطَهَّرِ (قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ)، وَشَرْحُهُ جَامِعُ الْبَيِّنِ مِنْ فَوَائِدِ الشَّرْحَيْنِ لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَعْلَمِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مَكِّي (عَرَجَ اللَّهُ بِرُوحِهِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنْمَتِهِ الْأَطْهَارِ).

وَمِنْ كُتُبِ الْمَنْطِقِ رِسَائِلُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: الرِّسَالَةُ الشَّمْسِيَّةُ لِلْإِمَامِ نَجْمِ الدِّينِ الْكَاتِبِيِّ الْقَزْوِينِيِّ، وَشَرْحُهَا لِلْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ وَسُلْطَانِ الْمُحَقِّقِينَ وَالْمَدْقِّقِينَ، قُطْبِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ بَابُوِيهِ الرَّازِيِّ^١ (أَنَارَ اللَّهُ بُرْهَانَهُ، وَأَعْلَى

١. في «بحار الأنوار» ج ١٠٨، ص ١٤٩، الهامش: «في هامش الأصل بخطه عليه السلام: أقول: وجدت بخط بعض الأفاضل ما صورته هكذا: نقله الشهيد عليه السلام من خطه في آخر قواعد الأحكام الذي كتبه وقرأه على الفاضل، وقال الشهيد عليه السلام: هذا يشعر بأنه من ذرية الصدوق ابن بابويه عليه السلام وكان في آخره بخطه عليه السلام: م ق ر عني عنه.»

في الجنان شأنه).

وسَمِعَ مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ بَعْضَ كِتَابِ الشَّرَائِعِ وَالْإِرْشَادِ. وَقَرَأَ جَمِيعَ كِتَابِ قَوَاعِدِ الْأَحْكَامِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنْ مُصَنَّفَاتِ شَيْخِنَا الْإِمَامِ الْأَعْلَمِ، أَسْتَاذِ الْكُلِّ فِي الْكُلِّ، جَمَالِ الدِّينِ أَبِي مَنْصُورِ الْحَسَنِ ابْنِ الشَّيْخِ سَدِيدِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ الْمُطَهَّرِ (شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ، وَرَفَعَ فِي عَلَيَّنَ ذِكْرَهُ) قِرَاءَةً مُهَذَّبَةً مُحَقَّقَةً، جَمَعَتْ بَيْنَ تَهْذِيبِ الْمَسَائِلِ وَتَنْقِيحِ الدَّلَائِلِ، حَسَبَ مَا وَسَّعَتْهُ الطَّاقَةُ وَاقْتَضَاهُ الْحَالُ، وَقَرَأَ وَسَمِعَ كُتُباً أُخْرَى.

وَقَدْ أَجَزْتُ لَهُ (أَدَامَ اللَّهُ نَبْلَهُ وَكَثَّرَ فِي الْعُلَمَاءِ مِثْلَهُ) رَوَايَةً جَمِيعَ مَا قَرَأَهُ وَسَمِعَهُ عَلَيَّ، وَإِقْرَاءَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ، عَنْ مَشَايِخِي الَّذِينَ عَاصَرْتُهُمْ وَاسْتَفَدْتُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ، أَوْ اتَّصَلَتِ الرِّوَايَةُ بِهِمْ.

بَلْ أَجَزْتُ لَهُ رَوَايَةً جَمِيعَ مَا صَنَّفَهُ وَرَوَاهُ وَأَلَّفَهُ عُلَمَاؤُنَا الْمَاضُونَ، وَسَلَفُنَا الصَّالِحُونَ، مِنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، بِالطَّرِيقِ الَّتِي لِي إِلَيْهِمْ، وَجَمِيعَ مَا رَوَيْتُهُ عَنْهُمْ وَعَنْ غَيْرِهِمْ مَتَى عَلِمْتُ أَنَّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ رَوَايَتِي. وَهَا أَنَا مَثِبْتُ بَعْضَ الطَّرِيقِ إِلَى أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ وَمَشَاهِيرِهِمْ، وَجَاعَلْتُ اسْتِيفَاءَ ذَلِكَ إِلَيْهِ (أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَهُ عَلَيْهِ) مَتَى ثَبَّتَ عِنْدَهُ أَنَّهُ طَرِيقِي إِلَيْهِمْ (رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ). فَأَمَّا مُصَنَّفَاتُ شَيْخِنَا الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، مُحْيِي مَادَرَسٍ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ، وَمُحَقِّقِ حَقَائِقِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، الْإِمَامِ السَّعِيدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ مَكِّي بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ الْعَامِلِيِّ (قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ) فَإِنِّي أُرْوِيهَا عَنْ عِدَّةٍ مِنْ مَشَايِخِ بَطْرِيقٍ عَدِيدَةٍ، أَعْلَاهَا سَنَدًا عَنْ شَيْخِنَا الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، بَلِ الْوَالِدِ الْمُعْظَمِ، شَيْخِ فَضْلَاءِ الزَّمَانِ، وَمُرَبِّي الْعُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ، الشَّيْخِ الْجَلِيلِ الْفَاضِلِ الْمُحَقِّقِ الْعَابِدِ الزَّاهِدِ الْوَرَعَ النَّقِيِّ، نَوْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَالِيِّ الْمَيْسِيِّ الْعَامِلِيِّ (رَفَعَ اللَّهُ مَكَانَهُ فِي جَنَّتِهِ، وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَجَبَّتِهِ)، بِحَقِّ رَوَايَتِهِ عَنْ شَيْخِهِ الْإِمَامِ السَّعِيدِ، ابْنِ عَمِّ الشَّهِيدِ، شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الشَّهِيرِ بِابْنِ الْمُؤَذِّنِ الْجَزِينِيِّ، عَنْ

الشيخ ضياء الدين عليّ نجل الشيخ الجليل السعيد شمس الدين محمد بن مكّي، عن والده، (قدّس الله أرواحهم الزكيّة الطاهرة، وجمّع بينهم وبين أئمتهم الزاهرة). وبهذا الإسناد جميع مصنفات علمائنا السابقين، من الطبقة التي عاصرها إلى طبقة الأئمة المعصومين، في جميع الأزمنة بالطرق التي له إليهم.

وأروها أيضاً بالإسناد إلى الشيخ شمس الدين بن داود، عن الشيخ أبي القاسم عليّ بن طيّ، عن الشيخ شمس الدين العريضي، عن السيّد حسن بن أيّوب الشهير بابن نجم الدين بن الأعرج الحسيني، عن الشهيد عليه السلام.

ح : وعن الشيخ شمس الدين المذكور، عن الشيخ عزّ الدين حسن بن العشرة، عن الشيخ الصالح الزاهد العابد جمال الدين أحمد بن فهد، عن الشيخ زين الدين عليّ بن الخازن الحائري، عن الشهيد عليه السلام.

ح : وعن الشيخ شمس الدين بن داود، عن السيّد الأجلّ المحقّق السيّد عليّ بن دقّماق الحسني، عن الشيخ الفاضل المحقّق شمس الدين محمد بن شجاع القفطان، عن الشيخ المحقّق أبي عبد الله المقداد بن عبد الله السُيوري الحليّ الأسدي، عن الشهيد (رحمهم الله تعالى).

وبهذا الإسناد عن المقداد جميع مصنفاته، وبالإسناد المتقدّم إلى الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد جميع مصنفاته.

ح : وبالإسناد المتقدّم إلى الشيخ عزّ الدين بن العشرة، عن الشيخ شمس الدين محمد بن نجدة الشهير بابن عبد العالي، عن الشهيد.

وأروها أيضاً عن شيخنا الأجلّ الأعلم الأكمل، ذي النفس الطاهرة الزكيّة، أفضل المتأخرين في قوّته : العلميّة والعملية، السيّد حسن ابن السيّد جعفر ابن السيّد فخر الدين ابن السيّد حسن بن نجم الدين بن الأعرج الحسيني (نور الله تعاليّ قبره، ورفع ذكره) عن شيخنا المتقدّم ذكره الشيخ نور الدين عليّ بن عبد العالي بسنّده.

وعن السيد بدر الدين حسن المذكور جميع ما صَنَّفَهُ وأملأه وألَّفَهُ وأنشأه. فَمِمَّا صَنَّفَهُ كتابُ المَحَجَّةِ البيضاء والحُجَّةِ الغراء جَمَعَ فيه بين فروع الشريعة والحديث والتفسير لِلآيَاتِ الفقهية، عندنا منه كتابُ الطهارة أربعون كُرَّاساً. ومن مصنَّفاته كتاب العمدة الجليلة في الأصول الفقهية، قَرَأنا ما خَرَجَ مِنْهُ عليه، ومات قبل إكماله.

ومنها: كتاب مقنع الطلاب فيما يَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ الأعراب وهو كتاب حَسَنُ الترتيب ضَخْمٌ في النحو والتصريف والمعاني والبيان. مات رحمته الله قَبْلَ إكمالِ القسم الثالث منه. ومنها: كتاب شرح الطيبة الجزرية في القراءات العشر^١، وليس له رواية كتب الأصحاب إلا عن شيخنا المذكور، فأدخلناه في الطريق تيمناً به (قَدَسَ اللهُ روحه الزكية، وأفاض على تربته المراحم الإلهية).

وأروياها أيضاً عن الشيخ الإمام الحافظ المُتَقِنِ، خلاصة الأتقياء والفضلاء والنُّبَلَاءِ، الشيخ جمال الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن خاتون، عن والده الشيخ شمس الدين محمد، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن الحاج علي - شُهرَ بذلك - عن الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام، عن السيد حسن بن نجم الدين، عن الشهيد رحمته الله.

وعن الشيخ جمال الدين أحمد وجماعة من الأصحاب الأخيار، عن الشيخ الإمام المحقق المنقَّح، نادرة الزمان، ویتیمَةُ الأوان، الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي (قَدَسَ اللهُ تعالى روحه) عن الشيخ الإمام الأعظم، نور الدين علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن فُهْدٍ، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري، عن الشهيد السعيد شمس الدين محمد بن مَكِّي (قَدَسَ اللهُ روحه وأرواحهم أجمعين بمحمد وآله الطاهرين).

١. أنظر وصف الكتاب في «كشف الظنون» ج ٢، ص ١١١٨، و«الذريعة» ج ١٣، ص ٣٦٧.

وبِهذه الطُرُقِ وغيرِها التي لنا إلى الشيخ شمس الدين الشهيد جميعَ ما صَنَّفَهُ وَالْفَهْ
وَرَوَاهُ وَأَجَازَهُ فِي سائر العلوم على اختلافها وَتَبَايُنِ أوصافها الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ،
سلطانُ العلماء وترجُمانُ الحكماء، جمالُ المِلَّةِ والدينِ الحسنُ ابنُ الشيخ الإمام
سديدِ الدين يوسف بن علي بن المطهر (قدّس الله روحه) عن جماعةٍ من تلامذته
عنه :

منهم : ولده الشيخُ الإمامُ العالمُ المحقِّقُ فخرُ الدين أبوطالب محمَّدٌ، والسَيِّدُ
الجليلُ الطاهرُ، ذوالمجدِّين المرتضى، عميدُ الدين عبدالمطلب بنُ السَيِّدِ مجدالدين
أبي الفوارس محمَّد بنِ علي بن الأغرَج الحسيني العُبَيْدُلي، والسَيِّدُ الإمامُ العَلَّامةُ
النسابة المرتضى النقيبُ تاجُ الدين أبو عبد الله محمَّد بن القاسم بن مُعَيَّة الحسنِ
الديباجي، والسَيِّدُ الجليلُ العريقُ الأصيلُ أبوطالب أحمد بنُ أبي إبراهيم محمَّد بن
محمَّد بن الحسن بن زهرة الحَلَبِي، والسَيِّدُ الكبيرُ العالمُ نَجْمُ الدين مُهَنَّب بنُ سِنانِ
المدني، والشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ مَلِكُ العلماء، سلطانُ المحقِّقين، وأكملُ المدقِّقين،
قطبُ المِلَّةِ والدين محمَّد بنُ محمَّد الرَازي، صاحب شرح المطالع، والشمسيَّة،
وغيرهما، والشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ مَلِكُ الأَدبَاءِ والفُضلاءِ رضي الدين أبو الحسن
علي بنُ الشيخ جمال الدين أحمد بن يحيى المعروف بالمزيدي، والشيخُ الإمامُ
المحقِّقُ زين الدين أبو الحسن علي بن طرادِ المَطَارِآبادي، وغيرُهم، عن العَلَّامةِ
جمال الدين (رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى).

وعن هؤلاء الجماعةِ جميعَ مصنَّفاتهم ومؤلَّفاتهم ومروياتهم عنه، وعن غيره من
المشايخ.

وأروي جميعَ مصنَّفاتِ ومروياتِ السَيِّدِ تاج الدين بنِ مُعَيَّة المذكور، وجميعَ
ما يَصِحُّ عنه أيضاً عن وَلَدَي شَيْخِنَا الشهيد : أبي طالبٍ محمَّدٍ وأبي القاسم ضياء الدين
علي، عن السَيِّدِ تاج الدين المذكور بغير واسطة.

أما ضياء الدين علي فبالإِسنادِ إلى الشيخ شمس الدين بن داود عنه.

وأما أبو طالب محمد فبالإسناد إلى الشيخ عز الدين بن العشرة عنه.
وَرَأَيْتُ خَطَّ هَذَا السَّيِّدِ الْمُعْظَمِ بِالإِجَازَةِ لِشَيْخِنَا السَّعِيدِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ
مَكِّي، وَلَوْلَازِيهِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَلَأَخْتُهُمَا أُمُّ الْحَسَنِ فَاطِمَةُ الْمَدْعُودَةُ بِـ«سِتِّ الْمَشَايِخِ»
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ أَدْرَكَ جُزْءاً مِنْ حَيَاتِهِ بِجَمِيعِ ذَلِكَ عَنْ مَشَايِخِهِ مِنْهُمْ: الشَّيْخُ
جَمَالُ الدِّينِ الْعَلَّامَةُ، وَالسَّيِّدُ مُجَدِّ الدِّينِ أَبُو الْفَوَارِسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْأَعْرَجِ وَالِدِ
السَّيِّدِ ضِيَاءِ الدِّينِ وَالسَّيِّدِ عَمِيدِ الدِّينِ رحمتهما الله، وَالسَّيِّدُ الْجَلِيلُ النَّسَابَةُ عَلَمُ الدِّينِ
الْمُرْتَضَى ابْنُ السَّيِّدِ جَلَالِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ السَّيِّدِ النَّسَابَةِ الطَّاهِرِ الْأَوْحَدِ
فَخَارِ بْنِ مَعْدَّ الْمَوْسَوِيِّ، وَالسَّيِّدِ رَضِيِّ الدِّينِ عَلِيِّ ابْنِ السَّيِّدِ غِيَاثِ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ
ابْنِ السَّيِّدِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَضَائِلِ أَحْمَدُ بْنُ طَاوُسِ الْحُسَيْنِيِّ، وَالسَّيِّدُ كَمَالُ الدِّينِ
الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْآوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ، وَالشَّيْخُ صَفِيِّ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الشَّيْخِ
نَجِيبِ الدِّينِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَالشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ حَمَّادٍ، وَالشَّيْخُ
جَلَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْكُوفِيِّ، وَغَيْرُهُمْ، عَنْ مَشَايِخِهِمْ (رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ). وَجَمِيعُ
مُصَنَّفَاتِ هَؤُلَاءِ وَمُؤَلَّفَاتِهِمْ.

وَبِالإِسْنَادِ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي طَالِبٍ مُحَمَّدٍ وَلَدِ شَيْخِنَا الشَّهِيدِ جَمِيعِ مُصَنَّفَاتِ
وَمُرُوءَاتِ وَالِدِهِ، وَالشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ بْنِ الْمُطَهَّرِ، عَنْهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ بِإِجَازَةٍ سَبَقَتْ مِنْهُ
إِلَيْهِ رحمتهما الله.

وَبِالإِسْنَادِ الْمُتَقَدِّمِ إِلَى الشَّيْخِ رَضِيِّ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمَزِيدِيِّ، وَزَيْنِ الدِّينِ
عَلِيِّ بْنِ طَرَادِ الْمَطَارِ أَبَازِي جَمِيعِ مُصَنَّفَاتِ وَمُرُوءَاتِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْأَدِيبِ النَّحْوِيِّ
الْعَرُوسِيِّ، مَلِكِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ، تَقِيِّ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ دَاوُدَ الْحَلِّيِّ،
صَاحِبِ التَّصَانِيفِ الْغَزِيرَةِ وَالتَّحْقِيقَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي مِنْ جَمَلَتِهَا كِتَابُ الرِّجَالِ، سَلَكَ
فِيهِ مَسْلَكاً لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَصْحَابِ، وَمِنْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَلِمَ جَلِيلَةَ الْحَالِ فِيمَا
أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ.

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ فِي الْفَقْهِ نِظْماً وَنَثْراً، مُخْتَصِراً وَمَطَوَّلاً، وَفِي الْمُنَظِّمِ وَالْعَرَبِيَّةِ

والعروض وأصول الدين نحو من ثلاثين مصنفًا، كلُّها في غاية الجُودة بالطُّرق التي له إلى العلماء السابقين عليهم السلام، وقد ذكر بعضها في كتاب الرجال. وعنه (قدّس الله روحه) جميع مصنفات ومرويات الشيخ المحقّق شيخ الطائفة في وقته إلى زماننا هذا نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد. وجميع مصنفات ومرويات السيّد الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر بن طاوس الحسني مصنف كتاب بُشرى المحقّقين في الفقه ست مجلدات، وكتاب ملاذ علماء الإمامية في الفقه أربع مجلدات، وكتاب حلّ الإشكال في معرفة الرجال، وهذا الكتاب عندنا موجود بخطه المبارك، وغيرها من الكتب تمام اثنين وثمانين مجلدًا، كلُّها من أحسن التصانيف وأحقّها (قدّس الله روحه الزكيّة).

وجميع مصنفات ومرويات ولده السيّد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاوس صاحب المقامات والكرامات، وغيرهم. وسيأتي إن شاء الله ذكر مشايخ هؤلاء الأفاضل واتّصالهم بمن تقدّم. وعن السيّد غياث الدين جميع مصنفات ومرويات الإمام السعيد المحقّق سلطان الحكماء والفقهاء والوزراء، نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (رضوان الله عليه).

وبالإسناد المتقدّم، عن العلامة جمال الدين بن المطهر، عنه أيضاً. وعن السيّد غياث الدين أيضاً. وإنّما أفردناهما هنا عن مشايخ الشيخ جمال الدين؛ لفائدة ما^١.
ح : وبالإسناد المتقدّم إلى الشيخ رضي الدين علي بن أحمد المزيدي جميع

١. في «بحار الأنوار» ج ١٠٨، ص ١٥٤، الهامش: «في هامش الأصل: هي أنّ مشايخ جمال الدين الذين يأتي ذكرهم يروون كلّهم عن ابن نما وفخار وابن زهرة ولم يصل إلينا رواية هذين الشيخين عن الثلاثة فأفردناهما لنروي مصنفات الثلاثة هناك عن جميع مشايخ الفاضل جمال الدين لتنظم العبارة. منه عليه السلام بخطه».

مارواه عن مشايخه، مضافاً إلى الشيخ جمال الدين العلامة.
 فمنهم الشيخ الصالح العالم شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح السيبي
 القسيني، تلميذ السيد فخار بن معد الموسوي.
 ومنهم السيد رضي الدين بن معية الحسني.
 ومنهم الشيخ الإمام العلامة فخر الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن البوقي
 اللغوي.

والشيخ العالم صفى الدين محمد بن نجيب الدين يحيى بن سعيد.
 والشيخ تقي الدين الحسن بن علي بن داود.
 والشيخ الإمام الأعلم شيخ الطائفة وملاذها، شمس الدين محمد بن جعفر بن نما
 الحلبي المعروف بابن الأبريسي.
 ومنهم والده السعيد جمال الدين أحمد بن يحيى المزدي، وغيرهم، عن
 مشايخهم بطرقهم إليهم، وعن هؤلاء المشايخ جميع مصنفاتهم ومروياتهم.
 ح: وبالإسناد المتقدم إلى السيد المرتضى عميد الدين عبد المطلب جميع
 ما يرويه عن والده السعيد مجد الدين أبي الفوارس محمد بن علي بن الأعرج تلميذ
 الشيخ يحيى بن سعيد؛ والشيخ مفيد الدين محمد بن جهيم؛ وغيرهما.
 وجميع مارواه عن جدّه السعيد فخر الدين علي، والسيد فخر الدين يروي عن
 السيد جلال الدين عبد الحميد ابن السيد فخار، عن والده وغيرهم، وجميع مارواه
 عن الشيخ رضي الدين علي بن الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر (قدس الله
 روحه).

ح: وبالإسناد إلى الشيخ العلامة فخر الدين بن المطهر جميع مارواه مضافاً إلى
 والده السعيد جمال الدين، عن عمّه الإمام رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر، عن
 والده سديد الدين يوسف، والشيخ نجم الدين جعفر بن سعيد وغيرهما.
 وأما مصنفات ومرويات الشيخ الإمام الفاضل العلامة جمال الدين الحسن بن

المُطَهَّر، فَإِنَّا نروِيهَا بِطُرُقٍ أُخْرَى مضافَةً إِلَى مَا تَقَدَّمَ.

منها : عن شيخنا السعيد نور الدين علي بن عبد العالي الميسي، عن الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد الصهيووني، عن الشيخ المحقق جمال الدين أحمد الشهير بابن الحاج علي، عن الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام، عن السيد الجليل حسن بن أيوب الشهير بابن نجم الدين بن الأعرج الحسيني، عن السيّدَيْن الفقيهِين الأبرّين : ضياء الدين عبد الله بن محمد بن علي بن الأعرج، وأخيه السيّد عميد الدين عبد المُطَلِّب، وعن الشيخ فخر الدين أبي طالب جميعاً، عن العلامة جمال الدين.

ح : وعن شيخنا السعيد المذكور، عن الشيخ شمس الدين بن داود، عن الشيخ زين الدين أبي القاسم علي بن طي، عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله العريضي، عن السيّد بدر الدين حسن بن نجم الدين، عن المشايخ الثلاثة : ضياء الدين، وعميد الدين، وفخر الدين، جميعاً عن العلامة جمال الدين، وعن الثلاثة (رضوان الله تعالى عليهم) جميعاً مصنفاتهم.

ح : وعن الشيخ شمس الدين محمد بن داود، عن الشيخ عز الدين حسن بن العشرة، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد الحلّي، عن الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي، عن المشايخ الثلاثة، عن العلامة.

ح : وعن الشيخ شمس الدين محمد الصهيووني، عن الشيخ عز الدين حسن بن العشرة، عن الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي، عن الشيخ أبي طالب فخر الدين بن المطهر، عن والده العلامة.

ومنها : عن شيخنا الفقيه الكبير العالم، فخر السادة ووبرها، ورئيس الفقهاء وأبي عذرها، السيّد حسن بن السيّد جعفر بن الأعرج الحسيني، عن شيخنا الجليل نور الدين علي بن عبد العالي بطرقه.

ومنها : عن شيخنا الجليل المتّقين الفاضل جمال الدين أحمد ابن الشيخ

شمس الدين محمد بن خاتون، وغيره من صالحی الأصحاب، عن الشيخ الإمام ملك العلماء والمحققين الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي المولد، الغروي الخاتمة، عن الشيخ الجليل نور الدين علي بن هلال، عن الشيخ الصالح جمال الدين أحمد بن فهد الحلبي، عن الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي، عن المشايخ الثلاثة، عن العلامة.

وعن الشيخ المحقق نور الدين علي بن عبد العالي جميع ما صنفه وألفه ورواه عن مشايخه مفصلاً.

ح : وعن الشيخ جمال الدين أحمد، عن الشيخ شمس الدين محمد الصهيويني، عن مشايخه المتقدمين، عن الشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي.

وعن العلامة، عن والده الشيخ سديد الدين يوسف.

وعن الشيخ المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلبي، وابن عمه الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد، والشيخ مفيد الدين محمد بن جهيم الأسدي الحلبي، والسيدان الإمامين السعديين الزاهدين العابد بن البدليين : رضي الدين أبي القاسم علي، وجمال الدين أبي الفضائل أحمد ابني موسى بن جعفر بن محمد بن الطاوس الحسني، جميع مصنفاتهم ومؤلفاتهم ومروياتهم عنهم بغير واسطة.

وأروي مصنفات الشيخ المحقق نجم الدين جعفر بن سعيد عالياً، عن شيخنا الشهيد، عن الشيخ الإمام البليغ جلال الدين محمد بن الشيخ الإمام ملك الأدباء شمس الدين محمد بن الكوفي الهاشمي الحارثي، عن الشيخ نجم الدين بلا واسطة. وأروها أيضاً عن الإمامين : عميد الدين وفخر الدين، عن الشيخ رضي الدين علي بن يوسف بن مطهر، عن المحقق.

وأروها أيضاً بالإسناد المتقدم عن السيد تاج الدين بن معة الحسني والشيخ

رضي الدين علي بن أحمد المزيدي والشيخ زين الدين علي بن طراد المطار آبادي،
جميعاً عن الشيخ صفّي الدين محمد بن يحيى بن سعيد، عن عمّه المحقق
نجم الدين رحمته الله.

وعن الجماعة كلّهم (رضوان الله تعالى عليهم) جميع مصنفات ومرويات الشيخ
الإمام العلامة قدوة المذهب نجيب الدين أبي إبراهيم محمد بن جعفر بن أبي البقاء
هبة الله بن نما الحلّي، ومصنفات ومرويات السيّد السعيد العلامة المرتضى إمام
الأدباء والنسّاب والفقهاء شمس الدين أبي علي فخار بن معدّ الموسوي، ومصنفات
ومرويات الشيخ العلامة قدوة المذهب السيّد السعيد محيي الدين أبي حامد محمد بن
أبي القاسم عبد الله بن علي بن زهرة الحسني الصادقي الحلبي.

وعن المشايخ الثلاثة جميع مصنفات ومرويات الشيخ الإمام العلامة المحقق
فخر الدين أبي عبد الله محمد بن إدريس الحلّي. ومصنفات ومرويات الشيخ السعيد
رشيد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، صاحب كتاب
المناقب، وغيره. ومصنفات ومرويات الشيخ الإمام العالم أبي الفضل سديد الدين
شاذان بن جبرئيل القمي، نزير مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله ﷺ. كلّ ذلك
بغير واسطة متروكة إلا في الشيخ نجيب الدين بن نما، فإنه يروي عن شاذان بن
جبرئيل بواسطة الشيخ السعيد أبي عبد الله محمد بن جعفر المشهدي.

وبالإسناد عن السيّد فخار جميع مصنفات الشيخ أبي زكريّا يحيى بن علي بن
بطريق الحلّي الأسدي صاحب كتاب العمدّة، وغيره، ورواياته، وجميع مصنفات
الشيخ الإمام المحقق الضابط البارِع عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أحمد بن
أيوب عنهما بغير واسطة.

١. في «بحار الأنوار» ج ١٠٨، ص ١٥٧، الهامش: «أي مشايخ الشيخ جمال الدين السّنة. منه رحمته الله بخطه في هامش الأصل».

ح : وعن الشيخ أبي عبدالله محمد بن إدريس جميع مصنفات السيد الطاهر أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحلبي صاحب كتاب غنية النزوع في الأصول والفروع، وغيره، وعن ابن أخيه السيد محيي الدين محمد المتقدم عنه أيضاً. وجميع مصنفات ومرويات الشيخ عربي بن مسافر العبادي، والشيخ نجم الدين عبدالله بن جعفر الدوريسي.

وعن الشيخ شاذان بن جبرئيل جميع مصنفات ومرويات الشيخ الجليل أبي عبدالله جعفر بن محمد الدوريسي تلميذ الشيخ المفيد، وصاحب كتاب الكفاية في العبادات، وكتاب الاعتقاد، وغيرهما.

وعن شاذان عن الشيخ الفقيه عبدالله بن عمر الطرابلسي، عن القاضي عبدالعزيز بن أبي كامل، عن الشيخ أبي الفتح محمد بن عثمان الكراچكي نزيل الرملة جميع تصانيفه.

وعن شاذان عن الشيخ الفقيه أبي محمد ريحان بن عبدالله الحبشي، عن القاضي عبدالعزيز بن أبي كامل، عن الشيخ أبي الفتح الكراچكي أيضاً.

وعن القاضي عبدالعزيز أيضاً جميع مصنفات الشيخ الفقيه السعيد خليفة المرتضى في البلاد الحلبيّة أبي الصلاح تقي الدين بن نجم الحلبي.

وعن الشيخ شاذان، عن أبي القاسم العماد محمد بن أبي القاسم الطبري مصنفات ومرويات الشيخ الفقيه أبي علي الحسن ابن الشيخ الإمام شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

وعن أبي علي مصنفات ومرويات والده الشيخ أبي جعفر التي من جملتها كتاب التهذيب والاستبصار، وغيرهما من كتب الحديث والأصول والفروع.

وعن الشيخ أبي جعفر مصنفات ومرويات السيد المرتضى علم الهدى بن الحسين الموسوي، ومصنفات ومرويات أخيه السيد الرضي التي من جملتها كتاب نهج البلاغة، ومصنفات الشيخ سلار بن عبد العزيز الديلمي، ومصنفات ومرويات

الشيخ أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري التي من جملتها كتاب الرجال ومصنفات ومرويات الشيخ الجليل الضابط أبي عمرو الكشي بواسطة الشيخ الجليل هارون بن موسى التلعكبري. وجميع مصنفات ومرويات الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد (رحمهم الله تعالى).

وعن الشيخ المفيد جميع مصنفات ومرويات الشيخ الإمام العالم الفقيه الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ومصنفات ومرويات الشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن قولويه.

وعن الصدوق أبي جعفر محمد مصنفات والده علي بن الحسين. وعن ابن قولويه جميع مصنفات ومرويات الشيخ الإمام شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني التي من جملتها كتاب الكافي، وهو خمسون كتاباً بالأسانيد التي فيه لكل حديث متصلة بالأئمة عليهم السلام.

وطريق آخر إلى الشيخ المفيد ومن قبله أعلى من ذلك عن السيد فخار بن معد الموسوي المتقدم، عن شاذان بن جبرئيل، عن جعفر الدورستاني، عن المفيد. وعن الدورستاني، عن أبيه محمد، عن الصدوق ابن بابويه.

ح: وعن الشيخ شاذان بن جبرئيل، عن السيد أحمد بن محمد الموسوي، عن ابن قدامة، عن الشريف المرتضى وأخيه السيد الرضي. وعن الشيخ جعفر بن محمد الدورستاني، عن الرضي أيضاً، وعن أخيه المرتضى.

ح: وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ المحقق المعظم خواجه نصير الدين الطوسي، عن أبيه، عن السيد فضل الله الحسني، عن المرتضى الرازي، عن جعفر بن محمد الدورستاني، عن السيد الرضي.

ح: وبالإسناد المتقدم إلى السيد غياث الدين أحمد بن طاووس، عن السيد جلال الدين عبد الحميد بن السيد فخار الموسوي، عن الشيخ برهان الدين القزويني، عن السيد هبة الله بن الشجري النحوي، عن ابن قدامة، عن السيد الرضي.

ح : وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ رشيد الدين محمد بن شهر آشوب السروي المازندراني، عن السيد المنتهى بن أبي زيد بن كيا بكي الحسني الجرجاني، عن السيد الرضي.

ح : وعن ابن شهر آشوب، عن السيد فضل الله بن علي الراوندي، عن عبد الجبار المقرئ، عن أبي علي، عن والده، عن السيد الرضي (رحمهم الله تعالى).

ح : وعن ابن شهر آشوب، عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار بن مَعْبُد الحسني المروزي، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الحلواني، عن السيدين السعديين البذلّين : علي ومحمد المرتضى والرضي (قدس الله روحيهما، ونور ضريحيهما).

ح : وعن السيد أبي الصمصام الحسني مصنفات الشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي التي من جملتها كتاب الرجال.

وعن النجاشي مصنفات الشيخ أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري صاحب كتاب الرجال وغيره.

هذا ما اقتضاه الحال من ذكر الطريق المشترك إلى مَنْ ذَكَرَ مِنَ الأصحاب (رضوان الله تعالى عليهم).

ولنا إلى الشيخ السعيد أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (قدس الله روحه) طُرُقٌ أُخْرَى مضافةً إلى ما تقدّم.

فمنها : عن السيد رضي الدين علي بن طاوس الحسني، عن الشيخ حسين بن أحمد السورائي، عن محمد بن أبي القاسم الطبري عن الشيخ أبي علي، عن والده الشيخ أبي جعفر.

ح : وعن السيد رضي الدين، عن الشيخ علي بن يحيى الخياط، عن عربي بن مسافر العبادي، عن محمد بن أبي القاسم الطبري، عن أبي علي، عن والده.

ح : وعن السيد رضي الدين بن طاوس المذكور، عن أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني، عن أبي الفرج علي بن أبي الحسين الراوندي، عن أبي جعفر محمد بن

عليّ بن المحسن الحلبي، عن الشيخ أبي جعفر.

ح : وعن السيّد رضي الدين، عن السيّد محيي الدين أبي حامد محمد بن زهرة الحلبي، عن الشيخ أبي الحسين يحيى بن الحسن بن البطريق الأسدي، عن العماد محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي عليّ، عن والده.

ح : وبالإسناد المتقدم إلى الإمام السعيد خواجه نصير الدين الطوسي، عن والده، عن السيّد فضل الله الراوندي، عن السيّد المجتبى بن الداعي، عن الشيخ أبي جعفر.

ح : وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ العلامة جمال الدين بن المطهر، عن والده عن الشيخ يحيى بن محمد بن الفرّج السورائي، عن الفقيه الحسين بن هبة الله بن رطبة عن أبي عليّ، عن والده.

ح : وعن الشيخ جمال الدين، عن والده، عن السيّد أحمد بن يوسف العريضي العلوي، عن برهان الدين محمد بن محمد الحمداني القزويني، عن السيّد فضل الله بن عليّ الراوندي، عن السيّد عماد الدين أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسني، عن الشيخ أبي جعفر.

ح : وبالإسناد المتقدم إلى شيخنا الشهيد، عن الشيخ رضي الدين عليّ بن أحمد المزيدي وزين الدين عليّ بن طراد المطارآبادي، عن الشيخ العلامة تقي الدين الحسن بن داود، عن الشيخ المحقّق نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد، عن أبيه، عن أبيه يحيى الأكبر، عن عربيّ بن مسافر، عن إلياس بن هشام الحائري، عن الشيخ أبي عليّ، عن والده.

ح : وعن الشهيد، عن السيّد تاج الدين بن مئة، عن السيّد المرتضى عليّ ابن السيّد جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوي، عن أبيه، عن جدّه فخار، عن شاذان بن جبرئيل، عن العماد الطبري عن أبي عليّ، عن والده.

ح : وعن شيخنا الشهيد، عن الشيخ رضي الدين المزيدي، عن الشيخ الصالح

محمد بن أحمد بن صالح السبيبي القسيني، عن السيد فخار، عن شاذان بن جبرئيل، عن العماد الطبري، عن أبي علي، عن والده وعن مشايخ السيد فخار الذين تقدموا إلى المفيد وغيره.

قال الشيخ محمد بن صالح: روى لي السيد فخار في السنة التي توفي فيها (رضي الله عنه) وهي سنة ثلاثين وستمائة، وسبب ذلك أنه جاء إلى بلادنا وخدمناه وكنت - وأنا صبي - أتولى خدمته، فأجاز لي وقال: «ستعلم فيما بعد حلاوة ما خصصتك به».

ح: وعن الشيخ محمد بن صالح، عن والده أحمد، عن الفقيه قوام الدين محمد بن محمد البحراني، عن السيد فضل الله الراوندي، عن السيد المجتبى بن الداعي الحسني، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي.

ح: وعن والده أحمد، عن الشيخ علي بن فرج السوراي، عن الحسين بن رطبة، عن أبي علي عن والده.

ح: وعن والده أحمد، عن الفقيه الأديب المتكلم اللغوي راشد بن إبراهيم البحراني، عن القاضي جمال الدين علي بن عبد الجبار الطوسي، عن والده، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي.

ح: وعن القاضي جمال الدين علي مصنفات الشيخ قطب الدين سعيد بن هبة الله والسيد أبي الرضا فضل الله الراونديين.

ح: وعن الشيخ محمد بن صالح، عن محمد بن أبي البركات الصنعاني، عن عربي بن مسافر، عن الحسين بن رطبة، عن أبي علي، عن والده.

ح: وعن ابن صالح، عن السيد رضي الدين بن طائوس، والشيخ المحقق نجم الدين بن سعيد بسندهما المتقدم إلى الشيخ أبي جعفر.

ح: وعن ابن صالح، عن الشيخ علي بن ثابت بن عبيدة السوراي، عن عربي بن مسافر، عن الحسين بن رطبة، عن أبي علي، عن والده.

ح : وعن ابن صالح، عن الشيخ نجيب الدين محمد بن نما، عن والده جعفر، وعن ابن إدريس كليهما، عن الحسين بن رطبة، عن أبي علي، عن والده.

ح : وعن ابن صالح، عن السيد الفقيه الزاهد رضي الدين محمد بن محمد بن محمد بن زيد بن الداعي الحسيني، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه الداعي الحسيني عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، وعن السيد المرتضى عَلم الهدى، وعن الشيخ سَلار والقاضي عبد العزيز بن البرّاج والشيخ أبي الصلاح بجميع ماصنّفوه ورَوّوه.

ح : وبالإسناد إلى شيخنا الشهيد، عن شيخه الجليل الفقيه الصالح جلال الدين الحسن بن أحمد ابن الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما، عن أبيه، عن أبيه، عن الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد بن طحّال المقدادي عن أبي علي، عن والده الشيخ أبي جعفر الطوسي.

وبهذه الطُّرُق نروي جميع مصنفات من تقدّم على الشيخ أبي جعفر عليه السلام من المشايخ المذكورين وغيرهم، وجميع ما اشتمل عليه كتابه فهرست أسماء المصنّفين، وجميع كتّيبهم ورواياتهم بالطُّرُق التي له إليهم، ثمّ بالطرق التي تضمنتها الأحاديث.

وإنّما أكثرنا الطُّرُق إلى الشيخ أبي جعفر؛ لأنّ أصول المذهب كلّها ترجع إلى كتّيبه ورواياته.

وأجزّئ له (أدام الله تعالى معاليه) أن يروي عني جميع ما رواه الشيخ الإمام الحافظ منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الحسن المدعو بـ «حسكا» بن الحسين ابن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين بن بابويه عن مشايخه، وعن والده وعن جدّه وباقي أسلافه. وعن عمّه الأعلى الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بالطرق التي له إليه. وجميع ما اشتمل عليه كتاب فهرسته لأسماء العلماء المتأخّرين عن الشيخ أبي جعفر الطوسي بطرقه فيه إليهم.

وكان هذا الرجل حسن الضبط، كثير الرواية عن مشايخ عديدة بالإسناد المتقدم إلى السيدين الأعظمين: رضي الدين علي، وجمال الدين أحمد ابني طاوس، والشيخ سديد الدين بن المطهر جميعاً عن السيّد صفّي الدين أبي جعفر محمد بن معدّ الموسوي، عن الشيخ الفقيه برهان الدين محمد بن محمد بن عليّ الحمداني القزويني نزيل الري، عن الشيخ منتجب الدين.

وبهذا الإسناد جميع مصنفات السيّد صفّي الدين بن معدّ ورواياته، ومصنّفات الشيخ برهان الدين القزويني ورواياته. وعن الحمداني مصنّفات الشيخ أمين الدين أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، ومُصنّفات الشيخ سديد الدين الحمّصي، ومُصنّفات السيّد فضل الله الراوندي، ومُصنّفات الكراجكي، والصهرشتي عنهم بغير واسطة، وكُتِبَ الشيخ السعيد أبي الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري بواسطة الشيخ منتجب الدين رحمته الله.

وأروي أيضاً مصنّفات ومرويات الشيخ منتجب الدين المذكور، عن الشيخ شمس الدين بن مكّي، عن السيّد تاج الدين بن مُعَيّة الحسني، عن السيّد رضي الدين عليّ بن السيّد غياث الدين عبد الكريم بن طاوس، عن والده، عن الوزير السعيد نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي، عن برهان الدين الهمداني عنه.

وعن العلامة جمال الدين، عن والده سديد الدين، عن السيّد أحمد بن يوسف العريضي، عن برهان الدين القزويني، عن الشيخ منتجب الدين.

وبهذا الطريق^١ عن الشيخ منتجب الدين، عن المرتضى والمجتبى ابني الداعي الحسني، عن الشيخ المفيد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوري جميع مصنّفات، ومُصنّفات السيّد المرتضى وأخيه رضي والشيخ أبي جعفر وسلار وابن البرّاج والكراجكي، عنهم بغير واسطة.

١. في بعض النسخ: «وبهذه الطرق».

وأجزت له (حرس الله مجده، وكبت عدوّه وضدّه) أن يروي الصحيفة الكاملة عن مولانا سيّد العابدین عليّ بن الحسين عليه السلام بالإسناد المتقدّم إلى شيخنا الشهيد عن السيّد النسابة تاج الدين بن معيّة، عن والده أبي جعفر القاسم، عن خاله تاج الدين أبي عبد الله جعفر بن محمّد بن الحسن بن معيّة، عن والده السيّد مجد الدين محمّد بن الحسن بن معيّة، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن شهر آشوب المازندراني، عن السيّد أبي الصمصام ذي الفقار بن محمّد بن معبد الحسني، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي بسنده المذكور في أولها.

وبطريق آخر عن السيّد تاج الدين بن معيّة، عن السيّد كمال الدين الرضيّ محمّد بن محمّد ابن السيّد رضي الدين الآوي الحسيني، عن خواجه نصير الدين محمّد بن الحسن الطوسي، عن والده، عن السيّد أبي الرضا فضل الله الحسني، عن السيّد أبي الصمصام عن الشيخ أبي جعفر الطوسي عليه السلام.

وأما كتُب القراءات: فإنّا نروي كتاب التيسير للشيخ أبي عمرو الداني بالإسناد المتقدّم إلى السيّد تاج الدين بن معيّة، عن جمال الدين يوسف بن حمّاد، عن السيّد رضي الدين بن قتادة، عن الشيخ أبي حفص عمر بن معن الزبري الضرير إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله عن الشيخ أبي عبد الله محمّد بن عمر بن يوسف القرطبي، عن الشيخ أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أحمد الجذامي الضرير المالقي، عن الشيخ أبي محمّد عبد الله بن سهل، عن الشيخ أبي عمرو الداني المصنّف.

وأرويه أيضاً عن شيخنا الشهيد، عن الشيخ عزّ الدين أبي البركات خليل بن يوسف الأنصاري، عن عبد الله بن سليمان الأنصاري الغرناطي، عن أحمد بن عليّ بن الطيّاح الرّعيني، عن عبد الله بن محمّد بن مجاهد العبدي، عن أبي خالد يزيد بن محمّد بن رفاعة اللخمي، عن عليّ بن أحمد بن خلف الأنصاري، عن عليّ بن الحسين المرسي، عن الشيخ أبي عمرو الداني.

وأما كتاب حرز الأمان، المشهور بالشاطبيّة فإنّي أرويه بهذا الطريق عن الشيخ

خليل الأنصاري، عن الجعبري بسنده، عن مصنفها أبي القاسم بن فيرة^١ الرعيني.
وأروها أيضاً عن شيخنا الشهيد، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن الحسين بن
محمد بن المؤمن الكوفي، عن الشيخ شمس الدين محمد بن الغزال المضري، عن
الشيخ زين الدين علي بن يحيى المربعي، عن السيّد عزّ الدين حسين بن قتادة
المديني، عن الشيخ مكيّن الدين يوسف بن عبد الرزاق، عن ناظمها.

وعن الشهيد، عن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله البغدادي، عن الشيخ
محمد بن يعقوب المعروف بابن الجرائدي، عن ولد المصنّف، عن والده الناظم.
وأما كتاب المؤجّز في القراءات والرعاية في التجويد وباقي كُتُب مكّي بن
أبي طالب المقرئ، وكتاب الوقف والابتداء للشيخ شمس الدين محمد بن بشّار
الأنباري وباقي كتبه، فإنّي أروها بالإسناد المتقدّم إلى السيّد رضي الدين بن قتادة،
عن أبي حفص الزبري، عن القاضي بهاء الدين بن رافع بن تميم، عن ضياء الدين
يحيى بن سعدون القرطبي، عن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتّاب،
عن الإمام أبي محمد مكّي بن أبي طالب المقرئ.

وبالإسناد عن ابن رافع، عن ضياء الدين، عن أبي عبد الله الحسين بن محمد بن
عبد الوهاب، عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن المسلم، عن أبي القاسم
إسماعيل بن سعيد^٢، عن محمد بن القاسم بن بشّار الأنباري.
وأروي كتاب الشيخ جمال الدين أحمد بن موسى بن مجاهد في القراءات السبع

١. في «بحار الأنوار» ج ١٠٨، ص ١٦٦، الهامش: «بكسر الفاء، وإسكان الياء، وتشديد الراء وضمتها. (منه بخطّه)».

٢. قال صاحب المعالم في هامش إجازته الكبيرة: «هكذا بخطّ والذي ﷺ، وسيأتي في الرواية عن ابن السكيت
«إسماعيل بن أسعد» وهو كذلك هناك بخطّه أيضاً وبخطّ الشهيد ﷺ، فلعلّه الصواب» («بحار الأنوار» ج

بالإسناد إلى الشيخ جمال الدين بن مطهر، عن والده سديد الدين يوسف، عن السيد صفى الدين محمد بن معاذ الموسوي، عن نصير الدين راشد بن إبراهيم البحراني، عن السيد فضل الله الحسني، عن أبي الفتح بن أبي الفضل الإخشيدي، عن أبي الحسن علي بن القاسم بن إبراهيم الخياط، عن أبي حفص عمر بن إبراهيم الكناني، عن مصنفه أحمد بن مجاهد.

وأما كتب اللغة والعربية فإنني أروي صحاح إسماعيل بن حماد الجوهري بالإسناد إلى الشيخ سديد الدين بن مطهر عن مهذب الدين الحسين بن ردة، عن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن عبد الصمد التميمي، عن أبيه، عن جد أبيه، عن الأديب أبي منصور بن أبي القاسم البيشكي، عن الجوهري المصنف. وأروي كتاب الجمهرة مع باقي مصنفات محمد بن دُرَيْدٍ ورواياته وإجازاته بالإسناد المتقدم إلى السيد فخار الموسوي عن أبي الفتح محمد بن المندائي^١ عن ابن الجواليقي، عن الخطيب أبي زكريا التبريزي، عن أبي محمد الحسن بن علي الجوهري عن أبي بكر بن الجراح، عن ابن دُرَيْدٍ المصنف.

وبالإسناد عن أبي الفتح الميداني جميع مصنفات يعقوب بن السكيت صاحب كتاب إصلاح المنطق وجميع رواياته عن الرئيس الحسين بن محمد بن عبد الوهاب المعروف بالبارع عن محمد بن أحمد بن المسلم العدل، عن أبي القاسم إسماعيل بن أسعد بن إسماعيل بن سُويد، عن أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، عن أبيه

١. قال صاحب المعالم في هامش إجازته الكبيرة: «هكذا وجدت ضبطه في خط الشهيد رحمه الله لكنه في موضعين آخرين ضبطه «الميداني»، أحدهما في رواية كتاب الشهاب في الحكم والآداب، وقد سبق، والثاني في رواية كتاب غريب القرآن للعزيمي، وسيجيء عن قريب. وحينئذ فأحد الضبطين وهم، وسيأتي في رواية العزيمي وصفه بالواسطي، وقد تقدم مكرراً «المندائي الواسطي» بضبط الشهيد رحمه الله، فلا يبعد ترجيحه وكون الوهم في خلافه» («بحار الأنوار» ج ١٠٩، ص ٦١، الهامش).

القاسم، عن عبد الله بن محمد الرُستمي، عن المصنّف.
وعن السيّد فخار جميع مصنّفات الهروي صاحب كتاب الغريبين، عن أبي الفرج
ابن الجوزي، عن ابن الجواليقي، عن أبي زكريّا الخطيب التبريزي، عن الوزير
أبي القاسم المغربي، عن الهروي المصنّف.
وبالإسناد إلى الخطيب التبريزي، عن أبي الفتح سليمان بن أيّوب الرازي، عن
الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس صاحب كتاب مجمل اللغة له ولجميع مصنّفاتِه.
وعن ابن الجواليقي، عن أبي الصّقر الواسطي، عن الحبشي، عن التيسيني، عن
الأنطاكي، عن أبي تمام حبيب بن أوس الطائي صاحب الحماسة لها ولجميع
تصانيفه ورواياته.

وعن السيّد فخار جميع مصنّفات أبي العباس أحمد بن يحيى المشهور بثعلب
صاحب الفصيح عن عميد الرؤساء هبة الله بن أيّوب، عن ابن القصار، عن أبي
الحسن سعد الخير بن محمد الأندلسي، عن أبي سعيد محمد بن محمد المظفّري، عن
أحمد بن عبد الله الإصفهاني، عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي،
عن ثعلب.

وأما الخلاصة المالكيّة فإنّي أروها، عن شيخنا السعيد شمس الدين محمد بن
مكي، عن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن أحمد النحوي فقيه
الصخرة ببيت المقدس عن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمّر الجعبري، عن الشيخ
شمس الدين محمد بن أبي الفتح الدمشقي، عن ناظمها.

وبالإسناد المتقدّم إلى الشيخ رضي الدين المزيدي عن والده أحمد، عن الشيخ
نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن الشيخ الأديب مهذب الدين بن كرم النحوي، عن
الشيخ نجيب الدين أبي البقاء العكبري، والشيخ عليّ بن فرج السوراي، كلاهما عن
الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي، عن السيّد النقيب هبة الله بن
الشجري، عن السيّد أبي المعمر يحيى بن هبة الله بن طباطبا حسني، عن القاضي

أبي القاسم عُمَرُ بنِ ثَابِتِ الثُمَانِيّ النحوي، عن ابنِ جُنِّي لكتاب اللّمع وغيره من مصنّفاتِه.

وبالإسنادِ إلى السيّد فخار عن أبي الفتح الميداني، عن ابنِ الجوّاليّ جميعَ كُتُبِه. وعن ابنِ الجوّاليّ، عن أبي زكريّا يحيى بن عليّ بن الخطيبِ التبريزي جميعَ كُتُبِه، وعن التبريزي، عن أبي العلاء المعري، والثُمانيّ، وأبي الحسن بن عبد الوارث جميعَ كُتُبِهِم. وعن الثُمانيّ، عن ابنِ جُنِّي جميعَ كُتُبِه. وعن ابنِ جُنِّي، عن أبي عليّ الفارسيّ جميعَ كُتُبِه. وعن الرّبيّ جميعَ كُتُبِه. وعن أبي عليّ الفارسيّ، عن أبي بكر بن السراج جميعَ كُتُبِه. وعن ابنِ السراج عن الرّجّاج جميعَ كُتُبِه. وعن الرّجّاج، عن أبي العبّاس المُبرّد جميعَ كُتُبِه. وعن المُبرّد، عن أبي عثمان المازنيّ جميعَ كُتُبِه. وعن أبي عثمان المازنيّ، عن الجُزميّ جميعَ كُتُبِه. وعن أبي الحسن الأُخفش جميعَ كُتُبِه. وعن أبي الحسن الأُخفش، عن سيبويه جميعَ كُتُبِه. وعن سيبويه، عن الخليل بن أحمد العروضيّ جميعَ كُتُبِه.

فهؤلاء أئمةُ اللّغة والأدبِ ومَنْ تأخّر عنهم إنّما اقتفى على آثارِهِم، ونسجَ على منوالِهِم، فلا جرمَ اقتصرنا على ذكر الطريق إليهِم، وإيثاراً للاختصارِ، ولو حاولنا ذكر طريقٍ إلى كلّ مَنْ بَلَّغْنَا مِنَ المصنّفين والمؤلّفين، لَطَالَ الخَطْبُ (واللهُ تعالى وليُّ التوفيق).

ولنذكر طريقاً واحداً هو أعلى ما شتملَتْ عليه هذه الطُرُقُ إلى مولانا وسيّدنا وسيّد الكائنات رسولِ اللهِ ﷺ، ويُعلّمُ منه أيضاً مُفضّلاً أعلى ما عنَدنا من السندِ إلى كُتُبِ الحديثِ ك: التهذيب والاستبصار والفقيه والمدينة والكافي وغيرها.

أخبرنا شيخنا السعيد نور الدين عليّ بن عبدِ العالي إجازة عن الشيخ شمس الدين محمّد بن داود، عن الشيخ ضياء الدين عليّ، عن والده السعيد محمّد بن مكّي، عن رضي الدين المزيدي، عن محمّد بن صالح، عن السيّد فخار.

ح: وعن الشيخ ضياء الدين بن مكّي، عن السيّد تاج الدين بن مُعيّة، عن الشيخ

جمال الدين بن مطهر، عن الشيخ نجم الدين بن سعيد، عن السيد فخار.
 ح : وعن الشيخ شمس الدين بن مكّي، عن محمد بن الكوفي، عن نجم الدين بن
 سعيد، عن السيد فخار، عن شاذان بن جبرئيل، عن جعفر الدورستي، عن المفيد،
 عن الصدوق أبي جعفر محمد بن بابويه قال : حدّثنا محمد بن القاسم الجرجاني
 قال : حدّثنا يوسف ابن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سنان، عن أبيهما، عن
 مولانا وسيدنا أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن
 محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين) عن
 أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه،
 عن علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) قال :

قال رسول الله ﷺ لبغض أصحابه ذات يوم : «يا عبد الله أحب في الله، وأبغض
 في الله، ووال في الله. وعاد في الله؛ فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل
 طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة
 الناس يومكم هذا أكثرها على الدنيا، عليها يتوادون، وعليها يتباعدون، وذلك لا
 يغني عنهم من الله شيئاً».

فقال الرجل : يا رسول الله كيف لي أن أعلم أنني قد واليت وعاديت في الله؟
 ومن ولي الله (عز وجل) حتى أواليه؟ ومن عدوّه حتى أعاديه؟ فأشار له رسول
 الله ﷺ إلى علي عليه السلام فقال : «ألا ترى هذا؟» قال : بلى، قال :

«وليّ هذا وليّ الله فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده، وال وليّ هذا ولو أنّه قاتل
 أهلك وولدك وعاد عدوّه ولو أنّه أبوك أو ولدك»^١.

فلير ذلك وغيره عني بهذه الطرّق، وغيرها ممّا ذكره الأصحاب في كتبهم،
 وضمّنوه إجازاتهم، خصوصاً كتاب الإجازات لكشف طرق المفازات الذي جمعه

١. «بحار الأنوار» ج ٢٧، ص ٥٤ - ٥٥، باب وجوب مولاة أوليائهم ومعاداة أعدائهم، ح ٨. نقلاً عن تفسير

العسكري عليه السلام ومعاني الأخبار وعيون الأخبار وعلل الشرائع.

السيد السعيد الطاهر رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن الطاوس الحسني، والإجازة التي أجازها العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر للسيد الطاهر الأصيل أبي الحسن علي بن محمد بن زهرة، فإنها اشتملت على المهم من كتب الأصحاب، وأكثر علماء الإسلام من الحديث والتفسير والفقه واللغة والعريضة والنثر والنظم وغيرها، وكتاب فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه، وفهرست الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (قدس الله سرهم وحباهم بالجنان وسرهم، وجعلهم من رفقاءهم في الرفيق الأعلى، بجاء سيد المرسلين وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين).

وأخذ عليه في ذلك بما أخذ علي من العهد بملازمة تقوى الله (سبحانه) فيما يأتي ويذر، ودوام مراقبته، والأخذ بالاحتياط التام في جميع أموره، خصوصاً في الفتيا؛ فإن المفتي على شفير جهنم، وبذل العلم لأهله، وبذل الوسع في تحصيله وتحقيقه، والإخلاص لله تعالى في طلبه وبذله، فليس وراء هذا السبب من مطلب إذا حصلت شريطته.

فقد رويناه عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله تعالى عليه) أنه قال :

من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا، فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حَبَّوْناه، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع العرصات، وعليه حُلَّة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بخذافيرها، ويُنادي مُنادٍ : هذا عالم من بعض تلامذة علماء آل محمد، ألافمن أخرجهُ من ظلمة جهله في الدنيا، فليتشبَّث به، يُخرجهُ من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نُزْهِ الجنان، فيُخرجُ كل من كان علمه في الدنيا خيراً، أو فتَحَ عن قلبه من الجهل قفلاً، أو أوضح له عن شبهة^١، الحديث.

١. « تفسير العسكري (عليه السلام) »، ص ٣٣٩، ح ٢١٥، ذيل الآية ٨٣ من البقرة (٢) : « منية المريد » ص ١١٥.

وَعَنْ مَوْلَانَا الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ :

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَشَدُّ مِنْ يُتَمِّ الْيَتِيمِ ، يَتِيمٌ انْقَطَعَ عَنْ إِمَامِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَيْهِ ، فَلَا يَذَرِي كَيْفَ حُكْمَهُ فِيمَا ابْتَلَى بِهِ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ ، أَلَا فَمَنْ كَانَ مِنْ شَيْعَتِنَا ، عَالِمًا بِعُلُومِنَا فَهَدَى الْجَاهِلَ بِشَرِيعَتِنَا ، كَانَ مَعْنَا فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى^١ .

فَنَسَأَلُ اللَّهَ (سُبْحَانَهُ) بَنُورَ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَنَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِأَكْرَمِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْ يَخْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ وَتَحْتَ لَوَائِهِمْ ، وَيَقْفُو بِنَا آثَارَهُمْ ، وَيَجْعَلَنَا مِنْ عِدَادِ أَوْلِيَائِهِمْ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ .

وَكَتَبَ هَذِهِ الْأُخْرَفُ بِيَدِهِ الْفَائِيزَةِ زَيْنُ الدِّينِ^٢ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ الشَّهِيرِ بِابْنِ الْحَاجَّةِ (تَجَاوَزَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سَيِّئَاتِهِ ، وَوَفَّقَهُ لِمَرْضَاتِهِ) لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثِ لَيَالٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعِمِائَةِ حَامِداً ، مُصَلِّياً عَلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ ، مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَخُدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ .

١ . « تفسير العسكري عليه السلام » ، ص ٣٣٩ ، ح ٢١٤ ، ذيل الآية ٨٣ من البقرة (٢) : « منية المريد » ص ١١٤ : « بحار

الأنوار » ج ٢ ، ص ٢ ، ح ١ و ٢ .

٢ . في « بحار الأنوار » ج ١٠٨ ، ص ١٧١ ، الهامش : « ولقبه اسمه . بخطه في هامش الأصل » .

إجازة والد البهائي إلى ولديه عليه السلام

الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني

٦٢ - صورة إجازة^٢:

الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي لولديه الجليلين الشيخ بهاء الدين محمد^٣،
والشيخ أبي تراب عبد الصمد^٤ قدس الله أرواحهم، على ظهر إجازة الشهيد الثاني له.

١. صورة إجازة الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي لولديه الجليلين الشيخ بهاء الدين محمد والشيخ أبي تراب عبد الصمد قدس الله أرواحهم، على ظهر إجازة الشهيد الثاني له. بحار الأنوار، ج ١٠٥، ص ١٨٩ و ١٩٠، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، بيروت، مؤسسة الوفاء.

٢. الذريعة، ج ١، ص ١٨٦، في الرقم ٩٦٤.

٣. هو العلامة الكبرى شيخنا البهائي المتوفى في سنة ١٠٣١ والمدفون في مشهد الرضا عليه السلام.

٤. هو الفاضل الجليل الذي لأجله صنف أخوه العلامة الشيخ البهائي كتاب الصمدية في النحو وسمّاه باسمه وله حواشي لطيفة وتحقيقات منيفة على شرح أربعين أخيه.

قال العلامة البحريني: توفي الشيخ عبد الصمد المذكور في سنة ١٠٢٠ في حوالي المدينة المنورة، ونقل جسده إلى النجف الأشرف. وقال أبوه العلامة الشيخ حسين الجبعي العاملي: ولد الولد المبارك أبو تراب عبد الصمد بن محمد بن علي الجباعي ابن حسن الجباعي يوم الثلاثاء لتسع بقين من الشهر الحرام المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة جعله الله مباركاً أينما كان بحق من أولهم محمد وآخرهم صاحب الزمان صلوات الله عليهم. فوائد الرضوية، ص ٢٣١؛ لؤلؤة البحرين، ص ٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله كما يليق به، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أما بعد؛ فقد أجزت لولدي بهاء الدين محمد وأبي رجب^١ عبد الصمد حفظهما الله تعالى بعد أن قرأ على ولدي الأكبر جملةً كافية جميلة من العلوم العقلية والنقلية، جميع ما تضمنته هذه الإجازة، واحتوت عليه بالطرق المقررة فيها، وكذلك أجزت لهما - أسبغ الله نعمه عليهما - جميع ما تجوز لي روايته من طرق الخاصة والعامة، وجميع ما ألفته نظماً ونثراً؛ شارطاً عليهما الاحتياط في الرواية واتباع شرائطها المقررة عند أهل الرواية والدراية، بلغهما الله سبحانه وتعالى آمالهما، وأصلح في الدارين أحوالهما، إنه جواد كريم.

قال ذلك بفمه ورَقَمَهُ بقلمه أبوهما الشفيق الخاطي المذنب، فقير رحمة ربّه الغنيّ حسين بن عبد الصمد الجباعي، وفقه الله لمراضيه، وجعله مستقبله خيراً من ماضيه.

وكان ذلك يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب المرجب المعظم، سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في المشهد المقدّس الرضوي، على مشرفه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلوات وأكمل التسليم.

الشيخ الحسين والد البهائي في نسمة السحر^١

ضياء الدين يوسف الحسيني اليمني الصنعاني

الشيخ الحسين بن عبد الصمد العاملي الشامي الأصل، الإصبهاني الدار،
الأديب :

فاضل نفحت من أشعاره نساءم الأسحار، ووقف الفضل عليه، وأمّا صيته فسار،
فمعانيه الحدود كشف عنها البراقع تلوح منها بدور قوام للعقول نيرة المطالع.
وهو والد الشيخ العلامة بهاء الدين محمّد بن الحسين العاملي، ويقع في الريحانة
اسم بهاء الدين محمّد باسم أبيه الحسين المذكور وهو من غلط النسخ^٢.
وكان المذكور أحد الأعيان بأصفهان الأدباء الشعراء، وذكره ولده بهاء الدين في
الكشكول في عدّة مواضع، وأورد له أشعاراً حسنة، فمنها :

ما شمت الورد إلّا	زادني الشوق إليك
وإذا ما مال غصنٌ	خلته يحنو عليك
لست تدري بالذي قد	حلّ بي من مقلتيك

١ . نسمة السحر بذكر من تشييع وشعر، الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسيني اليمني الصنعاني (١١٢١)

٥)، ص ٦٣ - ٧١، إعداد كامل سلمان الجبوري، دار المؤرّخ العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٢ . أنظر : ريحانة الألبا ١ : ٢٠٧ - ٢١٤.

إن يكن جسمي تنادى فالحشى باقي لديك
كلّ حسنٍ في البرايا فهو منسوبٌ إليك
رشق القلب بسهمٍ قوسه من حاجبيك
إنّ دائي ودوائي يا مناي في يدك
آه لو أسقى لأشفى خمرة من شفّتك^١

وأورد بهاء الدين أيضاً لوالده، وله عليها أبيات أجاد فيها، وسيأتي إن شاء الله تعالى :

فاح ريح الصبا وصاح الديك فانتبه وانفِ عنك ما ينفيك
واخلع النعل في الهوى ولهاً وادنُ منّا فإنّا نُدنيك
واستلمها سلافة سلمت من أذى من يغولها بشريك

وذكره أيضاً الشيخ مصطفى بن فتح الله في كتابه «نتائج الرحلة» وأثنى عليه وكان إمامياً، وكلّ ما نذكره من أهل هذا البيت بل جميع قبائل عاملة إماميّة، وهم قبيلة كبيرة من قضاة، ينزلون أرض الشام بادية وحضر، ولهم جبل مشهور بهم هناك فيه قلاع ومدن، ومن شعرائهم في أيام بني أميّة عدي بن الرقاع العاملي^٢. وأصفهان - وبالباء أيضاً، لغتان فيها - مدينة مشهورة بعراق الجبل، وهي معرّبة عن أسفهون وبها ولد العادل أنو شروان وبها قبره، وقد كانت العجم أهل شرف الدنيا ولهم الآثار والحكم.

١. الكشفول للبهائي، جملة منها في أعيان الشيعة ٢٦: ٢٦٤-٢٦٥؛ الغدير ١١: ٢٢٩.

٢. هو أبو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي. كان موطنه الشام، مقدماً عند بني أميّة مداحاً لهم، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك. عاصر جريراً وناقضه في مجلس الوليد، وهجاه جرير تلميحاً خوفاً من الوليد، لأنّه كان قد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره.

ترجمته في: معجم الشعراء: ٨٦؛ الشعر والشعراء: ٥١٥؛ الأغاني ٩: ٣٠٠؛ سمط اللآلئ: ٣٠٩ وفيه «بن مالك بن عثمان»؛ شرح شواهد المغني: ٤٩٣؛ أنوار الربيع ٢: ٩٢هـ.

الحسين بن عبد الصمد الحارثي ونفحة الريحانة^١

محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبّي

حسين بن عبد الصمد الحارثي :

هو في الأشراف مستمدُّ الشمس، وله مزية اليوم على الأمس.
 نبيه المقدار والمكانة، متحلٌّ بالتصلف والاستكانة.
 ركض في ميدان الطلب مطايا الأشواق، وضرب آباطها بعصا المشارب
 والأذواق.

حاديه أمله، ودليله عمله، والراحلة عمله.
 وهو في الإسّاد والإعناق، مهدي تحف القبول لجواهر الأعناق.
 حطَّ رحله ببلاد فارس، فطابت بها منه مجانٍ ومغارس.
 ووجد مشرباً عذباً من الشاه فوردي، وقصّرت النظراء عن مداه فانفرد.
 بطبعٍ ألطف من نسيم السحر، يمسح عن عيون الأكمام ويعانق قدود الشجر،
 وأدبٍ يجري في ميدانه طلق العنان، ويمضي في معركته ماضي الطُّبّة والسنان.

١ . نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبّي (١٠٦١ -

ولم يزل يتردد من بلدةٍ إلى أخرى، وتتعاقب عليه مراتب لم تجد أحقَّ منه ولا أخرى.

حتَّى اخترمه الأجل، ومضى لما عند الله عزَّ وجلَّ.
وقد أثبتَّ من نظمه ما يُزري اثتلافه بلؤلؤ العقود، ومن نثره ما يزين نقده النقود.
فمن ذلك قوله^١:

فاح نشر الصبا وصاح الديك وانثنى البان يشتكى التحريك^٢
قُم بنا نجتلي مشعشةً تاه من وجده بها النسبيك
لو رآها المجوس عاكفةً وحَدوها وجانبوا التشريك
إن تسر نحونا تُسرَّ وإن مِتَّ في السير دوننا نُحييك
وهو أوَّل من اخترع هذا الوزن والقافية، واقتفى أثره ابنه البهاء، في قوله^٣:
يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوس من هاتيك
ثم تداول الأدباء هذا الوزن والقافية، ولولا خوف الملل لذكرت من ذلك الجملة الكافية.

* * *

.....

وكتب إلى ولده البهاء، هذا اللغز، وهو أغرب الألغاز وأصعبها:
أيُّها الولد المؤيَّد بالإعزاز، الموفِّق في حلِّ المُعَمِّيَّات والألغاز.
أخبرني عن اسم آخر أوَّلُه آخرُ الحروف، وآخر ثانيه بهذا الاسم معروف.

١. البيت الأوَّل والرابع في الكشكول ١: ١٠٨-١٠٩ في قصيدة طويلة، والأبيات في خلاصة الأثر ٣: ٤٤٩.

٢. جاء هذا البيت في الكشكول هكذا:

فاح ربح الصبا وصاح الديك فانتبه وانفِ عنك ما ينفيك

٣. أنظر: ربحانة الألبا ١: ٢٠٩؛ خلاصة الأثر ٣: ٤٤٩؛ الكشكول ١: ١٠٩.

قَلْبًا آخِرِيهِ يَتَوَافِقَانِ ، وَقَلْبًا أَوَّلِيهِ مُتَعَانِقَانِ .
لَوَلَا ثَالِثُهُ لَصَارَ الْاِسْمُ حَرْفًا ، وَلَوَلَا ثَانِيَهُ لَصَارَ الْفِعْلُ ظَرْفًا .
وَلَوَلَا رَأْسُهُ لَصَارَتِ الرَّجُلُ مِنَ النِّجَاسَاتِ ، وَلَوَلَا رَابِعُهُ لَمَا يَتَحَقَّقُ رَابِعُ الْقِيَاسَاتِ .
بَعْضُهُ قَاتِلٌ ، وَبَعْضُهُ الْآخِرُ نَصْفُ قَاتِلٍ .
ظَرْفًا أَوَّلُهُ فِعْلٌ أَمْرٌ بِحَرْفَيْنِ ، وَطَرَفٌ ثَانِيَهُ مَا نُهَيْتَ عَنْ قَوْلِهِ لِلأَبْوِينِ .
وَإِنْ نَقَصَ رُبْعُهُ مِنْ رُبْعِهِ بَقِيَ رُبْعُهُ ، وَإِنْ زِيدَ رُبْعُهُ عَلَى رُبْعِهِ حَصَلَ رُبْعُهُ .
صَدْرُهُ عَلَامَةُ قَلْبِ الْعَاشِقِ ، وَثَانِيَهُ عَلَامَةُ الرَّقِيبِ الْمُنَافِقِ .
لَوَلَا رُبْعُهُ لَمْ تَتَمَيَّزِ الْقَبْلِيَّةُ عَنِ الْقَابِلِيَّةِ ، وَلَمْ تَفْتَرِقِ الْمَعَانِي عَنِ عِلَّةِ الْفَاعَلِيَّةِ .
بَعْضُهُ يَمِينٌ ، وَالبَعْضُ فِي الْيَسَارِ كَمِينٌ .
وَبَطْرَفٌ آخِرُهُ يَبْتَدِئُ الْمَقَامَ ، وَبَطْرَفُهُ الْآخِرُ يَنْتَهِي الْكَلَامَ .



فَأَجَابَهُ :

يَا سَيِّدِي ، وَأَبِي وَأُسْتَاذِي ، وَمَنْ إِلَيْهِ فِي الْعُلُومِ اسْتِنَادِي : هَذَا اسْمُ رِبَاعِي الْأَعْضَاءِ ،
ثَلَاثَتِي الْأَجْزَاءِ . اثْنَا عَشْرِي الْأُصُولَ ، عَدِيمُ الْحُرُوفِ الْمَفْصُولِ . مِنْ الْأَسْمَاءِ مَعْدُودٌ ، وَإِلَى
الْأَفْعَالِ مَرْدُودٌ .

لَوَلَا ثَلَاثُ أَوَّلِهِ لَصَارَ السَّخِيفُ بِالكَرَمِ مَوْصُوفًا ، وَلَكِنْ كُلٌّ فَقِيرٌ بِسَوَادِ الْوَجْهِ مَعْرُوفًا .
وَلَوَلَا رَابِعُهُ لَأَتَّحَدَتِ الْمَاهِيَّةُ بِالْوُجُودِ ، وَلَمْ يَتَمَيَّزِ الْحَاسِدُ مِنَ الْمَحْسُودِ .
وَلَوْ عُدِمَ ثَانِيَهُ لَمْ يَكُنْ جَمْعُ الثَّمَرِ ثَمَارًا ، وَلَصَارَتِ قَرْيَةُ بِالرِّيِّ حِمَارًا ، وَلَوْ عُدِمَ رُبْعُهُ
لَمْ يَكُنِ الْقَلْبُ فِي الْجَسَدِ ، وَتَبَدَّلَتِ السَّكِينَةُ بِالْفُلِّ وَالْحَسَدُ . وَلَصَارَتِ الْهَرَّةُ بَعْضُ
الْأَزْهَارِ ، وَلَمْ تَتَمَيَّزِ الْحَنْظَلَةُ عَنْ بَعْضِ الثَّمَارِ . أَوَّلُهُ بِالْعِرَاقِ ، وَآخِرُهُ بِالشَّامِ ، وَبَيْنُنَا رُبْعُهُ
يَتِمُّ الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ . وَبَيْنُنَا ثَالِثُهُ يَبْتَدِئُ السُّؤَالُ ، وَبَيْنَانِي ثَانِيَهُ يَنْتَهِي الْقِيلُ وَالْقَالَ .

وَقَدْ شَرَحَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الْمَعْرُوفُ بِكِبَرِيَّتِ أَلْفَاظِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَتَكَفَّلَ بِهِمَا
فَأَصَابَ شَاكِلَةَ الصَّوَابِ .

قال في شرح ألفاظ السؤال :

هي في اسم قاسم .

قوله : « آخر أوله » أول الاسم قاف ، وآخره بالنظر إلى بسطه مسمّى الفاء ، وهو

آخر حروف الحلق ، كما ترى .

« وآخر ثانيه » ، وهو الألف كذلك الفاء ، وهو موصوف بهذا الوصف ؛ لأنه هو

هو .

قوله : « قلبا آخريه » وهما السين والميم ، « يتوافقان » لأنّ حقيقتهم الياء ،

« وقلبا أوليه » وهما الألف واللام من قاف ، ولا حرفان « متعاقبان ، لولا ثالثه » وهي

مسمّى السين « لصار الاسم حرف » عطف ، وهي أم ، أي بعد حذف السين من

الاسم .

« ولولا ثانيه » ، وهو الألف « لصارت الرجل » القدم « من النجاسات » .

« ولولا ربعه » وهو الميم ، « لم يتحقّق » القياس التمثيليّ ، وهو « رابع

القياسات » .

« بعضه قاتل » ، وهو سمّ ، « وبعضه » وهو : قا « نصف قاتل » .

« طرفا أوله » وهما القاف والفاء « أمر بحرفين » ، « وطرفا ثانيه » الذي هو ألف

أفّ .

قوله : « وإن نقص ربعه » الذي هو السين ، « من ربعه » الذي هو القاف ، « بقي

ربعه » وهو الميم ؛ لأنّ الباقي بعد طرح ستين من مائة أربعون . « وإن زيد ربعه »

عكس القضية .

قوله : « صدره علامة قلب العاشق » أي ثاني حروفه وهو الألف . والمراد منه

جوهر لفظه ، وهو فعلٌ من الألفة ، ولم يزل قلب العاشق يألف قلب المعشوق ، وكذا

« الرقيب المنافق » .

قوله : « لولا ربعه » الذي هو الألف ، « لم تتميّز القبليّة من القابليّة » ؛ لأنّ به الفرق

في هذين اللفظين، ومثله الفعلية والمفعولية.

قوله: «بعضه يمين» يعني الميم؛ لأنه يُقال: مُ اللهُ. في أيمن الله، أو المراد: ما عدا القاف، وهو اسم، «وبعضه» وهو السين في لفظ «اليسار كامن».

قوله: «وبطرف آخره» الأول أو الآخر «يبتدئ المقام» بل ويختم، «وبطرف آخره» كذلك «ينتهي الكلام»؛ لأن الميم نهاية لفظ الكلام. وهذا شرح ألفاظ الجواب:

قوله: «رباعي الأعضاء» أي حروف قاسم أربعة.

«ثلاثي الأجزاء» أي جملة تنقسم ثلاثة، من غير عكس.

«اثنا عشري الأصول»؛ لأن كل حرف يشتمل على ثلاثة أحرف.

قوله: «عديم الحرف المفصول»؛ لأنه مركب من حرفين فحرفين.

وهو معدود من الأسماء؛ لأنه اسم وُضع لمُسَمَّى بعينه، ومردود إلى الأفعال؛ باعتبار أنه مشتق من القسم.

قوله: «لولا ثلث أوله» الذي هو القاف، والمراد الفاء «لصار لفظ السخيف» بعد حذف الفاء: سخي، والسخي موصوف بالكرم.

قوله: «وإذ حذف الفاء من لفظ فقير»، بقي قير، وهو أسود الظاهر والباطن.

قوله: «ولولا رابعه» الذي هو الميم «لا تحدث الماهية بالوجود»؛ لأن وجود الشيء هيئته، فكأنه قال: لا تحدث الهيئة بالماهية.

وفيه تسامح؛ لأن المراد من الميم مُسمّاها، وهو مفرد، فكيف يطلق على المركب من الميم والألف.

ويمكن أن يقال: تعدد المراد من هذا الباب كثير، وهو أدخل في الألفاظ.

قوله: «ولم يتميز الحاسد من المحسود» كالأول؛ لأنه لا فرق بين المحسود والحاسد في أصل المعنى.

قوله : «لو عدم ثانيه» الذي هو الألف، من لفظ الثمار، بقي : ثمر، فلم يبق الجمع.

قوله : «قرية بالري» أي وهي خار، وإذا لم تكن الألف فيه بقي خر. وهو بالفارسيّة اسم الحمار.

قوله : «ولو عدم ربه»، الذي هو السين «لم يكن» ذلك الربع «قلب الجسد»؛ لسقوطه، «وتبدلت السكينة» فكانت كينة، من قوله تعالى^١ : ﴿فَمَا اسْتَكُنُوا﴾.

وفي الصحاح^٢ : «وبات فلانٌ بِكَيْتَةٍ سَوٍّ بالكسر، أي بحالة سوء».

والاستكانة : الخضوع.

وقوله : «الهرة» المراد منه سِنُور؛ بعمل الترادف، وإذا لم تكن فيه السين كان نوراً.

قوله : «الحنطة» المراد منه : سُلت. على التسامح.

قوله : «أوله بالعراق» يعني القاف في لفظ العراق، «وآخره» وهو الميم في لفظ «الشام».

قوله : «وثلثا ربه» وهما السين والنون، من بَسْط الرابع وهو السين، «يتّم به الإيمان»؛ لأنّه تمّ بالنون، «والإسلام»؛ لأنّ تمامه بالسين، ولا يلزم أن يكون آخراً.

قوله : «وثلث ثالثه»، الذي هو السين، وهو المراد من بَسْطه «يبتدئ السؤال» حقيقةً، كما ترى، «وبثاني ثانيه» وهو اللام من الألف، «ينتهي القيل والقال».



١. المؤمنون (٢٣) : الآية ٧٦.

٢. الصحاح (ك ي ن) ٦ : ٢٩١.

الشيخ عزّ الدين الحسين في رياض العلماء^١

الميرزا عبد الله الأفندي الأصبهاني

الشيخ عزّ الدين الحسين بن الشيخ عبد الصمد بن الشيخ شمس الدين محمّد بن عليّ بن حسين^٢ بن صالح الحارثي الهمداني العاملي الجبعي ثمّ الخراساني والد شيخنا البهائي عليه السلام :

كان فاضلاً عالماً جليلاً أصوليّاً متكلماً فقيهاً محدّثاً شاعراً ماهراً في صنعة اللغز، وله ألغاز مشهورة في بعضها خاطب بها ولده البهائي فأجابه البهائي أيضاً بلغز أحسن من لغز والده، وهما مشهوران وفي المجامع مسطوران.

وكان والده وجدّه أيضاً من العلماء، وكذا ولده الآخر الشيخ عبد الصمد ويلوح من مطاوي إجازة الشهيد الثاني له أيضاً كما سيجيء عن قريب.

يروى عن مشايخ عصره كالشاهد الثاني والسيد حسن بن السيد جعفر الحسيني

١. رياض العلماء وحياض الفضلاء، العلامة الميرزا عبد الله الأفندي الأصبهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)،

ج ٢، ص ١٠٨-١٢١.

٢. «الذي بخطّ عبد الصمد هكذا: عبد الصمد بن محمّد بن علي بن الحسن العاملي» هكذا في هامش نسخة المؤلف بخطّه.

الكركي وهو والد الأمير السيّد حسين المجتهد وأستاذ الشهيد الثاني على ما يظهر من أربعينه وأربعين ولده البهائي أيضاً، فلهذا قدّم ذكر هذا السيّد فيه على الشهيد الثاني.

وله أيضاً تلامذة فضلاء، منهم: ولده الشيخ البهائي، والشيخ رشيد الدين ابن الشيخ إبراهيم الأصفهاني، وقد رأيت في أردبيل نسخة من أربعينه وكان عليها خطّه الشريف وإجازته لتلميذه المذكور^١، ويروي عنه أيضاً السيّد حسن بن علي بن شدقم الحسيني المدني أيضاً كما سبق في ترجمته وله إجازة منه، ويروي عنه أيضاً الشيخ حسن بن الشهيد الثاني والشيخ...

ورأيت في أردبيل أيضاً على ظهر نسخة من إرشاد العلامة نقلاً عن خطّ الشيخ حسين هذا وقد كتبه الكاتب في حياته ما صورته :

«إنّ مولد أخي الأكبر الشيخ نور الدين سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وأخي الشيخ محمد سنة ثلاث وتسعمائة، ووفاته سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، وأختي سنة خمس وتسعمائة ووفاتها سنة سبعين وتسعمائة، وتولّد أخي الحاجّ زين العابدين أطال الله بقاء سنة تسع وتسعمائة».

ثمّ كتب غيره ولعلّه ذلك الكاتب أو هذا الشيخ لكّنه بعده بزمان «إنّ وفاته سنة خمس وستّين وتسعمائة». ثمّ كتب الشيخ حسين :

«وتولّد ابنه الشيخ تقي الدين سنة عشرين وتسعمائة ووفاته سنة اثنتين وسبعين

١. في هامش نسخة المؤلف: ورأيت بخطّه كتباً منها مجموعة بهراً أكثرها بخطّه الشريف بل من فوائده أيضاً ورسائله وخطّه رديء، من جملتها كتاب تهذيب الوصول للعلامة، وكتب على ظهره «إنّ أوّل ابتدائي بقراءة هذا الكتاب ومطالعة شرحه جامع البين - يعني للشهيد - في أوائل سنة إحدى وأربعين وتسعمائة وكان الفراغ منها بحمد الله تعالى بعيد العصر يوم الأحد خامس شهر رجب المرجّب سنة إحدى وأربعين وتسعمائة»، وكان عليها إفادات في هوامشها أيضاً.

وتسعمائة، ومولد هذا الفقير الكاتب - يعني الشيخ حسين المذكور - أوّل يوم من محرّم سنة ثمانى عشر وتسعمائة، وتوفيت زوجتي خديجة بنت الحاج علي رحمهما الله تعالى في مدينة هراة سادس عشرين شهر شوال سنة ستّ وسبعين وتسعمائة ونقلت إلى جوار ثامن الأئمة عليّ بن موسى الرضا، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين».

وكتب ولده الشيخ البهائي بخطه الشريف تحت مولد أبيه :

«إنّه انتقل إلى دار القرار ومجاورة النبيّ والأئمة الأطهار في ثامن ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وتسعمائة فكان عمره ستّاً وستين سنة وشهرين وسبعة أيام قدّس الله روحه».

وكتب الوالد - يعني الشيخ حسين أيضاً - :

«ولدت المولودة الميمونة بنتي - يعني بنت حسين بن عبد الصمد - ليلة الاثنين ثالث شهر صفر سنة خمسين وتسعمائة، وأخوها أبو الفضائل محمّد بهاء الدين - أصلحه الله وأرشده - عند غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشرين ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وأختها أمّ أيمن^١ سلمى بعد نصف الليل سادس عشر محرّم سنة خمس وخمسين وتسعمائة، وأخوهم أبو تراب عبد الصمد ليلة الأحد وقد بقي من الليل نحو ساعة ثالث عشر شهر صفر سنة ستّ وستين وتسعمائة في قزوين، وابن أخته السيّد محمّد ليلة السبت ثامن عشرين شهر صفر من السنة المذكورة في قزوين، وتوفيّ رحمه الله» إلخ. «ومولد شيخنا الشيخ زين الدين رفع الله قدره سنة إحدى عشر وتسعمائة وكان وفاته سنة خمس وستين وتسعمائة».

انتهى ما وجدته نقلاً عن خطّ الشيخ حسين بن عبد الصمد المذكور.

وأقول : عبد الصمد ابنه هذا أيضاً من أهل العلم، وقد ألف له أخوه الشيخ البهائي الرسالة الصمدية في النحو، وهي مشهورة.

١. في هامش نسخة المؤلف: «أمّ اليمن - كذا».

أقول : ورأيت نسخة من فهرس الشيخ الطوسي وقد قرأها هذا الشيخ على الشهيد الثاني فكتب رحمته بخطه له في آخرها هكذا :

«أنها أيده الله تعالى وسدده وأدام مجده وأسعده قراءةً وتصحيحاً وضبطاً في مجالس آخرها يوم الأحد منتصف شهر رمضان المبارك سنة أربع وخمسين وتسعمائة ، وأنا الفقير إلى الله تعالى زين الدين علي بن أحمد الشامي العاملي حامداً مصلياً مسلماً» انتهى .

وكان له رحمته ميل إلى التصوف ورغبة في مدح مشائخ الصوفيّة ونقل كلماتهم كما هو ديدن ولده الشيخ البهائي أيضاً ، وكان وكأنّه أخذه من أستاذه الشهيد الثاني لكن زادوا في الطنبور نعمة .

ومن جملة ذلك ما أورده في رسالته المسماة بالعقد الطهماسبي حيث قال في أواخرها في أثناء موعظته للسلطان شاه طهماسب الصفوي ما هذا لفظه :

«ولهذا كان بعض الملوك والأكابر من أهل الدنيا إذا علت همّتهم وكثر علمهم بالله ولحظتهم العناية الربانيّة تركوا الدنيا بالكلّيّة وتعلّقوا بالله وحده ، كإبراهيم بن أدهم وبشر الحافي وأهل الكهف وأشباههم ، فإنّهم لكمال رشدهم لا يرضون أن يشغلوا قلوبهم بغير الله تعالى لحظة عين ، ولكن هذه مقامات أخر ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» إلى آخر ما قاله .

وقد كان معظماً عند السلطان شاه طهماسب المذكور بعدما جاء إلى بلاد العجم لمّا توفي الشيخ علي الكركي ، وهو رحمته أيضاً من القائلين بوجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة عيناً كأستاذه الشهيد الثاني ومن المقيمين لها والمواظبين عليها في بلاد العجم سيّما بخراسان .

ثمّ أقول : ومن مؤلفاته كتاب وصول الأخيار إلى أصول الأخبار ، وهو كتاب حسن طويل الذيل جدّاً في علم الدراية ، وقد ذكر في أوّله أدلّة الإمامة وأطال البحث

فيها، وقد رأيت بالساري وطهران وغيرهما، وهو كثير الفوائد والمطالب وهو ثاني مؤلف في علم الدراية من طريقة أصحابنا، وقد سبقه أستاذه الشهيد الثاني بذلك. وله أيضاً رسالة في مناظرته مع بعض علماء حلب من العامة في مسألة الإمامة إلى أن جعله من الإمامية، وهي رسالة مختصرة لطيفة، وتاريخ تلك المناظرة على ما ذكره في أول تلك الرسالة في حلب سنة إحدى وخمسين وتسعمائة.

وله شرح على ألفية الشهيد في فقه الصلاة ممزوج مع المتن مبسوط، رأيت في آمل من بلاد مازندران وغيرها، وهو موجود بإصبهان عند الفاضل الهندي أيضاً، قد فرغ من تأليفه في بلدة هراة في أواخر الشهر الأول من السنة الأولى من العشر التاسع بعد التسعمائة.

وله رسالة في مسألتين: إحداهما: إنَّ الحصر والبواري إذا أصابهما بول أو نجاسة أخرى رطبة وجفت بالشمس هل تطهر بها أم لا؟ والثانية: إنَّ مال صاحب عليه السلام من حصّة الخمس والنذر ونحوهما، هل يجوز صرفه في زمن الغيبة إلى فقراء السادات أم لا؟ وهي أيضاً لطيفة حسنة، قد رأيتها في بلدة تيمجان من بلاد جيلان، وقد فرغ من تأليف الأخيرة سنة ثمان وستين وتسعمائة.

ورسالة في الواجبات الملكية، وهي في الأمور الواجب معرفتها وجعلها ملكة في الاعتقاديّات والعمليّات أيضاً، رأيتها في بلدة زنجان من بلاد آذربيجان هي أيضاً حسنة الفوائد.

وله كتاب الغرر والدرر نسبه إليه بعض العلماء، إذ قد رأيت في بعض المواضع فائدة في مسألة صلاة الجمعة منقولة من كتاب الغرر والدرر للشيخ حسين بن عبد الصمد، ويظهر منه أنّ الكتاب مشتمل على مسائل عديدة وكان في آخره مسألة صلاة الجمعة، فلاحظ.

وله أيضاً تعليقات على الصحيفة الكاملة السجّادية، وتعليقات على خلاصة

الرجال للعلامة، وتعليقات عديدة على كتب الحديث والفقه غير مدوّنة، وله أيضاً فتاوى متفرقة كثيرة قد رأيت بعضها، وله ألغاز عديدة وأشعار غزيرة، وله أيضاً... ورأيت في بلدة هراة في كتب ملا رضي من مؤلفاته شرح الألفيّة الشهيدية وقد ناقش فيه مع الشيخ علي الكركي والشهيد الثاني بل مع الشهيد الأول أيضاً، وسياقه هكذا: قال شيخنا المكي رحمه الله كذا، وقال الشارح العلائي كذا، وقال الشارح الزيني كذا، وقلت كذا. والظاهر أنّه غير الشرح المذكور سابقاً، فلاحظ. ويظهر منه أنّه قد ألف هذا الشرح في زمن حياة الشهيد الثاني^١.

وقد رأيت خطّ هذا الشيخ - أعني الحسين بن عبد الصمد هذا - على آخر هذا الشرح وقد كتب عند قراءة ذلك الشرح بعض تلاميذه عليه في الحائر الحسيني في سنة ثمان وخمسين وتسعمائة، وخطّه الشريف لا يخلو من رداءة، بل رأيت خطّه الشريف أيضاً في هراة على آخر كتب عديدة قد قرئت عليه، منها على مبادئ الأصول للعلامة وعلى شرحها الموسوم بغاية البادي في شرح المبادي، وكان لهذا الشيخ تحقیقات في حواشيها أيضاً.

وليعلم أنّ قول الشيخ المعاصر: «ورسالة في الردّ على أهل الوسواس سمّاه العقد الحسيني» محلّ نظر، ولعلّه من غلط الناسخ؛ إذ بالبال أنّ له رسالة التحفة الطهماسية في المواعظ الفقهيّة. فلاحظ في المسائل، وأخرى سمّاه العقد الطهماسي وقد رأيتها في بلدة رشت من بلاد جيلان وغيرها، وكانت في مسائل عديدة، منها مسائل الطهارة وأحكامها، ومنها ما يجوز فيه الصلاة من الثوب النجس والبدن ونحوهما، ومن جملتها أيضاً مسألة الوسواس قد ألفها بأمر السلطان المذكور، وقد أورد فيها مسألة الوسواس وأطال الكلام في المنع عنه حيث كان

١. في هامش نسخة المؤلف: لكن رأيت نسخة من هذا الشرح وجعل اسمه المقاصد العلية في شرح الرسالة

ذلك السلطان مبتلى به، وأما العقد الحسيني فلم أظفر به، والظاهر أنه بعينه العقد الطهماسي. فلاحظ.

ويظهر من تاريخ عالم آرا أنه ﷺ مات قبل السلطان المذكور، وأنه كان من مشايخ عظام جبل عامل، وكان فاضلاً كاملاً في جميع العلوم ولا سيما الفقه والتفسير والحديث والعربية، وصرف خلاصة أيام شبابه في خدمة الشهيد الثاني، وكان في تصحيح الحديث والرجال وتحصيل مقدمات الاجتهاد وكسب الكمال مشاركاً له ومساهماً معه، وبعدما استشهد الشهيد الثاني لتشيعه على أيدي الرومية ارتحل ﷺ من وطنه إلى بلاد العجم وصار مصاحباً للسلطان شاه طهماسب الصفوي، وكان معظماً عنده في الغاية، وقد أذعن له علماء العصر مرتبة الفقاهة والاجتهاد، وسعى في إقامة فريضة الجمعة وسنة الجماعة وكان يأتّم به خلق كثير. ثم بعد ذلك فوّض إليه منصب شيخ الإسلام، وتصدّى الشرعيات، وحكومة المليّات في بلاد خراسان عموماً وفي بلدة هراة خصوصاً، وتقلّد لتلك المناصب بها برهة طويلة من الزمان، وكان يشتغل فيها بترويج الشريعة الغراء وتنسّق بقاع الخير وإفادة العلوم الدينية وإفاضة المعارف اليقينية وتصنيف الكتب والرسائل وحلّ المشكلات وكشف غوامض المعضلات، إلى أن اشتاق لحجّ بيت الله الحرام وزيارة سيّد الأنام وأولاده الكرام، وتوجّه إلى المقصد، وبعدما وفقّ لذلك رجع إلى بلاد الأحساء وبحرين وأقام بها، وكان يصاحب الفضلاء والقاطنين بها إلى أن توفي ﷺ ببلدة بحرین.

هذا ما حكاه صاحب التاريخ المذكور. ولكن في قوله «إنه كان مشاركاً للشهيد الثاني ومساهماً معه في تصحيح الحديث» إلى آخره نظر؛ لأنه من مشاهير تلامذة الشهيد الثاني كما لا يخفى. فتأمّل.

وقال المولى نظام الدين التفرشي تلميذ الشيخ البهائي في كتاب نظام الأقوال:
الحسين بن عبد الصمد بن محمّد الجبعي الحارثي الهمداني، الشيخ العالم

الأوحد، صاحب النفس الطاهرة الزكية والهمة الباهرة العلية، والد شيخنا، ومن إليه في العلوم استنادنا، دام ظلّه البهيّ. من أجلّة مشايخنا قدّس الله روحه الشريف، كان عالماً فاضلاً مطلعاً على التواريخ، ماهراً في اللغات، مستحضراً للنوادر والأمثال، وكان ممّن جدّد قراءة كتب الأحاديث ببلاد العجم. له مؤلّفات جليّة ورسالات جميلة، منها: شرح القواعد، وحاشية الإرشاد، عاقته عن إتمامها عوائق الدهر الخوان، ومنها: شرح الألفيّة، لم يعمل مثله. ومنها: وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، وغيرها ممّا صنّف وألّف.

ولد أوّل محرّم الحرام سنة ثمانين عشر وتسعمائة، وانتقل إلى جوار رحمة الله ثامن ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وتسعمائة، ودفن في البحرين طاب الله مضجعه. روى عنه شيخنا مدّ ظلّه البهي، وهو يروي عن شيخه الجليلين السيّد حسن بن جعفر الكركي والشهيد الثاني قدّس الله أرواحهم. انتهى.

وقال تلميذه الآخر المولى مظفر علي في مطاوي رسالته الفارسيّة المعمولة في ذكر أحوال أستاذه الشيخ البهائي المذكور، ما معناه :

إنّ والد هذا الشيخ حسين بن عبد الصمد قد كان في زمانه من مشاهير فحول العلماء الأعلام والفقهاء الكرام، وكان في تحصيل العلوم والمعارف وتحقيق مطالب الأصول والفروع مشاركاً ومعاصراً للشهيد الثاني، بل لم يكن له نظير في علم الحديث والتفسير والفقه والرياضي عديل في عصره، وله في تلك العلوم مصنّفات، ومن جملة مؤلّفاته: كتاب دراية الحديث، ورسالة في تحقيق القبلة، وكتاب الأربعين حديثاً، وكتاب شرح القواعد، وكتاب شرح الألفيّة، والرسالة الطهماسبيّة في بعض المسائل الفقهيّة، والرسالة الوسواسيّة، والرسالة الرضاعيّة. وله أيضاً حواشي على كتب الرياضي، وله تعليقات أخر ومنشآت كثيرة جداً.

وقد توجّه هذا الشيخ في زمن السلطان شاه طهماسب الصفوي من جبل عامل مع جميع توابعه وأهل بيته إلى إصبهان وأقام بها ثلاث مشغلاً بإفادة العلوم الدينيّة

وإفاضة المعارف اليقينية، ويستفيد منه فيها علماء عراق العجم. ولما اطلع الشيخ الفاضل الشيخ علي، الملقب بالمنشار، وكان هو شيخ الإسلام بإصبهان، والسلطان المبرور قد كان في بلدة قزوين، عرض عليه خبر ورود هذا الشيخ بإصبهان، ثم لما سمع السلطان المذكور هذا الخبر كتب السلطان المرحوم بخط نفسه إلى الشيخ حسين هذا وأرسل له الخلعة وطلب حضوره إلى بلدة قزوين مقر سلطنته في تلك الأوقات، ولما توجه هذا الشيخ إلى قزوين ووصل إلى خدمة السلطان المبرور عظمه وبجله غاية التعظيم والتبجيل وجعله شيخ الإسلام بقزوين، واستمر على ذلك سبع سنين، وكان يقيم بها صلاة الجمعة بدل الظهر، فإنه ممن يعتقد وجوب صلاة الجمعة عيناً كما هو اعتقاد شيخه الشهيد الثاني المذكور أيضاً، ثم بعد ذلك قد فوّض إليه منصب شيخ الإسلامية والإقامة بالمشهد المقدس الرضوي، فأقام فيه مدة.

ثم لما كان أكثر أهل هراة في تلك الأوقات عارين عن معرفة الأئمة الاثني عشر وعن التدن بمذهب أهل البيت عليه السلام أمره السلطان المزبور بالتوجه إلى بلدة هراة والإقامة بها لإرشاد ضلال أهل الضلال لتلك الناحية وأعطاه ثلاث قرايا من قرى تلك البلدة، وقد أمر السلطان المذكور الأمير شاه قلي سلطان كان - أعني حاكم بلاد خراسان - بأن يحضر كل جمعة بعد الصلاتين السلطان محمد خدابنده ميرزا ولد السلطان المزبور المذكور في المسجد الجامع الكبير بهراة إلى خدمة هذا الشيخ لاستماع الحديث وينقاد لأوامر هذا الشيخ ونواحيه بحيث لا يخالف أحد هذا الشيخ، فأقام هذا الشيخ بهراة ثمان سنين على هذا المنوال مشغلاً بإفادة العلوم الدينية وإجراء الأحكام الشرعية وإظهار الأمور والأوامر المليّة، فتشيع لذلك خلق كثير ببركة أنفاسه عليه السلام بهراة ونواحيه ودخل في مذهب الإمامية حتى تطهر تلك الناحية عن لوث المخالفين، وقد توجه إلى حضرته الطلبة - بل العلماء والفقهاء - من الأطراف والأكناف من أهل إيران وتوران لأجل مقابلة الحديث وأخذ العلوم

الدينيّة وتحقيق المعارف الشرعيّة .

ثمّ توجّه هذا الشيخ بعد مدّة من الزمان من هراة إلى قزوین لإدراك خدمة السلطان المذكور بها ثانياً، واسترخص من السلطان لزيارة بيت الله الحرام لنفسه ولولده الشيخ البهائي، فرخّص هذا الشيخ لزيارة البيت ولم يرخّص ولده الشيخ البهائي، ولذلك أمره بإقامته هناك واشتغاله بتدريس العلوم الدينيّة .

فتوجّه هذا الشيخ إلى زيارة البيت، ولما تشرف بزيارة البيت وزيارة المدينة رجع من طريق بحرین وأقام بتلك البلدة وتوطّن بها، ثمّ كتب إلى ولده الشيخ البهائي المذكور ما معناه : إنك إن تطلب محض الدنيا تذهب إلى الهند، وإن كنت تريد العقبى فلا بدّ أن تجيء إلى بحرین، وإن كنت لا تريد الدنيا ولا العقبى فتوطن ببلاد عراق العجم .

وقد نظم بعض شعراء العجم أيضاً ذلك في رباعيّته بالفارسيّة، وهو قوله :
 دنيا خواهی بجانب هند گذر عقبی خواهی بکربلا ساز مقر
 ورنکه نه دنیا و نه عقبی خواهی ز نهار ز ایران ننهی پای بدر
 وبالجملّة، فقد أقام هذا الشيخ في بلاد بحرین واشتغل بتدريس العلوم الدينيّة برهةً من الزمان في أواخر عمره إلى أن توفي بها، وقبره معروف بها ويزوره أهلها وغيرهم من شيعة أهل البيت عليه السلام ويتبرّكون بمرقده، وصار محلّ استجابة الدعوات لأجل تلك الناحية .

ثمّ لما اتّصل خبر وفاة هذا الشيخ بولده الشيخ البهائي رثاه بمرثيّة لطيفة معروفة

الشيخ حسين في الروضة البهية^١

السيد محمد شفيع الجابلقى

الشيخ حسين والد الشيخ البهائي عليه السلام :

وهذا الشيخ [أي البهائي] يروي عن والده الماجد المبرأ من كلّ شين ورين، الشيخ المحقق المدقق عزّ الدين حسين بن الشيخ عبد الصمد بن محمد الحارث الهمداني الجبعي. كان عليه السلام عالماً ماهراً متبحراً عظيم الشأن كثير العلم حسن الطريقة، زاهداً ورعاً ثقة. كما وثّقه جمعٌ من العلماء منهم الشهيد الثاني في إجازته له.

وعن أمل الآمل في ترجمته: كان عالماً ماهراً محققاً مدققاً متبحراً جامعاً أديباً منشئاً شاعراً عظيم الشأن جليل القدر ثقة ثقة، من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني، له كتب منها كتاب أربعين حديثاً، ورسالة في الردّ على أهل الوسواس أسماها العقد الحسن، ورسالة سمّاها تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم والخراسان ردّ فيها على الشيخ عليّ بن عبد العال الكركي حيث إنّه أمرهم أن يجعلوا الجدي بين الكتفين وغير محاريب كثيرة مع أنّ طول تلك البلاد يزيد على

١. الروضة البهية، السيد محمد شفيع الجابلقى، الطبعة الحجرية، ص ٣٩-٤٦، طهران، ١٢٨٠ هـ.

طول مكة كثيراً وكذا عرضها فيلزم انحرافهم عن الجنوب إلى الغرب كثيراً، ففي بعضها كالمشهد بقدر نصف المسافة خمساً وأربعين درجة وفي بعضها أكثر وفي بعضها أقل، وله رسائل أخر. وكان سافر إلى خراسان وأقام بالهراة مدة وكان شيخ الإسلام بها، ثم انتقل إلى البحرين ومات بها وكان عمره ستاً وستين سنة. انتهى.

وفي اللؤلؤة عدد من جملة كتبه: العقد الطهماسي، الذي ألفه للشاه طهماسب، وشرح على ألفية الشهيد. ورأيت له كتاباً جيداً في دراية الحديث، وذكر فيها أن بعض مشايخنا المعاصرين أنه لما هاجر من بلاد جبل إلى بلاد العجم كان لابنه الشيخ بهائي سبع سنين، وقال: وأخبرني والذي ﷺ وبحضيرة القدس أن الشيخ المذكور كان في مكة المشرفة وأراد الإقامة بها إلى أن يموت، وأنه رأى في المنام أن القيامة قد قامت وجاء الأمر من الله تعالى أن ترفع أرض البحرين وما فيها إلى الجنة، فلما رأى هذه الرؤيا أثر الجوار فيها إلى أن يموت، فهاجر إلى بلاد البحرين، ولما سمع علماء البحرين بقدومه، وكان لهم مجمع يجتمعون للتدريس ويحضره الفضلاء منهم في مسجد من مساجد قرية جدحفص علموا أن الشيخ لا بد من حضوره هذا المجمع، وكان من جملة فضلاء البحرين الشيخ داود بن أبي مسافر، وكان جديلاً ماهراً في علم الجدل، وكانت بينهم وبينه منافرة أوجبت غضبه^١ وعدم حضوره هذا المجلس مدة، ولما سمعوا بقدوم الشيخ أرسلوا إلى الشيخ داود المذكور وأصلحوه والتمسوا منه الحضور كما يحضره سابقاً، فاتفق أن الشيخ لما وصل إلى البحرين زاروه وعظموه بما هو أهله، ثم بعد سماعه ﷺ بذلك المجلس حضره ذات يوم، ولم يكن في هذا الوقت فيهم من هو في مرتبته ﷺ، واتفق البحث كما هي العادة الجارية بين العلماء في جميع الأصقاع. فابتدر الشيخ داود لمنازعة الشيخ والبحث مع الشيخ المذكور مع أنه لا نسبة له إليه في العلم،

١. في المطبوع: «غضته».

فلما انقضى المجلس ومضى الشيخ، كتب هذين البيتين :

أناس في أوانٍ قد تصدّوا لمحو العلم واشتغلوا بلّم كم
فإن باحثهم لم تلق منهم سوى حرفين كم كم لا نسلّم
وأقام في بلاد البحرين حتّى مات ﷺ ، وقبره في قرية المصلّى من قرى البحرين
معروف إلى زمان شيخنا يوسف، كما ذكره في اللؤلؤة .

ورثاه ابنه شيخنا البهائي، مطلعها :

قف بالطلول وسلها أين سلماها وروّ من جرع الأجفان جرعاها
يا جيرة هجروا واستوطنوا هجراً واهاً لقلبي المعنى بعدكم واهاً
إلى آخر القصيدة .

وكان وفاة الشيخ المذكور ثمان خلون من شهر ربيع الأوّل من السنة الرابعة
والثمانين بعد التسعمائة، وكانت ولادته أوّل يوم من محرّم سنة الثانية عشر بعد
التسعمائة. فعلى هذا يكون عمره خمساً وستين سنة وثلاثة أشهر إلّا أياماً، هكذا
في اللؤلؤة .

وأنت خبير بأنّه لو كان التاريخان كما ذكر يكون عمره اثنين وسبعين سنة لا ما
ذكره ﷺ، كما يظهر بالتأمل .

الشيخ حسين بن عبد الصمد في لؤلؤة البحرين^١

المحدث الشيخ يوسف البحراني

الحسين ابن الشيخ عبد الصمد :

كان تَوْجُّهُ عالماً ماهراً متبحراً عظيم الشأن، قال شيخنا الشهيد الثاني في إجازته له - وهي إجازة طويلة مفصلة يأتي نقل كثير منها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى - قال في أولها : « ثم إنَّ الأخ في الله المصطفى في الأخوة، المختار في الدين، المترقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ العالم الأوحد ذا النفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العلية، والأخلاق الزاهرة الإنسية، عضد الإسلام والمسلمين، عزّ الدنيا والدين، حسين ابن الشيخ الصالح العالم العامل التقى، خلاصة الإخوان، الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمد المشتهر بالجبعي الحارثي الهمداني، أسعد الله جدّه، وكبت عدوّه وضدّه » إلى آخره.

١ . لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، العلامة المحدث الشهير الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، صاحب الحقائق (المتوفى سنة ١١٨٦ هـ)، ص ١٦ - ٢٨، تحقيق السيّد محمد صادق بحر العلوم.

وقال المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي في كتاب أمل الآمل - في

ترجمته - :

«كان عالماً ماهراً، محققاً مدققاً، متبحراً جامعاً، أديباً منشئاً شاعراً، عظيم الشأن، جليل القدر، ثقة ثقة، من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني، له كتب منها كتاب الأربعين حديثاً، ورسالة في الردّ على أهل الوسواس سمّاها العقد الحسيني، وحاشية الإرشاد، ورسالة سمّاها تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وأهل خراسان، ردّ فيها على الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الكركي حيث أمرهم أن يجعلوا الجدي بين الكتفين وغير محاريب كثيرة مع أنّ طول تلك البلاد يزيد على طول مكّة كثيراً وكذا عرضها فيلزم انحرافهم عن الجنوب إلى المغرب كثيراً، ففي بعضها كالمشهد بقدر نصف المسافة خمساً وأربعين درجة، وفي بعضها أكثر، وفي بعضها أقلّ، وله رسائل أخر.

وكان سافر إلى خراسان وأقام بالهراة مدّة، وكان شيخ الإسلام بها، ثمّ انتقل إلى البحرين وبها مات وكان عمره ستّاً وستّين سنة» انتهى.

أقول : ومن أشهر مصنّفات العقد الطهماسبي الذي صنّفه للشاه الطهماسب، ولعلّه الثاني من الكتب الموردة في كلام الشيخ المذكور إلّا أنّ العبارة المذكورة غلط، وله شرح على ألفيّة الشهيد قد رأيته في شيراز.

وذكر بعض مشايخنا المعاصرين أنّه لمّا هاجر من بلاد الجبل إلى بلاد العجم كان لابنه الشيخ البهائي سبع سنين.

وأخبرني والدي - قدّس الله سرّه، وبحظير القدس سرّه - أنّ الشيخ المزبور كان في مكّة المشرفة قاصداً الجوار فيها إلى أن يموت، وأنّه رأى في المنام أنّ القيامة قد قامت وجاء الأمر من الله سبحانه وتعالى برفع أرض البحرين وما فيها إلى الجنة، فلمّا رأى هذه الرؤيا آثر الجوار فيها والموت في أرضها، ورجع من مكّة المشرفة وجاء البحرين، ولمّا سمع علماء البحرين بقدومه - وكان لهم مجمع يجتمعون فيه

للدرس ويحضره الفضلاء منهم في مسجد من مساجد قرية جدّ حفص - علموا أنّ الشيخ لا بدّ أن يحضر بعد قدومه في هذا المجمع، وكان من جملة فضلاء البحرين الشيخ داود بن شافيز، وكانت له يد طولى في علم الجدل، وقد كانت بينهم وبينه منافرة أوجبت غضبه وعدم حضوره ذلك المجمع مدّة؛ ولما سمعوا بقدوم الشيخ أرسلوا للشيخ داود المذكور وأصلحوه، والتمسوا منه الحضور كما كان سابقاً، فاتّفق أنّ الشيخ لمّا وصل إلى البحرين زاروه وعظّموه بما هو أهله، واتّفق أنّه سمع بذلك المجمع، فحضر ذات يوم وليس في ذلك الوقت فيهم من هو في مرتبته عليه السلام واتّفق البحث كما هي العادة الجارية بين العلماء في جميع الأصقاع، فابتدر الشيخ داود لمنازعة الشيخ المذكور والبحث معه، مع أنّه لا نسبة له إليه في ذلك، فلمّا انقضى المجلس ومضى الشيخ عليه السلام كتب هذين البيتين :

أناس في أوّلٍ قد تصدّوا لمحو العلم واشتغلوا بلّم لم
فإن باحثهم لم تلق منهم سوى حرفين لم لم لا نُسَلّم

وأقام الشيخ المزبور في البلاد المذكورة حتّى توفّي إلى رحمة الله، وقبره في قرية المصلّى من قرى البحرين معروف إلى الآن، ورثاه ابنه الشيخ البهائي بقصيدة، منها قوله :

يا جيرة هجروا واستوطنوا هَجْراً	واهاً لقلبي المعنى بعدكم واهاً
يا ثاويّاً بالمصلّى من قرى هَجْرٍ	كُسيّت من حُلل الرضوان أضفاها
أقمت يا بحرّ بالبحرين فاجتمعت	ثلاثة كُنّ أمثالاً وأشباها
ثلاثة أنت أنداها وأغزرها	جوداً وأعذبها طعماً وأصفاها
حويت من دُرر العلياء ما حوياً	لكنّ درك أعلاها وأغلاها
ويا ضريحاً علا فوق السماك علّاً	عليك من صلوات الله أزكاها
فاسحب على الفلك الأعلى ذبول علّاً	فقد حوّيت من العلياء أعلاها

وكانت وفاة الشيخ المزبور لثمانٍ خلون من شهر ربيع الأول السنة الرابعة والثمانين بعد التسعمائة، وكانت ولادته أول يوم من المحرم السنة الثامنة عشرة بعد التسعمائة، وعلى هذا يكون عمره $\text{ثلاثون سنة وثلثة أشهر وأياماً}$. وكان الشيخ حسين المذكور يروي عن جملة من المشائخ، منهم - وهو أعظمهم وأشهرهم ومن كثرت ملازمته له وقراءته عليه - : ٧ - الشيخ الجليل زين الدين بن علي .

والد الشيخ البهائي في الكنى والألقاب^١

المحدّث الشيخ عباس القمي

(والد الشيخ البهائي) :

عزّ الدين الشيخ حسين بن عبد الصمد بن محمّد العاملي .
قال شيخنا الحرّ رضوان الله تعالى عليه في الأمل : كان عالماً ماهراً، محقّقاً
مدقّقاً، متبحّراً جامعاً، أدبياً منشئاً، شاعراً عظيم الشأن، جليل القدر، ثقة، من
فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني رحمته الله .

له كتب، منها : كتاب الأربعين حديثاً، و رسالة في الردّ على أهل الوسواس
سمّاها العقد الحسيني ، و حاشية الإرشاد، و رسالة رحلته وما اتفق في سفره، و ديوان
شعره، و رسالة سمّاها تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان، ردّ فيها على
الشيخ علي بن عبد العالي الكركي حيث أمرهم أن يجعلوا الجدي بين الكتفين وغير
محاريب كثيرة، مع أنّ طول تلك البلاد يزيد على طول مكّة كثيراً وكذا عرضها
فيلزم انحرافهم عن الجنوب إلى نحو المغرب كثيراً، ففي بعضها كالمشهد بقدر نصف
المسافة خمسة وأربعين درجة، وفي بعضها أقلّ. وله رسائل أخرى. وكان سافر إلى

١ . الكنى والألقاب، المحدّث الشيخ عباس القمي، ج ٢، ص ١٠٠-١٠٥، من منشورات مكتبة الصدر، طهران.

خراسان وأقام بهرة، وكان شيخ الإسلام بها، ثم انتقل إلى البحرين، وبها مات سنة ٩٨٤ (ظفد)، وكان عمره رضوان الله عليه ستاً وستين سنة.

وقد أجازه الشهيد الثاني إجازة عامة مطوّلة مفصّلة. انتهى.

أقول: قد تقدّم في أبو الصلت الهروي ما يتعلّق بهذا الشيخ في إقامته بهرة وانتقاله منها إلى البحرين.

وعن اللؤلؤة لشيخنا الأجل الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني رحمته قال:

أخبرني والدي أنّ الشيخ حسين بن عبد الصمد كان في مكّة المشرفة قاصداً الجوار فيها إلى أن يموت، وأنّه رأى في المنام أنّ القيامة قد قامت وجاء الأمر من الله عزّ وجلّ بأن ترفع أرض البحرين بما فيها إلى الجنّة، فلمّا رأى هذه الرؤيا آثر الجوار فيها والموت في أرضها، ورجع من مكّة وجاء إلى البحرين وأقام بها إلى أن توفّي في ٨ ربيع الأوّل سنة ٩٨٤. انتهى.

قلت: وإلى هذه الإقامة أشار ولده بهاء الدين في رثائه لأبيه رضوان الله تعالى عليه:

أقمت يا بحر في البحرين فاجتمعت	ثلاثة كنّ أمثالاً وأشباها
ثلاثة أنت أنداهها وأغزرها	جوداً وأعذبها طعماً وأصفاها
حويت من درر العلياء ما حويا	لكنّ درك أعلاها وأغلاها
ويا ضريحاً حوى فوق السماك عللاً	عليك من صلوات الله أزكاها

الجبعي: نسبة إلى جُبُع - بضمّ الجيم وفتح الموحّدة - قرية من جبل عامل، فيها قبر صاحبي المدارك والمعالم.

والعاملي: نسبة إلى جبل عامل، وفي الأصل يقال: جبال عاملة، ثمّ لكثرة الاستعمال قيل: جبل عامل، نسبة إلى عاملة بن سبأ، وسبأ هو الذي تفرّق أولاده بعد سيل العرم حتّى ضرب بهم المثل فقيل: تفرّقوا أيدي سبأ، كانوا عشرة، تيامن

منهم ستة : الأزد، وكندة، ومذحج، والأشعريون، وأنماراً وحُمير، وتشاءم أربعة : عاملة، وجدام، ولخم، وغسّان. فسكن عاملة بتلك الجبال وبقي فيها بنوه ونسبت إليهم.

وفي أعيان الشيعة عن تاريخ المغربي أنّه - أي جبل عامل - واقع على الطرف الجنوبي من بلدة دمشق الشام في سعة ثمانية عشر فرسخاً من الطول في تسعة فراسخ من العرض، والصواب أنّه في الجانب الغربي من دمشق لا الجنوبي، خرج منه من علماء الشيعة الإماميّة ما ينيف عن خمس مجموعهم مع أنّ بلادهم بالنسبة إلى باقي البلدان أقلّ من عشر العشير، كما في أمل الآمل، حتّى أنّه قال : سمعت من بعض مشايخنا أنّه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر الشهيد الثاني رحمته الله. انتهى.

والحارثي : نسبة إلى حارث بن عبد الله الهمداني - بسكون الميم - لانتهاه نسب الشيخ البهائي إليه، وكان الحرث صاحب أمير المؤمنين عليه السلام.

وعده البرقي في الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وقيل في حقه : كان من التابعين وأفقه الناس وأفرضهم، تعلّم الفرائض من عليّ عليه السلام.

وذكره الذهبي في المحكي عن ميزانه، فاعترف أنّه من كبار علماء التابعين. ثمّ نقل عن ابن حبان القول بكونه غالباً في التشيع، ثمّ أورد من تحامل القوم عليه بسبب ذلك شيئاً كثيراً، ومع هذا فقد نقل إقرارهم بأنّه كان من أفقه الناس وأفرض الناس وأحسب الناس لعلم الفرائض. واعترف بأنّه حديث الحرث موجود في السنن الأربعة، وأنّ الجمهور مع توهينهم أمره يروون حديثه في الأبواب كلّها، وأنّ الشعبي كان يكذّبه ثمّ يروي عنه. قال الذهبي : وكان الحرث من أوعية العلم.

وروي عن محمد بن سيرين أنه قال : كان من أصحاب ابن مسعود خمسة يؤخذ عنهم ، أدركت منهم أربعة وفاتني الحارث فلم أره ، وكان يفضّل عليهم وكان أحسنهم . انتهى .

ويأتي في الشعبي ما يتعلّق بذلك :

وهو الذي قال له أمير المؤمنين عليه السلام في حديث شريف : « وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة » . قال الحارث : وما المقاسمة ؟ قال : « مقاسمة النار ، أقاسمها قسمة صحيحة ، أقول : هذا وليّ فاتركيه ، وهذا عدوّي فخذيه » ... الحديث .

عزّ الدين العاملي في الغدير^١

العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني

عزّ الدين العاملي المولود (٩١٨) - المتوفّى (٩٨٤) :

إلى مَ ألام وأمري شهير	وأشفق من كلّ نذلٍ حقير
وحبيّ النبيّ وآل النبيّ	وقوليّ بالعدلِ نعم الخفير
ولي رحمٌ تقتضي حرمةً	ولي نسبةٌ بولائي الخطير
فلي في المعادِ عمادٌ بهم	ولي في القيامِ مقامٌ نضير
لأنّي أنادي لدى النائبات	والخوفُ من أنّ ذنبي كبير
أخا المصطفى وأبا السيدين	وزوجَ البتولِ ونجلَ الظهير
ومحبوبَ ربِّ حميدٍ مجيد	وخيرِ نبيٍّ بشيرٍ نذير
ونور الظلام وكافي العظام	ومولى الأنام بنصّ الغدير
مجلّي الكروبِ عليهم الغيوب	نقيّ الجيوبِ بقولِ الخبير
وأقضى الأنامِ أقصى المرام	وسيفَ السلامِ السميعِ البصير
	القصيدة (٤٥) بيتاً

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات مستهله قصيدة للشيخ الحسين بن عبد الصمد العاملي والد شيخنا البهائي، وشرحها بعد مدة من نظمها بشرح كبير، وأثبت كل ما ذكر فيها من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام بطريق الجمهور، وقال فيه : قولي : ومولى الأنام بنص الغدير، إشارة إلى خبر غدير خم.

وقال بعد ذكر حديث الغدير ما ملخصه : رواه أحمد بن حنبل بست عشرة طريقاً، والثعلبي بأربع طرق في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾^١ ورواه ابن المغازلي بثلاث طرق، ورواه في الجمع بين الصحاح الست، قال ابن المغازلي : وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله ﷺ نحو من مائة نفس، وذكر محمد بن جرير الطبري المؤرخ لحديث الغدير خمساً وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سمّاه كتاب الولاية، وذكر الحافظ أبو العباس أحمد بن عقدة له خمساً ومائة طريق، وأفرد له كتاباً، فهذا قد تجاوز حدّ التواتر. ومن العجب تأويل هذا الحديث وهو نص في الإمامة ووجوب الطاعة، ويشهد العقل السليم بفساد ذلك التأويل كما ياباه الحال والمقام، وقوله ﷺ : «ألست أولى منكم بأنفسكم؟» بعد نزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾. وأمثال ذلك. فغفل أصحاب التأويل من معنى قول أبي الطيّب :

وهبني قلت هذا الصبح ليل
أيعشى العالمون عن الضياء

الشاعر

عزّ الدين الشيخ حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن زين الدين

علي بن بدر الدين حسن بن صالح بن إسماعيل الحارثي الهمداني العاملي الجبعي .
هو من بيت عزق فيه المجد والشرف بولاء العترة الطاهرة منذ العهد العلوي ،
فمن هنا بشر أمير المؤمنين عليه السلام جدّه الأعلى الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني
الخارفي^١ عند وفاته بنتيجة عقيدته الصحيحة به ، ولوائه الخالص له ، والمترجم له
صرح بانتسابه إلى هذا الموالي العلوي الهمداني في كتاب كتبه إلى السلطان شاه
طهماسب في سنة ٩٦٨ ، رأيته بخطه ، وذكره في إجازته لتلميذه الشيخ رشيد الدين
ابن الشيخ إبراهيم الإصبهاني تاريخها تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩٧١ ، وفي
إجازته لملك علي كما في مستدرك الإجازات^٢ لشيخنا الحجة ميرزا محمد الرازي
نزيل سامراء المشرفة .

ونصّ بهذه النسبة ولده شيخنا البهائي في إجازته سنة ١٠١٥ للمولى صفي الدين
محمد القمي^٣ ، وقال في كشكوله^٤ (ص ٢٧٩ طبع مصر سنة ١٣٠٥) : من نهج
البلاغة^٥ من كتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحارث الهمداني جدّ جامع الكتاب .

١ . الخارفي - بكسر الراء - نسبة إلى خارف ؛ بطن من همدان نزل الكوفة . ويقال الحوتي - بضمّ الحاء - نسبة إلى
الحوت ؛ بطن من همدان أيضاً . (المؤلف)

٢ . أحد أجزاء مستدرك البحار لشيخنا الأجل الرازي . كتاب كريم قيّم ضخم فخم استدرك به ما فات مولانا
العلامة المجلسي رحمته الله ، أتى في عدّة مجلّدات ، تربو صحائف مستدرك إجازاته فحسب على ألفي صحيفة ،
وقس عليها غيرها من أجزاء البحار ، ومن سرح النظر في هذا السفر الحافل يجد العلم طافحاً من جوانبه ،
وتراءى له الفضيلة المتدفقة في طياته ، ويشاهد همّة قعاء يقصر دونها البيان ، وتفشل عن إدراكها الهمم ، ولا
تبلغ مداها جمل الإطراء والثناء ، أبقي له ذكراً خالداً مع الأبد يذكر ويشكر ، قدس الله روحه وطيب رسمه .
(المؤلف)

٣ . بحار الأنوار ١٠٩ : ١٤٦ ، رقم ٧١ .

٤ . الكشكول للبهائي ٩٥ : ٩٦ .

٥ . نهج البلاغة : ٤٥٩ .

وصرح بها لفيث من أساطين الطائفة ومشايخ الأمة ممن عاصر المترجم له أو من قارب عصره، وإليك أسماء جمع منهم غير المعاجم التي ذكرت فيها ترجمة المترجم له أو ولده البهائي :

- ١ - شيخنا الشهيد الثاني في إجازته للمترجم له سنة ١٩٤١.
- ٢ - الشيخ حسن صاحب المعالم في استجازته من المترجم له سنة ٩٨٣ كما في المستدرك .
- ٣ - الشيخ أبو محمد بن عناية الله الشهير ببايزيد البسطامي الثاني في إجازته للسيد حسين الكركي سنة ١٠٠٤.
- ٤ - السيد ماجد بن هاشم البحراني في إجازته للسيد أمير فضل الله دست غيب سنة ٣١٠٢٣.
- ٥ - المولى حسن علي ابن المولى عبد الله التستري في إجازته للمولى محمد تقي المجلسي سنة ٤١٠٣٤.
- ٦ - الأمير شرف الدين علي الشولستاني النجفي في إجازته للمولى محمد تقي المجلسي سنة ٥١٠٣٦.
- ٧ - السيد نور الدين العاملي أخ السيد محمد صاحب المدارك في إجازته سنة ١٠٥١ للمولى محمد محسن بن محمد مؤمن^٦.

١ . بحار الأنوار ١٠٨: ١٤٦، رقم ٥٣.

٢ . بحار الأنوار ١٠٩: ١٦٧، رقم ٨٠.

٣ . المصدر السابق ١١٠: ١٧، رقم ٨٤.

٤ . المصدر السابق ٣٨، رقم ٩١.

٥ . المصدر السابق ٣٢، رقم ٩٠.

٦ . المصدر السابق ٢٥، رقم ٨٨.

٨ - الأمير السيّد أحمد العاملي صهر سيّدنا الأمير محمّد باقر داماد الراوي عنه في صورة طرق روايته^١.

٩ - المولى محمّد تقي المجلسي في طرق روايته الصحيفة السجّادية في مواضع ثلاثة توجد في إجازات البحار^٢ (ص ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩)، وفي إجازته للميرزا إبراهيم ابن المولى كاشف الدين محمّد اليزدي سنة ١٠٦٣، وفي إجازته للمولى محمّد صادق الكرباسي الأصفهاني الهمداني سنة ١٠٦٨، وفي إجازته لبعض تلاميذه، وفي إجازته لولده العلامة المجلسي.

١٠ - آقا حسين ابن آقا جمال الخوانساري في إجازته للأمير ذي الفقار سنة ١٠٦٤^٣.

١١ - المحقق السبزواري المولى محمّد باقر في إجازته للمولى محمّد الكيلاني سنة ١٠٨١، وفي إجازته للمولى محمّد شفيع سنة ١٠٨٥^٤.

١٢ - الشيخ قاسم بن محمّد الكاظمي في إجازته للشيخ نور الدين محمّد بن شاه مرتضى الكاشاني سنة ١٠٩٥، كما في مستدرك الإجازات.

١٣ - العلامة المجلسي في موضعين من فائدة أوردها في إجازات البحار (ص ١٣٤) وفي غير واحد من إجازاته لتلامذته^٥.

١٤ - الشيخ حسام الدين بن جمال الدين الطريحي في إجازته للشيخ محمّد جواد الكاظمي سنّة تيّف وتسعين وألف.

١. المصدر السابق ١٠٩: ١٥٢-١٥٤، رقم ٧٥.

٢. المصدر السابق ١١٠: ٦٣، رقم ٤٣، و ٦٧، رقم ٩٢، و ٧٩، رقم ٩٤.

٣. بحار الأنوار ١١٠: ٨٥، رقم ٩٥.

٤. المصدر السابق: ٩٢، رقم ٩٦.

٥. المصدر السابق: ٧٤، رقم ٩٣.

١٥ - السيّد الأمير حيدر ابن السيّد علاء الدين الحسيني البيروي في موضعين من إجازته للسيّد حسن المجتهد ابن السيّد حيدر الكركي^١.

١٦ - بعض تلمذة البهائي في بيان روايته عنه، قال العلامة المجلسي: لعلّ السيّد حسين بن حيدر الكركي.

١٧ - الشيخ محمد حسين الميسي العاملي في إجازته للشيخ أبي الحسن الشريف العاملي سنة ١١٠٠.

١٨ - الشيخ عبد الواحد بن محمد البوراني في إجازته للشيخ أبي الحسن الشريف الفتوني العاملي سنة ١١٠٣.

١٩ - الأمير محمد صالح بن عبد الواسع في إجازته للشيخ أبي الحسن الشريف الفتوني سنة ١١٠٧.

٢٠ - الشيخ صفّي الدين بن فخر الدين الطريحي في إجازته للشيخ أبي الحسن الشريف الفتوني سنة ١١١١ وفي غير واحد من إجازاته.

وأشار إلى هذا النسب الذهبي الشيخ جعفر الخطّي البحراني^٢ (المتوفّى سنة ١٠٢٨) في قصيدته التي جرى بها رائيّة شيخنا البهائي ومدحه فيها، وكتب الشيخ تقرّظاً عليها، يقول فيها:

فيا ابن الأولى أثنى الوصيّ عليهم	بما ليس تشني وجهه يدُ إنكارٍ
بصقّين إذ لم يلف من أوليائه	وقد عضّ نابٌ للوغى غير فرّارٍ
وأبصر منهم جندٌ حرب تهافتوا	على الموتِ إسراعَ الفراشِ على النارِ
سراعاً إلى داعي الحروب يرونها	على شربها الأعمارَ مورد أعمارٍ
أطاروا غمودَ البيضِ واتكلوا على	مفارقِ قومٍ فارقوا الحقَّ فجّارٍ

١. المصدر السابق ١٠٩: ١٦٥، رقم ٧٩.

٢. توجد ترجمته في سلافة العصر: ٥٢٤-٥٢٦؛ وأنوار البدرين: ١١٢، رقم ٤١. (المؤلف)

وأرسوا وقد لاثوا على الركب الحبا
فقال وقد طابت هنالك نفسه
فلو كنت بواباً على باب جنّة
أشار إلى ما كان عليه قبيلة همدان يوم صفين وكان فيهم البطل المجاهد جدّ
المرجّم له - الحارث - فأثنى عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال : « يا معشر همدان ،
أنتم درعي ورمحي ، ما نصرتم إلا الله ، وما أجبتم غيره :

دعوتُ فلبّاني من القوم عُصبه	فوارس من همدان غير لثام
فوارس من همدان ليسوا بعزل	غداة الوغى من شاكر وشبام
بكلّ ردينيّ وعضبٍ تخاله	إذا اختلف الأقوامُ شعلَ ضرام
لهمدان أخلاقٌ ودينٌ يزينهم	وبأس إذا لاقوا وجدّ خصام
وجدٌ وصدقٌ في الحروبِ ونجدة	وقولٌ إذا قالوا بغير أثام
متى تأتتهم في دارهم تستضيفهم	تبثّ ناعماً في خدمةٍ وطعام
جزى الله همدانَ الجنانَ فإنّها	سمامُ العدى في كلّ يوم زحام
فلو كنتُ بواباً على باب جنّة	لقلتُ لهمدان ادخلي بسلام» ^١

ومؤسس شرف هذا البيت الرفيع - الحارث الهمداني - كان صاحب أمير
المؤمنين عليه السلام والمتفاني في ولائه ، والفقيه الأكبر في شيعته ، وأحد أعلام العالم .
أثنى عليه جمعٌ من رجال العامة^٢ ، وذكره السمعاني في الخارقي من الأنساب^٣

١ . كتاب صفين لابن مزاحم : ٣١٠ ، ٤٩٦ [ص ٢٧٤ ، ٤٣٧] طبعة مصر : شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٩٢ ، ٢ :

٢٩٤ [٥ : ٢١٧ الخطبة ٦٥ ، و ٨ : ٧٨ الخطبة ١٢٤] . (المؤلف)

٢ . خلا أناس منهم حنّاق على العترة الطاهرة ، يتحرّون الواقعة في شيعتهم ، فخلقوا له إفاكاً ، ونبزوه بالسفاسف

مثلاً يقام له عند المنقّب وزن . (المؤلف)

٣ . الأنساب ٢ : ٣٠٥ .

وقال : كان غالباً في التشيع. وعدّه ابن قتيبة في المعارف^١ (ص ٣٠٦) من الشيعة في عداد صعصة بن صوحان وأصبغ بن نباتة وأمثالهما. وترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال^٢ (١ / ٢٠٢) وقال : من كبار علماء التابعين، ونقل هو وابن حجر في تهذيب التهذيب^٣ (ص ١٤٥) عن أبي بكر بن أبي داود أنّه قال : كان الحارث أفقه الناس، وأحسب الناس، وأفرض الناس، وتعلّم الفرائض من عليّ عليه السلام، وفي خلاصة تهذيب الكمال^٤ (ص ٨٥) : إنّهُ أحد كبار الشيعة.

وروى الكشي في رجاله^٥ (ص ٥٩) بإسناده عن أبي عمير البرّاز عن الشعبي قال : سمعت الحارث الأعور وهو يقول : أتيت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ذات ليلة فقال : «يا أعور ما جاء بك؟» قال : فقلت : يا أمير المؤمنين جاء بي والله حبّك، قال : فقال : «أما إنّني سأحدّثك لتشكرها، أما إنّهُ لا يموت عبداً يحبّني فيخرج نفسه حتّى يراني حيث يحبُّ، ولا يموت عبداً يبغضني فيخرج نفسه حتّى يراني حيث يكرهُ»، قال : ثمّ قال لي الشعبي بعدُ : أما إنّ حبّه لا ينفعك وبغضه لا يضرّك^٦.

وحَدّث الشيخ أبو علي ابن شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في أماليه^٧ (ص ٤٢)

١. المعارف : ٦٢٤.

٢. ميزان الاعتدال ١ : ٤٣٥، رقم ١٦٢٧.

٣. تهذيب التهذيب ٢ : ١٢٦.

٤. خلاصة الخزرجي ١ : ١٨٤، رقم ١١٤٢.

٥. رجال الكشي : ٨١، رقم ٢٦.

٦. قول الشعبي هذا مناقض لما جاء به النبي الأعظم في حبّ أمير المؤمنين عليه السلام وبغضه من الكثير الطيّب، راجع

ما مرّ في أجزاء كتابنا هذا وما يأتي. (المؤلّف)

٧. أمالي الطوسي : ٦٢٥، ح ١٢٩٢.

بإسناده عن جميل بن صالح عن أبي خالد الكاملي^١ عن الأصبع بن نباتة قال : دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم فجعل - يعني الحارث - يتأوّد في مشيته ويخط الأرض بمحجنه وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة فقال : «كيف تجدك يا حارث؟» قال : نال الدهر منّي يا أمير المؤمنين، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك. قال : «وفيم خصومتهم؟» قال : في شأنك والبليّة من قبلك فمن مفرط غالٍ، ومقتصدٍ قال، ومن متردّدٍ مرتاب، لا يدري أيّقدم أو يحجم. قال : «فحسبك يا أخا همدان ألا إنّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي». قال : لو كشفت فذاك أبي وأمي الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرةٍ من أمرنا، قال : «قدك^٢ فإنّك امرؤٌ ملبوسٌ عليك، إنّ دين الله لا يُعرف بالرجال بل بآية الحقّ، فاعرف الحقّ تعرف أهله، يا حارث إنّ الحقّ أحسن الحديث والصادق به مجاهد، وبالحقّ أخبرك فأعزني سمعك ثمّ خبر به من كانت له حصانة من أصحابك، ألا إنّني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأوّل، قد صدّفته وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إنّني صديقه الأوّل في أمتكم حقّاً، فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصّته يا حارث وخالصته وصنوه ووصيه ووليّه صاحب نجواه وسره، أوتيت فيهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد، وأيّدت - أو قال - أمددت بليلة القدر نفلاً، وإنّ ذلك ليجري لي ومن استحفظ من ذرّيتي ما جرى الليل والنهار حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، وأبشرك يا حارث ليعرفني والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وليّي وعدوّي في مواطن

١. كذا، والصحيح: الكابلي. (المؤلف)

٢. أي: حسبك.

شَتَّى، ليعرفني عند المماة وعند الصراط وعند المقاسمة» قال : قلت : وما المقاسمة يا مولاي ؟ قال : «مقاسمة النار، أقاسمها قسمةً صحاحاً أقول : هذا وليي وهذا عدوي».

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث وقال : «يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال لي - واشتكت إليه حسدة قريش والمنافقين لي - : إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل أو بحجرة يعني عصمة من ذي العرش تعالى وأخذت يا عليّ بحجرتي وأخذ ذرّيتك بحجرتك وأخذ شيعتكم بحجرتكم، فماذا يصنع الله بنبيّه ؟ وما يصنع نبيّه بوصيّة ؟ خذها إليك يا حارث قصيرةً من طويلة : أنت مع من أحببت، ولك ما احتسبت» أو قال : ما اكتسبت، قالها ثلاثاً، فقال الحارث - وقام يجزّ رداءه جذلاً - : ما أبالي ربّي بعد هذا متى لقيت الموت أو لقيني. قال جميل بن صالح : فأنشدني السيّد ابن محمّد في كتابه :

قول عليّ لحارثٍ عجبٌ	كم ثمّ أعجوبة له حملاً
يا حارٍ همدانٍ من يمّت يرني	من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبلاً
يعرفني طرفه وأعرفه	بنعته واسمه وما فعلاً
وأنت عند الصراط تعرفني	فلا تخف عثرة ولا زلاً
أسقيك من باردٍ على ظمأٍ	تخاله في الحلاوة العسلاً
أقول للنارٍ حين تُعرَضُ للعر	ضٍ : دعيه لا تقبلي الرجل
دَعِيه لا تقربيه إنّ له	حبلاً بحبل الوصيّ متّصلاً

توفي الحارث الهمداني سنة (٦٥) كما ذكره^١ الذهبي في ميزان الاعتدال ،

١. ميزان الاعتدال ١ : ٤٢٧ ، رقم ١٦٢٧ ؛ كتاب المجروحين ١ : ٢٢٢ ؛ تهذيب التهذيب ٢ : ١٢٧ ؛ شذرات

الذهب ١ : ٢٩٠ ، حوادث سنة ٦٥ هـ ؛ خلاصة الخزرجي ١ : ١٨٤ ، رقم ١١٤٢ .

وابن حجر نقلاً عن ابن حبان في تهذيب التهذيب (٢ / ١٤٧)، والمؤرخ عبد الحي في شذرات الذهب (١ / ٧٣)، فما في خلاصة تهذيب الكمال (ص ٥٨) من أنها سنة (١٦٥) ليس بصحيح.

والمترجم له - شيخنا الحسين - أحد أعلام الطائفة، وفقهائها البارعين في الفقه واصوله والكلام والفنون الرياضيّة والأدب، وكان إحدى حسنات هذا القرن، والألق المتبلّج في جبهته، والعبق المتأرج بين أعطافه، أذعن بتقدمه في العلوم علماء عصره ومن بعدهم، قال شيخه الشهيد الثاني في إجازته له المؤرخة بـ (٩٤١) المذكورة في كشكول شيخنا البحراني^١ صاحب الحقائق :

ثم إن الأخ في الله المصطفى في الأخوة، المختار في الدين، المرتقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ الإمام العالم الأواحد، ذا النفس الطاهرة الزكيّة، والهمة الباهرة العليّة، والأخلاق الزاهرة الإنسيّة، عضد الإسلام والمسلمين، عزّ الدنيا والدين، حسين ابن الشيخ الصالح العالم العامل المتقن المتفّن، خلاصة الأخيار الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمّد الشهير بالجبعي أسعد الله جدّه، وجدّد سعده، وكبت عدوّه وضدّه، ممّن انقطع بكليّته إلى طلب المعالي، ووصل يقظة الأيام بإحياء الليالي، حتّى أحرز السبق في مجاري ميدانه، وحصل بفضل السبق على سائر أترابه وأقرانه، وصرف برهنة من زمانه في تحصيل هذا العلم، وحصل منه على أكمل نصيب وأوفر سهم، فقرأ على هذا الضعيف. إلى آخره.

وأثنى عليه معاصره السيّد الأمير حيدر ابن السيّد علاء الدين الحسيني البيروي في إجازته للسيّد حسين المجتهد الكركي^٢ بقوله : الشيخ الإمام الزاهد العابد العامل العالم، زبدة فضلاء الأنام، وخلاصة الفقهاء العظام، فقيه أهل البيت عليه السلام، عضد

١. الكشكول ٢: ٢٠٢.

٢. بحار الأنوار ١٠٩: ١٦٥، رقم ٧٩.

الإسلام والمسلمين، عزّ الدنيا والدين حسين ابن الشيخ العالم. وفي رياض العلماء^١: كان فاضلاً عالماً جليلاً أصولياً متكلاً فقيهاً محدثاً شاعراً ماهراً في صنعة اللغز، وله ألغاز مشهورة خاطب بها ولده البهائي فأجابه هو بأحسن منها، وهما مشهوران وفي المجاميع مسطوران.

وقال المولى مظفر علي أحد تلاميذ ولده البهائي في رسالة له في أحوال شيخه: وكان والد هذا الشيخ في زمانه من مشاهير فحول العلماء الأعلام والفقهاء الكرام، وكان في تحصيل العلوم والمعارف وتحقيق مطالب الأصول والفروع مشاركاً ومعاصراً للشهيد الثاني، بل لم يكن له قدس الله سرّه في علم الحديث والتفسير والفقه والرياضي عدل في عصره وله فيها مصنفات. انتهى.

وقال المولى نظام الدين محمد تلميذ ولده البهائي في نظام الأقوال في أحوال الرجال: الحسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعي الحارثي الهمداني الشيخ العالم الأواحد، صاحب النفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العلية، والد شيخنا وأستاذنا ومن إليه في العلوم استنادنا أدام الله ظلّه البهي، من أجلة مشايخنا قدس الله روحه الشريفة، كان عالماً فاضلاً مطلعاً على التواريخ ماهراً في اللغات، مستحضراً للنوادر والأمثال، وكان ممن جدّد قراءة كتب الأحاديث ببلاد العجم، له مؤلفات جليّة، ورسالات جميلة. انتهى.

وفي أمل الآمل^٢: كان عالماً ماهراً محققاً مدققاً متبحراً جامعاً أديباً منشئاً شاعراً عظيم الشأن، جليل القدر، ثقة، من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني. إلى آخره.

١. رياض العلماء ٢: ١٠٩.

٢. أمل الآمل ١: ٧٤، رقم ٦٧.

إلى كلمات أخرى ماثورة في الإجازات ومعاجم التراجم، وعرف فضله عاھل إيران بوقته السلطان شاه طهماسب الصفوي، فسامه تقدیراً وتبجيلاً، وقلّده شيخوخة الإسلام بقزوين، ثم بخراسان المقدسة ثم بهرة، وفوض إليه أمر التدريس والإفادة، وكان يقدمه على كثير من معاصريه بعد أستاذه المحقق الكرکي، فنهض المترجم له بعبء العلم والدين ونشر أعلامهما بما لا مزيد عليه، فخلد له التاريخ بذلك كله ذكراً جميلاً تضيء به صحائفه، وتزدهي سطورہ، ومما خصه المولى سبحانه به وفضله بذلك على كثير من عباده، وحرى بأن يُعَدَّ من أكبر فضائله الجمّة، وأفضل أعماله المشكورة مع الدهر، أنّه نشر ألوية التشيع في هرة ومناحيها، وأدرك خلق كثير بإرشاده الناجع سعادة الرشد، وسبيل السداد، وآتبعا الصراط السويّ المستقيم.

مشايخه والرواة عنه :

يروي شيخنا المترجم له عن لفيف من أعلام الطائفة وأساتذة العلم، منهم :

- ١ - شيخنا الأكبر زين الدين الشهيد الثاني وأخذ منه العلم^١.
- ٢ - السيّد بدر الدين الحسن ابن السيّد جعفر الأعرجي الكرکي العاملي.
- ٣ - الشيخ حسن صاحب المعالم ابن الشهيد الثاني.
- ٤ - السيّد حسن بن علي بن شديق الحسيني المدني.

ويروي عنه :

- ١ - السيّد الأمير محمّد باقر الأسترآبادي الشهير بـ : داماد^٢.

١ . بحار الأنوار ١٠٨ : ١٤٦ ، رقم ٥٣ .

٢ . بحار الأنوار ١٠٩ : ٨٧ ، رقم ٦٦ .

- ٢ - الشيخ رشيد الدين بن إبراهيم الأصفهاني بالإجازة المؤرخة بسنة ٩٧١.
- ٣ - السيّد شمس الدين محمد بن علي الحسيني الشهير بابن أبي الحسن، كما في إجازة العلامة المجلسي للسيّد نعمة الله الجزائري المؤرخة بسنة ١٠٧٥.
- ٤ - السيّد حيدر بن علاء الدين البيروي كما في إجازته للسيّد حسين الكركي^١.
- ٥ - الشيخ أبو محمد بن عناية الله البسطامي كما في إجازته للسيّد حسين الكركي^٢.
- ٦ - المولى معاني التبريزي كما في إجازات البحار (ص ١٣٤، ١٣٥).
- ٧ - الميرزا تاج الدين حسين الصاعدي كما في الإجازات (ص ١٣٥).
- ٨ - الشيخ حسن صاحب المعالم كما في إجازة الأمير شرف الدين الشولستاني للمولى محمد تقي المجلسي^٣.
- ٩ - وملك علي يروي عنه بالإجازة المذكورة في أعيان الشيعة^٤ (٢٦ / ٢٦٠).
- ١٠ و ١١ - ولدها العلمان : شيخنا البهائي، وأبو تراب الشيخ عبد الصمد^٥. وقرأ عليه السيّد علاء الدين محمد بن هداية الحسن الخيروي سنة ٩٦٧.

آثاره أو مآثره :

ومن آثاره أو مآثره تأليف قيمة، منها :

- ١ - شرح على القواعد.
- ٢ - شرحان على ألفيّة الشهيد.
- ٣ - الرسالة الطهماسبية في الفقه.

١. المصدر السابق : ١٦٥، رقم ٧٩.

٢. المصدر السابق : ١٦٧، رقم ٨٠.

٣. المصدر السابق : ١١٠ : ٣٢، رقم ٩٠.

٤. أعيان الشيعة ٦ : ٦٣.

٥. بحار الأنوار ١٠٨ : ١٨٩، رقم ٦٢.

- ٤ - الرسالة الوسواسيّة .
- ٥ - رسالة في وجوب الجمعة .
- ٦ - وصول الأخبار إلى أصول الأخبار .
- ٧ - الرسالة الرضاعيّة .
- ٨ - حاشية على الإرشاد .
- ٩ - رسالة مناظرة مع علماء حلب^١ .
- ١٠ - رسالة في الرحلة^٢ .
- ١١ - رسالة في العقائد .
- ١٢ - رسالة الطهارة الظاهريّة والقلبيّة .
- ١٣ - رسالة في الموارد .
- ١٤ - كتاب الغرر والدرر .
- ١٥ - رسالة في تقديم الشيعاء على اليد .
- ١٦ - رسالة في الواجبات .
- ١٧ - تعليقات على الصحيفة .
- ١٨ - رسالة في القبلة .
- ١٩ - ديوان شعره .
- ٢٠ - دراية الحديث .
- ٢١ - كتاب الأربعين .
- ٢٢ - تعلّيق على خلاصة العلامة .

١ . للمترجم له رحلات فيها خطوات محمودّة ومواقف تذكّر وتشكر وراء صالح الأئمّة والسعي دون مناهج الدين والمذهب ، ورسائله هذه تجمع شتات تلکم المساعي . راجع أعيان الشيعة لسيدنا الأمين [٦ / ٦٤] .
(المؤلف)

٢ . رسالة قيّمة في الإمامة تجد جملة ضافية منها في أعيان الشيعة ٢٦ : ٢٤٨ [٦ / ٦٤] . (المؤلف)

٢٣ - رسالة في جواز استرقاق الحربى البالغ حال الغيبة .

٢٤ - رسالة تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان .

٢٥ - رسالة في وجوب صرف مال الإمام عليه السلام في أيام الغيبة .

٢٦ - جواب عما أورد على حديث نبوي^١ .

٢٧ - رسالة في عدم طهر البواري بالشمس .

ولادته ووفاته :

ولد شيخنا المترجم له أول محرّم الحرام سنة ٩١٨، وتوفي سنة ٩٨٤ في ثامن ربيع الأول في قرية المصلّى من أرباض هجر من بلاد البحرين، وكان عمره ستاً وستين سنة وشهرين وسبعة أيام، ورثاه ولده الأكبر شيخنا البهائي بقوله :

قف بالطلول وسلها أين سلماها ورؤ من جرع الأجفان جرها^٢

قال صاحب رياض العلماء^٣ : ورثاه جماعة من الشعراء .

وللمترجم له قصيدة جارى بها البردة للبوصيري يمدح بها الرسول الأعظم وخليفته الصديق الأكبر، أوله :

الؤلؤ نظمٌ ثغرٍ منك مبتسم أم نرجسٌ أم أقاح في صفى بشم
والقصيدة طويلة تناهز ١٢٩ بيتاً وقد وقف سيّد الأعيان منها على ٦٩ بيتاً^٤،
فحسب أنها تمام القصيدة فقال : تبلغ ٦٩ بيتاً ثم ذكر جملةً منها.

١. من قوله عليه السلام : «إني أحب من دناكم ثلاثاً: النساء، والطيب، وقرة عيني الصلاة». (المؤلف)

٢. الجرع: جمع جُرعة، وهي الحسوة. الجرعاء: الرملة المستوية التي لا تنبت شيئاً.

٣. رياض العلماء ٢: ١١٢.

٤. أعيان الشيعة ٦: ٦٥.

وخلف المترجم على علمه الجَمّ وفضله المتدفّق ولداه العلمان : شيخ الطائفة بهاء الملة والدين الآتي ذكره وهو أكبر ولديه ، ولد سنة ٩٥٣ ، والشيخ أبو تراب عبد الصمد بن الحسين المولود بقزوين ليلة الأحد وقد بقي من الليل نحو ساعة ثالث شهر صفر سنة ٩٦٦ ، كما في الرياض^١ نقلاً عن خطّ والده المترجم له - الشيخ حسين - وصرّح والدهما المترجم له في إجازته لهما أنّ البهائي أكبر ولديه ، وللشيخ عبد الصمد حاشية على أربعين أخيه شيخنا البهائي وفوائده على الفرائض النصيرية ، وكتب الشيخ البهائي باسمه فوائده الصمدية ، يروي بالإجازة عن والده المقدّس الشيخ حسين ، ويروي عنه العلامة السيّد حسين بن حيدر بن قمر الكركي (توفي سنة ١٠٢٠) ، ترجمه صاحباً الأمل^٢ والرياض^٣ وغيرهما .

وورثه على علمه الغزير ولداه العالمان : الشيخ أحمد بن عبد الصمد نزيل هراة ، يروي عنه بالإجازة السيّد حسين بن حيدر بن قمر الكركي الراوي عن والده أيضاً . وأخوه الشيخ حسين بن عبد الصمد كان قاضي هراة ، قال صاحب رياض العلماء^٤ : كان شاعراً ماهراً في العلوم الرياضيّة له منظومة بالفارسيّة في الجبر والمقابلة . انتهى . يروي عن عمّه شيخنا البهائي بالإجازة ، توجد بعض تعاليقه على بعض الكتب مؤرخاً بسنة ١٠٦٠ .

وأما سائر رجالات هذه الأسرة الكريمة فوالد المترجم له الشيخ عبد الصمد من نوابغ الطائفة ، وعلمائها البارعين ، وصفه شيخ الطائفة الشهيد الثاني في إجازته لولد

١ . رياض العلماء ٢ : ١١٠ .

٢ . أمل الآمل ١ : ١٥٥ ، رقم ١٥٨ .

٣ . رياض العلماء ٢ : ١٠٨ - ١٢١ .

٤ . المصدر السابق : ١١١ .

المترجم له^١ بالشيخ الصالح العامل العالم المتقن، وأثنى عليه السيّد حيدر البيروي في إجازته^٢ للسيّد حسين المجتهد الكركي ب: الشيخ العالم العامل، خلاصة الأخيار، وزين الأبرار، الشيخ عبد الصمد، ولد سنة ٨٥٥ في ٢١ محرّم وتوفي سنة ٩٣٥ في منتصف ربيع الثاني، ترجمه صاحباً الرياض^٣ وأمل الآمل^٤ وغيرهما.

وأخو المترجم الأكبر الشيخ نور الدين أبو القاسم عليّ بن عبد الصمد الحارثي المولود سنة ٨٩٨ من تلمذة الشهيد الثاني، قال صاحب رياض العلماء^٥: فاضل عالم جليل فقيه شاعر، له منظومة في ألفيّة الشهيد تسمّى بـ الدرة الصفية في نظم الألفيّة، يروي عن المحقّق الكركي بالإجازة سنة ٩٣٥ وقرأ عليه جملة من كتب الفقه.

وأخوه: الشيخ محمد بن عبد الصمد ولد سنة ٩٠٣ وتوفي سنة ٩٥٢.

وأخوه الثالث: الحاجّ زين العابدين المولود سنة ٩٠٩ والمتوفّى سنة ٩٦٥.

وأوعزنا في ترجمة عمّ والد المترجم له الشيخ إبراهيم الكفعمي (ص ٢١٥) إلى ترجمة جدّ المترجم الشيخ شمس الدين محمد، وجدّ والده الشيخ زين الدين عليّ. توجد ترجمة شيخنا عزّ الدين الحسين، وسرد جمل الثناء عليه في كشكوك الشيخ يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين (ص ١٨)، رياض العلماء، أمل الآمل (ص ١٣)، نظام الأقوال في أحوال الرجال^٦، تاريخ عالم آراي عباسي، روضات

١. بحار الأنوار ١٠٨: ١٤٨، رقم ٥٣.

٢. المصدر السابق ١٠٩: ١٦٥، رقم ٧٩.

٣. رياض العلماء ٣: ١٢٨.

٤. أمل الآمل ١: ١٠٩، رقم ٩٨.

٥. رياض العلماء ٤: ١١٤.

٦. تأليف المولى نظام الدين محمد القرشي، تلميذ شيخنا البهائي، ولد المترجم له. (المؤلف)

الجنّات (ص ١٩٣)، مستدرک الوسائل (٣ : ٤٢١)، تنقيح المقال (١ : ٣٣٢)،
الأعلام للزركلي (١ : ٢٥٠)، أعيان الشيعة (٢٦ : ٢٢٦ - ٢٧٠) وفيها فوائد جمّة،
سفينة البحار (١ : ١٧٤)، الكنى والألقاب (٢ : ٩١)، الفوائد الرضويّة (١ : ١٣٨)،
منن الرحمن (١ : ٨)^١.

.....
.....
.....

١ . الكشكول ٢ : ٢٠٢ : لؤلؤة البحرين : ٢٣، رقم ٦ : رياض العلماء ٢ : ١٠٨ : أمل الآمل ١ : ٧٤، رقم ٦٧ :
روضات الجنّات ٢ : ٣٣٨، رقم ٢١٧ : الأعلام ٢ : ٢٤٠ : أعيان الشيعة ٦ : ٥٦ - ٦٦ : سفينة البحار ٢ : ٢٣٨ :
الكنى والألقاب ٢ : ١٠٢ - ١٠٣.

الشيخ عزّ الدين حسين والد الشيخ البهائي في أعيان الشيعة^١

السيد محسن الأمين

٥٢٧٥ هـ - الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي بن حسين بن محمد بن صالح العاملي الجبعي الحارثي الهمداني والد الشيخ البهائي :

مولده ووفاته ومدفنه

في الرياض عن خط المترجم له أنه قال: مولد هذا الفقير الكاتب أول يوم من المحرم سنة ٩١٨ وكتب ولده الشيخ البهائي بخطه تحت مولد أبيه انتقل إلى دار القرار ومجاورة النبي ﷺ والأئمة الأطهار في ٨ ربيع الأول سنة ٩٨٤ فكان عمره ٦٦ سنة وشهرين وسبعة أيام (انتهى). وكانت وفاته بالبحرين بقرية المصلى من قرى هجر ودفن بها.

نسبته

(الحارثي) نسبة إلى الحارث ابن عبد الله الأعور الهمداني صاحب أمير

١. أعيان الشيعة، الإمام السيد محسن الأمين، إعداد السيد حسن الأمين، ج ٩، ص ٢٣٩ - ٢٥٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

المؤمنين(ع). ومن أخص أصحابه (والهمداني نسبة إلى همدان بسكون الميم وبالذال قبيلة من اليمن وللحارث مع أمير المؤمنين(ع) أخبار كثيرة ذكرت في ترجمته.

أقوال العلماء في حقّه

كان المترجم تلميذاً للشهيد الثاني وهو صاحبه في سفر اسلامبول كما يأتي وأجازه الشهيد الثاني بإجازة طويلة مفصلة ذكرها بتمامها الشيخ يوسف البحراني في كشكوله وهي بتاريخ ٩٤١ قال فيها:

ثم إن الأخ في الله المصطفى في الأخوة المختار المرتقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين الشيخ الإمام العالم الأوحـد ذا النفس الطاهرة الزكية والهمة الباهرة العلية والأخلاق الزاهرة الإنسية عضد الإسلام والمسلمين عز الدنيا والدين حسين ابن الشيخ الصالح العالم العامل المتفن المتفن خلاصة الأخيار الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي أسعد الله جده وجدد سعده وكبت عدوه وضده ممن انقطع بكليته إلى طلب المعالي ووصل يقظة الأيام بأحياء الليالي حتى أحرز السبق في مجاري ميدانه وحصل بفضله السبق على سائر أترابه وأقرانه.

وصرف برهة من زمانه في تحصيل هذا العلم وحصل منه على أكمل نصيب وأوفر سهم فقرأ على هذا الضعيف وسمع كتباً كثيرة في الفقه والأصول والمنطق وغيرها فمما قرأه من كتب أصول الفقه مبادئ الوصول وتهذيب الأصول من مصنفات الداعي إلى الله تعالى جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهر قدس سره، وشرح جامع البين في مسائل الشرحين للشيخ الإمام الأعلى شمس الدين محمد ابن مكّي عرج الله بروحه إلى دار القرار وجمع بينه وبين أئمة الأطهار، ومن كتب المنطق رسائل كثيرة منها الرسالة الشمسية للإمام نجم الدين الكاتبي القزويني وشرحها للإمام العلامة سلطان المحققين والمدققين قطب الدين محمد بن محمد بن

أبي جعفر بن بابويه (بويه) الرازي أنار الله برهانه وأعلى في الجنان شأنه، ومما سمع من كتب الفقه كتاب الشرائع والإرشاد، وقرأ جميع كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام من مصنفات شيخنا الإمام الأعلم أستاذ الكل في الكل جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر قراءة مهذبة محققة جمعت بين تهذيب المسائل وتنقيح الدلائل حسبما وسعته الطاقة واقتضت الحال وقرأ وسمع كتب أخرى، انتهى ما أردنا نقله منها.

وفي أمل الآمل كان عالماً ماهراً محققاً مدققاً متبحراً جامعاً أديباً منشئاً شاعراً عظيم الشأن جليل القدر ثقة من فضلاء تلاميذه شيخنا الشهيد الثاني وقد أجازته الشهيد الثاني إجازة عامة مطولة مفصلة نقلنا منها كثيراً في هذا الكتاب، وكان المحقق الكركي الشيخ علي بن عبد العالي أمر أهل عراق العجم وخراسان أن يجعلوا الجدي حال الصلاة بين الكتفين وغير محاريب كثيرة فخالفه المترجم في ذلك وألف فيه رسالة سماها تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان لأن طول تلك البلاد يزيد على طول مكة كثيراً وكذا عرضها فيلزم انحرافهم عن الجنوب إلى المغرب كثيراً ففي بعضها كالشهد بقدر نصف المسافة خمساً وأربعين درجة وفي بعضها أكثر وفي بعضها أقل وكان سافر إلى خراسان وأقام في هراة وكان شيخ الإسلام بها ثم انتقل إلى البحرين وبها مات سنة ٩٨٤ وكان عمره ٦٦ سنة (انتهى).

وفي رياض العلماء كان فاضلاً عالماً جليلاً أصولياً متكلماً فقيهاً محدثاً شاعراً، ماهراً في صنعة اللغز وله ألغاز مشهورة خاطب بها ولده البهائي فأجابه هو بأحسن منها وهما مشهوران وفي المجاميع مسطوران وكان والده وجده أيضاً من العلماء، وكذا ولده الآخر الشيخ عبد الصمد وكان معظماً عند الشاه طهماسب الصفوي بعدما جاء إلى بلاد العجم لما توفي المحقق الشيخ علي الكركي وهو من القائلين بوجوب

الجمعة في زمن الغيبة عيناً والمواظبين على إقامتها في بلاد العجم لا سيما خراسان.

وقال المولى مظفر علي أحد تلاميذ ولده البهائي في رسالته الفارسية التي عملها في أحوال شيخه البهائي على ما حكاه صاحب الرياض: وكان والد هذا الشيخ (أي البهائي) في زمانه من مشاهير فحول العلماء الأعلام والفقهاء الكرام وكان في تحصيل العلوم والمعارف وتحقيق مطالب الأصول والفروع مشاركاً ومعاصراً للشهيد الثاني بل لم يكن له قدس الله سره في علم الحديث والتفسير والفقه والرياضي عديل في عصره وله فيها مصنفات (انتهى).

قوله: مشاركاً ومعاصراً للشهيد الثاني. لفظ المشاركة يستعمل عادة في المشاركة في الدرس عند الشيخ والمترجم له كان تلميذ الشهيد الثاني لا شريكه في الدرس. نعم كان يقابل معه بعض كتب الحديث ولعل الاشتباه حصل من ترجمة العبارة الفارسية إلى العربية، وهذا كما يأتي عن (تاريخ عالم آراي عباسي) من أنه كان مشاركاً للشهيد الثاني في تصحيح الكتب وتحصيل مقدمات الاجتهاد وأجبنا عنه هناك بما يمكن أن يجاب به هنا.

وقال المولى نظام الدين محمد القرشي تلميذ ولده البهائي أيضاً في كتابه نظام الأقوال في أحوال الرجال في حقه: الحسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعي الحارثي الهمداني الشيخ العالم الأواحد صاحب النفس الطاهرة الزكية والهمة العلية والد شيخنا وأستاذنا ومن إليه في العلوم استنادنا أدام الله ظله البهي من أجله مشايخنا قدس الله روحه الشريفة كان عالماً فاضلاً مطلعاً على التواريخ ماهرراً في اللغات مستحضرراً للنوادر والأمثال وكان ممن جدد قراءة كتب الأحاديث ببلاد العجم له مؤلفات جلييلة ورسالات جميلة (انتهى).

ويدل على اعتناؤه بعلم الحديث أنه كتب التهذيب بخط يده وقابله مع شيخه الشهيد الثاني على النسخة التي بخط المؤلف. في الرياض رأيت نسخة التهذيب

التي بخط المترجم وهي التي قابلها مع الشهيد الثاني بالنسخة التي بخط الشيخ طوسي أيضاً بين كتب الشهيد الثاني وعليها خط المترجم بأنه قابل بها. وقرأ فهرست الشيخ الطوسي على شيخه المذكور و صححه وضبطه واشتغل بذلك في شهر رمضان الذي تشتغل الناس فيه بالعبادة لأنهما رأيا أن ذلك من أفضل العبادات في الرياض رأيت نسخة من فهرست الشيخ الطوسي قرأها المترجم على الشهيد الثاني وكتب الشهيد الثاني بخطه في آخرها: أنها أيدى الله تعالى وسدده وأدام مجده وأسعده قراءة وتصحيحاً وضبطاً في مجالس آخرها يوم الأحد منتصف شهر رمضان المبارك سنة ٩٥٤ وأنا الفقير إلى الله تعالى زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي حامداً مصلياً مسلماً (انتهى).

وأنا رأيت هذه النسخة بعينها في طهران عام ١٣٥٣ وعليها خط الشهيد الثاني المذكور كما ذكر، وهو خط جميل وقد كتب تحته هذا خط شيخنا الشهيد الثاني. وأظن أن الكاتب الشيخ البهائي وكتب كاتب النسخة في آخرها ما لفظه وافق الفراغ من هذا الكتاب عشية نهار السبت العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٥٤ وكتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن محمد الحسيني البعلي. وكانت هذه النسخة ملك المترجم ثم انتقلت إلى ولديه الشيخ البهائي وأخيه عبد الصمد وكتب عليها الشيخ البهائي بخطه الجميل: هذا مشترك بيني وبين أخي عبد الصمد أطال الله بقاءه، ثم انتقلت النسخة إلى من وقفها وكتب صورة وقفها على ظهرها وكانت رؤيتي لها قبل مغادرتي طهران بيسير، فتعهد لي السيد الفاضل الصالح النجيب السيد مصطفى الموسوي الشيرازي البيرمي مولداً الرازي موطناً الحجازي لقباً بنسخها فنسخها وأحضرها لي معه إلى دمشق إلى طريقه في الحجاز جزاه الله عني خيراً.

وبالجملة فقد دلت مؤلفاته على رسوخ قدمه وتقدمه في العلوم الدينية من الفقه وعلم الحديث والدراية والتفسير والعلوم الأدبية والرياضيات حتى خطأ المحقق الثاني في أمر القبلة، ومكانته بين العلماء معروفة. وذكره اسكندر بك التركماني

منشئ الشاه عباس الصفوي في كتابه (تاريخ عالم أراي عباسي) الذي هو في تاريخ دولة الشاه عباس الأول الصفوي فقد عقد فيه فصلاً في آخر سيرة الشاه طهماسب الصفوي لذكر المشايخ والعلماء الأعلام والفضلاء ذوي العز والاحترام الذين كانوا في دولة الشاه طهماسب وعد منهم الشيخ البهائي وذكر ترجمة والده أولاً ثم ترجمته. فقال في ترجمة والده ما تعريبه: كان من مشايخ جبل عامل العظام، وكان فاضلاً عالماً في جميع العلوم خصوصاً الفقه والتفسير والحديث والعربية، وصرف خلاصة أيام شبابه في صحبة الشهيد الثاني زبدة العلماء الشيخ زين الدين عليه الرحمة، وكان مشاركاً ومساهماً له في تصحيح كتب الحديث والرجال وتحصيل مقدمات الاجتهاد وكسب الكمال. وبعدما نال الشيخ زين الدين درجة الشهادة بسبب التشيع على يد الروميين (الملوك العثمانية) توجه المشار إليه (المترجم له) من وطنه المألوف إلى بلاد العجم فحظي عند الشاه طهماسب، وصار مصاحباً له معظماً عنده في الغاية وأذعن له علماء العصر بمرتبة الفقاها والاجتهاد وسعى سعيّاً بليغاً في إقامة صلاة الجمعة، وكانت متروكة لاختلاف العلماء في شروطها و صار يقيمها ويأتم به خلق كثير. ثم فوض إليه منصب شيخ الإسلام (وهو أكبر منصب ديني) وتصدى للشرعيات والقضاء بالنيابة في ممالك خراسان عموماً وفي بلدة هراة خصوصاً وتقلد تلك المناصب بها برهة طويلة وكان يشتغل فيها بترويج الشرعية وتنسيق بقاع الخير وإفادة العلوم الدينية وإفاضة المعارف اليقينية وتصنيف الكتب والرسائل وحل المشكلات وكشف غامض المعضلات إلى أن اشتاق إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر سيد الأنام وقبور أبنائه الأئمة الكرام عليه و عليهم أفضل الصلاة والسلام فتوجه إلى الحج والزيارة. وبعدما وفق لذلك ذهب إلى بلد الأحساء والبحرين وأقام بها وصاحب علماءها وفضلاءها إلى أن وافاه أجله في بلد البحرين (انتهى).

وفي الرياض في قوله إنه كان مشاركاً ومساهماً له في تصحيح الكتب الخ نظر لأنه من مشاهير تلاميذ الشهيد الثاني. (انتهى)

(وأقول) المشاركة والمساهمة له في تصحيح الكتب لأنه كان يقابلها معه وفي تحصيل مقدمات الاجتهاد وكسب الكمال، لأنه كان يقرأ عليه فالشيخ يقرئ والتلميذ يقرأ فهما شريكان في تحصيل مقدمات الاجتهاد وكسب الكمال.

وبالجملة فهذا الرجل مفخرة من مفاخر جبل عامل فهو لا يقتصر على أن يكون فقيهاً بارعاً ومحدثاً جامعاً حتى تصبو نفسه إلى السفر مع شيخه الشهيد الثاني إلى عاصمة ملك العثمانيين وأخذ التدريس في أحد مدارس المدن العثمانية ويسافر في البلاد ويدخل بعض علماء حلب في مذهب أهل البيت بحجته البالغة، ثم لما وقع على شيخه ما وقع من القتل الفظيع بسبب التعصب الديني الشنيع الذي أوجب الخوف والاستذلال في علماء بلاده لم ترض نفسه بتحمل ذلك، فهاجر بأهله وعياله وأولاده إلى بلاد إيران. ولم تمنعه الغربة عن أن يكون المقدم على علماء تلك البلاد أول وروده إليها فيسند إليه أكبر منصب ديني فيها ويكون معظماً إلى الغاية عند ملوكها وأمرائها وعلمائها وأن يختاره ملكها المسلط الواسع المملكة لمشيخة الإسلام في عاصمة ملكه قزوين، فيقيم فيها سبع سنين يدرس ويعظ وينشر علوم أهل البيت ولا بد أن يكون تعلم الفارسية لسان أهلها وأتقنه حتى يتيسر له ذلك.

ويقيم صلاة الجمعة المتروكة ثم يختاره لمشيخة الإسلام في المشهد المقدس الرضوي أحد مدن إيران الكبرى. ثم شيخنا للإسلام في هرة عاصمة بلاد الأفغان بعد فتح الصفوية لها، وما اختاره لذلك إلا لما رأى فيه من الكفاءة التامة لإرشاد أهلها وجلهم على غير مذهب أهل البيت. وغير خفي حراجه مثل هذا الموقف فيتمكن ببراعته وسعة علمه وقوة معرفته من تأدية هذه الرسالة على أكمل وجه فيقيم فيها ثمان سنين ثم يفارقها ويترك تلك المناصب زهداً في الحياة الفانية وهي

من أنزه بلاد الله وأجملها وأكثرها خيرات كما يدل عليه وصف البهائي لها في أرجوزة تأتي في ترجمته .

ويعزم على مجاورة بيت الله الحرام وما كان طلبه للرخصة في الحج إلا بهذا القصد فقد جرت العادة بأن من يريد ترك خدمة السلطان يتعلل بالحج فيطلب الرخصة فيه ، حيث لا يمكن أن لا يأذن له لثلا يقال: إنه يصد عن حج بيت الله فيحج ثم لا يعود (وفي عصرنا كان من يريد ملوك إيران تبعيده من العلماء يقولون له صار لك مدة لم تحج فلو ذهبت إلى الحج فيعلم أنه مبعد بصورة مجملة فيذهب للحج فإذا أراد العودة لم يرخصوه).

ثم يعدل المترجم عن هذا العزم ويسكن بلاداً على الضد مما كان فيه فيسكن البحرين بلد الفقر والفاقة كجبل عامل لطيف يراه ويستدل منه على أن سكنها أقرب لمرضاة الله ولم يكتف بذلك لنفسه ، حتى طلب الرخصة لولده وحاول أن يحمله على مثل ذلك ، وكتب إليه في ذم سكنى إيران ليس ذلك إلا زهداً في الدنيا وحباً بالعزلة وإلا فلم يلق هو وولده في إيران إلا كل تعظيم وإكرام. إن رجلاً كهذا لهو قوي الإرادة ماضي العزيمة حاكم على شهوة نفسه قبل أن تحكم عليه ولم تشغله هذه الحالات عن أن يصنف ويؤلف المؤلفات النافعة ويستنسخ كتب الحديث بيده ويقابلها بنفسه . وكأن ما كتبه المترجم إلى ولده البهائي بقي في مخيلته وانطبع في نفسه فلم تمض مدة طويلة حتى ترك الرياسة العظيمة وفارق إيران - ولعله كان ذلك برخصة الحج - وساح في الدنيا ثلاثين سنة بزي الدراويش وتحمل مشقة الأسفار على تلك الصفة وشظف العيش ليس سنة أو سنتين بل ثلاثين سنة وهو يقول في كشكوله - تبرماً بما هو فيه من الرياسة - لو لم يأت والذي إلى بلاد إيران لما ابتليت بصحبة السلطان. ويأسف على أن لا يكون عيشه كعيش شيخ والده الشهيد الثاني الذي يحرس كرمه في الليل ويحضر إلى الدرس نهاراً ويبنى داره بيده وكعيش شيخ الشهيد الثاني الشيخ علي الميسي الذي يحتطب بنفسه ليلاً له

ولتلاميذه، كل ذلك يدلنا على زهد هؤلاء في الدنيا الفانية وانصراف أنظارهم إلى الدار الباقية.

وقد أصاب علماء جبل عامل في عصر الملوك الصفوية لا سيما عصر الشاه عباس الأول وعصر الشاه طهماسب الذي ملك أربعاً وخمسين سنة حظاً عظيماً فكانوا شيوخ الإسلام في هذه الدولة في أهم مدنها. وكان هذا المنصب أعظم منصب علمي ديني.

وقال صاحب الرياض وأمل الآمل أن معناه قاضي القضاة وفوضت إليهم الأحكام وشؤون الدولة الدينية وأطيعت أوامرهم وكان إلى جملة منهم القضاء والإفتاء وكفى أن الشاه طهماسب يأمر وزيره بإلزام ابنه خدابنده بحضور درس المترجم له ووعظه كل جمعة، وذلك كالمحقق الكركي وولده والشيخ علي المنشار والمترجم وولده البهائي والسيد حسين بن حسن الموسوي الكركي والسيد حسين بن حسن الأعرجي الحسيني الكركي والسيد حسين بن حيدر الحسيني الكركي ومحمد ابن الحسن بن الحر وغيرهم ممن ذكرنا أحوالهم واعتلاء شأنهم في إيران. ومما سمعت تعلم اجتهد الملوك الصفوية في إكرام العلماء وتأييد المذهب الجعفري والدعاية إليه، وتعيين والد البهائي لمشيخة الإسلام بهرة بعد فتحها وفي غيرها قبل ذلك دليل على ما ذكرناه.

أحواله وأخباره

علاقته بالشهيد الثاني وسفره معه إلى اسلامبول

كان مواطناً للشهيد الثاني في جبع وقرأ عليه وتخرج به وصاحبه في سفره إلى اسلامبول سنة ٩٥٢ لطلب تدريس مدرسة من المدارس، وكانت لهذه المدارس أوقاف يقبضها المدرسون ويأخذون بذلك مرسوماً من السلطان العثماني في اسلامبول فذهبوا جميعاً براً من طريق حلب إلى اسلامبول ووصلا إلى حلب يوم الأحد ١٦ المحرم سنة ٩٥٢ وأقاما بها إلى ٧ صفر من السنة المذكورة، ثم ارتحلا

إلى إسلامبول فوصل في ١٧ ربيع الأول منها فأخذ الشهيد الثاني تدريس المدرسة النورية ببعلبك والمترجم تدريس مدرسة في بغداد وأقاما في إسلامبول ثلاثة أشهر ونصفاً وخرج الشهيد منها يوم السبت ١١ رجب سنة ٩٥٢ إلى اسكدار وأقام بها ينتظر وصول صاحبه الشيخ حسين بن عبد الصمد لأنه احتاج إلى التأخر عنه تلك الليلة.

قال الشهيد الثاني ومن غريب ما اتفق لي حينما نزلت بإسكدار أنني اجتمعت برجل هندي له فضل ومعرفة بفنون كثيرة منها الرمل والنجوم فقلت له: إن قاضي العسكر أشار علي بأن أسافر يوم الاثنين وخالفته وجئت في يوم السبت حذرا من نحس يوم الاثنين لكونه ثالث عشر الشهر وكان قد ذكر لي قاضي العسكر أن يوم الاثنين جيد للسفر لا يكاد يتفق مثله بالنسبة إلى أحكام النجوم وأن سعدة يغلب نحسه بسبب كونه ثالث عشر فقال لي الهندي: على البديهة صدق القاضي وأما يوم السبت الذي خرجت فيه فهو صالح لكنه يقتضي إنك تقيم في هذه البلدة أياماً كثيرة. فاتفق الأمر كما قال فإن الشيخ حسين بعد مفارقتي بحث أمر المدرسة التي كان أعطاها إياها القاضي ببغداد فوجد أوقافها قليلة فاحتاج إلى إبدالها بغيرها فتوقف لأجل ذلك أحد وعشرين يوماً.

هذا ما نقله الشيخ بهاء الدين محمد بن علي بن الحسن العودي الجزيني تلميذ الشهيد الثاني عن الشهيد الثاني في رسالته في أحوال شيخه المذكور عرضاً من أحوال المترجم. وهذا من الشهيد الثاني وتلميذه يدل على علو الهمة. وبعد النظر وعدم الجمود في علماء جبل عامل مع ما كانوا فيه من الضغط والاضطهاد من ملوك الدولة العثمانية وأمرائها وعلمائها ولم يعلم تدريس أي مدرسة أخذ بعد أن ترك مدرسة بغداد أم أنه لم يأخذ تدريس غيرها، لكن علمنا من تاريخ ولادة ولده الشيخ البهائي ببعلبك في ١٨ ذي الحجة سنة ٩٥٣ إنه كان في ذلك الوقت ببعلبك،

ولعله أخذ تدريس مدرسة أخرى بها أو جاء مع الشهيد الثاني إليها وبقي يقرأ عليه، والله أعلم.

فإن الصواب أن ولادة البهائي كانت ببعلبك ومن قال إنه ولد بقزوين فقد اشتبه بأخيه عبد الصمد، مع أن سفر المترجم إلى إيران كان بعد قتل شيخه الشهيد الثاني الذي استشهد سنة ٩٦٥ كما ستعرف، فيمكن أن يكون المترجم سافر مع الشهيد الثاني من اسلامبول إلى خراسان لزيارة المشهد الرضوي، ثم إلى العراق لزيارة المشاهد الشريفة بها، ثم عادا إلى الوطن.

ويمكن أن يكون المترجم فارق الشهيد الثاني من اسكدار وعاد إلى بعلبك أو غيرها، فالشاهد الثاني يقول في وصف رحلته هذه خرجنا من اسكدار يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان سنة ٩٥٢ ووصلنا إلى مدينة سيواس يوم الاثنين لخمس بقين من شعبان، وخرجنا منها يوم الأحد ٢ شهر رمضان وخرجنا في حال نزول الثلج وبتنا ليلة الاثنين على الثلج، ومن غريب ما اتفق لي تلك الليلة إن نمت يسيراً فرأيت كأني في حضرة شيخنا الجليل الكليني ومعني جماعة من أصحابي منهم رفيقي وصديقي الشيخ حسين بن عبد الصمد الخ.

وظاهر قوله رفيقي إنه رفيقه في ذلك السفر حال رؤيته المنام لا الذي كان رفيقه قبلاً، ثم إنه ما انتظره في اسكدار إلا ليرافقه ولو كان فارقه من اسكدار لذكر ذلك ولم يذكر إنه بقي معه لأنه باق على ما كان عليه قبل. وإذا كان الشهيد الثاني وصل اسكدار ١١ رجب سنة ٩٥٢ وانتظر المترجم بها ٢١ يوماً ثم خرجا يكون خروجهما منها في ٢ شعبان سنة ٩٥٢ كما ذكره الشهيد الثاني في الرحلة هذا.

ولكن الشهيد الثاني قال في آخر الرحلة وكان وصولنا إلى البلاد ١٥ صفر سنة ٩٥٣ وبعدها باشر التدريس في بعلبك ولم يعلم مدة بقائه فيها.

قال: ثم فارقتها إلى بلدنا وبقينا في بلدنا إلى سنة ٩٥٥ وإذا كانت ولادة البهائي في بعلبك في ١٨ ذي الحجة سنة ٩٥٣ تكون ولادته قبل ورود الشهيد الثاني إليها

بشهرين إلا يومين ، فيكون المترجم قد وردّها في ذلك التاريخ أو قبله إلا أن يكون البهائي ولد في غياب أبيه أو يكون قد فارق الشهيد الثاني من العراق وجاء قبله بمدة إلى بعلبك أو فارقه من اسكدار، الله أعلم.

ثم إن المترجم كان في سنة ٩٥٤ باقياً في جبل عامل كما يدل عليه مقابلته كتب الحديث مع شيخه المذكور بهذا التاريخ كما مر.

سفره إلى إيران وسببه

ثم سافر بأهله وعياله وأتباعه وفيهم ولده البهائي إلى إيران بعد شهادة شيخه الشهيد الثاني كما صرح به صاحب تاريخ عالم أراي فيما مر وكما يدل عليه قول المترجم في خطبة رسالته في الدراسة - التي يظهر أنه ألفها في إيران :-
ومما حثني على تأليف هذه الرسالة بعد هربي من أهل الطغيان والنفاق وأوجهه علي بعد اتصالي بدولة الإيمان والوفاق الخ.

فدل على أنه كان الباعث على سفره ما حدث من الخوف على العلماء في جبل عامل بسبب ما جرى على الشهيد الثاني ولم يكن لهم ملجأ في ذلك الوقت غير إيران التي عرف ملوكها بتعظيم أهل العلم مضافاً إلى علو همته واعتياده على الأسفار وتحمل المشاق.

أما تاريخ سفره إلى إيران فيمكن كونه في أثناء سنة ٩٦٥ التي استشهد فيها شيخه المذكور، ويمكن كونه في السنة التي بعدها أو أكثر. والاعتبار يقتضي أن يكون سفره فيها أو بعدها بقليل.

أمّا ما حكاه صاحب اللؤلؤة عن بعض مشايخه المعاصرين من أن المترجم لما سافر من جبل عامل إلى إيران كان عمر ولده البهائي سبع سنين، فلا يكاد يصح لأن البهائي ولد سنة ٩٥٣ فإذا كان عمره عند سفر أبيه سبع سنين يكون سفر أبيه سنة ٩٦٠، فيكون سفره في حياة الشهيد الثاني لا بعد شهادته وقد عرفت أنه كان بعد شهادته.

وصوله إلى أصفهان وانتقاله إلى قزوین

فوصل أولاً إلى أصفهان وكانت عاصمة الملك يومئذ قزوین وبها الشاه طهماسب الصفوي الأول، وكان في أصفهان عالم من علماء جبل عامل وهو الشيخ زين الدين علي العاملي المعروف أبوه بمنشار، وهو الذي تزوج الشيخ البهائي بعد ذلك ابنته. وكان الشيخ علي المذكور شيخ الإسلام بأصفهان في ذلك الوقت فعطفته على المترجم عاطفة الوطن بكون كل منهما عاملياً وما رأى من فضل المترجم ومن مهاجرته بأهله وعياله مع قلة ذات يده في مثل تلك الحال وهو في بلاد الغرب. ولا بد أن الشيخ علي كان على جانب من التقوى والإخلاص فلم تخالجه سجية الحسد الموجودة في جملة من أهل العلم الذين يخافون من تفوق غيرهم أن يفوتهم شيء من عرض الدنيا، فأخبر الشيخ علي الشاه طهماسب بورود المترجم إلى أصفهان ووصف له علمه وفضله وجلالة قدره وكان الملوك الصفوية في حاجة إلى مثل المترجم لينصبوه في مرتبة شيخ الإسلام، فأرسل الشاه إليه بهدايا ولعل هذه العاطفة سببت تزوّج البهائي بابنة الشيخ علي المنشار المذكور.

وفي الرياض^١ إن المترجم توجه في زمن الشاه طهماسب الصفوي من جبل عامل مع جميع توابعه وأهل بيته إلى أصفهان وأقام بها ثلاث سنين، مشتغلاً بإفادة العلوم الدينية وإفضاء المعارف اليقينية، ويستفيد منه فيها علماء عراق العجم. ولما اطلع الفاضل الشيخ علي الملقب بالمنشار الذي هو شيخ الإسلام بأصفهان على وروده أخبر الشاه طهماسب بوروده وكان الشاه في بلدة قزوین فكتب الشاه كتاباً بخط يده إلى المترجم وأرسل له الخلعة وطلب منه الحضور إلى بلدة قزوین مقر سلطنته في ذلك الوقت؛ فحضر إلى قزوین فعظمه الشاه وبجله غاية التعظيم

١. يمكن أن يكون ذلك من كلامه ويمكن كونه من تنمة كلام مظفر علي في رسالته الفارسية المار ذكرها وذكر

صدر كلامه فيها. (المؤلف)

والتبجيل وجعله شيخ الإسلام بقزوين وهو أكبر منصب علمي ديني في الدولة الصفوية كما كان في الدولة العثمانية.

وصاحب الرياض يقول إنه بمنزلة منتصب قاضي القضاة، واستمر على ذلك سبع سنين. وكان يقيم بها صلاة الجمعة بدل الظهر فإنه ممن يرى وجوب صلاة الجمعة عيناً كما هو رأي شيخنا الشهيد الثاني (انتهى)

قال المؤلف: ربما كان رأي الشهيد أولاً ثم عدل عنه إلى الوجوب التخييري. والعلماء العامليون الذين هاجروا من أوطانهم إلى بلاد أخرى قد ظهر فيهم نوابغ ظهرت لهم مقامات عالية في كل عصر وزمان.

ثم إن في كلام صاحب الرياض المتقدم ما يوشك أن يكون متدافعاً فهو يقول في أوله أنه توجه من جبل عامل إلى أصبهان وأقام بها ثلاث سنين ثم يقول لما اطلع الشيخ علي المنشار على وروده أخبر الشاه بذلك فأحضره إلى قزوين والتدافع بينهما ظاهر فصدر الكلام يقتضي أنه حضر إلى قزوين بعد إقامته بأصبهان ثلاث سنين وما بعده يدل على أنه حضر إليها بعد وروده إلى أصفهان بمدة يسيرة ولم تطل إقامته بأصفهان ثم العادة قاضية بأن يكون أخبار الشيخ علي للشاه عند أول وروده إلى أصفهان لا بعد أن يقيم بها ثلاث سنين على أنه إذا كان جاء إلى أصفهان سنة ٩٦٥ وأقام بها ثلاث سنين وفي قزوين سبع سنين ومدة في المشهد كما يأتي وأقل ما يفرض فيها سنة أو بعض سنة وفي هراة ثمان سنين كما يأتي يكون قد بقي في هراة إلى سنة ٩٨٤ مع أن وفاته كانت في تلك السنة فأين ذهبت مدة إقامته في البحرين. فالظاهر أن إقامته ثلاث سنوات بأصبهان وقع سهواً من النساخ، فإن الرياض كانت أجزاءه باقية في المسودات وبيضاها من جاء بعده فوضع بعض ما كان في الهامش في غير موضعه. وأن إقامة ثلاث سنين كانت في البحرين لا في أصفهان. وأن قوله ويستفيد منه فيها علماء عراق العجم إلى إقامته في قزوين كل هذه في الهامش فوضعها النساخ في غير مواضعها.

سفره إلى المشهد المقدس الرضوي

قال: ثم فوض إليه منصب شيخ الإسلام في المشهد المقدس الرضوي والإقامة فيه فأقام فيه مدة.

سفره إلى هراة

قال: ثم لما كان أكثر أهل هراة في ذلك الوقت غير عارفين بالأئمة الاثني عشر وبمذهب أهل البيت عليهم السلام، أمره الشاه المذكور بالتوجه إلى هراة والإقامة بها لإرشاد أهلها وأعطاه ثلاث قرى من قرى تلك البلاد وأمر الشاه المذكور الأمير (شاه قلبي سلطان يكان أعلى) حاكم بلاد خراسان بأن يحضر الأمير محمد خدا بنده ميرزا ولد الشاه طهماسب، كل يوم جمعة بعد الصلاة إلى الجامع الكبير بهراة إلى خدمة المترجم لاستماع الحديث والفقه. وأمر حاكم خراسان المذكور أن يكون منقاداً لأوامر المترجم ونواهيته، وأن لا يخالفه أحد فأقام المترجم بهراة ثمان سنين على هذا المنوال مشغلاً بإفادة العلوم الدينية وإجراء الأحكام الشرعية وإظهار الأوامر الملوية فتشيع لذلك خلق كثير ببركة أنفاسه في هراة ونواحيها، وتوجه إلى حضرته الطلبة بل والعلماء والفقهاء من الأطراف والأكناف من أهل إيران وتوران لأجل مقابلة الحديث وأخذ العلوم الدينية وتحقيق المعارف الشرعية.

ثم إنه توجه من هراة إلى قزوین لملاقاة الشاه بها وطلب الرخصة منه له ولولده البهائي بحج بيت الله الحرام فأذن الشاه له ولم يأذن لولده لئلا تخلو هراة من مرشد وأمر ولده الشيخ البهائي بالإقامة في هراة والاشتغال بتدريس العلوم الدينية.

وبالطبع كان ولده المذكور مقيماً معه في هراة مدة مقامه بها وكذلك في قزوین والمشهد وقد اقتفى طريق أبيه في هذه المدة وتعلم منه وسلك مسلكه وهو في ريعان الشباب لا يزيد سنة عن خمس وعشرين سنة إلا قليلاً فإنه كان عمره لما جاء مع أبيه سبع سنين على قول البعض أو أكثر وبقي معه في قزوین سبع سنين وفي المشهد نحو سنة أو أكثر وفي هراة ثمان سنين، فهذه ثلاث وعشرون سنة فأذا

أضفنا إليها سنتين مما يمكن أن يكون أقامه في المشهد مع بعض الكسر كانت خمساً وعشرين أو أزيد بقليل. فأقام البهائي في هراة مكان أبيه مشتغلاً بما كان يشتغل به ساداً مسده أو موفياً عليه وقد تعلم اللغة الفارسية وأتقنها فإنه دخل إيران وعمره حوالي سبع سنين وتوجه أبوه إلى الحج وزار المدينة المنورة، ورجع من طريق البحرين وتوطنها وكتب إلى ولده الشيخ البهائي ما معناه إن كانت تريد الدنيا فاذهب إلى الهند وإن كنت تريد الآخرة فاذهب إلى البحرين وإن كنت لا تريد الدنيا ولا الآخرة فتوطن ببلاد العجم، ولكن ما أسداه إليه الشاه لا يوجب ذلك، وقد نظم في نظير ذلك بعض شعراء العجم فقال في رباعية له.

دنيا خواهي بجانب هند كذر عقيب خواهي بكر بلا ساز مقر
ورآنكه نه دنيا و نه عقيب خواهي زنهار زایران ننهي پای به در
قال: وأقام المترجم في بلاد البحرين واشتغل بتدريس العلوم الدينية برهة من الزمان في أواخر عمره إلى أن توفي بها وقبره معروف مزور متبرك به «انتهى ما في الرياض».

ميله إلى التصوف

في رياض العلماء: كان له رضي الله عنه رغبة في مدح مشايخ الصوفية، ونقل كلماتهم كما هو ديدن ولده الشيخ البهائي أيضاً، وكأنه أخذ ذلك من أستاذه الشهيد الثاني لكن زاد في الطنبور نغمة. ومن ذلك ما أورده في رسالته المسماة بالعقد الطهماسي حيث قال في أواخرها في أثناء موعظته للشاه طهماسب الصفوي ما لفظه: ولهذا كان بعض الملوك والأكابر من أهل الدنيا إذا علت همتهم وكثر علمهم بالله ولحظتهم العناية الربانية تركوا الدنيا بالكلية وتعلقوا بالله وحده كإبراهيم بن آدم وبشر الحافي وأهل الكهف وأشباههم فإنهم لكمال رشدهم لا يرضون أن يشغلوا قلوبهم بغير الله لحظة عين ولكن هذه مقامات آخر ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.

(قال المؤلف): قد ذكرنا في ترجمة ولده البهائي إن الميل إلى التصوف الصحيح لا منقصة فيه كما كان عليه جماعة من علمانا كالشيخ أحمد بن فهد الحلبي وغيره. أما التصوف الباطل فينزه عنه أمثال المترجم وابنه وشيخه الشهيد الثاني وأما مدح مشايخ الصوفية ونقل كلماتهم فلا شك أنه كان لهم فيه غرض صحيح، ومن مدحهم كانوا غالباً على طريقة مستقيمة وتصوف إبراهيم بن أدهم وبشر الحافي وأهل الكهف كان محض الزهد في الدنيا. ومن مثل أهل الكهف غير الأنبياء والمرسلين، فقله: زاد في الطنبور نعمة هفوة منه سامحه الله، وكفى هؤلاء العلماء مدحاً وفخراً ما جرى على أيديهم من المنافع العامة والهداية والإرشاد والمؤلفات التي انتفع بها الناس إلى اليوم وإلى يوم القيامة.

وفي الرياض هو ثاني مؤلف في علم الدراية من طريقة أصحابنا، وقد سبقه أستاذه الشهيد الثاني بذلك (انتهى).

يعني من العلماء المتأخرين، وإلا فقد سبقهما إلى ذلك الحاكم النيسابوري صاحب المستدرک، ولكنه بطرز غير هذا الطرز المتأخر الذي انفرد به الشهيد الثاني وتلميذه، فهذه مفخرة للعلماء العاملين انفردوا بها.

سبب سكناه البحرين وما جرى له فيها

في لؤلؤة البحرين: ذكر بعض مشايخنا المعاصرين أنه لما هاجر من بلاد العجم كان لابنه البهائي سبع سنين. وفي اللؤلؤة وكشكول البحراني: أخبرني والدي قدس الله سره وبحظيرة القدس سره أن السبب في مجيء الشيخ إلى البحرين أنه كان في مكة المشرفة قاصداً الجوار فيها إلى أن يموت وأنه رأى في المنام أن القيامة قد قامت وجاء الأمر من الله سبحانه بأن ترفع أرض البحرين وما فيها إلى الجنة، فلما رأى هذه الرؤيا أثر الجوار فيها والموت في أرضها. ورجع من مكة المشرفة وجاء البحرين ولما سمع علماء البحرين بقدومه وكان لهم مجتمع يجتمعون فيه للدرس،

ويحضره الفضلاء منهم في مسجد من مساجد قرية جد حفص علموا أن الشيخ لا بد أن يحضر بعد قدومه هذا المجتمع . وكان من جملة فضلاء البحرين الشيخ داود بن أبي شافير وكانت له يد طويلة في علم الجدل، وقد كانت بينهم وبينه منافرة أوجبت غضبه وعدم حضوره ذلك المجتمع مدة وخروجه من جد حفص، ولما سمعوا بقدوم الشيخ أرسلوا للشيخ داود المذكور وأصلحوه والتمسوا منه الحضور كما كان سابقاً، فاتفق أن الشيخ لما وصل إلى البحرين زاروه وعظموه بما هو أهله فاتفق أنه سمع بذلك المجتمع فحضره ذات يوم وليس في ذلك الوقت فيهم من هو في مرتبته واتفق البحث كما هي العادة الجارية بين العلماء في جميع الأصقاع، فابتدر الشيخ داود لمنازعة الشيخ والبحث معه مع أنه لا نسبة له في ذلك فأطال النزاع والجدال معه فلما انقضى المجلس مضى الشيخ قدس سره وكتب هذين البيتين ثم لم يحضر بعد هناك حتى توفي:

أناس في أوال قد تصدوا لمحو العلم واشتغلوا بلم لم

فإن باحثهم لم تلق منهم سوى حرفين لم لم لا نسلم

يعني أنه متى ادعى دعوى طلبوا منه الدليل وإذا أقام الدليل منعوا.

وأقام الشيخ في البلاد المذكورة حتى توفي إلى رحمة الله وقبره في قرية المصلى من قرى البحرين معروف إلى الآن (انتهى).

وعن السيد نعمة الله الجزائري إنه كان قاضياً بالبحرين في قرية هجر ولم نجده لغيره.

أخلاقه مع عياله

في مجموعة الشيخ محمد بن علي بن حسين بن محمد بن صالح الجباعي بخط الشيخ البهائي ما صورته: كان والدي طاب ثراه إذا استشير في طبخ طعام جعل الخيرة إلى المستشير ولم أذكر أنه أمر بطعام يشتهيهِ أبداً (انتهى)

مناظرة جرت بينه وبين أحد فضلاء حلب سنة ٩٥١

وذلك قبل سفره إلى إيران وكتب في ذلك رسالة فريدة في بابها. وقد رأيت في النجف الأشرف مجموعة فيها عدة رسائل فقهية للشهيد الثاني بخط تلميذه من آل سليمان العاملين الذي غاب عني اسمه الآن، وعليها إجازة للتلميذ بخط الأستاذ ومع هذه الرسائل رسالة المترجم المذكورة. وقد استنسخت يومئذ أكثر تلك الرسائل ثم طبعت ولم أستنسخ الرسالة المذكورة لأنها لم تكن همتي يومئذ متوجهة إلى مثلها لأنها ليست فقهية. ثم أسفت على عدم استنساخها وبحشت عنها فلم أعثر عليها. ثم إنني وجدتها والحمد لله في كرمانشاه في سفري إلى خراسان سنة ١٣٥٣ فاستنسخها لي السيد البار التقي السيد جواد بن إسماعيل الحسيني جزاه الله خيراً. وتدل هذه المناظرة على أن المترجم كان لا يترك التجوال في البلاد للهداية والإرشاد ويستصحب معه الكتب ويرحل إلى حلب وغيرها التي تبعد عن وطنه مسيرة أيام. وها أنا أنقل هنا أكثر تلك الرسالة قال فيها:

هذه صورة بحث وقع لهذا الفقير إلى رحمة ربه الغني حسين بن عبد الصمد الجباعي في حلب سنة ٩٥١ أضافني بعض فضلائها وكان ذكياً باحثاً، وكان لي معه خصوصية وصداقة وكيدة بحيث لا أتقيه وكان أبوه من أعيان حلب.

فقلت له: إنه يقبح بمثلي ومثلك بعد أن صرف كل منا عمره في تحصيل العلوم الإسلامية وتحقيق مقدماتها أن يقلد في مذهبه الذي يلقي الله به والتقليد مذموم بنص القرآن وليس حجة منجية لأن كل أحد يقلد سلفه فلو كان حجة كان الكل ناجين وليس كذلك.

فقال: هلم نبحث.

فقلت: هل عنكم نص على وجوب اتباع الإمام أبي حنيفة؟

فقال: لا.

فقلت: فما سوغ لك تقلده.

فقال: إنه مجتهد وأنا مقلد والمقلد فرضه أن يقلد مجتهداً من المجتهدين قلت: فما تقول في جعفر بن محمد الصادق هل كان مجتهداً.

فقال: هو فوق الاجتهاد وفوق الوصف في العلم والتقوى والنسب وعظم الشأن وقد عدد بعض علمائنا من تلاميذه نحو أربعمئة رجل كلهم علماء فضلاء مجتهدون والإمام أبو حنيفة أحدهم.

فقلت: قد اعترفت باجتهاد وتقواه وجواز تقليد المجتهد ونحن قد قلدناه فمن أين تعلم إنا على الضلالة وإنكم على الهداية مع أنا نعتقد عصمته وإنه لا يخطئ بل ما يحكم به هو حكم الله ولنا على ذلك أدلة مدونة وليس كأبي حنيفة يقول بالقياس والرأي والاستحسان. ويجوز عليه الخطأ، وبعد التنزل عن عصمته والاعتراف بأنه يقول بالاجتهاد كما تزعمون فلنا دلائل على جواز أبتاعه ليس في أبي حنيفة واحد منها.

أحدهما: إجماع أهل الإسلام حتى الأشاعرة والمعتزلة على غزارة علمه ووفور تقواه وعدالته وعظم شأنه بحيث أني إلى يومي هذا مع كثرة ما رأيت من كتب أهل الملل والتواريخ والسير وكتب الجرح والتعديل ونحو ذلك لم أرقط طاعنا طعن عليه بشيء من مخالفه وأعداء شيعته مع كثرتهم وعظم شأنهم في الدنيا لأنهم كانوا ملوك الأرض والناس تحب التقرب إليهم بالصدق والكذب ولم يقدر أحد أن يفترى عليه كذباً في الطعن ليتقرب به إلى ملوك عصره وما ذاك إلا لعلمه إنه إذا افترى كذباً كذبه كل من سمعه وهذه مزية تميز هو وآباؤه وأبناؤه الستة بها عن جميع الخلق فكيف يجوز ترك تقليد من أجمع الناس على علمه وعدالته وجواز تقليده وتقليد من وقع فيه الشك والطعن مع أن الجرح مقدم على التعديل كما تقرر وهذا إمامكم الغزالي صنف كتاباً سماه النجل موضوعه الطعن عليه بل فوق الطعن وصنف بعض فضلائكم كتاباً أسماه النكت الشريفة في الرد عليه رأيته في مصر ذكر فيه جميع ما ذكره الغزالي وزاد أشياء آخر ولا شبهة في وجوب تقليد المتفق على علمه وعدالته

لأن ظن الصواب معه أغلب ولا يجوز العمل بالمرجوح مع وجود الراجح إجماعاً والجرح مقدم على التعديل كما تقرر.

وثانياً : أنه عندنا من أهل البيت المطهرين بنص القرآن والتطهير هو التنزيه من الآثام وعن كل قبيح كما نص عليه ابن فارس في مجمل اللغة وهذا نفس العصمة التي يدعيها الشيعة وأبو حنيفة ليس منهم إجماعاً ويتحتم تقليد المطهرين بنص القرآن لتيقن النجاة معهم. فقال: نحن لا نسلم أنه من أهل البيت إذ قد صح في أحاديثنا أنهم خمسة. فقلت: سلمنا أنه ليس من الخمسة ولكن حكمه حكمهم في العصمة ووجوب الاتباع لوجهين

الأول : إن كل من قال بعصمة الخمسة قال بعصمته ومن لا فلا وقد ثبتت عصمة الخمسة بنص القرآن فثبتت عصمته لأنه قد وقع الإجماع على أنه لا فرق بينه وبينهم فالقول بعصمتهم دونه خلاف إجماع المسلمين.

الثاني : أنه قد اشتهر بين أهل النقل والسير أن جعفر الصادق وآباءه عليهم السلام لم يترددوا إلى مجالس العلماء أصلاً ولم ينقل ترددهم مخالف ولا مؤالف مع كثرة المصنفين في الرجال وطرق النقل وتعداد الشيوخ والتلاميذ وإنما ذكروا أنه أخذ العلم عن أبيه محمد الباقر - وذكروا أنه أخذ العلم عن أبيه زين العابدين وهو أخذ عن أبيه الحسين (عليهم السلام)، وهو من أهل البيت إجماعاً وقد صح عندنا عنهم (عليهم السلام)، إنه لم يكن قولهم بطريق الاجتهاد ولهذا لم يسأل أحد منهم قط صغيراً ولا كبيراً عن مسألة فتوقف في جوابها أو احتاج إلى مراجعة وقد صرحوا (عليهم السلام) بأن قول الواحد منهم كقول آبائهم وقول آبائهم كقول النبي ﷺ. وثبت ذلك عندنا بالطرق المصححة المتصلة بهم فقوله هو قول المطهرين بنص القرآن.

وثالثها : ما ثبت في صحاح أحاديثكم بالطرق الصحيحة المتكثرة المتحدة المعنى المختلفة اللفظ من قوله (ع) إني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي

الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .
وفي بعض الطرق إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي ، فصرح بأن المتمسك
بكتاب الله وعترته لن يضل ولم يتمسك بهما إلا الشيعة كما لا يخفى . وأما باقي
الطوائف فإنهم جعلوا عترته كباقي الناس وتمسكوا بغيرهم ولم يقل مخلف فيكم
كتاب الله وفلان وفلان من أهل المذاهب فكيف يجوز ترك المتمسك بمن يتحقق
النجاة بالتمسك به ويتمسك بمن لم تعلم النجاة معه إن هذا لمحض السفه والضلال
وهذا يقتضى العلم بوجوب أتباعهم وأن نوزع فيه فلا ريب في اقتضائه ظن وجوب
الأتباع وذلك كاف لوجوب العمل بالراجح وحيث لهم هذه المرجحات على غيرهم
من المجتهدين فلا يكون العدول عنهم إلا اتباعاً للهوى والتقليد المألوف .
فقال : أنا لا أشك في اجتهادهم وغازاة علمهم ونجاة مقلدهم ولكن مذهبهم لم
ينقل ولم يشتهر كما نقلت مذاهب الأربعة .

فقلت : إن كان مرادك إن الحنفية والشافعية لم ينقلوا مذهب أبي حنيفة
وبالعكس، وكذا باقي المذاهب وليس ذلك طعناً فيها عندكم .

وإن كان مرادك إنه لم ينقله أحد من المسلمين فهذه مكابرة محضة لأن شيعتهم
وكثيراً من أهل السنة وباقي الطوائف قد نقلوا أقوالهم وآدابهم وعاداتهم واعتنى
الشيعة بذلك أشد الاعتناء وبحثوا عن تصحيح الناقلين وجرحهم وتعديلهم كل
البحث وهذه صحاح أحاديثهم وكتب الجرح والتعديل عندهم مدون مشهورة بينهم
لا يمكن إنكارها . وعلماء الشيعة وإن كانوا أقل من علماء السنة ولكن ليسوا أقل
من فرقة من فرق المذاهب الأربعة خصوصاً الحنابلة والمالكية ، فإن الشيعة أكثر
منهم يقيناً ولم يزل بحمد الله علماء الشيعة في جميع الأعصار أعلم العلماء وأنقاهم
وأحذقهم في فنون العلم أما في زمان الأئمة الاثني عشر فواضح أنه لم يساوهم
أحد في علم ولا عمل حتى فاق تلاميذهم بغزارة العلم وقوة الجدل كهشام بن
الحكم وهشام ابن سالم جميل بن دراج وزارة بن أعين ومحمد بن مسلم وأشباهم

ممن قد عرفهم مخالفوهم في المذهب وأثنوا عليهم بما لا مزيد عليه .

وأما بعد زمان الأئمة فمنهم مثل بني بابويه والشيخ المفيد والشيخ الطوسي والسيد المرتضى وأخوه وابن طاوس وخواجه نصير الدين الطوسي وميثم البحراني والشيخ أبي القاسم المحقق والشيخ جمال الدين بن المطهر الحلي وولده فخر المحققين وأشباههم من المشايخ المشاهير الذي قد ملؤوا الخافقين بمصنفاتهم ومباحثهم ومن وقف عليها علم علو شأنهم وبلوغهم مرتبة الاجتهاد وقوة الاستنباط .

وإنكار ذلك إما لتنصب أو جهل فقد لزمك القول بصحة مذهبنا وأرجحية من قلدنا بل يلزم ذلك كل من وقف نفسه على جادة الإنصاف ، ولا يلزمن القول بصحة مذهبك لأننا قد شرطنا في المتبع العصمة فنكون نحن الفرقة الناجية إجماعاً . وأنتم وإن لم تقولوا بصحة مذهبنا ولكن يلزمكم ذلك بحسب قواعدكم للدليل المسلم المقدمات عندهم إذ سبب نجاتكم إنكم قلدتم مجتهداً وهذا بعينه حاصل لنا باعترافكم مع ترجيحات فيمن اتبعناه لا يمكنكم إنكارها فبهت ولم يجب بشيء .

ولكن عدل عن البحث وقال: إني سائلك عن قولكم في أكابر الصحابة وأقربهم من رسول الله ﷺ الذين نصره بأموالهم وأنفسهم حتى ظهر الدين بسيوفهم في حياته وبعد موته حتى فتحوا البلاد ونصروا دين الله بكل ما أمكنهم والفتوحات التي فتحها الخليفة الثاني ، لم يقع مثلها في زمن أحد من الخلفاء وهي أكثر من الفتوحات التي وقعت في زمن النبي ﷺ كمصر والشام وبيت المقدس والروم والعراق وخراسان وعراق العجم وتوابع ذلك مما يطول شرحه ولا يمكن إنكاره كما لا يمكن إنكار قوته في الدين وسطوته وشدة بأسه وإني إذا نظرت في أدلتكم وجدتها واضحة قوية وإذا نظرت قولكم في أكابر أصحاب رسول الله ﷺ وخواصه الذين سبقوا في الإسلام وكانوا من المقربين عنده حتى تزوج بناتهم وزوجهم بناته ومدحهم الله في كتابه بقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ۞ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فإذا رأيت ذلك نفرت نفسي وجزمت بفساد مذهبكم.

فقلت له: ليس في مذهبنا وجوب القدح في أحد منهم وإنما قد يقع ذلك من عوام الناس المتعصبين، وأما علماؤنا فلم يقل أحد منهم بذلك، وأقسمت له أنه لو عاش أحد ألف سنة وهو يتدين بمذهب أهل البيت ويتولاهاهم ويبرأ من أعدائهم ولم يقم منه ما قلت لم يكن مخطئاً ولا في إيمانه قصور، فتهلل وجهه.

فقلت له: فإذا ثبت عندك غزارة علم أهل البيت واجتهادهم وعدالتهم وترجيحهم على غيرهم فهم أولى الاتباع فتابعهم.

فقال: أشد أني متابع لهم، لكني لا أقدح في الصحابة.

فقلت له: لا تقدح في أحد منهم ولكن إن اعتقدت عظم شأن أهل البيت عند الله ورسوله فما تقول فيمن عاداهم وآذاهم؟

فقال: أنا بريء منه. وأشهد الله وملائكته ورسله إنه محب لهم ومتابع وبريء من أعدائهم، وطلب مني كتاباً في فقههم فأعطيته المختصر النافع. وتفرقنا (إلى أن قال):

فقلت له في ليلة أخرى ما تقول في الصحابة الذين قتلوا الخليفة الثالث؟

فقال: إن ذلك وقع باجتهادهم وإنهم غير مأثومين وقد صرح أصحابنا بذلك.

فقلت له: ما تقول في الصحابة الذين حاربوا علياً يوم الجمل وقتل في حربهم من الفريقين نحو ستة آلاف؟ وما تقول في الذين حاربوه في سفين وقتل من الفريقين نحو ستين ألفاً؟

فقال: كالأول، فقلت: هل جواز الاجتهاد مقصور على فرقة من المسلمين دون

فرقة.

فقال: لا، كل أحد له صلاحية الاجتهاد.

فقلت: إذا جاز الاجتهاد في قتل أكابر الصحابة وقتل خلفاء المسلمين وحرب

أخي رسول الله ﷺ وابن عمه وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين أعلم الخلق

وأزهدهم وأقربهم من رسول الله ﷺ ووارث علمه الذي قام الإسلام بسيفه ومن أثنى عليه ورسوله بما لا يمكن إنكاره حتى جعله الله ولي الناس كافة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعنى علياً بالإجماع.

وقال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، أنا مدينة العلم وعلي بابها، اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وأشبه ذلك مما يطول تعداده فلم لا يجوز الاجتهاد فيما هو دون ذلك؟ فنحن نوالي المخلصين منهم ونسكت عن المجهول حاله، ومدح الله لهم في القرآن نقول به لأنهم ممدوحون بقول مطلق لأن فيهم أتقياء أبرار وليس كلهم كذلك جزماً بنص القرآن.

وحديث الحوض يوضح ذلك وهو ما رواه صاحب الجمع بين الصحيحين في الحديث ١٣١ من المتفق عليه من مسند أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني إذا رأيتهم ورفعوا إلي رؤوسهم اختلجوا فلاقولن أي ربي، أصحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

ورواه أيضاً في الجمع بين الصحيحين من مسند ابن عباس بلفظ آخر والمعنى متفق، وفي آخره زيادة إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

ورواه أيضاً في الجمع بين الصحيحين من مسند سهل ابن سعد في الحديث ٢٢ من المتفق عليه وفي آخره زيادة فأقول سحراً سحراً لمن بدل بعدي.

ورواه أيضاً في الحديث ٢٦٧ من مسند أبي هريرة من عدة طرق وفي آخره زيادة: فلا أراه يخلص منهم الأمثل همل النعم.

وقد روي مثل ذلك من مسند عائشة بعدة طرق ومن مسند أم سلمة بعدة طرق ومن مسند سعيد بن المسيب بعدة طرق.

وذكرت له أمثال ذلك مما يطول شرحه، واتفق الأشاعرة والمعتزلة على نقله فلم يمكنهم إنكاره فلذا تأولوه بتكلفات تصغر عن النقل ويحكم بفسادها كل ذي عقل، وكان يجيبني في المجلس بما ذكروه من التكلفات فأرده بأيسر وجه.

وقلت له: إن أتباع الحق يحتاج إلى إنصاف وترك الهوى والتقليد المألوف وإلا فمعاجز نبينا الدالة على صدقه لا يبقى لأحد شك فيها والكفار لما سلكوا التعصب والعناد والتقليد المألوف لهم لم تشرب أنفسهم قبول ذلك وقابلوه بالشبهات فبقوا على كفرهم، فاعترف بذلك.

ودخلت إلى عنده يوماً فرأيت بين يديه كتباً منها صحيح البخاري فتذكرت الأحاديث التي فيه يذكر فيها أن الأئمة اثنا عشر فأريته إياها وذلك إنه روي في صحيح البخاري بطريقين م

أحدهما: إلى جابر بن سمرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها فقال: أبي كلهم من قريش

وثانيهما: إلى ابن عيينة: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر الناس ما ضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» ثم تكلم بكلمة خفيت علي فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ: «فقال كلهم من قريش» وروي في صحيح البخاري بطريق آخر إلى ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» وذكرت له أن مسلماً روى في صحيحه هذا الحديث بلفظه، وروى مسلم أيضاً في صحيحه هذا الحديث بلفظه، وروى مسلم أيضاً في صحيحه الحديث الأول بطرق متعددة.

وكان صحيح مسلم عنده فأتى به فأريته ذلك فيه وفي بعضه: لا يزال هذا الدين عزيزاً فقلت له: هذا عين ما تقوله الشيعة وشاهد بصحة معتقدهم لأنهم هم المتمسكون بالخليفتين اللتين لن يفترقا حتى يردا الحوض القائلون بالاثني عشر خليفة الموادون أهل بيت نبيهم الذين جعل الله ودهم أجر الرسالة بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فإن غير الشيعة لم يميزوهم عن غيرهم بل قدموا غيرهم عليهم، ثم باحثته في مسائل كلامية كالرؤية والقضاء والقدر، وفي مسائل فرعية كالمسح والتمتع وذلك بعد أن أذعن واستقر الإيمان في قلبه وصار من خواص الشيعة والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على سيدنا

محمد وآله الطاهرين إلى يوم الدين. (انتهى ما أردنا نقله من هذه الرسالة وتركنا منها أشياء لم نقلها).

ما وجد بخطه من تواريخ إخوته وأولاده وغيرهم

ولا يخلو ذكره من فائدة في الرياض: رأيت في أردبيل على ظهر نسخة من إرشاد العلامة نقلاً عن خط المترجم له وكتبه الكاتب في حياته ما صورته: مولد أخي الأكبر الشيخ نور الدين سنة ٨٩٨، وأخي الشيخ محمد (٩٠٣) ووفاته (٩٥٢)، وأختي... سنة ٩٥٠ ووفاتها ٩٧٠، وتولد أخي الحاج زين العابدين أطال الله بقاءه (٩٠٩). ثم كتب غيره أو هو بعده بزمان أن وفاته (٩٦٥) ثم كتب الشيخ وتولد ابنه (أي ابن أخيه المذكور) الشيخ تقي الدين سنة ٩٢٠ ووفاته ٩٧٢، ومولد هذا الفقير الكاتب أول يوم من المحرم (٩١٨) وتوفيت زوجتي خديجة بنت الحاج علي رحمهما الله تعالى في مدينة هراة ٢٦ شهر... سنة ٩٧٦. ونقلت إلى جوار ثامن الأئمة علي بن موسى الرضا(ع) وكتب الشيخ البهائي تحته ما صورته كتب الوالد ولدت المولودة الميمونة بنتي... ليلة الاثنين ٣ صفر سنة ٩٥٠، وأخوها أبو الفضائل محمد بهاء الدين أصلحه الله وأرشده عند غروب الشمس يوم الأربعاء ١٧ ذي الحجة سنة ٩٥٣، وأختها أم أيمن سلمى بعد نصف الليل ١٦ المحرم سنة ٩٥٥، وأخوهم أبو تراب عبد الصمد ليلة الأحد وقد بقي من الليل نحو ساعة ٣ صفر سنة ٩٦٦ في قزوین، وابن أخته السيد محمد ليلة السبت ١٨ صفر من السنة المذكورة وتوفي (قده) ومولد شيخنا الشيخ زين الدين رفع الله قدره سنة ٩١١ ووفاته ٩٦٥ (انتهى).

وقد كني أولاده ولقبهم كما هو المستحب.

أسرته

في روضات الجنات عن صاحب حدائق المقرئين عن المولى محمد تقي المجلسي الأول عن الشيخ البهائي أنه كان يقول إن آباءنا وأجدادنا في جبل عامل

كانوا دائماً مشتغلين بالعلم والعبادة والزهد وهم أصحاب كرامات ومقامات. وقد كان والده وجده شمس الدين محمد بن علي الذي ينقل صاحب البحار عن خطه كثيراً صاحب المجموعة من كبار العلماء وكذلك كثير من بني ابنه وعمومته وكذلك أخوه العالم الفقيه الشاعر نور الدين أبو القاسم علي بن عبد الصمد وابن ابنه الشيخ حسين بن عبد الصمد بن حسين بن عبد الصمد المار ذكره ومن ذرية ولده عبد الصمد آل مروة العامليون.

أولاده

له من الذكور ولدان
أحدهما: الشيخ البهائي الذائع الصيت المشتهر زيادة عن أبيه ولذلك يعرف به أبوه فيقال: والد الشيخ البهائي
ثانيهما: الشيخ عبد الصمد وله صنف الشيخ البهائي الصمدية في النحو سمي باسم وجده.

مشايقه

- (١) الشهيد الثاني.
- (٢) السيد حسن بن جعفر الكركي وروي عنهما بالإجازة.
- تلاميذه
- (١) ولده البهائي ويروي عنه إجازة.
- (٢) حسن صاحب المعالم يروي عنه إجازة.
- (٣) السيد حسن بن علي بن شدم الحسيني المدني يروي عنه إجازة.
- (٤) الشيخ رشيد الدين بن الشيخ إبراهيم الأصفهاني ويروي عنه إجازة ورأى صاحب الرياض إجازته له على ظهر إرشاد العلامة.
- (٥) الشيخ أبو محمد الشهير ببايزيد البسطامي في الذريعة يروي عن الشيخ عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي.

(٦) المسمى ملك علي يروي عنه إجازة ورأينا إجازته له بخط يده في طهران في مكتبة فضل الله النوري الشهيد وهذا صورتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وكفى وصلاة وسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وخلص أصحابه أهل الكرم والوفاء. وبعد فيقول فقير ورحمة ربه الغني حسين بن عبد الصمد الحارثي أصلح الله شأنه وصانه عما شأنه إني أروي كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني رفع الله درجته وكتابي التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي رحمه الله تعالى وجميع كتب من نظم في هذه السلسلة بالطريق المذكور فيها وهو ما أخبرنا به السيد الجليل الورع الرباني المتأله ذو المفاخر والمناقب خلاصة آل أبي طالب السيد حسن ابن السيد جعفر الحسيني نور الله تربته ورفع درجته والشيخ الجليل النبيل زبدة الفضلاء العظام وفقه أهل البيت (عليهم السلام) زين الدنيا والدين بن علي بن أحمد العاملي أفاض الله على روحه الزكية المراحم الربانية وأسكنه مع أئمة الطاهرين في الدرجة العلية عن شيخهما التقي الفاضل الورع الشيخ علي بن عبد العالي الميسي رحمه الله تعالى عن الشيخ الجليل التقي الأصيل شمس الدين محمد بن داوود المؤذن الجزيني عن الشيخ ضياء الدين علي عن والده السعيد الشهيد محمد ابن مكّي عن السيد فخار وعن الشيخ ضياء الدين بن محمد بن مكّي عن السيد تاج الدين بن معية الحسيني عن الشيخ العلامة جمال الدين بن مطهر عن الشيخ المحقق نجم الدين ابن سعيد عن السيد فخار.

ح : عن شاذان ابن جبرائيل عن أبي القاسم محمد ابن أبي القاسم الطبري عن الشيخ الفقيه أبي علي الحسن عن أبيه شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي عن الشيخ الأعظم أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد عن الشيخ الإمام أبي جعفر بن قولويه عن الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله تعالى عن عدة من أصحابنا عن علي بن أسباط عن أبي الحسن

الرضا(ع) وإن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره وقد أجزت للأخ في الله المحبوب لوجه الله ملك علي أعلى الله قدره رواية جميع كتب من اندرج في هذه السلسلة فليرو ذلك بشرائطه محتاطاً لي وله فهو أهل ذلك لا زال مسدداً مؤيداً إلى يوم الدين (انتهى).

مؤلفاته

- (١) رسالة في الدراية، مطبوعة.
- (٢) تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان رد فيها على المحقق الكركي كما مر عند ذكر أقوال العلماء فيه.
- (٣) شرح الأربعين حديثاً في الأخلاق، ألفه باسم الشاه طهماسب الصفوي.
- (٤) شرح قواعد الأحكام للعلامة.
- (٥) شرح ألفية الشهيد، في فقه الصلاة ممزوج مع المتن مبسوط، فرغ من تأليفه في بلدة هراة في أواخر الشهر الأول من السنة الأولى من العشر التاسع بعد التسعمائة، في نظام الأقوال لم يعمل مثله.
- (٦) شرح آخر على ألفية الشهيد، فيه مناقشات مع الشهيدين والمحقق الكركي، ذكره صاحب رياض العلماء.
- (٧) الرسالة الطهماسية، وفي الرياض التحفة الطهماسية في المواعظ الفقهية، بالبال إنها له (انتهى) والظاهر أن الصواب ما في رسالة مظفر على.
- (٨) الرسالة الوسواسية كما في رسالة مظفر علي، وفي أمل الآمل رسالة في الرد على أهل الوسواس سماها العقد الحسيني أو الحسنيني، ألفها باسم الشاه طهماسب. وفي الرياض رأيت من مؤلفاته العقد الطهماسي فيه مسائل عديدة من الطهارة والصلاة، ومن جملتها مسألة الوسواس ألفها باسم السلطان المذكور أورد فيها مسألة الوسواس وأطال الكلام في المنع عنه حيث كان السلطان المزبور مبتلى به،

أما العقد الحسيني فلم أظفر به والظاهر أنه الطهماسي.

(٩) الرسالة الرضاعية.

(١٠) حاشية الإرشاد لم تتم.

(١١) وصول الاختيار إلى أصول الإخبار في الرياض، وهو كتاب حسن طويل

الذيل في علم الدراية وذكر في أوله أدلة الإمامة وأطل فيها وهو كثير الفوائد.

(١٢) رسالة في الرحلة يذكر فيها وقائع ما اتفق له في إسفاره، وهذه لا وجود

لها ولو وجدت لكانت من الرسائل الممتعة لأنه مع علمه وكثرة اطلاعه قد طاف

شرق الأرض وغربها فلا بد أن يكون حصل له أمور شتى نادرة.

(١٣) رسالة في مناظرته مع بعض علماء حلب في الإمامة سنة ٩٥١، رأيتها

بالنجف الأشرف وعليها خط الشهيد الثاني بإجازتها لبعض آل سليمان العاملين،

ثم استنسختها في كرمانشاه سنة ١٣٥٣ ونقلت أكثرها فيما مر من أخباره.

(١٤) رسالة في عينية صلاة الجمعة.

(١٥) رسالة في الاعتقادات الحققة.

(١٦) تعليقات على الصحيفة الكاملة السجادية.

(١٧) تعليقات على خلاصة العلامة في الرجال.

(١٨) كتاب الغرر والدرر، في الرياض رأيت في بعض المواضع فائدة في مسألة

صلاة الجمعة منقولة من كتاب الغرر والدرر للشيخ حسين بن عبد الصمد.

(١٩) رسالة في طهارة الحصر والبواري بالشمس.

(٢٠) رسالة في صرف سهم الإمام من الخمس إلى فقراء السادة، في الرياض

لطيفة حسنة فرغ منها سنة ٩٦٨.

(٢١) رسالة في الواجبات الملكية، وهي في الأمور الواجب معرفتها وجعلها

ملكة في الاعتقادات والعمليات المذكورة. في الرياض قال وهي حسنة الفوائد،

ولعلها رسالة الاعتقادات الحققة المتقدمة.

(٢٢) تعليقات عديدة على كتب الحديث والفقه غير مدونة، كما في الرياض.

(٢٣) فتاوى كثيرة متفرقة، في الرياض رأيت بعضها.

(٢٤) إصلاح جامع البين من فوائد الشرحين، وذلك أن العلامة الحلبي له تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول، وعليه شرحان للأخوين الأعرجيين السيد عميد الدين والسيد ضياء الدين ابني أخت العلامة الحلبي. وقد جمع الشهيد الأول الشرحين في كتاب وزاد عليهما وسماه جامع البين من فوائد الشرحين. عن كتاب كشف الحجب إن الشهيد ألف هذا الكتاب في أوائل شبابه ولم يراجع المسودة، لذلك بقيت النسخة غير منقحة فوجدها المترجم وأصلحها سنة ٩٤١ جامعاً فيها كلا الشرحين وزيادة الشهيد.

(٢٥) جوابات الاعتراضات العشرة على قول النبي ﷺ: «إني أحب من دنياكم ثلاثاً النساء والطيب وقرة عيني الصلاة».

(٢٦) جواب كتاب السلطان سليمان العثماني إلى الشاه طهماسب الصفوي يطلب منه إطلاق ولده فكتب الجواب المترجم، والجواب مدرج في كتاب فضائل السادات المطبوع.

(٢٧) ديوان شعر كبير.

أشعاره

قد عرفت أن له ديوان شعر كبير ومن شعره قوله أورده ولده في الكشكول:

ما شملت الورد إلا	زادني شوقاً إليك
وإذا ما مال غصن	خلته يحنو عليك
لست تدري ما الذي قد	حل بي من مقلتيك
إن يكن جسمي تناءى	فالحشى باق لديك
كل حسن في البرايا	فهو منسوب إليك
رشق القلب بسهم	قوسه من حاجبيك

إن ذاتي وذواتي يا منايا في يديك
آه لو أسقى لأشفي خمرة من شفتيك

وله قصيدة طويلة تبلغ ٦٩ بيتاً قال ولده في الكشكول عارض بها البردة، وقال صاحب السلافة: يزعم أنه عارض بها البردة مشيراً إلى انحطاطها عن البردة وزاد في ذلك التزامه أنواع البديع المتكلفة التي تؤثر انحطاطاً في الشعر البارع فضلاً عن غيره كقوله:

أنا الملموم وقلبي مولع برشا
قلبي غضى وضلوعي منحني وله
وما سقاني رحيقاً بل حريق أسى
بكيت والشمل مجموع لخوف نوى
وكلما مت هجراً عشت من أملي
دمع طليق وقلب في قيود هوى
وقد أقام قوام القدلي حججا
وجدني عليك ونفسي في يديك وذا
أصغي إلى العذل أجنى ورد ذكرك
ونحن في سفر نمضي إلى حفر
نقلنا منها هذا نموذجاً لما تركناه منها لا لأنه مما يختار وأوردها ولده في
كشكول بتمامها يقول فيها:

إن الإقامة في دار تضام بها
أرجو الخلاص وما أخلصت في عمل
لكن لي شافعاً ذوالعرش شفعه
محمد المصطفى الهادي المشفع في
كفاك فخراً كمالات خصصت بها
والأرض واسعة عجز فلا تقم
أرجو النجاة وما ناجيت في الظلم
أرجو الخلاص به من زلة القدم
يوم الجزاء وخير الخلق كلهم
أخاك حتى دعوه بارئ النسل

خليفة الله خير الخلق قاطبة
رب اللوء ومخصوص الولاء ومح
والبيض في كفه سود غوائلها
بيض متى ركعت في كفه سجدت
ولا ألومهم أن يحسدوك فقد
مناقب أدهشت من ليس ذا نظر
من لم يكن بقسيم النار معتصما
من لم يكن ببني الزهراء مقتديا
فإن يشاركون الأعداء في نسب
هم الولاة وهم سفن النجاة وهم
ومن سرى نحوهم أغناه نورهم
عذاب قلبي عذب في محبتهم
رجوتهم لعظيم الهول من قدم
ومنها في المهدي (ع):

يا مظهر الملة العظمى وناصرها
يا وارث العلم برويه ويسنده
مآثر الفخر فيكم غير خافية
أوضحتم للورى طرق الوصول كما
لم يبق غيرك إنسان يلاذ به
ولا تقل قل أنصاري فناصرك ال
أقصر حسين فلن تحصي فضائلهم
عليهم صلوات لا انتهاء لها

بعد النبي وباب العلم والحكم
فوف الكساء وصي المصطفى العلم
حمر غلائها تدلى على القمم
لها رؤوس هوت من قبل للصنم
حلت نعالك منهم فوق خامهم
وأسمعت في الورى من كان ذا صمم
فما له من عذاب النار من عصم
فلا نصيب له من دين جدهم
فالتبر من حجر والمسك بعض دم
لنا الهداة إلى الجنات والنعم
عن الدليل ونجم الليل في الظلم
ومر ما مربى حلو لأجلهم
وهل يرجى سوى ذي الشأن والعظم

لانت مهديها الهادي إلى اللقم
إلى جدود تعالوا في علومهم
والشمس أكبر أن تخفى على الأمم
صيرتم العلم بين الناس كالعلم
فأنت إنسان عين الأمن والكرم
باري ومن ينصر الرحمن لم يضم
لو إن في كل عضو منك ألف فم
كمثل قدرهم العالي وعلمهم

لي (أقول) فيمكن كونه من نظمه ويمكن كونه لغيره:

صل من دنا وتناس من بعدا لا تكرهن على الهوى أحدا
قد أكثرت حواء ما ولدت فإذا جفا ولد فخذ ولدا

وقال الشيخ حسين بن عبد الصمد على طريقة أهل التصوف:

فاح ريح الصبا وصاح الديك فاتتبه وأنف عنك ما ينفيك
واخلع النعل في الهوى ولها وادن منا فإننا ندنيك
وأستامها سلافة سلمت من أذى من بغى لها تشريك
وأدر مدحها الفصيح وقل كل مدح لغير تلك ركيك
وتعشق وكن إذا فطنا كل شيء عشقته يغنيك
وأنف عنك الوجود وافن تجد نفحة من قبولنا تبقيك
إن تسر صوبنا تسروان مت في السير دوننا نحبيك
وإذا هانك الحميم فحم في حمانا فإننا نحملك
وتخلق بما خلقت له فهو من مورد الردى منجيك
جد بنفس تجد نفيس هدى كف كفا عن غيرنا نكفيك
خل خلي منك لي بمنى واجعل النفس هدينا نهديك
وانتصب رافعاً يديك بها واخفض القدر ساكناً نعليك
وابك تمحو قبائحا كتبت قبل أن تلتقي الذي يبكيك
تدعي غير ما وصفت به والذي فيك ظاهر من فيك
تجتري والجليل مطلع ما كأن النهي إذا ناهيك
تتلاهى عن الهدى ولها مبتلى دائماً بما يبليك
تلبس الكبر تائهاً سفها والنجاسات كائنات فيك
وإذا ما ذكرت موعظة حدت عنها كأنها تنسيك

وفي أنوار الربيع من الاقتباس (من الفقه) قولي أبي الفضل الدارمي وقيل القاضي

وفي أنوار الربيع من الاقتباس (من الفقه) قولي أبي الفضل الدارمي وقيل القاضي عبد الوهاب المالكي.

يزرع ورداً ناضراً ناظري في وجنة كالقمر الطالع
امنع أن اقطف أزهاره في سنة المتبوع والتابع
فلم منعتم شفتي قطفها والحكم إن الزرع للزراع
قال: وقد أجاب عن ذلك جماعة من الأدباء منهم شيخنا الشيخ حسين ابن عبد الصمد العاملي رحمه الله فقال:

لأن أهل الحب في حكمنا عبيدنا في شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا فحقه للسيد المانع

مراثيه

في الرياض رثاه جماعة من الشعراء وفي كشكول البهائي رثى السيد الأجل والد جامع الكتاب بقصيدة مطلعها:

جارتني كيف تحسنين ملامي أيداوي كلم الحشى بكلام
ولم يذكر من هو هذا السيد الأجل ويمكن كونه الذي ذكره البهائي في كشكوله في موضع آخر فقال: مما كتبتة إلى السيد الأجل قدوة السادات العظام السيد رحمة الله قدس الله روحه، وممن رثاه ولده الشيخ البهائي بقصيدة ذكرها في كشكوله أولها:

قف بالديار وسلها أين سلماها
ورو من جرع الأجفان جرعاها
وردد الطرف في أطراف ساحتها
وأرج (وروح) الروح من أرواح أرجاها
وإن يفتك من الأطلال مخبرها
فلن يفوتك مرآها ورياها

ربوع فضل تباهي التسير تربتها
ودار إنس تحاكي الدر حصباها
عدا على جيرة حلواً بساحتها
صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها
بدورتم (علم) غمام الموت جللها
شموس فضل سحاب القرب غشاها
فالمجد يبكي عليها جازعاً أسفا
والدين يندبها والفضل ينعاها
يا حبذا أزمنناً في ظلهم سلفت
ما كان أقصرها عمراً وأحلاها
أوقات أنس قضيناها فما ذكرت
إلا وقطع قلب الصب ذكراها
يا جيرة هجروا واستوطنوا هجرا
واهاً لقلبي المعنى بعدكم واهـ
رعيا لليلات وصل بالحمى سلفت
سقيا لأيامنا بالخيف سقياها
لفقدكم شق جيب المجد وانصدعت
أركانها وبكم ما كان أقواها
وخر من شامخات العلم أرفعها
وهـد من باذخات الحلم أرساها
يا ثاويّاً بالمصلى من قرى هجر
كسيت من حلل الرضوان أرضاها

أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت
 ثلاثة كن أنداداً وأشباها
 ثلاثة أنت أنداها وأغزرها
 جوداً وأعذبها طبعاً وأصفاها
 حويت من درر العلياء ما حويا
 لكن درك أعلاها وأغلاها
 يا أعظما وطئت هام السهى شرفا
 سقاك من ديم الوسمي أسماها
 ويا ضريحاً سما فوق السماك على
 عليك من صلوات الله أزكاها
 فيك انطوى من شمس الفضل أضوؤها
 و من معالم دين أسناها
 ومن شوامخ أطواد الفتوة أر
 ساها وأرفعها قدراً وأبهاها
 فاسحب على الفلك الأعلى ذيول على
 فقد حويت من العلياء أعلاها
 عليك منا سلام الله ما صدحت
 على غصون أراك الدوح ورقاها

فهرس الموضوعات

الدليل	٥
كلمتنا	٧
١ - الشيخ البهائي في خلاصة الأثر / محمد الأمين المحبتي	١١
محمد بهاء الدين العاملي	١١
٢ - خبر الشيخ بهاء الدين القزويني في سانحات دمي القصر / درويش محمد الطالوي	٢٧
خبر الشيخ بهاء الدين القزويني وبعض أشعاره	٢٧
٣ - بهاء الدين العاملي الشيعي في معادن الذهب / أبي الوفاء بن عمر العرضي	٣١
بهاء الدين بن حسين العاملي الشيعي	٣١
٤ - بهاء الدين العاملي في نفحة الريحانة / محمد الأمين المحبتي	٣٥
ولده بهاء الدين العاملي	٣٥
٥ - رسالة في الشيخ البهائي / أبو المعالي محمد بن محمد إبراهيم الكلبي	٣٩
رسالة في الشيخ البهائي	٣٩
كلمات العلماء في حقّه	٤٠
مراسلة بين السيّد الداماد والفاضل التستري	٤٥
عبد الله التستري غير عبد الله اليزدي	٥١
وفاة الشيخ البهائي	٧٩

- ٨٠ قصص وحكم
- ٨٤ السيد الداماد والشيخ البهائي
- ٩٢ سجع خاتمه
- ٩٣ سرّ اشتهاار مؤلفاته
- ٩٤ والد الشيخ البهائي
- ٩٩ ٦- الشيخ البهائي في سلافة العصر / العلامة السيد علي خان المدني
- ٩٩ الشيخ العلامة بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني رحمه الله تعالى
- ١٠٧ ٧- بهاء الدين العاملي الحارثي الهمداني في روضة المتقين / المولى محمد تقي المجلسي
- ١٠٧ (محمد بن الحسين بن عبد الصمد) المشتهر ببهاء الدين، العاملي، الحارثي، الهمداني
- ١١١ ٨- الشيخ الجليل بهاء الدين العاملي في رياض العلماء / عبدالله الأفندي الأصبهاني
- ١١١ الشيخ الجليل بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي
- ١١٦ الشيخ شمس الدين محمد الجبعي العاملي
- ١١٦ بنت الشيخ علي المنشار
- ١١٧ ٩- الإمام... بهاء الملة... في الروضات / محمد باقر الموسوي الخوانساري الإصبهاني
- شيخنا الإمام العلامة ومولانا الهمام الفهامة أفضل المحققين وأعلم المدققين، خلاصة
- المجتهدين شيخنا بهاء الملة والحق والدين محمد بن الشيخ العلم العلامة عزّ الملة
- والحق والدين حسين بن عبد الصمد الحارثي الجباعي قدس الله روحه ونور ضريحه
- ١٣٩ ١٠- بهاء الدين العاملي في خاتمة المستدرک / المعيرزا حسين النوري
- ١٣٩ بهاء الدين العاملي
- ١٥٥ ١١- الشيخ بهاء الدين في نزهة المجلس / السيد عباس المكي الحسيني الموسوي
- العالم العلامة، الحبر الفهامة، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي
- الحارثي الهمداني الشامي أصلاً ومولداً، والخراساني منشأً وتربةً
- ١٥٩ ١٢- الشيخ محمد بن الحسين العاملي في لؤلؤة البحرين / الشيخ يوسف البحراني
- ١٥٩ محمد بن الحسين

- ١٣ - بيان أحوال الشيخ بهائي في الروضة البهيّة / السيّد محمّد شفيح الجابلقى ١٦٥
- بيان أحوال الشيخ بهائي ١٦٥
- ١٤ - وصف الشيخ البهائي في خزانة الخيال / محمّد مؤمن الجزائري الشيرازي ١٧١
- وصف الشيخ البهائي زيد بهاؤه ١٧١
- بهاء وضياء ١٧١
- تمثيل وتخييل ١٧٣
- نثر ونظم له ضوعف أجره ١٧٥
- مكتوب ظريف ١٧٦
- ١٥ - البهائي وبهاء الدين في الكنى والألقاب / المحدث الشيخ عباس القمي ١٧٩
- البهائي وبهاء الدين ١٧٩
- ١٦ - بهاء الملة والدين في الغدير / العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني ١٨٣
- بهاء الملة والدين (المولود ٩٥٣ - المتوفى ١٠٣١) ١٨٣
- أساتذته ومشايخه ١٨٥
- تلامذته ومن يروي عنه ١٨٨
- حرف الألف ١٨٨
- حرف الباء ١٨٩
- الحروف ج، ح، خ ١٩٠
- الحروف س، ش، ص ١٩٢
- الحرف ع ١٩٣
- الحروف ق، ك، ل ١٩٥
- الحرف م ١٩٦
- الحروف هـ، ي ١٩٩
- تأليفه القيمة ١٩٩
- الاثنا عشريات ٢٠٢

٢٠٣	الأربعين
٢٠٣	تشریح الأفلاك
٢٠٤	الجامع العباسي
٢٠٥	خلاصة الحساب
٢٠٨	زبدة الأصول
٢١١	الفوائد الصمدية
٢١٢	مفتاح الفلاح
٢١٣	ألغاز البهائي
٢١٣	الوجيزة
٢١٣	وسيلة الفوز
٢١٤	تهذيب البيان
٢١٤	أدبه الرائق
٢١٦	ولادته
٢١٧	وفاته
٢١٨	عثره لا تقال
٢٢٣	١٧- الشيخ بهاء الدين في أعيان الشيعة / العلامة السيد محسن الأمين
	الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد ابن محمد بن علي بن حسين بن
٢٢٣	صالح الحارثي الهمداني العاملي الجبعي نزير أصفهان
٢٢٣	نسبته
٢٢٤	مولده ووفاته ومدفنه
٢٢٦	أقوال العلماء في حقّه
٢٣٤	أحواله
٢٣٥	مركزه في الدولة
٢٣٦	بطل أم قدّيس

٢٣٧	ورود الخطي على البهائي بأصفهان
٢٣٩	مجيئه في سياحته إلى القدس وما جرى له فيها
٢٤٠	مجيئه في سياحته إلى دمشق وما جرى له فيها
٢٤١	اعتقاد البهائي تشيع الرازي
٢٤١	الحكايات عن البهائي في سياحته
٢٤٢	هل للبهائي ذرية
٢٤٢	حديث إن القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، واستفادة تلامذته منه أيام التعطيل
٢٤٣	عدم اشتهاار الكتب في عصر مؤلفها
٢٤٤	ما جرى للبهائي والداماد بصحبة الشاه عباس
٢٤٤	نسبته إلى التصوف
٢٤٧	لغز في عليّ
٢٤٨	مشائخه من علماء الشيعة
٢٤٩	مشائخه من علماء أهل السنة والسند المسلسل بالمحمّدين
٢٤٩	تلامذته
٢٥١	مؤلفاته
٢٥١	التفسير
٢٥١	الحديث
٢٥١	الدراية
٢٥١	الرجال
٢٥٢	العبادة والدعاء
٢٥٢	الفقه
٢٥٣	الأصول
٢٥٣	النحو
٢٥٣	البيان

٢٥٣	الحساب
٢٥٣	علم الهيئة
٢٥٤	الحكمة
٢٥٤	التاريخ والأدب
٢٥٥	أجوبة المسائل
٢٥٥	استدراك على مؤلفاته
٢٥٥	شعره
٢٥٧	١٨ - البهائي في فلاسفة الشيعة / الشيخ عبد الله نعمة
٢٥٧	البهائي محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني
٢٦٠	حياة البهائي
٢٦٦	آثار البهائي ومؤلفاته
٢٧٥	١٩ - بهاء الدين العاملي في طبقات أعلام الشيعة / الشيخ آقابزرگ الطهراني
٢٧٥	بهاء الدين العاملي
٢٧٧	٢٠ - بهاء الدين العاملي وفكره المتصل والمنفصل / الدكتور عبد الكريم اليافي
٢٩٥	٢١ - حياة بهاء الدين العاملي في العصر العثماني / الدكتور وجيه كوثراني
٢٩٥	العصر العثماني، المجتمع والسلطة والعالم في فترة حياة بهاء الدين العاملي
٢٩٧	١ - الحالة العثمانية وأوروبا
٢٩٨	٢ - الوضع السياسي والاجتماعي في بلاد الشام
٢٩٩	٣ - السلطة ودور العالم والفقيه
٣٠٩	ماذا عن الشيخ بهاء الدين العاملي؟
٣١٣	خلاصة
٣١٧	٢٢ - النظريات الأصولية والفقهية للشيخ البهائي / السيد مهدي الحسيني الروحاني
٣٢٢	ما كتبه في الفقه
٣٢٣	وأما أصول الفقه

- ٢٣- بهاء الدين العاملي مؤلفاً مجدداً / الدكتور الشيخ جعفر المهاجر ٣٢٥
- الأمر الأول ٣٣٦
- ٢٤- قراءة ثانية في ديوان الشيخ البهائي / الدكتور محمد التونجي ٣٣٩
- ٢٥- بهاء الدين العاملي العالم الموسوعي العربي / الدكتور حسن محمود أبو عليوي ٣٤٩
- نسبه ومولده ووفاته ٣٥٠
- شيوخه وتلامذته ٣٥٢
- نبذة من حياته وأسفاره ٣٥٣
- آثاره ومؤلفاته ٣٥٧
- فمن مؤلفاته الدينية نذكر على سبيل المثال ٣٥٩
- المؤلفات العلمية ٣٦٠
- المؤلفات الأدبية واللغوية ٣٦٠
- شاعرية البهائي ٣٦٢
- ٢٦- معرفة الله في التراث العقلي ... / د. أحد فرامرز قراملكي ود. مصطفى زين ٣٦٥
- في ضرورة معرفة الله وتمهيد البحث عنه ٣٦٥
- ما المراد بـ«معرفة الله» عند البهائي؟ ٣٦٧
- منهج معرفة الصفات الإلهية ٣٧٠
- مراتب المعرفة بالله تعالى ٣٧٣
- نتيجة البحث ٣٧٦
- ٢٧- الشيخ البهائي في تاريخ علم الفلك في العراق / عباس العزاوي ٣٧٧
- البهاء العاملي ٣٧٧
- ٢٨- بهاء الدين العاملي في تراث العرب العلمي / قدري حافظ طوقان ٣٨٣
- بهاء الدين العاملي ٣٨٣
- ٢٩- منزل الشيخ بهاء الدين العاملي في قرية إيعات / الدكتور خضر محمد نبها ٣٩٣
- دعوة إلى جعله متحفاً وطنياً ٣٩٣
- ٣٠- معنى الكشكول وسابقتها / السيد عبد الستار الحسيني ٣٩٧

الشيخ عزّ الدين حسين بن عبد الصمد

والد الشيخ بهاء الدين العاملي

- ٣١/١ - إجازة للشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي / الشهيد الثاني ٤٠١
- ٣٢/٢ - إجازة والد البهائي إلى ولديه / الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني ٤٢٩
- صورة إجازة ٤٢٩
- ٣٣/٣ - ... والد البهائي في نسمة السحر / ضياء الدين يوسف الحسني اليمني الصنعاني ٤٣١
- الشيخ الحسين بن عبد الصمد العاملي الشامي الأصل ، الإصبهاني الدار ، الأديب ٤٣١
- ٣٤/٤ - الحسين ... الحارثي ونفحة الريحانة / محمد أمين ... بن محبّ الدين ... المعني ٤٣٣
- حسين بن عبد الصمد الحارثي ٤٣٣
- ٣٥/٥ - الشيخ عزّ الدين الحسين في رياض العلماء / الميرزا عبد الله الأفندي الأصبهاني ٤٣٩
- الشيخ عزّ الدين الحسين بن الشيخ عبد الصمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن عليّ بن حسين بن صالح الحارثي الهمداني العاملي الجبعي ثمّ الخراساني والد شيخنا البهائي ٤٣٩
- ٣٦/٦ - الشيخ حسين في الروضة البهيّة / السيّد محمد شفيع الجابلق ٤٤٩
- الشيخ حسين والد الشيخ البهائي ٤٤٩
- ٣٧/٧ - الشيخ حسين بن عبد الصمد في لؤلؤة البحرين / المحدث الشيخ يوسف البحراني ٤٥٣
- الحسين ابن الشيخ عبد الصمد ٤٥٣
- ٣٨/٨ - والد الشيخ البهائي في الكنى والألقاب / المحدث الشيخ عباس القمي ٤٥٧
- والد الشيخ البهائي ٤٥٧
- ٣٩/٩ - عزّ الدين العاملي في الغدير / العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني ٤٦١
- عزّ الدين العاملي المولود (٩١٨) - المتوفّى (٩٨٤) ٤٦١
- ما يتبع الشعر ٤٦٢
- الشاعر ٤٦٢
- مشايخه والرواة عنه ٤٧٣
- آثاره أو مآثره ٤٧٤
- ولادته ووفاته ٤٧٦

٤٨١	١٠/٤٠- الشيخ عز الدين... والد الشيخ البهائي في أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين.....
٤٨١	الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي بن حسين بن محمد بن صالح العاملي الجبعي الحارثي الهمداني والد الشيخ البهائي.....
٤٨١	مولده ووفاته ومدفنه.....
٤٨١	نسبته.....
٤٨٢	أقوال العلماء في حقّه.....
٤٨٩	أحواله وأخباره.....
٤٨٩	علاقته بالشهيد الثاني وسفره معه إلى اسلامبول.....
٤٩٢	سفره إلى إيران وسببه.....
٤٩٣	وصوله إلى أصفهان وانتقاله إلى قزوین.....
٤٩٥	سفره إلى المشهد المقدس الرضوي.....
٤٩٥	سفره إلى هرة.....
٤٩٦	ميله إلى التصوف.....
٤٩٧	سبب سكناه البحرين وما جرى له فيها.....
٤٩٨	أخلاقه مع عياله.....
٤٩٩	مناظرة جرت بينه وبين أحد فضلاء حلب سنة ٩٥١.....
٥٠٧	ما وجد بخطه من تواريخ إخوته وأولاده وغيرهم.....
٥٠٧	أسرته.....
٥٠٨	أولاده.....
٥٠٨	مشايخه.....
٥٠٨	تلاميذه.....
٥١٠	مؤلفاته.....
٥١٢	أشعاره.....
٥١٦	مراثيه.....

***The Career and Thought of
Shaykh Bahā al-Din Al-Āmili***

By
A Group of Researchers

**Center Revival of Islamic Heritage
Academy of Islamic Sciences and Culture**

www.isca.ac.ir E-mail: nashr@isca.ac.ir

Iran, Qom

P.O.Box 37185/3858 Tel +98 251 7832833 Fax +98 251 7832834